الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية





كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

-قسم التاريخ-

مخبر الجنوب الجزائري للبحث

في التاريخ والحضارة الإسلامية

الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي
أبو مروان حيّان القرطبي وأبو زكريّاء يحيى الوارجلاني
-دراسة مقارنة-

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل. م. د) في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: زكرياء سعيدي

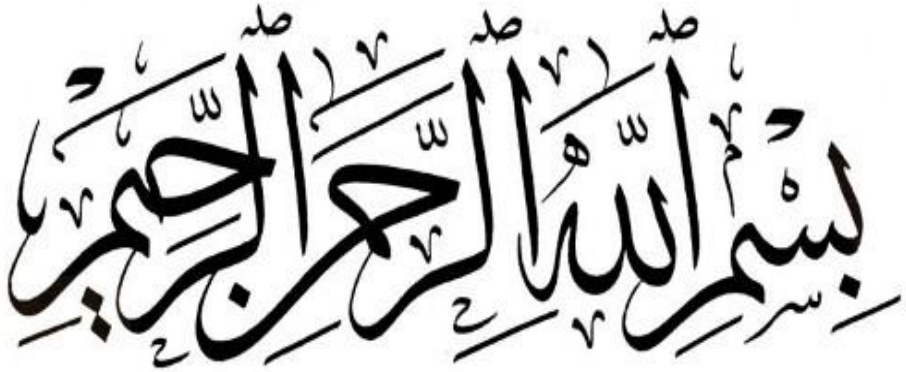
إشراف: أ. د/ عبد الجليل ملاخ

المشرف المساعد: أ.د/ صلاح الدين وانس

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
طاهر بن علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
عبد الجليل ملاخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
صلاح الدين وانس	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفا مساعدا
بكير بوعروة	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا
مصطفى داودي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	عضوا ممتحنا
أحمد شارف	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الجلفة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 1447-1448هـ/2025-2026م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى والديَّ العزيزين، لا حرمني الله برَّهما.

إلى إخوتي وأخواتي، كلٌّ باسمه.

إلى زوجتي الكريمـــة "ج".

إلى باكورتي الغالية "شامة".

إلى المرابطين في غزّة.

أُهـدي هـذا العمل.



شكـر وعرفـان

أحمدُ اللهَ تعالى على مَنِّه وفضله وإحسانه، إذ يسَّر لي إتمام هذا العمل

فله الحمدُ والشكرُ أولًا وآخرًا.

أتقـدّم بأسمـى عبـارات الامتنـان والعرفـان إلى مشـرفي الأسـتاذ الـدكتور عبـد الجليـل مـلاخ، علـى حسـن إدارتـه وإشـرافه، ووقوفـه معـي خـلال مراحـل إنجـاز هـذه الدراسة؛ فله مني كلُّ الشكر، وجزاه الله خير الجزاء.

كمـا أتوجّـه بالشـكر إلى الأسـاتذة الكـرام الـذين تكـونّا علـى أيـديهم خـلال السـنة النظريـة مـن الدراسـة، علـى مـا بـذلوه معنـا مـن جهـد وعطـاء. وأخـصّ بالـذكر المشـرف المسـاعد الأسـتاذ الـدكتور صـلاح الـدين وانـس، والأسـتاذ الـدكتور الشـيخ لكحل، وسائرَ أساتذة قسم التاريخ.

ولا يفـوتني أن أخـصَّ بالشـكر أسـتاذَيَّ الكـريمين: الأسـتاذ الـدكتور طـاهر بـن علـي، والأسـتاذ الـدكتور إبـراهيم بحـاز، علـى مـرافقتهم القيّمـة وتوجيهـاتهم السديدة التي كانت خيرَ معين لي في طريق طلب العلم.

قائمة المختصرات

الاختصار	الشرح
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	الجزء
د. ت	دون تاريخ
د. ط	دون طبعة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
د. ط	دون طبعة
ع	العدد
ق	القرن
هـ	الهجري
م	الميلادي
P	Page

المقدمـــة

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

لقد مثّل دخول الإسلام إلى بلاد المغرب حدثا مفصليا في تاريخها الديني والحضاري، إذ لم يكن مجرد انتقال لعقيدة إسلامية فحسب، بل كان أيضا تأسيسا لمنظومة فكرية وثقافية متكاملة، غيّرت ملامح المنطقة وأعادت تشكيل هويتها؛ فقد أقبل سكان المغرب على اعتناق الإسلام، واندمجوا مع تعاليمه ومبادئه، فكانوا امتدادا لحركة الفتح الإسلامي التي واصلت مسيرتها نحو الغرب حتى بلغت الأندلس، ذلك الفردوس المفقود في حاضر الأمة الإسلامية، ومع توالي العصور اتسعت رقعة الإسلام الجغرافية في الغرب الإسلامي وتزايد عدد الداخلين فيه، مما أفرز تفاعلات حضارية وثقافية أثمرت نهضة علمية مميزة في ربوع الغرب الإسلامي.

ورغم التأثر المبدئي للمغرب بالمشرق الإسلامي، فإن الثقافة المغاربية سرعان ما اكتسبت خصوصيتها الفكرية، وتنوعت مجالات الإبداع فيها، فشهدت العلوم والآداب ازدهارا ملحوظا، وإن تخللتها فترات من الركود نتيجة للاضطرابات السياسية الداخلية والتحديات الخارجية؛ وقد شكّلت الكتابة التاريخية أحد أبرز مظاهر النشاط الفكري في هذه المجتمعات، إذ اضطلعت بدور أساسي في حفظ الذاكرة الجماعية، وفي ترسيخ الوعي بالهوية الحضارية للإنسان المغاربي خلال العصور الإسلامية الوسطى؛ ومن هنا تبرز أهمية العودة إلى مؤلفات المؤرخين لفهم تاريخ المنطقة ومكانتها في مسار الحضارة الإنسانية عموما، والغرب الإسلامي على الخصوص.

وفي هذا الإطار، ما تزال الدراسات الأكاديمية حول الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي تشق طريقها بخطى متأنية، فرغم ما بُذل من جهود بحثية معتبرة في هذا الميدان، فإن الحاجة لا تزال قائمة إلى تجديد النظر فيه واستكمال ما تبقّى من جوانبه غير المستكشفة.

ومن هذا المنطلق جاء اختيار موضوع هذا البحث الموسوم بـ "**الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي أبو مروان ابن حيان القرطبي وأبو زكرياء يحي الوارجلاني – دراسة مقارنة–**"، سعيا إلى الإسهام في إثراء هذا الحقل المعرفي وتوسيع آفاقه التحليلية.

أولا– حدود الدراسة:

1– حدود الإطار الزماني:

تمتد الحدود الزمنية لهذه الدراسة من القرن 2هـ/8م إلى القرن 5هـ/11م، وهي الفترة التي شهدت تبلور ملامح الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي وظهور أبرز أعلامها، وفي مقدمتهم بالأندلس ابن حيان القرطبي (377–469هـ/987–1076م)، ومنهم في المغرب الأوسط أبو زكرياء يحي الوارجلاني (ت بعد 474هـ/1081م)؛ وتركز الدراسة على القرن 5هـ/11م كونه الفترة التي عاصرها المؤرخان على اعتبار أن هذه المرحلة تمثل أوج النشاط الفكري والعلمي في الأندلس والمغرب الأوسط، بما أتاح بيئة خصبة لنشوء مدارس وكتابة تاريخية ذات خصوصية منهجية ومعرفية.

2– حدود الإطار المكاني:

تغطي الرسالة المجال الجغرافي للغرب الإسلامي عموما، وعلى الخصوص الأندلس والمغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، بوصفهما المركزين الرئيسيين اللذين مثّلا مسرح نشاط المؤرِخين محلّ الدراسة، حيث عاش ابن حيان في قرطبة بالأندلس، بينما نشأ الوارجلاني في وارجلان بالمغرب الأوسط، ما يسمح بالمقارنة بين تجربتين تنتميان إلى فضاء حضاري واحد في الغرب الإسلامي، لكنه متنوع في بيئاته وثقافاته.

3– حدود موضوع الدراسة:

تركز الدراسة على الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي، من حيث مناهجها، مصادرها، أعلامها، خصائصها، وأهدافها الفكرية والحضارية، وذلك من خلال دراسة مقارنة بين نموذجين من المؤرخين: ابن حيان القرطبي ممثلا للكتابة التاريخية الأندلسية، وأبو زكرياء الوارجلاني ممثلا للكتابة الإباضية في المغرب الأوسط؛ كما تتناول الدراسة تحليل الأسس المنهجية التي اعتمدها كل منهما في تدوين الأحداث، وموقفهما من الرواية التاريخية، وكيفية توظيفهما للتاريخ في خدمة الهوية الدينية والسياسية للمجتمع الإسلامي. وبناء على ذلك، تأتي هذه الدراسة للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين المؤرِّخَين، لا سيما على مستوى منهجهما في الكتابة التاريخية بمختلف تجلياتها؛ وهو ما يعني استبعاد أي مقارنة تخرج عن هذا النطاق المنهجي، كالمقارنات القائمة على المحطات الحياتية والسير الذاتية لكليهما.

ويجدر التنويه إلى أن هذه الدراسة قد اقتصرت على كتاب المقتبس لابن حيان من جهة، وكتاب السيرة للوارجلاني من جهة أخرى، وذلك لاعتبارات منهجية وعلمية؛ إذ إن اختيار المقتبس تحديدا يعود إلى توافر مادته العلمية في نسخ محققة ومجموعة ضمن عدد من القطع التي تتسم بالترابط والتسلسل المنهجي في عرض الأحداث والأفكار، مما يسهل عملية التحليل والمقارنة؛ أما كتاب المتين لابن حيان فلم يُدرج ضمن نطاق الدراسة، نظرا لتشتت مادته العلمية وعدم توافرها في صورة مترابطة، باستثناء ما ورد منها متفرقا في بعض المصادر اللاحقة، ولا سيما في الذخيرة لابن بسام؛ في حين أن الوارجلاني فإنه قد وصلنا كتاب واحد له ولا نعلم غيره في تراث الإباضية؛ وبذلك جاءت المقاربة المنهجية بين المؤرخين أكثر اتساقا وإنصافا في مجال المقارنة التاريخية.

ثانيا– إشكالية موضوع الدراسة:

يمكن صياغة إشكالية الدراسة على النحو التالي:

إلى أي مدى تمايزت الكتابة التاريخية في منطقتي الأندلس والمغرب الأوسط؟ وما أوجه الشبه والاختلاف بين منهجي كل من ابن حيان القرطبي وأبي زكرياء يحيى الوارجلاني؟

ولمعالجة هاته الإشكالية يمكن أن نفرعها إلى تساؤلات منها:

1) ما هي الظروف العامة السياسية والفكرية التي نشأت وتطورت خلالها حركة التأليف التاريخي في الغرب الإسلامي.

2) هل أثّرت الخريطة المذهبية للأندلس والمغرب الأوسط على مناهج التأليف التاريخي؟ كيف ذلك؟

3) كيف كانت مناهج التدوين التاريخي في الأندلس والمغرب الأوسط؟ ومن هم رواده؟

4) ما هي خصائص الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي؟

5) من هو ابن حيان القرطبي؟ وما هي آثاره العلمية؟ وكيف دوّن تاريخه الكبير في كتابه المقتبس؟

6) من هو أبو زكرياء يحيى الوارجلاني؟ وما هي آثاره العلمية؟ وكيف دوّن تاريخه في كتابه السير؟

7) ما هي نقاط التشابه والاختلاف في منهج الكتابة التاريخية عند كل من القرطبي والوارجلاني؟

ثالثا- أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

على الرغم من تقاطع دراسات سابقة مع هذا الموضوع، إلا أن نتاج السابقين يظل بمثابة خارطة طريق تستنهض البحث ولا تُنهيه؛ وكما قرّر حاجي خليفة في هذا المعنى بقوله: " واعلم أن نتائجَ الأفكار لا تقف عند حدٍّ، وتصرُّفات الأنظار لا تنتهي إلى غاية، بل لكل عالم ومتعلم منها حظ يُحرزه في وقته المقدّر له، وليس لأحد أن يزاحمه فيه؛ لأن العالم المعنوي واسع كالبحر الزاخر، والفيض الإلهي ليس له انقطاعٌ ولا آخر، والعلومُ منح إلهية، ومواهبُ صَمَدانيّة، فغير مستبعد أن يُدَّخر لبعض المتأخّرين ما لم يُدّخر لكثير من المتقدّمين، فلا تغترّ بقول القائل: "ما ترك الأولُ للآخر"، بل القول الصحيح الظاهر: "كم ترك الأول للآخر!"[1]؛ وعلى هذا الأساس، تجسدت مبررات اختيار هذا البحث في جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية، نورد أبرزها فيما يلي:

- كشف اللثام عن دور مؤرخي الأندلس والمغرب الأوسط في تشكيل ملامح الحضارة العربية الإسلامية، ومدى إسهامهم في بناء مشروع مغاربي له شخصية وهوية مستقلة.
- محاولة فهم تجليات حركة التأليف التاريخي في واقع الحياة الثقافية عموما.
- ميولاتي الفكرية والعلمية إلى مواضيع الكتابة التاريخية عند مؤرخي الغرب الإسلامي، ورغبتي في الانتقال من البحث في الحدث إلى البنية ثم القيم.
- شغفي الذي لا ينتهي بالقضايا المذهبية، ثم توجيه اهتمامي إلى دراسة وتتبع حياة ومناهج مؤرخي المذاهب.
- نقص الدراسات الأكاديمية المتخصصة العربية والوطنية في حقل المناهج، والاعتماد الكبير على ما كتبته أقلام المستشرقين.
- تدعيم وإثراء المكتبة الوطنية والعربية بالدراسات المتخصصة في هذا الموضوع، رغم الجهود المعتبرة التي استفدنا منها كثيرا.
- الاستجابة للمواضيع المقترحة في مشروع دكتوراه تاريخ وسيط بجامعة غرداية، والتي كانت لي فرصة سانحة للبحث في واحد منها.

[1]- حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص 39.

رابعا- صعوبات انجاز الأطروحة:

لا يخلو أي عمل أكاديمي من العقبات التي تعترض سبيل الباحث في سعيه لبلوغ الحقيقة التاريخية؛ ومن هذا المنطلق واجهتني أثناء إنجاز هذه الدراسة جملة من الصعوبات يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- تشعّب الموضوع وتعدد جوانبه، ولا سيما في إطار الدراسات المقارنة التي تقتضي العودة إلى المصادر الأصلية التي استمدّ منها ابن حيان مادته العلمية، بغية موازنتها بما ورد في المقتبس، وقد يستلزم ذلك بذل جهد إضافيّ وزمن أطول لتحقيق الدقة المطلوبة في المقارنة والتحليل.
- غياب المصادر الأصلية التي اعتمد عليها الوارجلاني، الأمر الذي منعني من إمكانية التحقق من مروياته ومقارنتها بالمصادر التي نقل عنها، مما فوت فرصة الوقوف بدقة على مدى تصرّفه في كتاب السيرة وأخبار الأئمة وطبيعة معالجته للروايات التاريخية.
- الضغوط الإدارية المصاحبة لمسار إعداد الأطروحة، والمتمثلة في المطالبة بالإسراع في إنجازها ضمن الإطار الزمني المحدد قانونا، وهو ما انعكس سلبا على وتيرة العمل، وأدى أحيانا إلى قدر من الارتباك والتشويش خلال مراحل البحث والتحرير.
- التشابه الكبير في المنحى العام للكتابة التاريخية وصعوبة التوسع في الفروق الدقيقة بين المؤرخين رغم الاختلاف المذهبي بينهما.

خامسا- أهمية موضوع الدراسة:

يأتي موضوع هذه الرسالة ضمن إطار الدراسات التاريخية التي تُعنى بالجوانب المنهجية في الكتابة التاريخية، وهو ما يندرج ضمن ما يُعرف بـ "نقد الخطاب التاريخي"؛ وبذلك، تتجاوز هذه الدراسة التركيز على الحدث التاريخي بوصفه محور البحث الأساس، لتتناول كيفية عرض الحدث وتحليله وتفسيره وتعليله، فضلا عن المناهج والأساليب التي صاغ بها المؤرخون وقائعهم التاريخية.

وتتجلّى أهمية هذا الموضوع في جملة من النقاط يمكن ذكرها فيما يأتي:

- ✓ فهم تطور الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي من خلال تحليل مناهج المؤرخين وكيفيات تعاملهم مع المادة الخبرية، مما يتيح الكشف عن التحولات التي شهدها التأليف التاريخي في السياق الإسلامي.

- ✓ إبراز الخصوصية المنهجية لكل من ابن حيان والوارجلاني، بما يسمح بتحديد سمات المدرسة التاريخية لكل منهما، وموقعهما داخل مسار الفكر التاريخي الأندلسي والإباضي.
- ✓ تقييم الرواية التاريخية عبر تتبّع طرق عرض الحدث وتعليله وتفسيره، وهو ما يساهم في تعميق فهم الباحثين لمعايير النقد التاريخي في المصادر.
- ✓ سدّ فجوة بحثية في الدراسات المقارنة، إذ لا تزال المقارنات المنهجية بين المؤرخين الأندلسيين (السُنّة) والإباضيين في المغرب الأوسط قليلة، مما يجعل دراستي إضافة علمية في هذا المجال، رغم وجود الإباضية النُكّار في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري (وهو قرن المؤَرِخَين).
- ✓ تطوير أدوات الباحث في منهج تحليل المصادر التاريخية من خلال رصد آليات بناء السردية التاريخية عند كل مؤرخ، وهو ما يعزّز قدرات الباحثين في التعامل النقدي مع المصادر.
- ✓ تسليط الضوء على النزعة المذهبية داخل الكتابة التاريخية، باعتبار أن الخلفية الفكرية للمؤرخ تُسهم في تشكيل رؤيته للأحداث، وهو ما يمنح الدراسة بُعدا معرفيا مهما.

سادسا– أهداف الدراسة:

- ❖ تحليل المنهج التاريخي عند ابن حيان القرطبي وأبي زكرياء الوارجلاني، من خلال دراسة المقتبس والسيرة، ورصد منهجهما في التعامل مع المادة الخبرية وتنظيم الوقائع التاريخية.
- ❖ الكشف عن الأسس المعرفية والمنهجية التي اعتمدها المؤرخان في بناء سرديتهما، سواء من حيث مصادر الأخبار، أو آليات النقد، أو أسلوب العرض، أو المقاربات الموضوعاتية والحولية.
- ❖ إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين المنهجين، وذلك عبر مقارنة موضوعية تراعي السياقات المذهبية والجغرافية والثقافية التي انطلق منها كل منهما، ومدى تأثير هذه السياقات في تشكيل رؤيتهما التاريخية.
- ❖ تتبع مكانة ابن حيان والوارجلاني داخل تقاليد الإسطوغرافيا في الغرب الإسلامي، وبيان مدى إسهامهما في بناء هذا التراث وتطوير مناهجه خلال القرنين (2–5هـ/ 8–11م).
- ❖ تقويم أثر البيئة الفكرية والسياسية في كل من الأندلس والمغرب الأوسط على تكوين الوعي التاريخي لدى المؤرخين محلّ الدراسة، وعلى نوعية القضايا التي تناولاها وطريقة معالجتها.

- ❖ إغناء حقل الدراسات المقارنة في الكتابة التاريخية الإسلامية، من خلال تقديم دراسة جديدة تجمع بين مؤرخ سني وآخر إباضي، بما يمكّن من توسيع آفاق البحث في تاريخ المنهج التاريخي الإسلامي ومرجعياته.

سابعا- المناهج المعتمدة:

لا تتقدّم الدراسة التاريخية دون اعتماد مناهج بحث تتيح تناول الموضوع المدروس بصرامة علمية. وفي سياق المقارنة بين ابن حيّان والوارجلاني، وتقتضي الدراسة توظيف جملة من المناهج التي تضمن فحص المادة التاريخية وتحليلها وتحقيقها؛ ويمكن تحديد هذه المناهج على النحو الآتي:

1-المنهج التاريخي:

يُعدّ المنهج التاريخي أساس هذه الدراسة، لأنه مكننا من تتبّع نشأة الأحداث والوقائع التي تناولها المؤرخان، وفهم سياقاتها الزمنية والاجتماعية والسياسية من خلال هذا المنهج، تم تحليل المادة التاريخية التي وردت في المقتبس والسيرة، وفحص طريقة كل مؤرخ في صياغة الحدث وترتيب رواياته، والوقوف على طبيعة المصادر التي اعتمداها، مما سمح بفهم الخلفية التاريخية التي أثرت في كتاباتهما؛ وقد اعتمدت على أدواته خصوصا النقد في تتبع مدى تحري كل من ابن حيان والوارجلاني للصحة التاريخية، وكيفية تمحيصهما للأخبار، ومدى تدخل الخلفية الفكرية أو المذهبية في تشكيل الرواية.

2-المنهج الوصفي:

اعتمدت على هذا المنهج في تتبع المادة العلمية الواردة في نصوص المؤرخيَن، ثم تقديم معطيات قابلة للفهم والتفسير؛ ومكّننا من تقديم قراءة داخلية للمصنفات المدروسة، والوقوف على بنيتها، وترتيبها، وأسلوبها، وطريقة عرضها للأحداث؛ وهو ما هيّأ الأساس العلمي اللازم لإجراء المقارنة الموضوعية لاحقا.

3-المنهج المقارن:

يحتل المنهج المقارن مكانة مركزية في هذه الدراسة، لأنه يسمح بإجراء مقارنة منهجية بين أسلوبي ابن حيان والوارجلاني في كتابة التاريخ، من خلال المقارنة جرى إبراز نقاط الالتقاء والاختلاف بين المؤرخيَن، سواء في طريقة جمع الأخبار، أو في النقد التاريخي، أو في تفسير الأحداث، أو في حضور الجانب المذهبي في صياغة السرد؛ وقد مكّن هذا المنهج من تأسيس حكم علمي متوازن حول طبيعة كل مدرسة تاريخية يمثلها أحدهما.

إن توظيف هذه المناهج المختلفة أتاح مقاربة شاملة للموضوع، تجمع بين التحقيق العلمي للنصوص، وبين فهم بنية الكتابة التاريخية عند كل مؤرخ، مما ينسجم مع طبيعة البحث التي تتجاوز سرد الحدث إلى دراسة منهج صناعته وكتابته.

ثامنا- خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن تُقسَّم الدراسة إلى فصل تمهيدي وخمسة فصول متبوعة بمقدمة وخاتمة، مع الحرص -قدر المستطاع- على تحقيق التوازن في حجم الفصول وترابطها الداخلي؛ وبذلك، يمكن عرض خطة البحث على النحو الآتي:

الفصل التمهيدي: عُني الفصل التمهيدي ببحث الأوضاع السياسية والمذهبية في كل من الأندلس والمغرب الأوسط، وذلك من خلال تتبّع مسار التحقيب التاريخي لفترات الحكم الإسلامي في المنطقتين. فقد تناولتُ في القسم المخصّص للأندلس مرحلة أفول الخلافة الأموية وسقوطها مع تحكم الأسرة العامرية في آخر العهد بالدولة، ثم الانتقال إلى طور ملوك الطوائف بما شهده من تفكك سياسي وتعدد الولاءات؛ أمّا فيما يخصّ المغرب الأوسط، فقد ركّز الفصل على طبيعة الصراع الزيري-الحمّادي عقب انتقال الفاطميين إلى مصر، وما ترتّب على ذلك من بروز الدولة الحمادية بوصفها كيانا مستقلا، امتدّ نفوذها ليشمل مناطق واسعة وصلت لمدينة وارجلان.

كما خُصِّص جزء من الفصل لدراسة الحركات المذهبية في بعدها العقدي والفقهي، حيث استأثرت الأندلس بتوسع المذهب المالكي، في حين شكّل المذهب الإباضي المكوّن العقدي والفقهي لبعض بيئات المغرب الأوسط، وقد جاء التركيز على تحليل العقل المذهبي في تلك المرحلة لكونه الإطار

الموجّه لبنية الكتابة التاريخية في المنطقتين، وهو ما يتيح تأصيل المقارنة بين البيئة الأندلسية ونظيرتها في أجزاء من المغرب الأوسط.

الفصل الأول: خصصتُ هذا الفصل لدراسة الكتابة التاريخية في بعدها العام، وقمت بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث مترابطة؛ تناول المبحث الأول إشكالية مفهوم الكتابة التاريخية من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية، مع الوقوف عند أبعاد المصطلح وتطوّر استعماله في التراث الإسلامي؛ أمّا المبحث الثاني، فقد خُصِّص لبحث عوامل ازدهار وتطوّر حركة التأليف التاريخي في الغرب الإسلامي، بما شملته من ظروف سياسية وثقافية وفكرية أسهمت في تشكيل البيئة الحاضنة للكتابة التاريخية. وفي المبحث الثالث، عرضتُ لأهم المحطات الكبرى التي مرت بها الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب الإسلامي، وذلك عبر تتبّع ثلاث مراحل أساسية تمتدّ من القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس الهجري، مبيّنا الخصائص المميّزة لكل مرحلة على مستوى المصنفات التاريخية والمؤرخين الذين برزوا خلالها.

الفصل الثاني: يُعالج هذا الفصل اتجاهات الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب الإسلامي، مع التركيز على أبرز روّادها والمسارات التي تبلورت من خلالها، وقد خُصِّص القسم الأول (المبحثان الأول والثاني) لدراسة الأنماط المتنوعة للكتابة التاريخية التي عُرضت بها الوقائع، بما في ذلك كتب التراجم والطبقات، والمغازي، والتواريخ العامة والعالمية، والتواريخ المحلية، وكتب الأنساب، وغيرها من الأنماط التي شكّلت البنية الأساسية للتراث التاريخي الإسلامي، وانتشرت في الغرب الإسلامي على نحو مماثل لما هو معروف في المشرق.

وقد حرصتُ في هذا السياق على الاقتصار على أهم الروّاد الذين كان لهم أثر بارز في مسار الكتابة التاريخية، دون السعي إلى إجراء إحصاء شامل لجميع المؤرخين في المنطقة، وذلك التزاما بمقتضيات الاختصار وتركيزا على النماذج الأكثر تمثيلا للاتجاهات المدروسة؛ أمّا المبحث الأخير، فقد خُصِّص لبيان السمات العامة التي تميّزت بها الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي، وذلك من خلال استخلاص الخصائص المشتركة التي صبغت أعمال المؤرخين الأندلسيين والمغاربة، سواء من حيث المنهج أو البناء أو التوجّه الفكري.

الفصل الثالث: عُني هذا الفصل بدراسة السيرة العلمية والتراث الفكري لكلّ من ابن حيان وأبي زكرياء الوارجلاني، حيث قُدّمت لكل منهما ترجمة مفصلة شملت جوانب المولد والنشأة ومسار التعليم، والشيوخ والتلاميذ، والوظائف التي تقلّداها، إضافة إلى مؤلفاتهما وآثارهما، ثم مكانتهما العلمية كما عرضها العلماء والباحثون قديما وحديثا، وقد جمعتُ الترجمتان في فصل واحد لاعتبارات منهجية، إذ يتيح هذا التنظيم معالجة شخصيتيهما داخل بنية موحّدة تسهّل إجراء المقارنة بينهما لاحقا.

وقد يُلاحظ القارئ أنّ الفصل لم يتطرّق إلى الظروف السياسية والفكرية المحيطة بنشأة المؤرخين، وذلك لأنّ الفصل التمهيدي خُصِّص أصلا لعرض تلك الأوضاع في الأندلس والمغرب الأوسط؛ تجنبا للتكرار والإطناب؛ أمّا المبحث الثالث والأخير، فقد خُصِّص للتعريف بكتابيهما، المقتبس والسيرة، تعريفا شاملا يشمل الحديث عن النسخ والقطع والترجمات والتحقيقات التي تناولتهما، دون الدخول في الدراسة المنهجية والعلمية لمضمونهما، وهي المهمة التي يتكفّل بها الفصلان الرابع والخامس من هذه الدراسة.

الفصل الرابع: خُصِّص هذا الفصل لدراسة المنهج التاريخي عند ابن حيان القرطبي، وتوزّع إلى أربعة مباحث متكاملة؛ تناول المبحث الأول النسق الفني لكتاب المقتبس من حيث هيكلته وتفريعاته، مع تحليل طبيعة المصادر التاريخية التي اعتمد عليها ابن حيان في تدوينه؛ أما المبحث الثاني فخُصِّص لبحث منهجه في النقل والإسناد من موارده، ودراسة طبيعة المادة التاريخية التي قدّمها المقتبس وما اشتملت عليه صفحاته من موضوعات وجوانب متعددة؛ وفي المبحث الثالث وقفتُ عند اتجاهات الكتابة التاريخية لابن حيان، مع تحليل الأسلوب الذي صيغت به الروايات الحيّانية. بينما خُصِّص المبحث الرابع والأخير لدراسة النقد التاريخي عند ابن حيان، بما يشمله من نقد الإسناد ونقد المتن.

الفصل الخامس: اهتمّ هذا الفصل بتقديم مقارنة علمية منهجية بين منهج ابن حيان القرطبي ومنهج أبي زكرياء الوارجلاني، اعتمادا على مؤلفيهما الرئيسين، وقد استُهِلَّ بدراسة تحليلية لمنهج الوارجلاني في كتابه السيرة وأخبار الأئمة من خلال أربعة مباحث، اتُّبع فيها النهج ذاته الذي اعتمدته في دراسة منهج ابن حيان، حرصا على تحقيق أكبر قدر من الموضوعية في المقارنة؛ أمّا المبحث الخامس والأخير فقد خُصِّص لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بين المؤرخين، وفق مجموعة من المعايير العلمية شملت: الإطار العام للمؤرخين، المنهج التاريخي، البنية الفكرية والمضمونية، الخصائص الأسلوبية والفنية، ثم القيمة العلمية والتاريخية لكل منهما، بما يتيح بناء رؤية مقارنة متوازنة قائمة على أسس منهجية واضحة.

ويجدر التنبيه على مسألة منهجية في هذا الفصل، وهي أنني لم افرد للوارجلاني فصلا خاصا كما فعلت مع ابن حيان، وذلك كون المادة العلمية المستخلصة من كتاب السيرة والدراسة العلمية لها لم تكن بنفس الحجم الذي كان عليه عند القرطبي، كما أن أوجه الشبه والاختلاف لم تأتي بالقدر الذي يُفرد له فصلا خاصا، وحرصا على مبدأ التوازن بين الفصول ارتأيت إدماج دراسة الكتابة التاريخية عند الوارجلاني مع الدراسة المقارنة.

تاسعا- الدراسات السابقة:

بالانطلاق من الإطار العام لموضوع هذه الدراسة، والمتمثل في المقارنة بين منهج ابن حيان والوارجلاني في الكتابة التاريخية، يتبيّن -حسب اطلاعي- غيابُ دراسة سابقة تعقد مقارنة مباشرة بين المؤرخيَن، سواء في سياق المقارنة بين مؤرخ سنّي وآخر إباضي، أو في إطار المقارنة المنهجية بينهما تحديدا؛ وهو ما يمنح هذا العمل طابعا من الجدّة العلمية في مجال الدراسات التاريخية المقارنة؛ وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى دراسة أكاديمية ذات صلة وثيقة بموضوعنا، وتتقاطع معه في عدة جوانب، وهي أطروحة دكتوراه للطالب شعلال إسماعيل تحت إشراف الدكتور بلعربي خالد، موسومة بـ "**الكتابة التاريخية عند الفرق الإسلامية بين القرنين الأول والسابع الهجريين (7-13م)**"، وقد شملت الإطار المكاني العالم الإسلامي بأسره، مشرقه ومغربه، وحاول صاحبها جمع شتات ما تفرق في بطون المصادر، وبيّن الملامح العامة لمناهج مؤرخي الفرق الإسلامية الثلاث: أهل السنة، والشيعة، والخوارج.

أمّا بالنسبة إلى المتغيرات الجزئية التي تتصل بالموضوع، سواء ما تعلق بدراسة الوارجلاني مستقلا، أو ابن حيان، أو تلك التي تناولت الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي بوجه عام، فقد حظيت هذه الجوانب بنصيب معتبر من الإنتاج الأكاديمي، ومن أبرزها ما يأتي:

- **المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير للطالب علي زيان تحت إشراف الدكتور علاوة عمارة، سنة 2010-2011**: وتناولت موضوع الكتابة التاريخية في الأندلس واختصت بالقرن الخامس الهجري، وقد رصد صاحبها نماذج بارزة في كل اتجاه من اتجاهات التدوين التاريخي. كما تكلم فيها عن انتقال المعرفة التاريخية من

خلال التعليم ومؤسساته، وطرق التحصيل والكتب المدروسة، إضافة إلى دور جماعات المؤرخين في ذلك. وقد استفدت منها في الاطلاع على معالم الفكر التاريخي خلال القرن 5هـ/11م.

❖ **مؤرخو الإباضية ببلاد المغرب في القرنين (5-6هـ/11-12م) رسالة ماجستير للطالب صالح الزرويل، تحت إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم بحاز، سنة 2014-2015:** تناولت الدراسة مقارنة علمية بين مؤرخيَن من مؤرخي الإباضية، وقد اعتبرت أن الوارجلاني أول من أسس لمدرسة تاريخية إباضية في المغرب وله فضل السبق في تبني منهج الطبقات. وقد استعنتُ بهذه الدراسة في منهجها الإحصائي وفي تتبّع تفاصيل حياة الوارجلاني، إذ جمع صاحبُها مادته من طائفة واسعة من المصادر الإباضية، مما أتاح لي رؤية أوفى لمساره العلمي ومحيطه الفكري.

❖ **أبو مروان بن حيان القرطبي ومنهجه التاريخي من خلال كتابه المقتبس، رسالة ماجستير للطالب طارق وراد تحت إشراف الأستاذ الدكتور بوباية عبد القادر سنة 2005-2006:** وهي دراسة منهجية شاملة لابن حيان حيث ركزت على كتابه المقتبس، واستخدم فيها صاحبها المنهج الإحصائي حيث قدم أرقاما وجداول كثيرة أحصى فيها روايات وموارد ابن حيان في تاريخه. كما اعتمدت الدراسة على منهج الجرح والتعديل، فكانت نموذجا مهمّا في التحليل، وقد أفدتُ منها في منهجها الإحصائي الذي أتاح لي تعزيز جوانب المقارنة بين المؤرِّخين واستكمال معطياتها المنهجية.

كما توجد بعض الدراسات الأخرى التي لها علاقة بموضوع الدراسة؛ نذكر منها:

♣ العبيدي إيمان محمود حمادي، **التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري**، أطروحة دكتوراه، إشراف: كريم عجيل حسين، كلية الآداب – قسم التاريخ–، جامعة الانبار، العراق، 2011.

♣ بوراس بن عيسى، **كتاب سير أبي زكرياء وإشكالية الجزء الثاني**، مجلة الحياة ع25، المطبعة العربية، الغرارة، غرداية، الجزائر.

♣ بوسعد الطيب، **المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث خلال القرون الهجرية الأولى**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، ع6، 2009.

♣ حجي علي عبد الرحمان، **ابن حيان القرطبي مؤلفاته ومنهجيته**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984.

♣ ربوح عبد القادر، **الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ/10-11م (مجالاتها، أصنافها، نماذجها)**، مجلة الباحث، مج11، ع02، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2019.

♣ ربوح عبد القادر، **مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3-4هـ/9-10م**، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، ع8، 2018.

♣ الزرويل صالح وبحاز إبراهيم، **ملامح من الكتابة التاريخية الإباضية ببلاد المغرب ما بين القرنين (3-10هـ/9-16م)**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، ماي 2022.

♣ سبتي منير جهاد محمد، **من اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري –الأنساب نموذجا–**، مجلة الآداب، كلية المأمون، جامعة، العراق، ع132، 2020.

عاشرا- عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدت في دراستي على عدد معتبر من المصادر والمراجع التاريخية التي نبرز أهمها فيما يلي:

1- المصادر المعتمدة:

✓ **كتاب طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ت333هـ/945م)**: يُعدّ من أهم المصادر في رسم ملامح الواقع الفقهي والعلمي بمدينة القيروان خلال القرون الأولى، إذ تناول تراجم كبار علمائها المالكية، وبينهم عدد من علماء المغرب الأوسط؛ والكتاب مؤلَّف على منهج الطبقات، ابتدأه من دخول الصحابة إلى إفريقية إلى نهاية القرن 3هـ/9م، وقد أفادني في فهم البيئة الفقهية وامتداداتها الجغرافية، وفي استجلاء سير العلماء والمؤرخين في تلك المرحلة.

✓ **كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت403هـ/1013م)**: يُعدّ من أهم المصادر التراجمية في الغرب الإسلامي، إذ خصّصه المؤلّف لحصر سير العلماء من فقهاء ومحدّثين وأدباء ومؤرخين ممن أسهموا في الحركة العلمية بالأندلس؛ ويتميّز الكتاب بدقّة ضبطه للوفيات وتحديد طبقات الرجال، مما يمنحه قيمة معرفية معتبرة في إعادة بناء المشهد العلمي. وقد اعتمدت عليه في هذه الدراسة لاستجلاء تراجم عدد من المؤرخين والأعلام الأندلسيين.

- ✓ **كتاب رياض النفوس للمالكي** (حي بعد **453هـ/1061م**): يعتبر هذا الكتاب مرجعا غنيا بأخبار وتراجم علماء إفريقية، وقد أفادني في التعرف على بعض المؤرخين وشيوخهم، وخصوصًا الذين ربطت بينهم علاقات ثقافية بين المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، ويشير محقق الكتاب إلى أن النسخة التي وصلتنا تمثل اختصارًا للكتاب الأصلي الذي ألفه المؤلف المالكي.
- ✓ **كتاب رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها لابن حزم** (ت**456هـ/1063م**): يُعد ابن حزم من أبرز أعلام الأندلس في الفكر والأدب والسياسة، وقد عاش حياة حافلة بالابتلاءات والمحن، قضى خلالها أكثر من أربعين عامًا مناضلًا بقلمه وفكره، رغم ما لقيه من معارضة فقهاء عصره وتحريضهم عليه؛ وجاءت هذه الرسالة لتجسّد اعتزازه ببلاده ودفاعه عن مكانتها، وإبراز تفوقها مقارنة بالمشرق الإسلامي؛ وقد أفادني هذا العمل في التعرف على مؤلفات مؤرخي الأندلس ورصد معالم تراثهم العلمي.
- ✓ **كتاب المسالك والممالك للبكري** (ت**487هـ/1094م**): تنوّعت مصادر البكري بين الروايات الشفوية وكتب التاريخ والجغرافيا، ولا سيما "كتاب المسالك والممالك" للورّاق، مما أكسب عمله ثراءً وتنوعًا، وقد أفادني هذا الكتاب في ضبط التحديد الجغرافي والتاريخي للمدن والأقاليم في المغرب الأوسط، وفي فهم الامتداد الحضاري والعمراني لتلك المناطق.
- ✓ **كتاب جذوة المقتبس للحميدي** (ت**488هـ/1096م**): يُعدّ مصدرًا مهمًّا لتراجم علماء الأندلس من المحدثين والفقهاء والأدباء، حيث اشتمل على مقدمة تاريخية تناولت التطورات السياسية التي عاشها المترجَم لهم؛ كما يتميّز بترجمته لعلماء من مذاهب غير المذهب المالكي لم يرد ذكرهم في كتاب ابن الفرضي، مما يتيح رؤية أوسع للمشهد العلمي الأندلسي؛ وقد استفدت من هذا الكتاب في إثراء تراجم العلماء والفقهاء وتعميق الفهم التاريخي للبيئة الفكرية في الأندلس.
- ✓ **كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام** (**542هـ/1147م**): من أهم المصادر التي تناولت الحياة الأدبية في شبه الجزيرة الأيبيرية، ولا سيما خلال عصر الطوائف، إذ عرض فيه المؤلف جوانب حياة الملوك ورجال السياسة والأدباء والشعراء بأسلوب رفيع. وقد أفادني الكتاب في مقابلة روايات ابن حيان بما أورده ابن بسام، خصوصًا ما يتعلق بكتاب المتين الذي حفظت الذخيرة كثيرًا من نصوصه، الأمر الذي يتيح – ولو بقدر محدود – إعادة إحياء بعض مادته المفقودة؛ كما اعتمدت على الكتاب في تتبع أخبار أهل الأندلس ورصد تطور الحياة الأدبية والسياسية فيها.

- ✓ **كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض (ت544هـ/1149م)**: من أبرز المصادر التي أرّخت لانتشار المذهب المالكي في العالم الإسلامي، وقد أفادني بشكل كبير في تتبّع تراجم عدد من علماء المالكية، ولا سيما الأوائل الذين كان لهم دور بارز في دخول المذهب إلى بلاد الغرب الإسلامي؛ واعتمد القاضي عياض فيه منهج الطبقات مبتدئًا بالمؤسِّس ثم متدرّجًا إلى علماء عصره، مما جعله مرجعًا أساسيا في دراسة التطوّر المذهبي المالكي.
- ✓ **كتاب الملل والنحل للشهرستاني (ت548هـ/1153م)**: من أبرز المؤلفات المبكرة في علم الفرق وعلم مقارنة الأديان، وقد صنّفه صاحبه في ثلاثة أجزاء تناول فيها مذاهب الأمم والفرق الإسلامية عرضًا وتحليلًا ونقدًا؛ وتميّز بمنهجه الوصفي ومحاولته الإحاطة بأصول كل مذهب وخصائصه العقدية. وقد استفدت منه في هذه الدراسة في استجلاء المذاهب الإسلامية المختلفة، وتحديدًا في فهم مرتكزاتها العقدية وبيان الفروق بين فرقها، بما يخدم الإطار المذهبي والجدلي المرتبط بموضوع البحث.
- ✓ **كتاب فهرسة ابن لخير الاشبيلي (ت 575هـ/1179م)**: يُعد من أهم كتب الفهارس بالأندلس والمغرب الإسلامي، إذ يسلّط الضوء على الحركة الأدبية والثقافية المزدهرة آنذاك، ويكشف انتقال المعرفة وتداول الكتب بين العلماء في مختلف الأمصار؛ كما يوثّق الكتاب أسماء أعلام ذلك العصر، ويبرز أهمية الإجازة والإسناد في ضبط الرواية وصيانة التراث، مؤكدًا عدم قبول أي خبر بلا سند صحيح؛ وقد استفدت منه في توثيق أسماء العلماء والمؤلفات.
- ✓ **كتاب الصلة لابن بشكوال (ت578هـ/1138م)**: أطلق عليه هذا الاسم ليربطه بكتاب ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس، ويُعدّ من أبرز المصادر التراجمية لما عاصره من أحداث عهد ملوك الطوائف بالأندلس، مما يمنحه قيمة تاريخية مضاعفة؛ ويبرز الكتاب أهميته في تقديم تراجم دقيقة لفقهاء ومؤرخي الأندلس؛ وقد استفدت منه في الدراسة لاستجلاء سِيَر هؤلاء العلماء وربطها بالسياق التاريخي والسياسي الذي عاشوه.
- ✓ **كتاب سير الوسياني (ت6هـ/12م)**: يتألف من ثلاثة أجزاء، يُعدّ من المصادر الإباضية الأساسية، وقد اعتمدت عليه الدراسة بشكل كبير لمطابقة الروايات الوارجلانية الواردة في السيرة مع ما جاء في أعمال الوسياني، خصوصًا أن الجزء الثالث يعتبره كثير من الباحثين هو كتاب السيرة لأبي زكرياء. كما أفاد الكتاب في تتبع تراجم بعض علماء الإباضية، بما احتواه من تحقيق دقيق وجهد منهجي معتبر، مما أتاح استجلاء معالم الحركة العلمية والفكرية الإباضية في المغرب الأوسط.

- ✓ **كتاب طبقات المشائخ للدرجيني (ت670هـ/1271م)**: من أبرز كتب التراجم والطبقات عند الإباضية، تميّز بشموليته ودقته في عرض تراجم الرجال، إذ قسّمه مؤلفه إلى اثنتي عشرة طبقة تغطي كل منها خمسين سنة، مما سهّل على الباحثين تتبّع سير الأعلام عبر الحقب المتعاقبة؛ وقد استفدتُ كثيرًا من هذا الكتاب في جمع وتحقيق تراجم العلماء الإباضيين واعتماد تسلسله الطبقي في ترتيب الروايات والأعلام؛ والطبعة المتوفرة الآن بتحقيق إبراهيم طلاي وقد يجد فيها الباحث بعض الأخطاء.
- ✓ **كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري (ت بعد 712هـ/1312م)**: يُعدّ موسوعة تاريخية شاملة للغرب الإسلامي، إذ جمع المؤلف ما تفرّق في المصادر المختلفة وساهم في توثيق الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية للمنطقة؛ وقد استفدت من هذا الكتاب بشكل خاص في الفصل الأول من الدراسة، لتتبع مظاهر الأوضاع السياسية والثقافية في الأندلس والمغرب الإسلامي وربطها بسياق التحولات التاريخية الكبرى.
- ✓ **كتاب الديباج المذهب لابن فرحون المالكي (ت 799هـ/1397م)**: من أبرز المؤلفات في تراجم أعيان الفقهاء المالكية، إذ اشتمل على أكثر من 630 ترجمة؛ وقد أشار المؤلف إلى أنه تم ترتيب الترجمات على عجل لعدم كفاية الوقت لإتمام التنظيم بالشكل الأمثل؛ ويُعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما للرجال المعاصرين للمؤلف، خاصة من عاشوا في القرن الثامن الهجري، غالبيتهم من بلاد المغرب، وخصوصا تونس؛ وقد أفادني الكتاب في دراسة تراجم المؤرخين من المغرب الإسلامي والتعرّف على تراثهم العلمي.
- ✓ **كتاب ديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت808هـ/ 1405م)**: يُعدّ من أهم المصادر التاريخية للعصر الوسيط، ولا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه لما يحتويه من تحليل دقيق للأحداث السياسية والاجتماعية؛ وقد أسهم بشكل بارز في هذه الدراسة، خصوصًا في مقارنة الأحداث السياسية التي أوردها ابن حيان والوارجلاني، بالإضافة إلى تتبّع أنساب القبائل البربرية والعربية في بلاد المغرب.
- ✓ **كتاب الروض المعطار للحميري (ت900هـ/1494م)**: لا يساور الباحث شكّ في مغربية الحميري واعتماده شبه الكلي على كتب الجغرافيين المغاربة، إذ لم يطّلع مباشرة على مؤلفات الجغرافيين المشرقيين مثل ابن حوقل والاصطخري والمقدسي وياقوت الحموي، باستثناء ما نقله بالواسطة عن كتاب البلدان لليعقوبي؛ ويُعدّ الحميري في جوهر عمله ناقلا ومُلخِّصا لمصادره، دون تمييز دقيق بين الغث والسمين، كما تحفّظه في ذكر أسماء الأعلام اتقاء للخطأ؛ ورغم اعتماده الترتيب الهجائي

المشرقي، فإن ترتيبه الداخلي جاء مغربيا، مما أوقعه في عدد من الاضطرابات المنهجية؛ وقد اشترط أن يذكر من الأقطار ما اقترن بقصة أو خبر أو حكمة، معتمدا في بعض المواضع على مصادر غير مباشرة، مثل تعريفه بإقريطش نقلا عن هرشيوش؛ وقد أفادني الكتاب في ضبط المواقع الجغرافية والمدن والمناطق ببلاد الغرب الإسلامي.

- ✓ **كتاب السير للشماخي (ت928هـ/1522م):** يُعدّ مرجعا تراجميا هاما للمؤرخين الإباضيين، إذ حرص مؤلفه على استكمال تدوين تراجم المشايخ بعد أعمال الدرجيني؛ ورغم اعتماده على تراجم الدرجيني، فقد أضاف زيادات مهمة، لا سيما في الإشارة إلى بعض أعلام طائفة النُكارية في القرن 2هـ/8م، مما يجعله مصدرا غنيا لتعميق فهم حركة العلماء الإباضية وتاريخهم العلمي في تلك الفترة.

2- المراجع العربية والمعربة:

- ❖ **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي-طور الازدهار 4 الفكر التاريخي- لمحمود إسماعيل:** من الدراسات الرائدة التي تناولت الفكر الإسلامي بمنهج سوسيولوجي، وفيه تجاوز القراءة التقليدية للنصوص التراثية إلى تحليل الظروف الاجتماعية والسياسية التي أسهمت في إنتاجها؛ ويأتي هذا الجزء، المتعلق بالفكر التاريخي، ضمن مشروع متكامل يمتد عبر عدة أجزاء، يستكشف فيه المؤلف مظاهر الازدهار الفكري في الحضارة الإسلامية من منظور اجتماعي، محاولا الكشف عن آليات تشكّل الوعي التاريخي لدى المسلمين في مختلف العصور؛ وقد خصص مساحة معتبرة لعرض خصائص الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، مركّزا على البيئة الاجتماعية والسياسية التي أسهمت في تشكيله؛ وقد استفدت منه في تتبع مسارات الكتابة التاريخية في المغرب والأندلس، وخصائص المدرستين، إلا أن هذا المرجع كانت له إطلاقات وأحكام سريعة على بعض المؤرخين المغاربة، كما يرى البعض أنه يفتقر إلى الكثير من المعطيات الاجتماعية والسياسية.
- ❖ **الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط للدكتور علاوة عمارة:** ويعد من أوسع الدراسات التي بحثت في موضوع الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي، وقد تميزت بالشمولية، أين قدم فيها مسحا عاما للموضوع، وبين مسارات حركة التدوين التاريخي، وأبرز محطاتها خلال العصر الوسيط. جاءت في حدود 33 صفحة ضمن كتاب "**دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**" للمؤلف نفسه؛ وقد استفدت منه كثيرا في رسم محطات التدوين التاريخي في بلاد الغرب الإسلامي.

- **علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، للدكتور يوسف احمد بني ياسين:** حيث ركزت على بواكير حركة التدوين وبحث صاحبها في نشأة علم التاريخ والكتابة التاريخية وتطورها، واتجاهاتها؛ وقد أفادني كثيرا في التعرف على عوامل تطور الكتابة التاريخية واتجاهاتها في الأندلس.
- **ابن حيان مؤرخا للدكتور أنور محمود الزناتي:** وهي دراسة قيمة وشاملة لكل جوانب ابن حيان المؤرخ؛ وعلى الرغم من أهمية هذا المرجع واستفادتي منه، إلا أنه مر بصورة سريعة على بعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بمنهج ابن حيان خاصة في باب النقد التاريخي.
- **المصادر العربية التاريخية في الأندلس للمؤلف ك. بويكا:** من المراجع الهامة التي أفادتني كثيرًا في ضبط وتتبع تراجم المؤرخين الأندلسيين؛ إذ إن كثيرًا منهم لا نجد لهم تراجم في المصادر المعروفة؛ وقد جاءت تراجمه محدودة، لكنها تمتاز بالدقّة والإحالات الغنيّة التي يمكن الرجوع إليها، كما أنه أورد معلومات نادرة قلّما نجدها في مصادر أخرى.
- **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم لإبراهيم حركات:** يُعد من المؤلفات القيّمة التي تناول فيها صاحبه تاريخ التراث العلمي والأدبي في المغرب الإسلامي بمختلف فروعه، مع إبراز حدود المعرفة المغاربية وخصوصياتها؛ كما تضمّن الكتاب معطيات وتحليلات تفسّر مسارات انتقال العلوم والظروف الثقافية والسياسية المحيطة بها؛ وقد أفادني هذا المرجع في فهم ملامح الفكر التاريخي بالمنطقة، والتعرّف على أبرز رجالاته ومؤلفاتهم.

وفي الأخير لا يفوتني أن أرفع أسمى عبارات الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور ملاخ عبد الجليل، على ما أولاني من رعاية علمية كريمة، وما بذله معي من جهد صادق في التوجيه والمتابعة الدقيقة خلال مختلف مراحل إنجاز هذه الدراسة، فلم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد في صغير الأمور وكبيرها؛ فجزاه الله عنّي خير الجزاء، وجعل ما قدمه في ميزان حسناته، ونفع به العلم وطلابه؛ إنه سبحانه جواد كريم.

الفصل التمهيدي: الأوضاع السياسية والمذهبية للأندلس والمغرب الأوسط خلال القرنين 4-5هـ/10-11م

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الأندلس والمغرب الأوسط

أولا- الأوضاع السياسية في الأندلس

ثانيا- الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط

ثالثا- الوجود الاباضي في وارجلان والأندلس

المبحث الثاني: الحركة المذهبية في المغرب الأوسط والأندلس

أولا- المذاهب العقدية والفقهية في بلاد المغرب الأوسط

ثانيا- المذاهب العقدية والفقهية في الأندلس

تمهيد:

عرف الغرب الإسلامي تحوّلات سياسية متسارعة خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الخامس الهجري، تركت آثارا عميقة في مختلف الميادين الاقتصادية والفكرية والاجتماعية؛ وقد أفضت هذه التحوّلات إلى بروز منعرجات حاسمة كانت سببا مباشرا في اختلال موازين القوى، وانهيار الخلافة الأموية في الأندلس، وتراجع النفوذ الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية، إيذانا ببدء مرحلة جديدة عُرفت بعهد ملوك الطوائف.

أمّا في الضفة الجنوبية للمتوسط، فقد تمكنت العصبية الصنهاجية -ممثَّلة في الدولتين الزيرية والحمادية- من بسط نفوذها على معظم أرجاء المغرب الأوسط، عقب تراجع الهيمنة الفاطمية وانسحابها إلى مصر؛ وفي ظل الحكم الحمادي في المغرب الأوسط، وملوك الطوائف في الأندلس، شهدت المنطقة ازدهارا فكريا ومذهبيا ملحوظا، تجلّى في انتعاش حركة التأليف وتوسع فضاءات التعليم والتواصل العلمي، مما أسهم في بروز نهضة فكرية وعلمية في بلاد الغرب الإسلامي، ومنها الكتابة التاريخية.

ينصرف هذا الفصل إلى معالجة الإشكالية الآتية: كيف تبلورت الظروف السياسية والمذهبية في الأندلس والمغرب الأوسط خلال القرنين 4-5هـ/10-11م؟ وما طبيعة تأثيرها في الحياة الفكرية والعلمية للمنطقة؟

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الأندلس والمغرب الأوسط

أولا- الأوضاع السياسية في الأندلس:

يروم هذا المبحث الوقوف عند ثلاث محطات مركزية في تاريخ الأندلس، وهي: الدولة العامرية، والفتنة القرطبية، ثم عهد ملوك الطوائف -وخاصة مملكة آل جهور بقرطبة- باعتبارها المحطات التي تلامس مباشرة فترة موضوع الدراسة؛ وقد عاش ابن حيان القرطبي بين سنتي 377هـ و469هـ، مما مكّنه من معايشة هذه التحولات الكبرى ومعرفة تفاصيلها الدقيقة، إذ لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره عند اندلاع الفتنة القرطبية، الأمر الذي أكسب رواياته التاريخية قيمة شاهد العيان المطلع على مجريات الأحداث.

1- الدولة العامرية (368- 399هـ/978-1008م):

تنسب هذه الدولة إلى محمد بن أبي عامر[1]، المدبر الفعلي لدولة هشام المؤيد، ففي سنة 366هـ/976م، قرّر الحَكَم المستنصر (350-366هـ/961-976م) تعيين ابنه هشام البالغ من العمر أحد عشر عاما، وليا للعهد، وأخذ له البيعة من الخاصة والعامة بقرطبة، ثم دعي له في الخطبة في الأندلس والمغرب، ويومئذ كان ابن أبي عامر صاحب الشرطة والمواريث[2]؛ وبهذا يكون هشام هو الخليفة الأموي بعد وفاة والده، لكن الحاجب المنصور كان له طموح أكبر، بحيث سيطر على الخليفة الصغير، وأصبح يتحكم في مقاليد السلطة ويتصرف فيه، بعد أن حجر عليه ولم يسمح لأحد غيره برؤيته أو مخاطبته[3]، وهكذا انتهى عمليا الحكم الأموي، وانتقل إلى الأسرة العامرية، ليبدأ عهد جديد في ظل الخلافة الأموية، يسميها المؤرخون بالدولة العامرية.

تولى محمد بن أبي عامر السلطة الفعلية بعد جهد كبير وتخطيط رهيب؛ إذ استطاع التغلب على خصومه الأقوياء بالحنكة والدهاء، حيث يصفه ابن حيان في أخبار الدولة العامرية بقوله:"... وكان محمد هذا حسن النشأة، ظاهر النجابة تتفرس فيه السيادة ... وأُعين محمد على أمره مع قوة سعده بخصال مؤلفة لم تجتمع لمن قبله، منها الجود والوقار والجد والهيبة، والعدل والأمن، وحب العمارة وتأمير

---

[1]-محمد بن أبي عامر: أمير الأندلس محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، أصله من الجزيرة الخضراء، ولد سنة 327هـ/938م، ورد شابا إلى قرطبة فطلب العلم وسمع الحديث، كانت له همة بادراك المعالي، أمر بأن ينفض غبار ثيابه التي حضر فيها معاركه، وأن يجمع ويتحفظ به، ويدفن معه في قبره. توفي في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم سنة 393هـ/ 1002م. ينظر: ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت808هـ/ 1405م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان،1988، ج4، ص 189وما بعدها. ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ/1147م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ق4، ج1، ص ص 56-77. الحميدي: أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي (ت 488هـ/1096م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، القاهرة، مصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966، ص 78. الضبي: أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1203م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، القاهرة، مصر، دار الكاتب العربي،1967، ص 115.

[2]- ابن عذاري المراكشي (ت بعد712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س.كولان وإ.ليقي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص 249.

[3]-محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، مصر، 1997، ج1، ص 525.

[كذا] المال، والضبط للرعية، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشغب من غير وهن في دينه ..."[1]، وكانت السمة البارزة في دواليب القصر الأموي هي ظهور قوتين متصارعتين بين الجيش الذي يتزعمه الصقالبة[2]، والمدنيين الذين يمثلهم الوزير جعفر المصحفي[3]، وقد انتصر هؤلاء وفازوا بالسلطة[4]؛ وكل هؤلاء كانوا يشكلون عقبة كبيرة أما المشروع العامري، وهو ما جعله يدبر لهم الدسائس، ويعقد لهم الحيل للتخلص منهم، وضرب بعضهم ببعض تحت شعار حماية عرش الخليفة المؤيد.

ثم توالت الأحداث لصالح العامري، وجاءت الفرص حيث عُزز موقفه، في ذلك الانتصار الذي حققه في حملته العسكرية ضد الممالك النصرانية[5]، حيث خرج سنة 366هـ/977م وحاصر جليقية[6]، ثم

---

[1]-هاجر بوباية، **أخبار الدولة العامرية لابن حيان القرطبي -جمع ودراسة وتحقيق-**، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: تواتية بودالية، جامعة أحمد بن بلة (وهران)، الجزائر، 2020، ص 123-124.

[2]-يرى البعض أن كلمة صقالبة قد اشتقت في الأصل من كلمة Esclave الإفرنجية. أي الرقيق أو الأسير، ومنهم من يرى أنهم قوم ينسبون إلى صقلب بن لنطي بن خيم بن يافث، ويقال: صقلب بن يافث. وهم فئة من أصل أوروبي ظهرت منذ أيام عبد الرحمن الداخل، وبلغت ذروة نفوذها أيام عبد الرحمن الناصر. وكانوا على الأغلب من الرقيق والخصيان، الذين يؤتى بهم من بلاد الفرنج وحوض الدانوب وبلاد اللونبارد ومختلف ثغور البحر الأبيض، وقد جيء بهم أطفالا ويربون تربية إسلامية، ثم يدربون على أعمال البطانة وشئون القصر، وقد سما شأنهم فيما بعد، وتولوا مناصب عليا في الدولة. ينظر: محمد عنان، المرجع السابق، ج1، ص 205. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص 334. المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت 346 هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، إيران، 1988، ج2، ص3. عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت 562هـ/1167م)، **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند،1962، ص 320.

[3]- جعفر المصحفي: هو جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن الحاجب المعروف بالمصحفي وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب. أصله من بربر بلنسية. تولى مناصب عديدة كالوزارة والحجابة والشرطة، وقوي عليه المنصور بن أبي عامر بخدمته لصبح (أم هشام المؤيد) فاعتقله وضيق عليه، إلى أن قتله. ينظر: الزركلي: خير الدين الدمشقي (1310هـ/1892م)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ج2، ص 125.

[4]- محمد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، ط3، بيروت، لبنان، 2010، ص 361.

[5]-هاجر بوباية، المرجع السابق، ص 125.

[6]-جليقية: مدينة من بلاد الروم المتاخمة للأندلس (شمال اسبانيا)، وهي مدينة معظمة عند الجلالقة، وأهلها أهل غدر ودناءة أخلاق، ولا يتنظفون إلا مرة أو مرتين في العام، وقد غزاها المسلمون وملكوها في عهد الناصر وابن أبي عامر، ثم استرجعها أهلها. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت 900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1980، ص 169.أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد (ت 732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2006، ص 211.

عاد غانما إلى قرطبة بعد خمسين يوما[1]، وقد كان هذا الانتصار أول التحديات الخارجية التي واجهت الشاب الطموح للسلطة، وهو ما زاده شعبية كبيرة، وتمكن حبه من قلوب الناس؛ وبعد أن تخلص من خصومه وخلى الجو له انفرد بالسلطة بشكل تام، ويحدثنا ابن الخطيب عن هذا الاندفاع والحماس؛ فيقول:" كان آية من آيات الله فطرة ودهاء ومكر وسياسية، أنحى بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم؛ ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه. ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه، ثم افرد بنفسه ينادي صروف الدهر: هل من مبارز؟ فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده واستقام له أمره منفردا بسابقة لا يشاركه فيها غيره"[2].

وقبل الانطلاق في بناء دولته ووضع بصمته على الخلافة، وأطلق على نفسه لقب الحاجب المنصور تيمنا بالألقاب الملكية ونقش اسمه على النقود، وأمر بترديده على المنابر بعد الدعاء للخليفة[3]، وبدأ في بناء جيش قوي ارتكز قوامه على قبائل البربر من زناتة[4] ومكناسة وبرزال وصنهاجة وغيرهم، وأخّر زعماء العرب وأقصاهم من مناصبهم، حتى قال أحد شعراء ذلك العصر[5]: (من البحر الكامل)

أَبَنِي أُمَيَّةَ أَيْنَ أَقْمَارُ الدُّجَـى مِنْكُـمْ وَأَيْنَ نُجُومُهَا وَالْكَوَاكِـبُ

غَابَتْ أُسُودٌ مِنْكُمْ عَنْ غَابِهَا فَلِذَاكَ حَازَ الْمُلْكَ هَذَا الثَّعْلَبُ

وأصبح قادة جنود الحضرة من أكثر الناس ولاءً للمنصور، الذي أعاد تنظيم الجيش الأموي على أسس جديدة، وجعله يتشكل من وحدات مسلحة نظامية متماسكة خاضعة له، وقام بإلغاء النظام القديم الذي يقوم على الأساس القبلي[6].

---

[1]-ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت776هـ/1374م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص 63.

[2]- المصدر السابق، ج2، ص 72-73.

[3]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 372. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 279.

[4]-زناتة: أصل اللفظة هو جانا أو شانا، وهي إحدى القبائل البربرية الكبرى في المغرب، وأصلهم من قبيلة ضريسة أحد فروع البتر، وقد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب الإسلامي، ولم يكن لها استقرار في مكان محدد؛ بل كانوا رحالة على عكس من صنهاجة، ويرى المؤرخون أنهم استوطنوا المغرب الأوسط. من أهم فروعها: بنو يفرن، مغراوة، جراوة، بنو واركلا، بنود مر. ينظر: محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 15-21.

[5]-محمد عنان، المرجع السابق، ج1، ص 531.

[6]-محمد طقوش، المرجع السابق، ص 370.

أما على المستوى العمراني فقد حفلت فترة حكمه بإنجازات هامة، حيث أدخل تعديلات كثيرة على مدينة قرطبة، ففي سنتي 368-370هـ/979-981م قام ببناء مدينة الزاهرة، بجانب نهر قرطبة الكبير، بعدما ضم إليها رئاسته وغلمانه وشيد بها القصور، وبالغ في أسوارها وتوسع فيها حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة، ثم نقل إليها خاصته وعامته وجميع أمواله وأمتعته وأسلحته، واتخذ فيها الدواوين، وأقطع لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه، فقامت بها الأسواق وتنافس الناس في النزول إليها[1]؛ وقد حمل هذا الإجراء شجاعة كبيرة مكنته من تغيير مقر إدارة الدولة، ليسهل له التدبير والسياسة بعيدا عن ترسبات العهد السابق، وتجنبا لأي خيانة أو دسائس تحاك ضده.

كما قام في سنة 377هـ/988م بتوسعة المسجد الجامع بقرطبة؛ نتيجة الزيادة السكانية الكبيرة التي عرفتها قرطبة، بسبب هجرة القبائل البربرية من بلاد المغرب، وقد بذل في ذلك أموالا كثيرة من بيت مال المسلمين، حيث يروي ابن حيان أنه أُتي بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة؛ فقالت: "لا أقبل عوضا إلا دارا بنخلة"؛ فقال: "تبتاع لها دار بنخلة، ولو ذهب فيها بيت مال المسلمين"؛ فاشتريت لها دار بنخلة، وبولغ في الثمن"[2].

ولم يكتف بهذا فقد تم في عهده بناء قنطرة على نهر قرطبة العظيم في سنة 387هـ/998م، وبلغت تكلفة إنجازها مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار، وصارت صدرا في مناقبه الجليلة، إضافة إلى بناء قنطرة على نهر إستجة[3] حيث تجشم لها أعظم مؤونة وسهل الطرق الوعرة[4].

لقد باشر الحاجب المنصور عمليات الجهاد ضد الممالك النصرانية بنفسه، وكان له غزوتان الصوائف والشواتي، حيث بلغت غزواته سبعا وخمسين غزوة لم ينهزم في واحدة منها طوال حكمه الذي بلغ خمسا وعشرين سنة[5]، وتصفه المصادر التاريخية بأنه كان مفرطا في الغزو لا يشغله عنه شيء[1]، ويذكر

---

[1]-ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 275-276.

[2]-هاجر بوباية، المرجع السابق، ص 141.

[3]- إستجة: إحدى مدن الأندلس، تقع جنوب غرب قرطبة، وهي كورة قديمة واسعة الأراضي على نهر سَنجل (نهر غرناطة) بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة. ينظر: الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، ط2، بيروت، 1995، ج1، ص 174.

[4]- هاجر بوباية، المرجع السابق، ص 142.

[5]-أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 231.

ابن خلدون أنه غزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم ينكسر له فيها راية، ولا فلّ له جيش، ولا أصيب له بعث، ولا هلكت سرية[2]؛ وقد جمع ابن حيان غزواته في كتابه أخبار الدولة العامرية[3]، وكانت حروبه مع قوى متعددة مثل: قشتالة[4] وليون[5]، ونبرة[6] وقطالونيا[7]، وأنزل بهم خسائر فادحة، ووصل فيها إلى ما لم يصل إليه ملك من ملوك المسلمين السابقين، فدانت له الأندلس جميعا[8].

وكان من نتائج هذه الغزوات أن اكتسب شعبية كبيرة، وزادت هيبته داخل وخارج البلاد، وما يدل على ذلك قول عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب: "وملأ الأندلس غنائم وسَبْيًا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفي أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور؛ وذلك لرخص أثمان بنات الروم، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا، ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرّة، بلغني أنه نُودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة، وكانت ذات جمال رائع، فلم

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين(ت647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2006، ص 37.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 190.

[3]- هاجر بوباية، المرجع السابق، ص ص 147-168.

[4]- قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس كانت تحت حكم الإفرنج. وهي قلب شبه الجزيرة الإيبيرية وملكتها إيزابيلا الأولى. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، 352.

[5]- ليون: إحدى قواعد قشتالة، ازدهرت بها التجارة، ولأهلها همة عالية ورجالها محاربون، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 514. الإدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت 560هـ/1164م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1، بيروت، لبنان، ج2، ص 731.

[6]- نبرة: إقليم من أعمال ماردة بالأندلس. ينظر: عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفيّ الدين (ت 739هـ/1338م)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، دار جيل، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ج3، ص 1354. الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 258.

[7]- قطالونيا: وتسمى كتلان؛ وهي إقليم كبير في الأندلس يقع في الجهة الشمالية الشرقية، عاصمته برشلونة. ويغلب عليها الطابع الجبلي وهذا لم يمنع أهلها من ممارسة الزراعة كالكروم والزيتون، وقد كانوا أكثر الأمم نشاطا وعملا، كما تشتهر بازدهار الصناعة كالنسيج والقطن والصوف والورق والسلاح. وللاستزادة ينظر: شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، المطبعة الرحمانية بمصر، ط1، مصر، 1936، ج2، ص 199- 228. الصفدي: الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي الصَّفَدِي (ت بعد 717 هـ/1317م)، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2003، ص217.

[8]- احمد العبادي، المرجع السابق، ص 231.

تساو أكثر من عشرين دينارا عامرية"[1]؛ وتجدر الإشارة إلى أن هذه النزعة الحربية عند المنصور لم تسمح له بإقامة علاقات دبلوماسية كثيرة مع ملوك النصارى، كما كان الأمر في أيام الناصر والحكم المستنصر[2].

ومن جهة أخرى، فإن سياسته في المغرب لم تكن على وتيرة واحدة؛ فقد اتسمت العلاقات بالعداوة تارة، وبالسلم تارة أخرى، حيث تحكمت فيها عدة عوامل سياسية؛ وقد اتبع المنصور سياسة عبد الرحمان الناصر والحكم المستنصر، وسعى إلى إبقاء التبعية المغربية للأندلس لأهداف إستراتيجية وعسكرية، خاصة وان الخطر الفاطمي محدق بها ومركزه المغرب الأدنى؛ فإذا كان قد انتهج أسلوب المصحفي من قبل في إدارة هذا الإقليم البعيد بحيث اكتفى بإقامة حامية عسكرية في سبتة[3]، إلا أنه سرعان ما تفطن للتهديدات المجاورة، فوجه اهتمامه العسكري نحو حدوده الجنوبية، وأقام مركزا عسكريا في الجزيرة الخضراء[4]، وتمكن أخيرا من السيطرة على المغرب الأقصى وصولا إلى سلجماسة[5] جنوبا، ومن بعدها تاهرت[6] شرقا خلال الفترة (370هـ-381هـ/980-991م)[7].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص37

[2]- محمد عنان، المرجع السابق، ص 583.

[3]- رينهرت دوزي، **المسلمون في الأندلس (اسبانية الإسلامية)**، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ص 113.

[4]- إبراهيم بيضون، **الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار النهضة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1986، ص 329.

[5]- سجلماسة: هي مدينة صحراوية من أعظم مدن المغرب، قليلة الماء، سكانها من رحالة مسوفة، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها، وهي قريبة من مصادر الذهب وبلاد السودان، كما أن الطريق إليها شاق وخطر، أسسها مدرار بن عبد الله من الخوارج الصفرية سنة 140هـ/757م، وفيها تم قيام الدعوة العبيدية. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 306. الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت346هـ/957م)، **المسالك والممالك**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ص 34.

[6]-تاهرت: من أشهر مدن المغرب الأوسط، وتسمى بعراق المغرب، وجاءت في المصادر الجغرافية باسم تيهرت أو تاهرت، وقد كانت قديما مدينتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة، وهي محصنة طبيعيا يصعب دخولها، وتمثل عاصمة الرستميين وقد بناها عبد الرحمان بن رستم في سنة 161هـ/777م على المشهور. ينظر: اليعقوبي: أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت292هـ/905م)، **البلدان**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ص192. الحميري، المصدر السابق، ص 126. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 196. أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، **سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص 53. ابن طباطبا: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت 322هـ/934م)، **منتقلة الطالبية**، تح: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، انتشارات المكتبة الحيدريّة (مطبعة الأمير)، ط1، 1968، ص 370.

[7]- احمد العبادي، المرجع السابق، ص 234.

وحانت منية الحاجب المنصور في آخر غزوة له لأراضي قشتالة، بعدما حكم 25 سنة من يوم تقلده لمنصب الحجابة، حتى توفي سنة 392هـ/ 1001م في مدينة سالم[1] متأثرا بجروحه البليغة، وقد دفن بها[2]؛ والمؤكد أن وفاة المنصور قد فرح به النصارى كثيرا، واعتبروه حدثا يستحق التسجيل في أدبياتهم، حتى كتبوا فيه: "مات المنصور وذهب إلى جهنم"[3].

خلف المنصور ابن أبي عامر ابنه عبد الملك المظفر سنة 392هـ/1002م، وتسمى بسيف الدولة أبي مروان الحاجب المظفر، وهو أول من اجتمع له لقبان من ملوك الأندلس[4]، وكان مع والده في غزوته التي توفي فيها، وقد رجع مسرعا إلى قرطبة ليتولى أمور الحكم، خوفا من حدوث انقلاب، خاصة وانه بدأ بعض الفتيان المروانيين يفكرون في ذلك[5]، فاستصدر مرسوما من الخليفة هشام المؤيد يخوله فيه بجميع الصلاحيات التي كانت لوالده[6]، وبذلك أرسل الوفود إلى الأقطار بالمغرب والأندلس ليعرّف الناس بوفاة والده، وبما آل إليه الأمر من بعده[7].

فاجتمع الناس على حبه، ولم يُداهنوا في طاعته، ورضي بالعافية منهم، وآتوه إياها، فصفا عيشه، وانشرح قلبه، وخلصه الله من الفتنة[8]؛ وقد كانت سياسته على خطى أبيه المنصور، حيث واصل سياسة الغزو ضد الممالك النصرانية، وكانت له سبع غزوات[9] أجبرتهم على الصلح والمسالمة، ووصل بهم الحال إلى أن جعلوه حكما فيما بينهم لحل نزاعاتهم[10].

---

[1]- سالم: يطلق عليها الأسبان اسم سالي، ويقال لها الثغر الأوسط وتقع في موضع منيع ومرتفع، وهي من أهم الثغور للمسلمين ومركزا عسكريا متقدما لمواجهة للممالك الاسبانية، وفيها دفن المنصور ابن أبي عامر، وتتميز بالاتساع وكثرة البساتين والعمارات. ينظر: شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج2، ص81. الحموي، المصدر السابق، ج3، ص172.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص301. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 76.

[3]- احمد العبادي، المرجع السابق، ص 248.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 17.

[5]-ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص78.

[6]-نفسه، ج4، ص 78.

[7]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص80.

[8]- نفسه، ص81.

[9]- نفسه، ص83.

[10]- نفسه، ص 83

وهكذا ازدهرت البلاد في عهده حيث استطاع استمالة قلوب الناس إليه، عندما أمر بإسقاط سدس الجباية عن جميع مناطق البلاد، وسعى في إظهار العدل ونصرة الشرع، والوقوف مع المظلوم وقمع أعداء الدين، حتى بلغت الأندلس في أيامه نهاية الجمال والكمال وسعة الحال[1].

وكذلك سار على سياسة أبيه في العدوة المغربية فجعل زعماء زناتة يسارعون إلى مبايعته والدعاء له، وقد كافأهم عندما استخدمهم في جيشه وجعل المعز بن زيري بن عطية المغراوي واليا على حكم المغرب[2]؛ وهكذا حكم المظفر ستة أعوام، وقد توفي سنة 399هـ/1008م، بسبب ذبحة صدرية[3]، وعمره لم يتجاوز الرابعة والثلاثين.

بعد وفاة المظفر خلفه أخوه عبد الرحمان الناصر مدة قصيرة لا تزيد عن أربعة أشهر ونصف[4]، ولقبته العامة بشنجول[5]، وكان ممقوتا من الفقهاء ويعتبرونه عارا لا يمحى[6]، فلم يكن أهلا للثقة ولا أهلا للسياسة خاصة في الظروف الصعبة التي تعرفها مملكة آل العامريين، فلم يحافظ على ذلك الصرح الذي بناه أبوه وأخوه من قبله، فقد انهارت الدولة العامرية في عهده، وكان هو آخر سلطان يُغلق به عهدهم في الأندلس، و تتجلى جنايته على الخلافة في قول بعض المؤرخين: "كانت وفاة عبد الملك المظفر، فاتحة لفترة من أعجب فترات التاريخ الأندلسي، وأشدها غموضا واضطرابا، وكانت نذيرا بانقلاب من أعنف ما عرفت الأندلس وأشدها تقويضا لبنائها وسلامها ورخائها"[7].

ومما لا شك فيه أن اكبر خطأ ارتكبه وهو ما لم يفعله من كان قبله، هو طمعه اللامتناهي في ألقاب الملك، فتسمى بالمأمون والناصر[8]، ثم انتزع ولاية العهد من الخليفة وقضى على تراث بني أمية،

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص79. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص80.

[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص81. مجهول (ت712هـ/1312م)، **مفاخر البربر**، تح: محمد زينهم، جهاد للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1998، ص47. احمد العبادي، المرجع السابق، ص 249.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص84.

[4]- مجهول، **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2007، ص 236.

[5]- شنجول: تصغيرا لاسم جده لأمه شانجة. وهي ابنة شانجة الثاني بن غرسية ملك النفار والمسماة عبدة. ينظر: خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص 428.

[6]- دوزي، المرجع السابق، ج2، ص 161.

[7]- محمد عنان، المرجع السابق، ص 622.

[8]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 84.

ونقل رسوم الخلافة إلى أسرة بني عامر[1]، لما سعى عند الخليفة هشام المؤيد سنة 399هـ/1008م لاستصدار مرسوم الخليفة يقرّه فيه بولاية العهد[2]، ويحدثنا ابن عذاري عن سوء تدبير هذا الرجل؛ فيقول:"... توصل هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجرفية من غير تأول ولا أهلية وكيف استهواه كيد الشيطان وغرته قوة السلطان إلى أن ركبها عمياء مظلمة لم يشاور فيها نصيحا ولا فكر في عاقبة بل أخذها بالجملة ...."[3].

ندرك جيدا أنه، بالرغم مما نعمت به الأندلس أيام المنصور من الازدهار والرخاء، فإن المجتمع الأندلسي لم يكن يرى في المنصور سوى مغتصب للسلطة الشرعية، لكن خليفته عبد الرحمان لم يكن يعي هذه الحقيقة، أو تغافل عنها، ويكون بهذا التصرف قد فتح على نفسه النّار، خاصة وأن أهل قرطبة قد جُبلوا على ملل ملوكها[4]، وهو ما أدى إلى غضب المضريين وعزّ عليهم أن ينتقل العرش إلى اليمنيين، وبذلك تبتعد الخلافة عن قريش[5].

وهكذا عادت العصبية القبلية إلى الظهور من جديد، وثارت ثائرتهم وقرروا التخلص من هشام وحاجبه شنجول، واستغلوا فرصة غيابه عن قرطبة فخلعوا هشاما عن الخلافة وولوا رجلا من أحفاد الناصر، وهو محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرحمان الناصر ولقبوه المهدي بالله[6]؛ وبمقتل عبد الرحمان بن المنصور سنة 399هـ/1008م، تدخل الأندلس إلى نفق مظلم وأزمة سياسية حادة؛ عُرفت عند المؤرخين بالفتنة الأندلسية.

---

[1]-ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 38. محمد عنان، المرجع السابق، ص 625.

[2]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 86-87.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 43.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 85.

[5]- احمد العبادي، المرجع السابق، ص 253.

[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 103-104. احمد العبادي، المرجع السابق، ص 254. انظر ترجمته عند ابن عذاري، ج3، ص 54. وأيضا: ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 102. مجهول، تاريخ الأندلس، ص 237.

2- الفتنة الأندلسية[1] وسقوط الخلافة (399-422هـ/1008-1031م):

تبدأ أحداث هذه الفتنة سنة 399هـ/ 1008م، بعد مقتل عبد الرحمان شنجول، وقيام محمد بن هشام بن عبد الجبار بالثورة واعتلائه سدة الحكم في قرطبة، حيث أجبر هشام المؤيد على التنازل له عن الخلافة، بعدما عاث في قصور قرطبة فسادا وتحطيما ونهب ذخائرها وخيراتها[2]، وتدوم هذه الفتنة ثلاثا وعشرين سنة؛ أي إلى تاريخ إلغاء الخلافة المروانية نهائيا سنة 422هـ/1031م، وقد شهدت تسعة من الخلفاء: ستة منهم من البيت المرواني، وثلاثة من البيت العلوي، وأكثر هؤلاء نصّبوا على العرش مرتين، وانتهوا كلهم إلى ميتة فاجعة[3].

وجاءت قاصمة الظهر مؤذنة بنهاية المجد والعز في الأندلس، في إحدى المعارك التي انتهت فيها القوة الإسلامية التي طالما شكلت الدرع الواقي للمسلمين من هجمات النصارى، وبها فتحت المناطق الشمالية، حينما استنجد محمد بن عبد الجبار بالنصارى، وخرج ليلقى البربر سنة 400هـ/ 1009م، في معركة قُنتيش[4] التي حصدت صفوف الأندلسيين حصدا، وانتصر البربر، ودخلوا قرطبة فعاثوا فسادا وقتلوا الكثير من أهلها[5].

---

[1]- الفتنة الأندلسية: وردت باسم الفتنة البربرية في جميع المصادر الإسلامية التي أرخت لها، والظاهر أنها فتنة أندلسية حسب ما يظهر لي، لأنه بالرجوع إلى أسبابها وحيثيات تفاصيلها، نجد أن هناك عوامل مباشرة وأخرى غير مباشرة أدت إلى تفجيرها، فالعامل غير المباشر هو ما قام به عبد الرحمان بن منصور لما حوّل الخلافة من البيت الأموي إلى العامري، وتلقب باسم الخليفة، وأيضا تلك الإجراءات التي عنوانها إقصاء العرب من دواليب الحكم والانقلاب على نفوذهم داخل قصر الزاهرة، ومن ذلك إجبار زعماء العرب على لباس العمائم التي هي من لباس البربر، أما السبب المباشر فهو سياسة الثائر محمد بن هشام بن عبد الجبار التعسفية اتجاه البربر، وكل من له علاقة بالنظام السابق، فأدى هذا إلى ردود أفعال تخريبية، وصراع دامي بين طوائف المجتمع القرطبي. وبذلك نفهم أن هذه الفتنة قد أوقد نارها الحكام الضعفاء بتصرفاتهم غير المسؤولة، وعدم قدرتهم على الاستشراف، وتلقفتها العامة والمتربصين من داخل الخلافة، فكانت وبالا على الأمة الإسلامية في جزيرة الأندلس. ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 103-107. ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 80-91. المقري: شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م)، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1968، ج1، ص 482 وما بعدها.

[2]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 91.

[3]- ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت469هـ/1076م)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس-مقدمة المحقق-**، تح: محمود علي مكي، القاهرة، 1994، ص 25.

[4]- قُنتيش: اسم جبل عند وادي الحجارة من أعمال طليطلة. ينظر: الحموي، المرجع السابق، ج4، ص 402.

[5]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب الأندلس، 2004، ص 411.

لقد لعب ابن عبد الجبار دورا كبيرا في تأجيج الوضع وتحريض الناس ضد البربر، وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن عذاري:"... واشتعلت الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة وأمر ابن عبد الجبار أن ينادى في الناس من آتى برأس بربري فله كذا فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه فلم يبق تاجر ولا جندي إلا عمل مجهوده في ذلك ... فنهبت ديار البربر وهتك حريمهم وسبي نساؤهم وباعوهن في دار البنات وقتلوا النساء الحوامل ..."[1]؛ وبعد هذا، تَنْفلِت الأوضاع انفلاتا رهيبا، وترتفع أصوات المؤامرات والاغتيالات، وتدبر الدسائس بين الفئات المشكلة للمجتمع القرطبي، ويخفت صوت العقل والحكمة، ويغيب الحكم الراشد في ظل فتنة أتت على الأخضر واليابس.

وبعملية المسح السريع لمكونات هذا الصراع، نكتشف أطرافه على الشكل الآتي[2]:

الطرف الأول: أهل الأندلس بغض النظر عن أصلهم العربي أو المغربي أو الصقلي أو الاسباني المسيحي وعرفوا بأهل الجماعة. ومن رؤوسهم بنو عباد في إشبيلية ، وبنو جهور في قرطبة، وبنو هود في سرقسطة، وبنو برزال في قرمونة، وعبد العزيز بن أبي عامر في بلنسية.

الطرف الثاني: أهل المغرب البربر خاصة من قبائل صنهاجة الذين استوطنوا بالأندلس أيام المنصور، ومن زعمائهم، بنو زيري في غرناطة، وبنو حمود، الأدارسة العلويون، الذي استولوا على قرطبة وقاعدتهم مالقة.

الطرف الثالث: كبار الصقالبة، الذين استقلوا بشرق الأندلس، وكانوا عبيدا بيعوا إلى عرب الأندلس، وتدرجوا حتى صار منهم الوزراء والقواد والأدباء والشعراء، وكانت لهم امتيازات واسعة.

وهكذا تشتتت الأندلس إلى ممالك بعدما انفرد كل حاكم بإقليم معين، وبدأت الانقسامات تزداد أكثر، وضاعت الخلافة وانفرط عقدها، وراح كل واحد منهم يستعين بالممالك النصرانية على حساب أخيه في الدين من أجل أن يظفر بمنصب شبه حاكم مؤقت لم يعد كما كان في العهود السابقة من الهيبة والمنعة. وفي هذا يقول الشاعر[3]: (من البحر البسيط)

مِمَّـا يُزَهِّـدُ فِي أَرْضِ أَنْدَلُـسٍ سَمَـاعُ مُعْتَضِـدٍ فِيهَـا وَمُعْتَمِـدِ

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 81.

[2]- احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 257.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 140.

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ

3- ملوك الطوائف (مملكة آل جهور) 422-462هـ/1031-1070م:

إن الواقع الذي أفرزته الفتنة الأندلسية، مع انعدام السلطة المركزية تقريبا، أدى إلى انقسام شبه الجزيرة إلى ست وعشرين دويلة متفاوتة في الحجم والقوة، ولم تدم حياتها في مجملها لأكثر من ستين عاما؛ ولم يكن هذا الصراع قائما على الحزبية أو الجنس بقدر ما كان صراعا شخصيا على المصالح والنفوذ متخذا شعار الغاية تبرر الوسيلة[1]؛ وبينما كانت الأندلس على حافة الانهيار السياسي والاجتماعي، فإن دول اسبانيا المسيحية في الشمال كانت تبذل كل ما في وسعها لتوحيد قواها بمساندة فرنسا والبابوية[2].

هذه الأوضاع المتردية دفعت بكبار أهل قرطبة ومن له الكلمة النافذة، إلى اتخاذ موقف حاسم، وبعد تشاور بينهم برئاسة أبي الحزم بن جهور[3] قرروا إلغاء الخلافة الأموية، وعزل آخر ملك من بني أمية المعتد هشام الثالث[4]، وأخرجوه من بلدهم في سنة 422هـ/1031م[5]، بل ونودي في جميع أنحاء قرطبة ألا يبقى بها أحد من بني أمية، وألا يسترهم أحد ولا يكنفهم[6].

وبهذا قامت دولة الجهاورة في قرطبة، وقد استقرت الأوضاع وهدأت الثورات في ظل حكمهم، وكان أبو الحزم رجلا فاضلا في جميع أحواله، وبحسن تدبيره مع الرعية خاصة البربر، فلم يعاديهم وأحسن معاملتهم[7]، واستطاع اكتساب شعبية كبيرة حتى أحبته العامة ورضوا به[1]، وقد أشاد به ابن الخطيب

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 432.

[2]- احمد العبادي، المرجع السابق، ص 260.

[3]- ابن جهور: أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبد الملك بن بخت بن جهور بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الغمد بن يحي بن عبد الغافر بن يوسف بن أبي عبدة، شيخ الجماعة ومن بقية الأشراف من بيوت الوزارة، أجمع عليه الناس في قرطبة ليكون حاكما عليها، وقد عُرف برفعة قدره وتواضعه وعفته، توفي سنة 435هـ/1043م. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 185. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص143.الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 193-140.الحميدي، المصدر السابق، ص 28 وص 188. الضبي، المصدر السابق، ص34.

[4]- هشام الثالث: هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمان الناصر المعتدُ بالله، كنيته أبو بكر، وأمه أم ولد اسمها عاتب، دامت فترة حكمه أربع سنوات وبضعة أشهر، وتوفي سنة 128هـ/1036م. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 145. الحميدي، المصدر السابق، ص 27.

[5]- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، 2004، ص 415.

[6]- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 249. ابن عذاري، المصدر السابق، ص 151.

[7]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 143. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، ج1، ص 604.

قائلا:"... فأعطوا قوس السياسة باريها، فانسدل عليهم به الستر"[2]؛ ويرى بعض الباحثين أن ابن جهور أحدث نظاما سياسيا يشبه النظام الجمهوري، حيث عُرفت فترة حكمه بحكومة الجماعة[3]، فلم يتفرد بالسلطة كليا، بل شكل مجلسا من الوزارة وأهل الحل والعقد يرجع إليهم، ولا يبرم أمرا إلا بمشورتهم، وسمى نفسه أمين الجماعة[4]، ولم يتخذ أي مظهر من مظاهر الملك والرياسة ولم يُحِط نفسه بالأبهة والفخامة بالرغم من براعته ورفعة قدره إلا انه كان متواضعا[5].

لقد حرص ابن جهور على استتباب الأمن وحفظ النظام العام بعد الانفلات الذي عرفته قرطبة، وقام بفرض السلاح على أهل الأسواق، وفي البيوت حتى يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم، كما قام بإصلاح القضاء ونشر العدل بين الناس، وجعل أموال بيت المسلمين في مأمن من السراق واللصوص[6]، وقد أدت هذه السياسة إلى تحسن المستوى المعيشي لعامة قرطبة، وازدهرت التجارة وانتعش الاقتصاد، وقد عبّر عن هذا شاهد العصر المؤرخ ابن حيان فيما ينقله عنه صاحب الذخيرة في قوله:"... فرخت الأسعار وصاح الرخاء بالناس أن هلموا، فلبوه من كل صقع، فظهر تزيد الناس بقرطبة من أول تدبيره لها حتى ملأوا المساجد والأفنية، وسمت أثمان الدور بها... وحركوا الأسواق، فعجب ذو التحصيل للذي أوى إليه في صلاح الناس ..."[7].

وفي سنة 435هـ/1043م، توفي ابن جهور[8] تاركا وراءه إنجازات معتبرة، توجب على خليفته وابنه محمد أبو الوليد المحافظة عليها، فسار على طريقة والده في إدارة البلاد، مع ما امتلكه من مواصفات كالتواضع والدين والحلم والطهارة[9].

---

[1]- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 249.

[2]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 143.

[3]- محمد عنان، المرجع السابق، ج2، ص22.

[4]- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 434. إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 1997، ص 15

[5]- ابن بسام، المصدر السابق، ق1، ج1، ص 603.

[6]- نفسه، ص 603-604.

[7]- ابن بسام، المصدر السابق، ق1، ج1، ص 604.

[8]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 187.

[9]- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 250.

ويبدو أنه قرر الابتعاد عن إدارة البلاد بعد شيخوخته، ونصّب ابنه عبد الملك حاكما لقرطبة، ولم يكن الرجل المناسب لهذا المنصب، وذلك أنه أهمل شؤون الدولة وقرب الأراذل وظلم الرعية، وسعى إلى الألقاب السلطانية، فسمى نفسه المنصور بالله والظافر بفضل الله وخطب على المنابر وأظهر الفساد وكان منه ما لم يكن من سلفه[1].

وكان أن اشتد التنافس بين ولدي أبي الوليد، وهما عبد الملك وعبد الرحمان، فأضطر والدهما إلى تقسيم السلطة بينهما؛ فأعطى عبد الملك النظر في الجند والإشراف على أعطياتهم وكل ما يتعلق بشؤونهم، بينما عبد الرحمان عهد إليه بالنظر في الجباية والإشراف على أهل الخدمة، والتوقيع على صكوك السلطانية وجميع أبواب النفقات[2].

تسارعت الأحداث كالعواصف الهوجاء داخل البيت الجهوري؛ لتعجل بنهاية مملكتهم على يدي الابن المتهور عبد الملك الذي لم يلبث أن تغلب على أخيه وقام بسجنه ثم أطلق يده وفكره في إفساد الدولة وتقريب الأوغاد والسفلة، الأمر الذي أدى إلى نقمة عامة أهل قرطبة منه[3]؛ وفي هذه الأثناء حدثت مؤامرة كبرى ضده من طرف حاكم إشبيلية المعتمد ابن عباد، وحاكم طليطلة المأمون يحي بن ذي النون، اللذان تحالفا ضد عبد الملك ودبرا مكيدة للإطاحة به والاستيلاء على قرطبة، وقد تمكنا من ذلك في سنة 462هـ/1070م، ثم اعتقلت عائلة ابن جهور ونفي الجميع إلى جزيرة شلطيش[4]؛ ويروي ابن الخطيب ذلك المشهد فيقول: "فأخرج من بعد العز والجاه، واتصال الترف، محمولا بين عدلي على ظهر زاملة، قد أركب خلفه من يمسكه"[5].

وهكذا تنتهي دولة الجهاورة بعد حكم دام لحوالي أربعين سنة، كانت إحدى أكثر حلقات تاريخ ملوك الطوائف بياضا وحيادا؛ نظرا لطبيعة الحكم الذي عاشت فيه قرطبة، وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 144.

[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 608.

[3]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 28.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 145-146.

[5]- نفسه.

الخطيب من أن أبا الحزم كان بمنزلة الأب يفصل بين رؤساء الطوائف في القضايا، ويشفع في الحوائج، ويصلح بينهم في المنازعات[1].

ثانيا- الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط:

لم يكد يكتمل القرن 4هـ/6م ومع حلول سنة 361هـ/971محتى قرر المعز لدين الله الفاطمي[2] (341-365هـ/952-975م) الانتقال من المغرب إلى مصر عاصمة خلافته الجديدة، بعدما فوض أمر بلاد إفريقية وما يتبعها من الأقاليم إلى الأمير بلكين بن زيري[3](362-373هـ/972-983م)، وهو من قبيلة صنهاجة البربرية التي كانت قد وقفت إلى جانب المعز ونصرته وأخلصت الولاء للفاطميين؛ وبهذا قامت الدولة الزيرية الصنهاجية ذات سلطة رسمية بربرية، حكمت من سنة 362هـ/ 972م إلى غاية سنة 543هـ/1148م، وقد استقرت بالمنصورية قرب القيروان؛ وبالرغم من قوة المعارضة والمنافسة من قبل قبائل زناتة؛ إلا أنها

---

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 145-146.

[2]- المعز لدين الله: هو المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور أبي الطاهر بن القائم أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي، رابع خلفاء الفاطميين وأكثرهم خطرا وقوة، ولد بالمهدية سنة 319هـ/931م، تولى الخلافة وعمره أربعا وعشرين سنة، ودخل عليه الناس وقد جلس لهم، فسلموا عليه بالخلافة، وكان عاقلًا أديبًا جوادًا واسع الاطلاع والذكاء وفيه عدل للرعية، أسس القاهرة وفي وقته قوى التشيع حتى وصل مصر والشام والحجاز والعراق، توفي بمصر سنة 365هـ/975م. ينظر: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت 845هـ/1441م)، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامي)، ط1، القاهرة، مصر، ج1، ص93. حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني حاجي خليفة (ت1067هـ/1656م)، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، 2010، ج3، ص 343.الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء**، تح: مج من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان، 1985، ج11، ص 428.

[3]- بلكين بن زيري: أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ويسمى أيضا يوسف، ولقبه المعز لدين الله الفاطمي بسيف العزيز بالله حسب ابن الخطيب، وصلت حدود دولته إلى سجلماسة غربا، توفي في موضع بين تلمسان وسجلماسة يقال له واركنفو (واركلان عند ابن خلكان) في سنة 373هـ/983م. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 228-239. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 319-320. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1997،1، ج7، ص 304-308. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت681هـ/1283م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط4، بيروت، لبنان، 1900، ج1، ص 286.

بذلت جهودا كبيرة من أجل توحيد بلاد المغرب أو على الأقل نجحت في الهيمنة على المغربين الأدنى والأوسط إلى أوائل القرن الخامس الهجري[1].

1- دولة بني حماد الصنهاجية (398-547هـ/1007-1152م)

تنسب هذه الدولة إلى حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، وهي ثاني دولة مسلمة، وأول دولة بربرية في المغرب الأوسط[2]؛ وتعود إرهاصات قيام هذه الدولة إلى ذلك الصراع في عهد باديس بن منصور (نصير الدولة) الذي فوض إلى حماد مواجهة قبائل زناتة في مقابل إقطاعه مدينة أشير[3]، وكل المناطق التي يستولي عليها[4]، كما اشترط عليه إعفائه من أن يستقدمه أو يستدعيه إلى إفريقية، إضافة إلى إمداده بالسلاح والمال والرجال، وأن له كل الحرية في اختيار مكان إقامة عاصمته[5]، ثم استغل حمّاد ضعف الدولة الزيرية في إفريقية من جهة، وانتصاراته التي حققها على أبناء عمومته من جهة أخرى، فتمرد على باديس بعد خلافات شديدة بينهما، وأخيرا انفصل بالمغرب الأوسط ابتداء من سنة 398هـ/1007م، حينما قام ببناء مدينة القلعة[6]، وجعلها عاصمة له بعدما نقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخرّبهما[1]، ونظرا لأهميتها الإستراتيجية؛ حيث تسمح له بمراقبة القبائل الزناتية بسهولة[2].

---

[1]- رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، دار الهدى، الجزائر، 2021، ص 207.

[2]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت، لبنان، 1965، ج1، ص 363.

[3]-أشير: مدينة حصينة يسكنها آل زيري بن مناد محاطة بسور حصين وبها أسواق وعيون ومزارع، بناها زيري بن مناد الصنهاجي سنة 324هـ/936م، وتعرف بأشير زيري، وتقع بين جبال شامخة محيطة بها؛ وقصدها أهل تلك النواحي طلبا للأمن والسلامة فصارت مدينة مشهورة، وتملكها بعده بنو حمّاد وظلت تحظى بعناية حماد حتى بعد انتقاله إلى القلعة. ينظر: ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1938، ج1، ص90. الاستبصار، ص 171. الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 202-203.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 247.

[5]- عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، مصر، 1991، ص 61.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 227. القلعة: وتسمى قلعة أبي طويل وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات؛ وهي في جبل عظيم، شديدة التحصين؛ وكانت عاصمة مملكة بني حماد، وتحتوي مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء؛ وفيها آثار قديمة عجيبة؛ وقد لعبت دور الحماية العسكرية لبني حماد إلى غاية سنة 460هـ/1067م حينما ظهر الهلاليون وخربوها. ينظر: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، كلية الآداب، 1958، ص 167-168. علاوة عمارة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي "قلعة بني حماد نشأة وأفول حاضرة إسلامية"**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2017، ص ص 83-97.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدينة أصبحت أعظم مدن المغرب الأوسط، فقد شيد فيها حماد المباني والقصور المنيعة العالية، واستكثر فيها المساجد والفنادق وشجع هجرة الناس إليها، فازدهرت ازدهارا كبيرا[3]؛ ويؤكد لنا ذلك البكري بقوله: "وهي اليوم مقصد التجّار وبها تحلّ الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقرّ مملكة صنهاجة"[4]؛ وهذه المدينة كانت قد تعرضت للتدمير ثلاث مرات في تاريخها الطويل، بعدما فقدت أهميتها لصالح المدينة الجديدة بجاية[5].

وتتمة لسلسلة المواجهة قام حماد بخلع الخليفة الفاطمي وأعلن ولائه للخليفة العباسي، ثم ناصب العداء للشيعة، وانتصر للمذهب المالكي الذي أصبح هو المذهب الرسمي للدولة[6]؛ كما قام بتوسيع رقعة الدولة فوصلت حدودها الشرقية إلى الجريد بتونس، والغربية إلى أطراف تلمسان، وجنوبا إلى حاضرة وارجلان[7]؛ وعن حدود الدولة يعطينا ابن خلدون وصفا لها فيقول: "خرج عليه عمه حمّاد واقتطع ممالك الغرب لنفسه ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وملويّة واختطّ القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطرى، واستحدث ملكا آخر قسيما لملك آل باديس وبقي آل باديس بالقيروان"[8].

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 227. الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12**، تع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ج2، ص 98.

[2]- رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 20.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 94.

[4]- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ/1094م)، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج2، ص 710.

[5] - Allaoua Amara, «**La Qal'a des Banï Hammad : l'histoire d'un déclin**» dans Archéologie islamique, 11, (2001), p 109.

[6]- المرجع السابق، ص 22. علاوة عمارة، **المرجع السابق "مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم والمعرف في الجزائر الحمادية (395-547هـ/1004-1152م)"**، ص 101.

[7]- عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص 19. سيأتي معنا التعريف بمدينة وارجلان ودورها الحضاري والسياسي في المباحث القادمة من الدراسة.

[8]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 361.

وهكذا استطاع حماد في ظرف عشرة سنوات (395-405هـ/1004-1014م) من العمل المتواصل أن يحقق إنجازات بالغة الأهمية، مكنته في الأخير من إقامة دولة ذات شخصية مستقلة[1].

ظلت الحروب بين حماد وباديس سجالا إلى أن حلت سنة 405هـ/1014م أين أعلن حماد وبصفة رسمية استقلاله عن القيروان[2]؛ وفي السنة الموالية حاصر باديس القلعة رغبة في القضاء على حماد نهائيا، وكان قد أطلق يده في رواتب الجيش ورفع أعطياتهم[3]، وهو ما أدى إلى انضمام عدد كبير من الجنود إلى جيش باديس[4]، وبقي على هذا الحال إلى أن وافته المنية سنة 406هـ/1015م[5].

ولم يلبث حتى تجدد الصراع مرة أخرى مع المعز بن باديس (406-453هـ/1015-1061م) الذي عزم الأمر للقضاء على النزعة الانفصالية لبني حماد، فوقعت بينهما معارك كثيرة[6] انهزمت فيها جيوش حماد واجبر على الصلح سنة 408هـ/1017م والدخول تحت طاعة الزيريين ولو اسميا[7]، كما توّج هذا الصلح، بإقطاع المعز للأمير القائد ابن حماد كل من مدينة المسيلة[8]، طبنة[9]، الزاب[1]، أشير، وتاهرت، وبهذا يكون قد اعترف المعز ضمنيا بحماد ملكا على المغرب الأوسط وولي عهده الأمير قائد[2].

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 62.

[2]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 227.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 267.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 27.

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 267.

[6]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 269.

[7]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 162. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 192.

[8]- المسيلة: مدينة بناها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله القائم بالله الفاطمي سنة 315هـ/927م على المشهور، وسماها المحمدية؛ وقد أشرف على بنائها علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي، على نواحي الزاب؛ وهي مدينة في سهل منبسط، فيها حمامات وأسواق كثيرة وحولها بساتين؛ وقد تعددت دوافع بنائها منها رغبة الفاطميين في اتخاذ قاعدة مركزية لهم في محور المغرب الأوسط تكون سندا لجيوشهم التي تحارب بعيدا عن عاصمتهم المهدية؛ ولم تلبث أن تطورت إلى عاصمة سياسية واقتصادية وثقافية لإقليم الزاب كله. ينظر: الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت 380هـ/990م)، **المسالك والممالك**، جمع وتع: تيسير خلف، ص 51. البكري، المصدر السابق، ج2، ص 722. الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 254. موسى هيصام، **موقع المحمدية (المسيلة) بالمغرب الأوسط ودورها الحضاري خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين**، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب (دراسات في آثار الوطن العربي)، ص 1396.

[9]- طبنة: أعظم بلاد الزاب، وهي مدينة حسنة محاطة بسور من الطين، فيها بساتين كثيرة وزروع متنوعة تنتج القطن والحنطة وكل أنواع الفواكه، كما تشتهر بنشاط صناعي وتجاري كبيرين، وصلها الإسلام في أيام الفتح مع موسى بن نصير حين دخل إفريقية، وتمثل أكبر المدن الواقعة على بين سجلماسة والقيروان، سكانها خليط من العرب والعجم والأفارقة والروم والبربر، ويذكر أن أول من بناها هو أبو

أراد حماد أن يؤسس للاستقرار والهدوء التام لمملكته، والتصالح مع جيرانه؛ فزوج ابنه عبد الله من أخت المعز سنة 415هـ/1024م[3]، فازدادت المودة واستوثقت الصلة بينهما وعاش بعد ذلك رضيا بمملكته إلى أن توفي سنة 419هـ/1028م[4].

وهكذا أصبح المغرب الأوسط تحت حكم الحماديين أمرا واقعا، وتوارث أبناؤه الحكم لفترة تزيد عن القرن، وقد تخللتها مشاكل سياسية وصراعات تقليدية مع أبناء العمومة وقبائل زناتة، على الأقل إلى غاية 454هـ/1062م.

2- انتشار المد الهلالي والانتقال إلى بجاية:

لما اشتدت وطأة الهلاليين[5]، وكثر تخريبهم للمدن والنواحي، بعدما هاجروا من صعيد مصر بتشجيع من الفاطميين هناك[1]، قرر الناصر بن علناس (454هـ-481هـ/1062-1088م) البحث عن موقع

=جعفر عمر بن حفص المهلي المعروف بها زرمرد في حدود سنة 454هـ/1062م. ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190. البكري، المصدر السابق، ج2، ص 711. العزيزي، المصدر السابق، ص 49. مجهول، الاستبصار، ص 172. الحموي، المرجع السابق، ج4، ص 21. الحميري، المصدر السابق، ص 387.

[1]- الزاب: إقليم واسع يضمن مدن كثيرة منها: بسكره، البرج، نفطه، تولقه، دوسن، وفيه أنظار واسعة وعمائر متصلة، فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة، ومنه مدينة باغاية بها قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وبقايا الروم حولها قوم من البربر من هوارة بجبل جليل يقال له: أوراس يقع عليه الثلج. ويتاخم هذا الإقليم طرف الصحراء، كبلاد الجريد. والزّاب مصطلح استخدمته المصادر الإسلامية العربية للإشارة إلى مقاطعة واسعة تمتد من تبسة إلى غرب المسيلة. ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190. مجهول، الاستبصار، ص 171.الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 124. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص 138-141. وينظر كذلك:

Allaoua Amara, **Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIIIe-XIVe siècle)**, Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, N. 132, 2012, p 119.

[2]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 193.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 272.

[4]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 227. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 329.

[5]- الهجرة الهلالية: وتسمى بغزوة أو زحفة أو تغريبة، وحدثت سنة 443هـ/1052م لقبائل بني هلال وبنو سُليم الذي يعود نسبهم إلى هلال بن عامر كانوا في الجاهلية بنجد ثم انتقلوا إلى مصر في زمن القرامطة، ثم ساروا إلى إفريقية في خلافة المستنصر العبيدي كعقاب للمعز بن باديس لما خلع الولاء والطاعة للفاطميين، وقد نقلت الروايات المصدرية قصة هؤلاء العرب الذين عاثوا فسادا ودمارا لبلاد المغرب الأدنى ومن ثم الأوسط، وتحدثت عن تفاصيل مرعبة لمعارك طاحنة بينهم وبين الزيريين والحماديين، وقد كانت لهذه الهجرة آثارا اقتصادية واجتماعية وأخرى ثقافية؛ واستمر خطرهم على المغرب الأوسط إلى غاية استيلاء الموحدين على بجاية وهزيمتهم للعرب في سنة 555هـ/1160م. ينظر: المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص 216. ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 371. إبراهيم إسحاق

أكثر حصانة من القلعة، بحيث يكون بعيدا عن الهجمات الهلالية[2]، بعدما فشل في محاولة استمالتهم بالأموال[3]، وعجزه عن صدهم والحد من زحفهم؛ خاصة لما انهزم في معركة سبيبة[4] سنة 457هـ/1064م[5]، كما يذكر صاحب الاستبصار:" فلما نجا المنصور إلى القلعة، نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا عليه ببلاده، فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده، فطلب موضعا يبني فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب فدل على موضع بجاية وكان مرسى..."[6]، فأختار مدينة بجاية[7] وسماها الناصرية[8]، وأسس فيها العاصمة الثانية للدولة الحمادية، وكان ذلك سنة 460هـ/1067م.

والحقيقة أن اختياره لهذه الموضع، ورغبته في الانتقال إليه له أسباب أخرى، منها ما يدخل في إطار إستراتيجية ترمي إلى الانفتاح على واجهة بحرية تمكنه من السيطرة على التجارة البحرية، التي

=إبراهيم، **هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، السعودية، 1996، ص ص 50-55.

[1]- أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (ت628هـ/1232م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، مصر، ص 104.

[2]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 229.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 191.

[4]- سبيبة: مدينة أوّلية مبنية بالحجارة أي بالصخر، بها جامع وحمّامات تطرد فيها المياه العذبة تطحن عليها الأرحاء، وهي كثيرة البساتين ويجود في أرضها الزعفران، وحواليها جبال كثيرة يسكنها من العرب قوم يعرفون ببني المغلس وبني الكسلان وحولهم قبائل من البربر كثيرة. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص 833.

[5]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 369.

[6]- الاستبصار، ص 129.

[7]- بجاية: تسمى صلداي؛ أسسها الفينيقيون ثم خربها الوندال إلى أن بنيت في العصر الإسلامي، وهي مدينة عظيمة حصينة عامرة وآهلة بالأندلسيين، على ضفة البحر بناها ملوك صنهاجة أصحاب القلعة وسميت بالمنصورية، تقع ما بين جبال شامخة ولها طريق من الغرب على ضفة النهر الكبير، وآخر جنوبي شديد الوعورة يصل إلى القلعة، وفيها موانئ مزدهرة ترسو فيها سفن الروم والمسلمين من الإسكندرية وبلاد اليمن والهند والصين، وهي كثيرة الفواكه والخيرات، شكلت ملتقى للطرق التجارية البحرية والبرية. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص 757. الاستبصار، ص 129. الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 339. أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 196.

[8]-ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 333.

شكلت مصدرا للربح، وتعطيه الفرصة لإقامة الموانئ وبناء السفن[1]؛ إضافة إلى رغبته في فتح المهدية، التي استعصت عليه برا فأراد أن يغزوها من جهة البحر فأختار ميناء قريبا منها[2].

وهكذا أصبحت بجاية عاصمة الحماديين الجديدة، بعدما خطها الناصر وشيد بنيانها وجلب إليها العلماء والشعراء، وبالرغم من ذلك فقد اتسمت علاقاته مع جيرانه الزيريين بالتوتر حتى وقع الصلح بينهما عندما تزوج بلاّرة، ابنة تميم بن المعز (453-501هـ/1061-1107م) حيث ابتنى لها قصرا ببجاية وأطلق اسمها عليه[3]، ثم لما جاء من بعده ابنه المنصور (481-498هـ/1088-1104م) زاد في رقي المدينة، وهو الذي يقول فيه ابن خلدون:" وكان المنصور جمّاعا مولعا بالبناء وهو الذي حضّر ملك بني حمّاد وتأنّق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام، وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميميون"[4]، ثم انتقل إليها الناس من كل النواحي، ولم تلبث أن كثر عمرانها وعلت قصورها، وازدهرت فيها صناعة الأساطيل والسفن، وانتشرت فيها الحمامات والأبراج، وأصبحت مركزا لأسقفية مسيحية في القرن الخامس، وظلت أعظم مدن المغرب الأوسط[5].

سقطت الدولة الحمادية على يد الموحدين القوة الناشئة، بقيادة عبد المؤمن بن علي (537-558هـ/1142-1163م)[6]، وقد كانت مملكة بني حماد تحت حكم يحي بن عبد العزيز (515-547هـ/1121-1152م) الذي فرّ إلى قسنطينة ثم أخذه الموحدون إلى مراكش[7]، وقد استولوا على بجاية سنة 547هـ/ 1152م وجميع الحواضر المهمة في المغرب الأوسط[8]، وبالرغم من الجهود التي بذلها هذا الأخير

---

[1]- علاوة عمارة، المرجع السابق "قلعة بني حماد نشأة وأفول حاضرة إسلامية"، ص 89. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 202. النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت 733هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، مصر،2002، ج24، ص 224.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 68.

[3]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 230.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 232.

[5]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 230.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 265.

[7]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 335. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 236.

[8]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 103.

مع المرابطين للوقوف في وجه الموحدين؛ فإنه فشل نتيجة لضعف قوته واستهتاره مع تنامي قوة الهلاليين[1] وتهديدات النورمان الذين سيطروا على عاصمة الزيرين[2]، كما احتلوا مدينة جيجل وشرشال وتنس وهدموها ونكلوا بسكانها[3]، فكانت الفرصة مواتية لدولة عبد المؤمن من أجل ضم كل أقاليم المغارب تحت سلطتها[4]، وهكذا تتوحد بلاد المغرب والأندلس بعد تشتت دام لأكثر من قرن.

إن انفصال المغرب الأوسط عن إفريقية، وقيام دولة مستقلة لم يكن راجعا إلى قدرة بني حماد فحسب؛ بل كان نتيجة طبيعية للتطور الداخلي في المغرب الأوسط من أيام بني رستم[5]، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الدولة الحمادية اكتمالا للتبلور التام للكيان الحضاري والسياسي للمغرب الأوسط؛ أي من نهاية القرن 4هـ إلى القرن 5هـ، ونؤكد هذا على أساس عاملين اثنين هما:

الأول: سياسي؛ وهي أنها تمثل أول دولة بربرية إسلامية مستقلة استطاعت أن تنفرد بإقامة نظام سياسي يعبر عن الكيان الحضاري لسكان هذه البلاد[6].

الثاني: جغرافي وإداري؛ حيث تمثل أول ظهور حقيقي لمصطلح المغرب الأوسط، بدليل أن البكري والإدريسي، المعاصران لها كانا أول من أشار إلى المصطلح بكل وضوح[7].

يُطلِق بعض الباحثين من أمثال صاحب كتاب أوراق ذابلة من حضارتنا، أحكاما قاسية على تاريخ هذه الدولة، ويعتبرها دولة لم تعش إلا لنفسها، وان سياستها كانت ذاتية، حتى ولو سقط العالم

---

[1]- تجدر الإشارة إلى أن الحماديين استطاعوا استغلال القبائل الهلالية سياسيا في مشاريعهم التوسعية، وما يُحسب لهم أنهم أكثر القبائل التي دافعت عن الدولة الحمادية ضد الموحدين. ينظر: نور الدين مسعودي، **القبائل الهلالية ضمن المشاريع السياسية للدولة الحمادية (405-547هـ/1014-1152م)**، مجلة مدارات تاريخية، مج 02، ع 05، مارس 2020، ص 244.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، 157.السلاوي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت 1315هـ/1897م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ج2، ص 120.

[3]- Amar Amoura, **Breve Histoire D'Algerie**, Tra: A.Maaradji, Editions Raihana du livre,Kouba, Alger, 2004, p95.

[4]- السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 120-121.

[5]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 164.

[6]- مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص 236.

[7]- إلياس حاج عيسى، **الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي** 398-547هـ/1007-1152م، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد العزيز لعرج، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2018، ص 52.

الإسلامي كله[1]، ويشعرنا هذا الكلام وكأن العالم الإسلامي كان موحدا يومئذ!، ونحن نرى تساقط وقيام الدول والممالك، الواحدة تلو الأخرى، مشرقا ومغربا.

ولكن بالنظر إلى السياق التاريخي العام، والظروف التي ولدت فيها هذه الدولة، فإننا ندرك جيدا صعوبة المهمة أمام مؤسسها، أو من جاء بعده، في رغبتهم الجامحة التي لم يتفردوا بها عن سواهم؛ فقد تشكلت مملكتهم بعد فراغ سياسي مغلف بشرعية شكلية تركتها الدولة الفاطمية بعد رحيلها، ثم لا ننسى تلك العصبيات القبلية التي كانت تتربص داخل هذا الفراغ، خاصة منها الزناتية التي أسست إمارات عديدة، وما تمخضت عنه الأحداث لاحقا من تغذية للنزعات المذهبية السنية والشيعية، التي فعلت فعلتها في تجزئة المجزأ؛ وأخيرا يأتي الدور على الأخطار الخارجية النورماندية، التي ما فتئت حتى أنهكت الحماديين، وجعلتهم يفشلون في مدافعتها.

ثالثا- الوجود الاباضي في وارجلان والأندلس:

1- تعريف منطقة وارجلان:

ورد اسم وارجلان في المصادر التاريخية بعدة أسماء منها: ورجلان، وارجلان، واركلان، وارقلان، واركلا، كريمة، جوهة، إلا أن الاسم الشائع الآن هو وارجلان وورقلة، وهو اسم لعاصمة بلاد يسكنها أخلاط من البربر والأعراب ورجال الحشان وأصلهم من قبائل زناتة ومزاتة وبني يفرن ومغراوة [2]؛ وهي مدينة قديمة جدا بناها النوميديون في صحراء نوميديا[3]، وللتعرف عليها أكثر نسوق جملة من الروايات التي ذكرتها المصادر؛ حيث يذكر الإدريسي أنها: "مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد نقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية نكار

[1]- عبد الحليم عويس، **أوراق ذابلة من حضارتنا –دراسة لسقوط لثلاثين دولة إسلامية–**، مؤسسة عبد الحكيم لعرابة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ص 169. ونفس الفكرة أشار إليها أندري جوليان حيث صنفها كظاهرة غريبة، لما ذكر أن زعماء بني حماد أنطوو على أنفسهم حول بجاية لدفع أخف الضررين. ينظر: شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية –تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م–**، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، ص 98.

[2]- إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، **غصن البان في تاريخ وارجلان**، تح: إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، العالمية، غرداية، الجزائر، ط1، 2013، ص 56.

[3]- حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ص 508-509.

خوارج في دين الإسلام"[1]؛ أما البكري فيقول:"هي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمّى أغرم أن يكامن، أي حصن العهود"[2].

في حين يفيدنا ابن سعيد المغربي في وصفها؛ فيقول:"... حيث الطول عشرون درجة ونصف والعرض أربع وعشرون درجة ونصف وعشر دقائق، وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير وفي شرقيها بلاد ريغ"[3]؛ لكن الحموي يفردها باسم آخر حيث يرى أنها:" كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر ومجّانة، واسم مدينة هذه الكورة فجوهه[4]؛ وآخرهم ابن خلدون الذي جاء ذكره لها في سياق الحديث عن أهلها لما قال:"منهم بنو واركلا وكانت فئتهم قليلة، وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا"[5].

تعد وارجلان من المدن الصحراوية في بلاد المغرب الأوسط، إذ تمثل أهم مركز للإباضية ولا يقتصر اسمها على اسم المدينة بل تشمل كل المنطقة المحيطة بها، وبالتالي هي إقليم كبير يحده شرقا بلاد الزاب وغربا وادي ميزاب، وجنوبا مدينة سدراتة[6]؛ ولم تسعفني المصادر التي في متناولي لإيجاد تاريخ محدد لتأسيس المدينة سوى ما ذكره صاحب غصن البان عندما قسم تاريخ وارجلان إلى فترات زمنية ابتدأها بتاريخ 101هـ/720م، ثم ما أشار إليه الباحث بوعصبانة نقلا عن ليتيو LETHIELLEUX الذي رجح أنها بنيت سنة 108هـ/726م[7].

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 296.

[2]- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 881.

[3]-أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م)، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1970، ص 126.

[4]- الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 371.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 69-70.

[6]- مسعود مزهودي، **الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب**، جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1996، ص 47.

[7]- عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان**، مديرية الثقافة، ورقلة، الجزائر، ص 32.

2- انتقال الإباضية إلى وارجلان:

عندما سقطت الدولة الرستمية على يد أبي عبد الله الشيعي سنة 269هـ/909م، والتي كانت تمثل إمامة الظهور عند الإباضيين بالمغرب الإسلامي[1]، فر آخر الأئمة الرستميين أبو يوسف يعقوب بن عبد الوهاب[2]مع أفراد أسرته وأعيان دولته إلى وارجلان ثم سدراته[3]، والتي مثلت امتداد العاصمة الرستمية تيهرت[4]، وفي هذا الشأن نجد إشارة عند ابن خلدون حيث يقول: "نزل الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارکلا فاختطُّوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق؛ ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسِّطة ...وفي أهل تلك الأمصار من مذاهب الخوارج وفرقهم كثير وأكثرهم على دين العزابية"[5].

---

[1]- محمد زقاوي، **إباضية المغرب الإسلامي بعد سقوط دولة الرستميين –بين التحدي السياسي والعطاء الحضاري–**، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، 2023، ص 68.

[2]- يعقوب بن عبد الوهاب: تولى إمارة الرستميين سنة 282هـ/895م، ودامت فترة حكمه أربع سنوات، من أعلام الدولة الرستمية أخذ العلم عن علماء تاهرت، واشتهر بذكائه وغزارة علمه، كما بلغ غاية الزهد والورع، له إسهام في الحكم والسياسة، وقد خشيه الفاطميون عند فراره إلى وارجلان، التي مكث بها خادما للعلم والدين إلى أن توفي ودفن بها. ينظر: أبو زكرياء يحي ابن ابي بكر الوارجلاني، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تح: عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص178. إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ج2، ص 473.

[3]- سدراتة: عاصمة الرستميين الثانية، وهي مدينة تنسب إلى قبيلة سدراتة إحدى بطون لواتة، تقع على بعد مسافة 14 كلم جنوب غرب مدينة وارجلان، اختلف في تاريخ تأسيسها، حيث يرى بعض الباحثين أنها تعود إلى تاريخ ما بعد سقوط الدولة الرستمية أي في حدود القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، في حين يعتقد الإباضية أنها تأسست في القرن الأول الهجري، ابتداء من سنة 101هـ/720م، سكنتها العناصر الإباضية ولم يرحلوا عنها الا بعدما خربها بن غانية يحي بن إسحاق الميورقي سنة 624هـ/1226م، وقد ساهمت هذه القبيلة في تموين أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني بالمؤن عندما فجر الثورة ضد العبيديين؛ وهي الآن خراب لم يبق منها إلا بعض الجدران وأحد المساجد ومقبرة الشيخ ابي صالح جنون بن يرمان، وقبر الإمام يعقوب بن أفلح. ينظر: إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 54-55. رشيد بوروبة، **مدن مندثرة (تاهرت، سدراتة، أشير، وقلعة بني حماد)**، وزارة الثقافة، الجزائر، ط2، 2013، ص51. مسعود مزهودي، **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب(21-442هـ/642-1053م)**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2003، ص 30.

[4]- أبو زكرياء يحي الوارجلاني، المصدر السابق، ص 178. أبو العباس احمد بن سعيد الشماخي (ت 928هـ / 1522م)، **السير**، المطبعة البارونية، القاهرة، مصر، 1884، ص365. سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني، **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، د.ط، د.ت، ص 293. محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ط2، ليبيا، 2010، ج1، ص 473.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 48.

ويذكر الزركلي أن يعقوب بن أفلح لما خلعه أهل تيهرت ثم دخلت قوات عبيد الله المهدي إلى تيهرت هرب منها إلى وراجلان، فأكرمه أميرها وأهلها ومكث فيها إلى أن توفي[1]؛ وبقيت وارجلان معقلا للمقاومة الإباضية ضد الفاطميين[2]، عندها حاول الإباضية تأسيس دولة جديدة، لكن الظروف لم تكن مناسبة[3]، وبهذا دخل الإباضية في مرحلة الكتمان[4] والتي استمرت إلى اليوم[5]، وكانت هي الطريقة المثلى للمحافظة على كيانهم، وتحقيق الوحدة بين أتباع مذهبهم وتخفيف حدة التوتر بينهم وبين مخالفيهم من السنيين والشيعة[6].

يبدو أنَّ الجماعات الإباضية فضلوا الجبال والصحاري والمناطق الوعرة -وارجلان- مركزا لدعوتهم فابتعدوا عن الحواضر لنشر مذهبهم، لحداثته في المنطقة؛ وهذه الظَّاهرة معروفة في التاريخ بالنسبة للدعوات الجديدة التي تجد نفسها في محيط غريب فتبدأ بمناطق معزولة[7]؛ والملاحظ أن هذه الإستراتيجية تشترك فيها إباضية المشرق والمغرب على حد السواء، إذ تضمن لهم الحماية ولا تكون هذه المناطق محل أطماع القوى المناهضة لها[8].

---

[1]- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، **كتاب السير**، تح: احمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1992، ج2، ص 47. الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 196-167.

[2]- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985، ص234.

[3]- أ.ف. غوتييه، **ماضي شمال إفريقيا**، تر: هاشم الحسني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010، ص 171.عدون بن الناصر جهلان، **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش 1236- 1332هـ/ 1818- 1914م**، جمعية التراث، القرارة (غرداية)، الجزائر، 1990، ص 47.

[4]- بدأت رحلة التراجع الإباضي في الشمال الإفريقي والتي يبدو أن عجلتها دارت بسرعة خاصة بعد غزو بنو هلال (443هـ/1051م)؛ وبينما كان إباضية طرابلس يتمركزون في جبل نفوسة، كان بقيتهم من وسط المغرب يلوذون بإقليم الصحراء الجزائري سواء في واحة وارجلان، حيث أسسوا مركزا جديدا "سدراته"، الذي شهد قدرا كبيرا من الازدهار الفني أيضا؛ وكذا في وادي أريغ. روبيرتو روبيناتشي، **العزابة**، تر: لميس الشجني، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، ص 29. الهادي إدريس روجي، المرجع السابق، ج2، ص 372.

[5]- فرحات بن علي الجعبيري، **التجربة السياسية عند الإباضية**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 2015، ص 153.

[6]- عدون بن الناصر جهلان، المرجع السابق، ص 47.

[7]- مزهودي، المرجع السابق، ص 23.

[8]- محمد زقاوي، المرجع السابق، ص 99.

ومن جهة أخرى كان قيام الدولة الحمادية على المغرب الأوسط وتوحيدها للبلاد عقائديا وفقهيا سببا في انحسار تيارات الإباضية إلى الجنوب في واحات وارجلان[1]؛ فقد احتلت وارجلان المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بعد بجاية والقلعة من خلال حضور أكثر من 18 شخصية علمية كلها إباضية، على اعتبار أن هذه المدينة قد أصبحت المعقل الرئيس للمجموعات الإباضية الوهبية[2].

لم يكن اختيار الإباضية لمنطقة وارجلان، بوابة الصحراء، لدواعي أمنية مذهبية بقدر ما كان أيضا إستراتيجية اقتصادية هامة، وذلك للحفاظ على مسارات التجارة الضاربة في عمق الصحراء، وهنا تظهر أهمية مدينة وارجلان التي مثلت همزة الوصل، ومنطقة التقاء الطرق التجارية بين السودان والشمال، ونقطة انطلاق لعشرين طريقا معبرا نحو شمال وجنوب بلاد المغرب، وهذا ما يساعد الأسر الثرية التي هربت من تاهرت في مواصلة ممارسة مصالحها التجارية[3]؛ ويدل هذا على أن النشاط الاقتصادي قد ساعد في التخفيف من حدة التقوقع الإباضي، وساهم في الانفتاح على الآخر من أجل أن تكون هذه المجالات مناطق جذب لا طرد[4].

كانت وارجلان من أهم المراكز التجارية في قلب الصحراء، حيث واصلت نشاطها وازدهرت أكثر بعد سقوط تيهرت، وقد امتلكت حصون منيعة، وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها حصن أغرم أن يكامن[5]؛ ولم يفوت الباحث ماسكوراي الفرصة ليعبر عن هذه المكانة التي تتمتع بها المدينة عندما اعتبر أنما من واحة بين قابس وفجويج سجلماسة إلا وهي مدينة بتطورها للخوارج، صفريين كانوا أم إباضيين، فقد كانوا سادة الصحراء[6].

---

[1]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 101.السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، ص 480.

[2]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 105.

[3]- المنصف قوجة، **تاريخ الإباضية الديني والسياسي (من القرن الأول إلى القرن سادس الهجري)**، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2014، ص 48.

[4] - محمد زقاوي، المرجع السابق، ص 102.

[5]- احمد إلياس حسين، **الإباضية في المغرب العربي**، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1996، ص65-66. مجهول، **الاستبصار**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص 224.

[6]- غوتيه، المرجع السابق، ص 172.

وقد شهدت المدينة فترة ازدهار تعود خاصّة إلى تجارة الذّهب والعبيد عبر الصّحراء، وإلى نموّ الزّراعة الّذي أتاحه نظام ريّ مبتكر، وهو ميدان برع فيه الإباضية دوما؛ رافق هذا النّموّ الاقتصاديّ ازدهار للفنون[1]، وهنا يتبين أن هاته المدينة أصبحت أهم مراكز الثقافة في المغرب الأوسط، وقد عبرت عن عدم اختفاء ثقافة الإباضية[2]؛ إضافة على ما سبق يرى بعض الباحثين أن الفترة الفاصلة بين بداية القرن الخامس ونهاية القرن الثامن للهجرة كانت هذه المواطن الصحراوية أهم سياج مذهبي حاضن لأبرز الآثار الدينية الإباضية[3].

وفي السياق ذاته ترى الإباضية أن مدينة وارجلان كانت مستقلة عن السلطة المركزية منذ عهد الرستميين، وان تبعيتها لها تبعية اسمية فقط، يحكمها أبو صالح جنون بن يرمان[4] ويتولى أمورها[5]، واستمر الوضع كذلك حتى زمن الحماديين، الذين لم تغريهم المناطق الجنوبية إلا ما كان يهدد طرق التجارة، الأمر الذي عزل وارجلان وجعلها مستقلة منشغلة بأحداثها[6]، وبالرغم من هذا فإن أن أهل وارجلان كانوا يقدمون فروض الطاعة من مغارم الأموال التي تفرضها السلطة الحمادية، وهذا الأمر يكتسي طابع الحياد السياسي للمجالات الإباضية وسعيهم لتجنب الصدام العسكري، وهو ما يمليه عليهم مسلك الدين في إمامة الكتمان[7]؛ فلما لم تجد فلول الإباضية مظلة تحتمي بها آثرت الانطواء والتخفي بعيدا عن أعين السلطان إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا[8].

---

[1]- بيير كوبرلي، **مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها**، تر: عمار الجلاصي، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.ط، د.ت، ليبيا، ص 130.

[2]- بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص346.

[3]- المنصف قوجة، المرجع السابق، ص 36.

[4]- أبو صالح جنون بن يمريان: حاكم وارجلان ومدبر أمرها، عاصر الدولة الرُّستُمِيَّة في أيَّامها الأخيرة، وكان قد طلب من الإمام يعقوب بن أفلح إحياء الدولة الإباضية، كان عالما ورعا وسخيا، له كرامات وأحوال، وهو أحد أقطاب الدين. الشماخي، المصدر السابق، ص 362. أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1271م)، **طبقات المشائخ بالمغرب**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ج 2، د.ت، ص341 - 342. إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص 115.

[5]- مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 26-27. علي يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط3، 2008، ص273.

[6]- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 285.

[7]- محمد زقاري، المرجع السابق، ص95. عمر بوعصبانة، المرجع السابق، ص63.

[8]- عمر ناصر، **فن السير عند الإباضية**، ص 3. المكتبة الشاملة الإباضية

وتجدر الإشارة هنا إلى طبيعة العلاقة التي تربط الحماديين بوارجلان، فعلى قلة المعطيات التاريخية التي تناولت ذلك، إلا أن المتتبع في المصادر يجد بعض الإشارات الدالة، -وان كان قد غلب عليها التضارب الزمني-، ففي البداية اتسمت العلاقات بالسلم حينها استفادت الإباضية من فترة التسامح المؤقت لدرجة أن بعض شيوخها تمتع بمنزلة رفيعة عند البلاط الحمادي أمثال أبي نوح[1] الذي كان المنصور بن بلكين (373-386هـ/984-996م) يحسن إليه ويكرمه؛ ويروى أنه قال له عند قدومه عليه: "اعلم يا شيخ أن رمحي وهبي وسيفي وهبي"[2].

ثم ما إن هدأت رياح العبيدين وتخلص بنو حماد منهم حتى انقلبوا على الإباضية، فبدأت ملاحقة القبائل الزناتية المناوئة للسلطة، وتأديب القبائل الهلالية، وتأمين الطرق التجارية، وإرسال عديد الحملات العسكرية لوارجلان[3]؛ أهمها حملة المنصور الحمادي سنة 460هـ/1068م التي حقق فيها انتصارا كبيرا[4]؛ وقد كان لهذه الحملات آثارا وخيمة على الحياة العمرانية والاقتصادية والاجتماعية للمدينة؛ منها تدفق أعداد هائلة من القبائل الزناتية الفارين من ضربات الحماديين الأمر الذي أدى إلى اكتظاظ المدينة وصعوبة العيش فيها.

كما شهدت المدينة صراعات وفتن داخلية بين الطوائف وبعض المذاهب، ذكرتها المصادر، مثل الخلاف الذي تزعمه أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح الذي تصدر للفتوى وخالف الإباضية في مسائل عدة[5]، وأسس فرقة عرفت بالفرثية[6]، ولم تسلم المدينة من الممارسات اللصوصية وقطاع الطرق، والغارات

---

[1] – أبو نوح: أحد أقطاب العلم عند اباضية المغرب، تونسي النشأ، ووارجلاني الإقامة، برع في علوم البيان والجدل وكانت له مناظرات مع المعتزلة والنكار على مذهب الإباضية الوهبية، شارك في معركة باغاي سنة 358هـ/969م، فر إلى وارجلان خوفا من ترحيله إلى مصر مع المعز الفاطمي. ينظر: الدرجيني، ج1، ص 143 وما بعدها. مجموعة من الباحثين، **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط2، 2011، ج2، ص 176-177.

[2] – الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص 147.

[3]- Allaoua Amara **,La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (XIe-XVe siècle) ,Les Annales Islamologiques, 2008, 42, p262.**

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 174. البشير بوقاعدة، **خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م – 547هـ/1152م**، رسالة ماجستير، إشراف: مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة-، الجزائر، 2012-2013، ص 248.

[5]- الشماخي، المصدر السابق، ص 366.

[6]- الفرثية: فرقة ظهرت في آواخر القرن 3هـ/9م، تنسب إلى أبي سليمان ابن الإمام يعقوب؛ اجتهد مع علمائها في بعض المسائل، منها قوله بتحريم أكل جنين الأنعام، ونجاسة عرق الحائض، وان الزكاة لا تعطى إلا للقرابة من ذوي الأرحام، وأن فرث الأنعام وما

المتكررة من بعض القبائل المحيطة بالمدينة، والتي استولت على أرزاق أهلها[1]؛ وهكذا ساءت أحوالها، ومما تخبرنا به المصادر الإباضية في هذا الشأن عن بعض المشائخ الذين دخلوا وارجلان أمثال أبو يحي زكرياء بن أبي بكر أن أهلها طلبوا منه الإقامة عندهم؛ فقال لهم: قالوا أقم عندنا قليلا يمت قلبك، وذلك لما اطلع عليه من سوء طريقتهم ورداءة أحوالهم[2]، وأيضا ما نُقل عن أبي نوح عند رجوعه إلى وارجلان بعد موت أبي صالح جنون، وإنكاره على أهلها المناكر التي تفشت بينهم[3]؛ كل هذا أدى إلى نقمة الإباضية، بالرغم من محاولاتهم الفاشلة في إصلاح الوضع من خلال جهاز العزابة[4] الذي فقد السيطرة في ظل تعدد الفئات من غير الإباضية وقتئذ[5].

لقد أفرزت تلك الأوضاع تحولات ديموغرافية كبيرة داخل المجال الحضري للمدينة، حيث ابتعدت العناصر الإباضية عن المدينة، وبدأت تفكر بالهجرة إلى الأماكن النائية التي يقل ارتيادها بما يحفظ مذهبهم وتحقق وحدتهم وتماسك جماعتهم، وتوجهوا إلى وادي ميزاب[6] حيث أسسوا هنالك مدنا في ظروف طبيعية قاسية، ولا يزالون في تلك المناطق إلى اليوم[7].

=طبخ عليه نجس، ومن هنا سمي بالفرثي، وسمي أصحابه بالفرثية. ينظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 180-181. معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص 789-790.

[1]- الشماخي، المصدر السابق، ص415 - 417.

[2]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 449.

[3]- نفسه، ص 154.

[4]- العزابة: اسم مشتق من العزوب عن الشيء أي البعد عنه، فاستعير لمن بعد عن أمور الدنيا، والعزابة مفردها عزابي؛ لقب يطلق على كل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير، ويسمى أيضا بنظام العزابة، حلقة العزابة، هيئة العزابة، مجلس العزابة، وهو هيئة شرعية تقوم مقام الإمامة العظمى في مرحلة الكتمان عند الإباضية في المغرب، ظهر بعد زوال دولة بني رستم، وتتفق المصادر الإباضية على أن مؤسسه هو محمد بن بكر الفرسطائي سنة 409هـ/1018م في مدينة وادي ريغ بالجنوب الجزائري؛ اندثر هذا النظام في كل مناطق الإباضية باستثناء وادي ميزاب ووارجلان بالجزائر. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص03. إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 251. معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص 700.

[5]- مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص 35.

[6]- وادي ميزاب: وتسمى ببلاد الشبكة، وينطقها مِزَابْ، تقع على بعد 600 كلم جنوب العاصمة الجزائرية، شيد الميزابيون مدنها السبع هي: العطف، بنورة، غرداية، مليكة، بني يزقن، القرارة، بريان، عندما انهارت الدولة الرستمية ثم الهجرة من منطقة وارجلان وسدراتة بعد تخريبها؛ أقام الميزابيون نظما اقتصادية عمرانية واجتماعية لا تزال قائمة إلى اليوم؛ وأصلهم من قبائل زناتة البربرية، بينما يرى المؤرخ محمد علي دبوز أن أصل الميزابيّن من العرب والبربر؛ ففي عروقهم دماءُ العرب والبربر جميعًا. ينظر: معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص 952.محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، مطبعة التعاونية، ط1، 1965، ج1، ص167.

[7]- جهلان، المرجع السابق، ص 47.

3- الإباضية في الأندلس:

لقد استطاع الإباضية خلال فترة الفتنة واضطراب السلطة المركزية، أن يؤسسوا إمارتين بربريتين مستقلتين في الجنوب الأندلسي، كان لهما أثر بارز في المشهد السياسي لتلك المرحلة؛ الأولى هي إمارة بني دمر في مورور، والثانية إمارة بني برزال في قرمونة، مثلتا نموذجين لتجربة الحكم المحلي البربري في ظل تفكك الدولة الأموية بالأندلس.

وفيما يلي عرض موجز لتاريخ كلتا الإمارتين ومسار تطورهما حتى نهايتهما.

1.3- دولة بني دمر في مورور (403-458هـ/1013-1066م):

تُعد إمارة بني دمر ثالث الإمارات البربرية التي نشأت في جنوب الأندلس خلال عصر الفتنة، واتخذت من مدينة مورور مركزاً لها، ممتدة إلى وادي لكه؛ أسسها نوح بن أبي تزيري الدمري، أحد زعماء بني دمر المنتمين إلى قبائل زناتة البربرية ذات الأصل التونسي، وكانوا من الخوارج الإباضية. وفد جدهم إلى الأندلس في عهد المنصور، ثم استقل نوح بالمنطقة بعد اضطرابات الفتنة؛ تولى الحكم بعده ابنه محمد بن نوح سنة 433هـ/1041م، وكان شجاعا جريئا لكنه قليل الخبرة، ولقّب نفسه بعز الدولة. اصطدم بالمعتضد بن عباد صاحب إشبيلية الذي اتبع سياسة المهادنة والمكر تجاه الإمارات البربرية الصغيرة، فاستمال محمداً ثم غدر به سنة 445هـ/1053م فمات أسيرا أو قُتل؛ خلفه ابنه مناد بن محمد، الملقب بعماد الدولة، الذي تابع مقاومة المعتضد لكنه أنهك من الغارات المتكررة؛ وأخيرا سلّم مورور للمعتضد سنة 458هـ/1066م مقابل الأمان؛ وبذلك انتهت إمارة بني دمر واندمجت في مملكة إشبيلية، وظل عماد الدولة مكرماً فيها حتى وفاته سنة468هـ/1075م[1].

2.3- دولة بني برزال في قرمونة (404-459هـ/1013-1067م):

تُعد إمارة بني برزال بقرمونة من أبرز الإمارات البربرية التي ظهرت في جنوب الأندلس خلال عصر الطوائف، واتخذت من قرمونة الحصينة قاعدة لها، فامتد نفوذها إلى إستجة والمدور؛ أسسها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن برزال، أحد زعماء زناتة من بني يفرن القادمين من المغرب الأوسط، حيث استقروا في الأندلس بعد اضطرابات المغرب في أواخر العهد الأموي، تولى ابن برزال حكم قرمونة في أواخر الدولة

[1]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 154-155. عبد الجليل ملاخ، **الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري (138-479هـ/756-1086م)**، رسالة دكتوراه، إشراف: إبراهيم بحاز، جامعة الجزائر 2، 2018، ص 275-276.

العامرية، ثم أعلن استقلاله سنة 404هـ/1013م، وأدار شؤون إمارته بالعدل والحزم، مما أكسبه تأييد المدن المجاورة. خاض تحالفات ومعارك متتابعة أبرزها مع ابن عباد صاحب إشبيلية ضد خصومهما، ثم انقلب الأخير عليه واستولى على قرمونة مؤقتاً سنة 427هـ/1036م قبل أن يستعيدها البرزالي بمساعدة البربر؛ وبعد حكم دام ثلاثين عاماً توفي سنة 434هـ/1042م، وخلفه ابنه إسحاق، ثم حفيده عزيز المستظهر الذي سار بسيرة حسنة؛ غير أن المعتضد بن عباد واصل الضغط العسكري عليه حتى اضطر المستظهر إلى تسليم قرمونة سنة 459هـ/1067م، لتنتهي بذلك دولة بني برزال وتُضم أراضيها إلى مملكة إشبيلية [1].

المبحث الثاني- الحركة المذهبية في المغرب الأوسط والأندلس:

أولا-المذاهب العقدية والفقهية في بلاد المغرب الأوسط:

1-المذاهب العقدية:

1.1- المحكّمة الأولى[2]:

ظهرت هذه الفرقة بعد موقعة صفين سنة 37هـ/657[3]، وتسمى بالحرورية نسبة إلى قرية حَرُوراء بالقرب من الكوفة، وقد انشقت هذه الجماعة عن علي بن أبي طالب عندما قبل بالتحكيم ورفعت شعار "لا حكم إلا لله"[4]، ونادت بانتخاب خليفة للمسلمين عن طريق الشورى دون اعتبار للنسب القبلي أو الأصل العرقي[5]، وقد قاتلهم علي بن أبي طالب في معركة النهروان سنة 38هـ/658[1]، وقضى

---

[1]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 148-151. عبد الجليل ملاخ، المرجع السابق، ص ص 277-283.

[2]- يطلق عليهم أيضا: الشراة، والقراء، ويسميهم المخالفون لهم بالخوارج وهذا في أغلب المصادر السنية التي أرخت للفرق والمذاهب.

[3]- ابن مزاحم أبو الفضل نصر بن سيار المنقري (ت 212هـ/827م)، **وقعة صفين**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1990، ص 517.

[4]- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت324هـ/935م)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط3، 1980، ص128-129. عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت429هـ/1037م)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبنان، 1977، ص57. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، ب ط، ب ت، ج1، ص115.

[5]- عوض محمد خليفات، **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط4، 2015، ص15.

عليهم ثم تفرقوا في أنحاء العالم الإسلامي، ومنذ هذه الحادثة افترقت المحكّمة إلى عدة فرق[2]، اختلفت في أفكارها وطورت من مبادئها، عدهم الشهرستاني في ثمان 8 فرق كبرى[3]، وقد وصلت منها إلى المغرب الإسلامي فرقتان هما:

1.1.1- الصفرية:

تختلف المصادر في نسبتهم؛ فمنهم من ينسبهم إلى عبد الله بن الصفار[4]، ومنهم من يرى أنهم أصحاب زياد بن الأصفر[5] –وهو الشائع–، وقد خالفوا الأزارقة والنجدات في أمور كثيرة منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين، والتقية عندهم في القول دون العمل، وقد انقسمت الصفرية إلى ثلاث فرق[6].

ويبدو أن هذه الفرقة تعتبر أقل تطرفا وتعصبا من فرق المحكمة الأخرى، الأمر الذي ساعدها على البقاء والتعايش –ولو مؤقتا– في بلاد المغرب الإسلامي.

---

[1]- الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 115.

[2]- أبو عبد الله محمد بن سعيد الازدي القلهاتي، **الكشف والبيان**، تح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطة عمان، ب ط، 1980، ص 422.

[3]- الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 115.

[4]- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ/898م)، **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، ج1997،3، ص212.أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ/933م) **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1987، ص.740.

[5]- يُرجح الباحثون أن الفرقة الصفرية تنتسب إلى عبد الله بن صفار التميمي الذي كان مع ابن الأزرق في بداية عهده ثم انفصل عنه عند وقوع الخلاف بين قادة الخوارج. أحمد محمد أحمد جلي، **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"**، شركة الطباعة العربية السعودية، ط1، 1986، ص 60.

[6]- القلهاتي، الكشف والبيان، ص433. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص137. الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، ص94.البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 97.

2.1.1- الإباضية:

استطاع أبو بلال مرداس بن أدية التميمي[1] أن يكوّن طائفة اعتزلت جماعة النهروان وتوجهوا صوب البصرة حيث أخذوا يدعون لمذهبهم سرا خوفا من بطش الأمويين، وكان ذلك حوالي سنة 61هـ/680م[2]، وكانت هذه البذرة هي النواة الأولى التي أنتجت الإباضية، أو أهل الدعوة، أو أهل الاستقامة كما يسمون أنفسهم[3].

وتتفق المدونة الإباضية على أن أنهم ينتسبون نسب غير قياسية إلى عبد الله بن إباض[4] الذي يعتبر المسؤول عن الدعوة والدعاة، بينما جابر بن زيد الأزدي العماني[5] فيعتبرونه إمام أهل الدعوة ومؤسس فقه الإباضية ومذهبهم[6]، وترفض الإباضية تسميتهم بالخوارج مطلقا لأنهم يعتقدون أن الخوارج تطلق على

---

[1]- أبو بلال مرداس بن أدية التميمي: أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم، اشتهر بمرداس بن أدية، وأدية أمه. تابعي من أيمة المذاهب الأوائل، اشتهر بالعلم والورع، لازم الإمام جابر واخذ عنه والتقى عددا من الصحابة؛ شارك في صفين فأنكر التحكيم وكان من أهل النهروان. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص 214-214. الشماخي، السير، ص 63. عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 2002، ص70. **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص 412-411

[2]- بيير كوبرلي، المرجع السابق، ص 27.

[3]- عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ص16-18.

[4]- عبد الله بن إباض: هو عبد الله بن إباض بن تميم بن ثعلبة التميمي، نشا في البصرة وعاصر فتنة افتراق المسلمين بعد صفين، كانت له مواقف حاسمة، وإليه ينسب المذهب الاباضي لمواقفه العلنية من مخالفي الإباضية، ومناظراته الظاهرة للخوارج ورؤسائهم، اشتهر برسائله إلى عبد الملك بن مروان التي اشتملت على النصائح وبين فيها آراء جماعته، وذلك بموافقة شيخه جابر بن زيد، قال عنه الدرجيني: إمام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص 20-21. الشماخي، السير، ص 77. الزركلي، الأعلام، ج4، ص 61.

[5]- جابر بن زيد الأزدي البصري: أبو الشعثاء، تابعي فقيه، من الأئمة من أهل البصرة، أصله من عُمان، صحب ابن عباس، وكان من بحور العلم، وصفه الشماخي بأنه "بحر العلوم العجاج وسراج التقوى ناهيك به من سراج، أصل المذهب وأسه الّذي قامت عليه آطامه"، نفاه الحجاج إلى عمان، توفي سنة 93هـ/712م. ينظر: االدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص 10. الشماخي، السير، ص70 وما بعدها. الزركلي، الأعلام، ج2، ص 104. البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ/870م)، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ب ط، ب ت، ج2، ص 204.

[6]- عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ص 27-28. عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص 79. الشماخي، السير، ص 77. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص 10-11.

فرقة الأزارقة التي ابتدأت منها الحركة بالمفهوم السياسي والديني، بينما إذا أطلقت على الإباضية فيجب أن تُفهم بأن الخروج يقصد به الخروج السياسي فقط[1].

وقد عبّر عن هذا الشيخ أبو إسحاق اطفيش بقوله: "الخوارج طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين، رؤوسهم نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وعبد الله بن الصفار ومن شايعهم، وسُمُّوا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك فاستحلوا ما حرم الله من الدِّماء والأموال بالمعصية متأولين قوله تعالى: ﴿إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[2]، فزعموا أن معنى الآية وإن أطعتموهم في أكل الميتة، فأخطئوا في تأويلهم، والحق أن معنى الآية: وإن أطعتموهم في استحلال الميتة، والاستحلال لما حرم الله شرك، وحين أخطئوا في التأويل لم يقتصروا على مجرد القول بل تجاوزوه إلى الفعل فحكموا على مرتكب المعصية بالشرك فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم بالمعصية فاستعرضوا النساء والأطفال والشيوخ"[3].

وهذه بعض آراء الإباضية واعتقاداتهم نوضحها فيما يلي[4]:

- الإمامة فرض بالكتاب والسنة والإجماع والاستدلال، لكل مسلم تتوفر فيه الشروط كالعلم والكفاءة ثم تتفق جماعة المسلمين على اختياره.

---

[1]- علي يحي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 518.

[2]- سورة الأنعام، الآية 121.

[3]- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش، الفرق بين الإباضية والخوارج، ص 5.

[4]- القلهاتي، الكشف والبيان، ص 471 وما بعدها. الشيخ أبو حفص عمروس بن فتح النفوسي (ت283هـ/896م)، **أصول الدينونة الصافية**، تح: حاج أحمد بن حَمُّو كرُّوم وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ط1، 1999. أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني(**ت570هـ/1175م**) **الدليل والبرهان**، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983، 3 أجزاء. علي يحي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص ص 355-449. بحاز إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، ط2، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1993، ص 77-78. رأيتُ أنه من الانصاف أن انقل آرائهم واعتقاداتهم من مصادرهم ومراجعهم، فهي أصح الطرق، وهذا ما يؤكده الدكتور عمار جيدل في قوله: "تقصي الحقائق العلمية الصحيحة يقتضي إنزال المصادر الخاصة المقام الأول في تقرير مذهب الفرقة المدروسة... وان كل محاولة لوضع المصادر العامة في المقام الأول تعتبر طريقا معبّدا للتجني وتنكّب الموضوعية... لأن تقرير مذهب فرقة يجب -من منظور تبرئة الذمة الشرعية والحضارية- أن يعتمد أساسا على مصادر الفرقة المدروسة". ينظر: عمار جيدل، **مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية**، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ص62-63.

- يجب على الأمة المسلمة أن تقيم دولة عادلة، فإذا كانت الدولة جائرة جاز البقاء تحت حكمها، ويجوز الخروج عليها أو الشراء مادامت ظالمة.
- الإيمان قول وعمل ونية وإتباع سنة.
- قتال المحاربين الممتنعين عن الحق حتى يؤخذوا بما وجب عليهم أو ينفوا من الأرض.
- الخلود في الجنة والنار أبدي ولا يشقى من سعد في الآخرة أبدا، ولا سعد من شقي في الآخرة أبدا.
- إنكار رؤية الله –عز وجل- للمؤمنين في الآخرة.
- إذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد فالمقصود بها كفر النعمة ولا كفر الشرك.
- القول بخلق القرآن عند جمهورهم، والقلة ترى عكس ذلك أمثال القلهاتي.
- كل الصحابة عدول وأئمة يقتدى بهم، كما نقل ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم والإعراض عما شجر بينهم، وروايتهم مقبولة إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض في الفتن.

لقد كانت بلاد المغرب أكثر حظا لأنها لم تعرف من جماعات المحَكّمة إلا الإباضية والصفرية، واللتان كانتا لهما السبق في الظهور والانتشار بين البربر، وقد استهلتا نشاطهما الدعائي والحربي ضد بني أمية وعمالهم في المغرب[1]، ومن أهم العوامل التي ساهمت في انتشارها حركة الدعاة، وأولهم الداعية سلمة بن سعد[2] الذي كان يدعوا إلى الإباضية، وعكرمة بن عبد مولى بن عباس[3] الذي كان يدعوا إلى الصفرية عند نزولهما بالقيروان[4]؛ وهكذا اجتمعت الأسباب ومع تطورت الأحداث، أدت إلى قيام ثورات البربر أو كما يطلق عليها "ثورات الخوارج" في المغرب الإسلامي ابتداء من سنة 122هـ/740م، والتي استمرت دون

---

[1]- موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 152.

[2]- سلمة بن سعد: عالم وداعية، صنفه الدرجيني في طبقة تابعي التابعين، تتلمذ على يد جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. قدم من البصرة إلى المغرب داعية للإباضية؛ كان حيا سنة 135هـ/752م. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص 11. الشماخي، السير، ص 98، ص 123. معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 189-190.

[3]- عكرمة بن عبد مولى بن عباس: يكنى أبا عبد الله؛ سمع من عبد الله بن عباس وأبي سعيد وعائشة وأبي هريرة وعبد الله بن عمر، وروى عنه جماعة من التابعين منهم الشعبيّ وإبراهيم النّخعيّ ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد؛ توفي سنة 105هـ/723م. ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ/1229م) **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، تح: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج1993،4، ص 1627.

[4]- أبو زكرياء يحي الوارجلاني، المصدر السابق، ص 42. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص11.

توقف إلى أن نجحت الصفرية في تأسيس دولتهم المدرارية بسلجماسة سنة 140هـ/757م، بينما أسست الإباضية دولتهم الرستمية في تاهرت عام 160هـ/777م[1].

2.1- أهل السنة:

لقد أصبحت بلاد المغرب بداية من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري فسيفساء من الاتجاهات السياسية والعقدية من إباضية، وصفرية، وواصلية، ومعتزلة، وزيدية، ولكن بحلول القرن الخامس الهجري تغيرت الحالة العقدية واستقرت أكثر، ويمكن استقراؤها من خلال هذا النص الذي أورده السلاّوي؛ إذ يقول فيه: "... أما حالهم في الأصول والاعتقادات فبعد أن طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولا والرافضية ثانيا أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه، وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر... واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة".[2]

والحقيقة أن استقرار المذهب السني بالمغرب يرجع إلى عهد الفاتحين الأُوَل من خلال نشر تعاليم الإسلام، ودعوة الناس إلى دين الله تعالى، ثم استمر هذا النهج مع البعثة العمرية إلى المغرب في حدود سنة 100هـ/778م، والتي تكونت من عشرة فقهاء مهمتهم تعليم الناس الحلال والحرام[3]؛ ولقد كان لهذه البعثة الفضل في تثبيت تعاليم الإسلام ونشر علوم الكتاب والسنة بين البربر؛ كما تكونت حول التابعين الذين استقروا بالمغرب أو الفقهاء العشرة جماعات متمسكة بالكتاب والسنة، مبغضة لأصحاب الرأي، وكل عقائد الاعتزال والتأويل والكلام، واستقر في نفوسهم أن الدين إنما هو القرآن والسنة[4].

يعود تاريخ نشأة هذا المصطلح إلى صدر الإسلام وعصر النبوة، قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما- في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[5]، قال: (حين تبيضّ

---

[1]- إبراهيم بحاز، **الدولة الرستمية**، ص90.هشام جعيط، **تأسيس الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2004، ص 182.

[2]- السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 196.

[3]- إبراهيم التهامي، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة –دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح إلى نهاية القرن الخامس–**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 29، ص 32.

[4]- نفسه، ص 37.

[5]- سورة آل عمران، الآية 106.

وجوهُ أَهلِ السُّنَةِ والجماعة، وتسود وجوهُ أَهلِ البدعة والفُرقة)[1]، ثم جاء هذا اللفظ في نص آخر عند ابن سيرين (ت110هـ/728م) في قوله: "لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ"[2]؛ وقد ارتبط ظهور هذا اللقب ومدلوله لما ظهرت الفرق التي تسمّت بألقاب خاصة، فاتخذ أهل السنة اسما يميزهم عن باقي الطوائف، ويكون هو في مقابل الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، وغيرهم. ومن هنا نفهم أن أهل السنة هم الامتداد الطبيعي للمسلمين الأوائل الذين فارقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض.

ومن جملة اعتقادات أهل السنة[3]:

- ☒ مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع السلف الصالح.
- ☒ الإيمان بما صح به الدليل عليه من الغيبيات كالعرش، والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، وغيرها دون تأويل.

---

[1]- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ/1372م) **تفسير القرآن العظيم**، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط1، 1998 ج2، ص 79

[2] - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ/875م)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص 15.

[3]- البربهاري: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (ت329 هـ/914م)، **كتاب شرح السنة**، تح: د. محمد سعيد سالم القحطاني دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط1، 1987. أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت418هـ/1027م)، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط8، 2003. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط4، 1999، مج1، ص ص 36-45.

- ☒ الإيمان بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة.
- ☒ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة.
- ☒ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.
- ☒ مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، فهو مؤمن ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت مشيئة الله.
- ☒ القران كلام الله منزل غير مخلوق.
- ☒ الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة أو بيعة ذوي الحل والعقد ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة.
- ☒ الصحابة الكرام كلهم عدول والشهادة لهم بالإيمان أمر قطعي معلوم من الدين بالضرورة.
- ☒ العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيا بينهما وعند توهم التعارض يقدم النقل على العقل.
- ☒ كل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبسبب الآراء الكلامية، ومسائل الأسماء والصفات، ومفاهيم القضاء والقدر، شهد أهل السنة صراعا وانقساما في المشرق، والذي بدوره انسحب إلى بلاد المغرب، حيث ظهرت بعض الفرق منها الأشاعرة[1].

وتمثل هاته المرحلة إحدى محطات تطور المدرسة السُنية في المغرب حيث اتسمت بمشاركة علماء السُنة في الجدل ومناظرة المخالفين من شتى الفرق في مختلف المسائل الكلامية، من أشهر هؤلاء العلماء محمد بن سحنون (ت256هـ/869م) وسعيد بن الحداد (ت302هـ/915م) وابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)[2]، وقد اختلف الباحثون في تاريخ دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب، فذهب

[1]- الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية تنسب لأبي الحسن الأشعري ت324هـ/935م، الذي خرج على المعتزلة، وقد حاجج الأشاعرة خصومهم من المعتزلة والفلاسفة لإثبات حقائق الدين بالبراهين والدلائل العقلية والكلامية. ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 94. البغدادي، المصدر السابق، ص 210. الموسوعة الميسرة، مج1، ص 83.

[2]- عبد المجيد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، مطبعة دار العرب، تونس ط1، 1986، ص 42.

بعضهم إلى أن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعري مبكرا، أما استقرار المذهب في التصور العقدي العام فلم يكن موجودا قبل المهدي بن تومرت إلا وجودا محدودا على مستوى الأفراد[1].

2- المذاهب الفقهية:

1.2- المذهب المالكي:

ينتسب المذهب المالكي إلى إمام الأئمة أبو عبد الله مالك ابن أنس بن أبي عامر الأصبحي، أحد أوعية العلم الفقيه المحدث، أخذ العلم عن ربيعة الرأي، وعبد الرحمان بن هرمز، ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما، وغيرهم؛ وأخذ عنه العلم الإمام الشافعي، وابن القاسم، ويحي بن يحي الليثي، والثوري، ومن مؤلفاته: الموطأ، غريب القرآن، ورسالة في القدر، توفي سنة 179هـ/795م[2].

وقد ارتكز مذهب إمام دار الهجرة على الأصول الفقهية التالية[3]:

- ✓ **القرآن الكريم**
- ✓ **السنة النبوية:** متواترها، ومشهورها، وآحادها.
- ✓ **الإجماع**
- ✓ **القياس:** وقد توسع مالك وأصحابه في باب القياس، فيقيسون الفروع على الفروع.

---

[1]- للتوسع في الموضوع. ينظر: إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 250وما بعدها. محمد المغراوي، **تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي**، فصل من كتاب التاريخ والفقه، تنسيق محمد حجي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002، ص 135.

[2]- للتوسع في ترجمته ينظر: ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت230هـ/785م)، **الطبقات الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج5، ص 465 وما بعدها. أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت 476هـ/1083م)، **طبقات الفقهاء**، تح: إحسان عباس دار الرائد العربي، بيروت - لبنان ط1، 1970، ص 69. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص 48. البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت256هـ/870م) **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ج7، ص 310. محمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره وآراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

[3]- أبو زهرة، مالك حياته وعصره، ص 212 وما بعدها. الموسوعة الميسرة، ص 118. **المذاهب الفقهية الأربعة**، وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، الكويت، ط1، 2015، ص 73 وما بعدها.

- ✓ **عمل أهل المدينة:** اختص به مالك دون غيره من أئمة المذاهب، ويقصد به اتفاق أهل العلم بالمدينة أو أكثرهم زمن الصحابة أو التابعين على أمر من الأمور.
- ✓ **قول الصحابي:** القول الذي قاله الصحابي عن اجتهاد ولا يعلم له مخالف من الصحابة ولم يشتهر أو يعلم هل اشتهر أم لا؟
- ✓ **شرع ما قبلنا:** هو الحكم الثابت في شريعة أحد الرسل بنص من القران أو السنة الصحيحة لم يدل الدليل في شرعنا على نسخه ولا على إقراره.
- ✓ **المصالح المرسلة:** هي الحكم بالأصلح فيما لا نص فيه وهو مقيد بشروط.
- ✓ **الاستحسان:** القول بأقوى الدليلين.
- ✓ **سد الذرائع:** أي منع ما يجوز لئلا يتطرق به إلى ما لا يجوز.
- ✓ **الاستصحاب:** استصحاب ما دل الشرع على ثبوته لوجود سببه. ومنه قول الفقهاء: الأصل بقاء ما كان على ما كان، حتى يدل الدليل على خلاف ذلك.

يجد الباحث تداخلا كبيرا في تتبع محطات تطور المذهب المالكي في المغرب، وذلك يعود بالأساس إلى التنوع الكبير في العقائد التي وفدت على هذا المجال الجغرافي، وما صاحبه من تفاعلات واحتكاكات فيما بينها؛ إلا أنه يمكن القول بأن الهزيمة العسكرية للإباضية في مواجهة الجيوش الفاطمية قد ساهمت في تحول الكثير من المجتمعات القبلية نحو المذهب المالكي، وأصبح مغرب نهاية القرن الرابع الهجري في معظمه مالكيا[1]؛ ثم في مرحلة لاحقة كان لانتقال الفاطميين لمصر والقطيعة معهم زمن الحماديين الأثر البالغ أيضا في انقلاب منطقة المغرب الأوسط إلى المذهب السني المالكي، قابله تراجع نفوذ الأحناف الموالين للشيعة بالقيروان[2]؛ ونستنتج هنا أن الفاطميين لم ينجحوا في كسب عقول الناس في المغربين الأدنى والأوسط نحو التعاليم الشيعية، والذي أدى إلى انفصام بين الولاءين السياسي والمذهبي، وهو ما يؤكد على أن الدعوة الشيعية لم تكن إلا ستارا سياسيا استعانت به صنهاجة ضد خصومها في المغرب[3].

[1]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص 134.

[2]- عبد القادر بوعقادة، **التحول المذهبي في العهد الصنهاجي "الحمادي الزيري" وأثره على بلاد المغرب الأوسط**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، المارات العربية المتحدة، دبي، ع74، س2011، ص 14.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 256.

يستند بعض الباحثين على روايات القاضي عياض في فهم بدايات دخول ثم انتشار وتوسع المذهب المالكي، والتي منها: "وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد وابن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون، فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"[1]؛ وبهذا يمكن تقسيم مراحل ترسيخ مذهب إمام دار الهجرة إلى ثلاث مراحل، الأولى؛ وتبدأ مع علي بن زياد[2] (ت183هـ/799م) أول من أدخل الموطأ، وهو صاحب السماع الأول من الإمام مالك[3]، ثم المرحلة الثانية مع أسد بن الفرات[4] (ت213هـ/828م) الذي ارتحل إلى العراق فأخذ عن أصحاب أبي حنيفة ثم عاد إلى القيروان فعلم الموطأ للطلاب ودون الأسدية[5]، أما المرحلة الثالثة فتتميز بمدونة أبي سعيد سحنون بن حبيب التنوخي[6] (ت240هـ/854م) حيث سمع الاسدية ثم رحل إلى مصر وأعاد السماع عن ابن القاسم ثم عاد إلى إفريقية بمدونته الشهيرة التي صارت موطأ المغاربة[7]؛ وفي هذه المرحلة تراجع نجم مذهب أبي

---

[1]- القاضي عياض: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، د.ت، ج1، ص 26-27.

[2]- علي بن زياد: هو أبو الحسن علي بن زياد من أهل تونس، كان ثقة مأمونا، فقيها خياران متعبدا، بارعا في الفقه، سمع من مالك بن أنس ومن سفيان الثوري ومن الليث بن سعد وغيرهم، وسمع منه البهلول بن راشد، وسحنون، وأسد بن الفرات وغيرهم، ولم يكن سحنون يفضل أحدا من أهل المغرب على عليّ بن زياد، توفي سنة 183هـ/799م. ينظر: أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت333هـ/945م)، **طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص 251. القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 80. الشيرازي، المصدر السابق، ص 152.

[3]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 251.

[4]- أسد بن الفرات: أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، قاضي القيروان، نشأ بها ثم بتونس، اخذ عن علي بن زياد في تونس، ورحل إلى المشرق فأخذ عن الإمام مالك ولقي أصحاب أبي حنيفة، ثم ولي قضاء القيروان، وهو مصنف الأسدية في الفقه المالكية، استعمله زيادة الله الاغلبي على جيشه وأسطوله لفتح جزية صقلية، وهو أول من دخلها فاتحا، واستشهد وهو محاصر سرقوسة برا وبحرا سنة 213هـ/828م. ينظر:المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 254 وما بعدها. القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 291 وما بعدها. أبو العرب، المصدر السابق، ص 81-82. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 231.

[5]- أبو العرب، المصدر السابق، ص81.

[6]- سحنون التنوخي: أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون، انتهت إليه رئاسة المذهب في المغرب، أخذ عن ابن القاسم وابن وهب وأشهب، وعرض على ابن القاسم مدونة "أسد بن الفرات" فصححها ثم رجع بها إلى القيروان ونشرها هناك، وترك الناس مدونة أسد، توفي عام 240هـ/854م. ينظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص 110. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 354 وما بعدها. الشيرازي، المصدر السابق، ص 156.

[7]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 101.

حنيفة حتى قيل: "لا تمر الليالي والأيام حتى تمحى كتب أبي حنيفة من إفريقية؛ فكان كذلك: محاها الله عزّ وجلّ بسحنون"[1]؛ واستمر الحال هكذا حتى جاء ابن أبي زيد القيرواني[2] (ت386هـ/926م)، وظهرت مدوناته "الرسالة" و"النوادر والزيادات"، ومعه ترسخ المذهب المالكي أكثر[3]؛ وهنا نفهم أن فترة قلعة بني حماد تمثل عهد الاستقرار النهائي للمذهب المالكي في معظم أرجاء المغرب الأوسط، بسبب الإرادة السياسية ومجهودات فقهاء المالكية الذي أدى إلى تقارب بينهما من خلال توظيف الكثير منهم في الوظائف القضائية[4]، وهكذا أصبح منذ ذلك الحين المذهب المالكي في المغرب "مذهبا وعقيدة ووطنية"[5].

ثانيا- المذاهب العقدية والفقهية في الأندلس:

1- المذاهب العقدية:

1.1- أهل السنة (المالكية):

لم يختلف الوضع المذهبي في الأندلس عن المغرب عموما على الأقل في هاته الفترة -القرنين 4و5هـ/10و11م-، فقد كانت الغلبة لأهل السنة ممثلة في المذهب المالكي عقيدة وفقها، وفي هذا الصدد يقول صحاب النبوغ المغربي: "وعلى كل حال فإن مذهب مالك لم يتوطد أمره في هذا العصر كمذهب فقهي فقط، ولكن كعقيدة أيضا فإن التلازم بين طريقته في الفقه والاعتقاد وهي إتباع السنة، ونبذ الرأي

[1]- المالكي: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (حي بعد 453هـ/1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرمن أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ج1، ص 244.

[2]- ابن أبي زيد القيرواني: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الفقيه النظار الحافظ الحجة إمام المالكية في وقته، كان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، كتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم يقول الشعر ويجيده مع صلاح وورع وعفة، إليه انتهت رئاسة الدين والدنيا وإليه كانت الرحلة من الآفاق، توفي عام 386هـ/926م. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص215 وما بعدها. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 674 وما بعدها. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 10.

[3]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص 133.

[4]- نفسه، ص 134.

[5]- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 90.

والتأويل مما لا يخفى"[1]؛ وفي السياق ذاته يذكر المقدسي أن أهل الأندلس كانوا يتبعون المذهب المالكي فحسب، ويقرأون القرآن على طريقة نافع، وكانوا لا يعرفون سوى القرآن وموطأ مالك[2].

إن المصادر التاريخية التي بين أيدينا تفيدنا في بدايات دخول المذهب المالكي إلى الأندلس، فهذا القاضي عياض يرسم لنا خريطة مذهبية لشبه الجزيرة الأيبيرية، فيقول: " وأما أهل الأندلس فكان رأيها مذ فتحت على رأي الأوزاعي، إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغازي ابن قيس ومن بعدهم ... إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الناس جميعاً بالتزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه، وذلك في عشر السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى ... على ذلك مضى أمر الأندلس إلى وقتنا هذا"[3].

وقد توفرت جملة من العوامل التي ساعدت عن نشر وترسيخ العقيدة السنية المالكية، ولعل أهمها العامل السياسي، فقد ذكرت الروايات أن حجاجا من الأندلس زاروا إمام دار الهجرة بالمدينة، وسألهم عن سيرة عبد الرحمان بن معاوية، فامتدحوه بصفات أعجبت الإمام مالك، فقال: "ليت الله زين حرمنا بمثله"، فبلغ ذلك الأمير عبد الرحمان فسُر به، وجمع الناس على مذهبه فأنتشر في البلاد[4].

ولعل من أقوى النصوص التي ذكرتها المدونات الأندلسية، والتي تبين مدى تمسك السلطة السياسية بالمذهب السني المالكي، ما جاء في نوازل بن سهل حكاية عن رسائل الحَكم المستنصر قوله: "فمن خالف مذهب مالك بن أنس رحمه الله بالفتوى أو غيره، وبلغني خبره؛ أنزلت به من النكال ما يستحقه وجعلته شردًا، وقد اختبرت فيما رأيت في الكتب أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب، ولم أر في الصحابة ولا فيمن تقلد مذهبه غير السنة والجماعة؛ فليتمسك بهذا ففيه النجاة إن شاء الله"[5].

---

[1]- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، طنجة، المغرب، 1960، ج1، ص48.

[2]- المقدسي، المصدر السابق، ص 236.

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 26-27.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص60-61. السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 195.

[5]- عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت486هـ/1093م)، **ديوان الاحكام الكبرى**، تح: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007، ص 721.

هذا الإعجاب والتمسك بالمذهب المالكي يعود أيضا إلى موافقته لطبيعتهم العقلية، فهو مذهب يعتمد على النص، ولا يفسح المجال كثيرا للعقل، ويكره التفريع والتفلسف والمنطق وما أشبه ذلك، مما شاع في المذهب الحنفي مثلا[1].

لقد دخل الموطأ إلى الأندلس منذ زمن مبكر، وعلى اختلاف الباحثين في تحديد أسبقية من أدخله وفي أي عهد كان ذلك[2]، فإن المتفق عليه أن دخوله كان بواسطة الغازي بن قيس[3] خلال القرن 2هـ/8م، ثم توسع أكثر وشمل القضاء في بدايات القرن 3هـ/9م بواسطة زياد بن عبد الرحمان شبطون (ت193هـ/808م)[4]، وفي المرحلة الأخيرة التي تمثل فترة الرسوخ في منتصف القرن 3هـ/9م، مع يحي بن يحي الليثي[5] (ت234هـ/848م)[6]، الذي يقول فيه ابن حزم: "...ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحي بن يحي كان مكينا عند السلطان، مقبول القول في القضاة، وكان لا يولي قاض في أقطار الأندلس إلا

---

[1]- احمد هيكل، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، 1958، ص 80.

[2]- للتوسع في هذا ينظر: انجل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت، ص 417. إبراهيم القادري بوتشيش، **دور علماء المغرب والأندلس في تدعيم المذهب المالكي**، مجلة الأحمدية، عدد20، سنة 2000، ص220. نجم الدين الهنتاني، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004، ص 127.

[3]- الغازي بن قيس: الإمام المقرئ، شيخ الأندلس أبو محمد الأندلسي، ارتحل وأخذ عن ابن جريج، وابن أبي ذئب، والأوزاعي، ومالك ونافع بن أبي نعيم، وتلا عليه؛ روى عنه: عبد الملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل؛ وهو أول من أدخل قراءة نافع، وموطأ مالك إلى الأندلس، توفي عام 199هـ/814م. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 114. الزبيدي: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي أبو بكر (ت379هـ/989م)، **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ط2، ب.ت، ص 254. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص 77.

[4]- زياد بن عبد الرحمان: الفقيه الإمام مفتي الأندلس أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة اللخمي، الأندلسي صاحب مالك، كان إماما عالما، ورعا ناسكا مهيبا كبير الشأن، أراده هشام صاحب الأندلس على القضاء، فأبى وتعنت وكان هشام يكرمه، ويخلو به، ويسأله، توفي سنة 193هـ/808م. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 182-183. =الحميدي، المصدر السابق، ص218. القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 116-117. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص 70.

[5]- يحي بن يحي الليثي: أبو محمد يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس - وقيل وسلاسن -أصله من قبيلة مصمودة البربرية، الإمام الحافظ، فقيه الأندلس ومحدثها، صاحب رواية الموطأ المشهورة، سمع من مالك وابن عيينة، وسماه مالك عاقل الأندلس، توفي سنة 234هـ/848م. القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 379-380. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص ص 143-146.

[6]- توفيق بن أحمد الغلبزوري، **المدرسة المالكية بالأندلس بين التقليد والإتباع**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مج20، ع63، 2005، ص 91-92. عبد الجليل ملاخ، **المرجع السابق**، ص 120.

بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه"[1]؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن الأندلسيين اختصوا بآراء عبد الرحمن بن القاسم (ت191هـ/806م)[2] من بين آراء تلاميذ الإمام مالك حتى أنه أطلق على المغاربة عامة والأندلسيين خاصة أنهم "مالكية قاسميون"[3].

وفي السياق ذاته، يمكن ملاحظة أن المذهب المالكي في الأندلس عرف اتجاهين أساسيين: اتجاه فروعي مُقلد اهتم بدراسة المسائل وفروع المذهب مع قلة العناية بالحديث والأثر، ويمثله ما ذكرته آنفا، واتجاه تأصيلي يميل إلى الاجتهاد والعناية بالحديث، من أمثال ابن عبد البر وأبي الوليد الباجي[4]؛ واستمر الحال هكذا حتى صار المالكية إلى زمن المرابطين الحارس الوفي لمذهبهم ومجتمعهم والمعتمدون من قبل الحكام.

2.1- المذاهب غير السنية:

على الرغم من المقاومة الحادة للسلطتين الدينية والسياسية في الأندلس لكل ما هو غير سني مالكي، كما تروي المصادر التاريخية، ومنهم المقدسي الذي ذكر أن أهل الأندلس إذا عثروا على شافعي أو حنفي كانوا يطردونه، وإذا امسكوا بأحد المعتزلة أو الشيعة كانوا أحيانا يقتلونه[5]، إلا أن هذا لا يعني غياب تام لنشاط المذاهب والعقائد الأخرى، فقد شهدت الأندلس خلال القرنين 4-5هـ/10-11م هي الأخرى توزع وانتشار لبعض المذاهب العقدية غير السنية، والتي نوضحها فيما يلي:

1.2.1- الإباضية:

إن موضوع الإباضية في الأندلس ما زال يحتاج إلى بحث وتعمق، خاصة ما يتعلق بالبدايات الأولى لدخوله إلى شبه الجزيرة الإيبيرية؛ فإذا كانت العلاقات الثقافية الأندلسية الرستمية قد أفرزت أعلاما وشخصيات رحلوا من الأندلس إلى تاهرت وتقلدوا مناصب عالية في الدولة، فإن المصادر التاريخية

---

[1]- السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 195.

[2]- عبد الرحمان بن القاسم: أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم بن خالد العتقي المصري، أخذ عن الإمام مالك والليث بن سعد، وعنه اصبغ وسحنون ويحي بن يحي الليثي، توفي سنة 191هـ/806م. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص ص 243-261.ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 276. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 323.

[3]- الخشني، قضاة قرطبة، ص 113.

[4]- توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 97.

[5]- المقدسي، المصدر السابق، ص 236.

تسكت في العلاقة العكسية حول ما إذا كان هناك رجال علم رحلوا من تاهرت إلى الأندلس، في حين كان هؤلاء يولون وجوههم شطر البصرة والمشرق[1].

كل هذا فإنه لا ينفي التواجد الإباضي في الأندلس -الذي غلب عليه الطائفة النكارية-، حتى وان لم يظهروا جليا للمجتمع فأثرهم السياسي كان واضحا في عهد ملوك الطوائف، حينما تمكنوا من تأسيس إمارات لهم[2]، كما ساهمت هجرات القبائل البربرية من المغرب الأوسط إلى الأندلس بسبب الاضطرابات والحروب في زيادة أعدادهم[3]؛ وقد ذهب بعض الباحثين إلى تفسير هذا الغياب إلى عقيدة مسالك الدين عند الإباضية، ومسلك الكتمان في حالة غياب إمامة الظهور[4].

2.2.1- المعتزلة:

فرقة إسلامية، وهم أتباع واصل بن عطاء الغزّال[5] المؤسس الأول للمعتزلة حسب اتفاق مؤرخي الفرق والمذاهب السنية، بينما يرى المعتزلة أن فرقتهم أقدم من واصل بن عطاء، ويرجعونها إلى عهد الصحابة[6]. وسبب ظهور مذهبهم هو أن واصل كان ممن يجلسون إلى الحسن البصري[7] (ت110هـ/720م)، ولما ظهر الاختلاف حول مرتكب الكبيرة، فقالت جماعة -الخوارج- بتكفيرهم، وقالت جماعة أخرى بأنهم مؤمنون وان فسقوا، خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال إن من هذه الأمة

---

[1]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، ص 386.

[2]- أسسوا إمارتين هما: دولة بني دمر في مورور (403-458هـ/1013-1066م) ودولة بني برزال في قرمونة (404-459هـ/1013-1067م). ينظر: عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 147 وما بعدها. ملاخ عبد الجليل، المرجع السابق، ص ص 175-283.

[3]- عبد القادر بوباية، **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري**، دار الكتب العلمية، ط1. بيروت، لبنان، 2011، ص 64 وما بعدها.

[4]- عبد الجليل ملاخ، المرجع السابق، ص 197.

[5]- أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي، المعروف بالغزال، كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، لازم الحسن، وكان صموتا، طويل الرقبة جدا، وله مؤلف في التوحيد، وكتاب "المنزلة بين المنزلتين"، توفي عام 131هـ/748م. ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص 2793. ابن خلكان، المرجع السابق، ص ص 7-11. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص 175.

[6]- أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص 140.

[7]- الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة؛ وأوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ت110هـ/720م ينظر: ابن خلكان، ج2، ص ص 69-73. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص ص 563-588.

لا مؤمن ولا كافر أي منزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه وأعتزل عنه[1]؛ ومن أهم عقائد المعتزلة الأصول الخمسة، وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

اعتمدت المعتزلة على العقل المجرد في فهم العقيدة لتأثرها ببعض الفلسفات، فكانت هاته الحركة ردة فعل حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقولاته العقدية بالأفكار الوافدة دفاعا عن الإسلام، مما أدى إلى انحرافها، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: القدرية، العدلية، أهل التوحيد، المقتصدة، الوعيدية[3].

وإذا جئنا إلى دخوله وانتشاره في بلاد المغرب والأندلس عموما، فإن علم الكلام لم يكن مرغوبا فيه وعلماؤه منبوذون، وقد عاداهم أهل السنة وحاربوهم، وبالتالي كان نشاطه محدودا ولم يلقى التشجيع أو الترحيب[4]؛ وقد عبّر عن هذا الإمام ابن حزم في رسائله: "... وأما علم الكلام فإن بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل، فقلّ لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال نظار في أصوله ولهم فيه تآليف"[5].

يعتبر الطبيب والأديب الأندلسي الذي لم تذكر المصادر اسمه أول من أدخل مذهب الاعتزال ونشر كتب الجاحظ في الأندلس بعد رحلته إلى المشرق في القرن 3هـ/9م[6]، وتبعه في ذلك أقوام كثر، نذكر

---

[1]- البغدادي، المصدر السابق، ص 93 وما بعدها. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 155 وما بعدها. أبو الحسن الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة**، تح: فوقية حسين محمود دار الأنصار، القاهرة، مصر،1977. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 42-44. عبد الجبار بن أحمد قاضي القضاة (415هـ/1024م)، **شرح الأصول الخمسة**، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر. ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين (ت840هـ/1436م) **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1994،3.

[2]- أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 140-143.

[3]- الموسوعة الميسرة، ص 74.

[4]- إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 196.

[5]- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ/1063م)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ج2، ص 186.

[6]- انجل بالنثيا، المرجع السابق، ص 324.

منهم على سبيل المثال: فرج بن سلام القرطبي[1] الذي اعتبره أسين بلاسيوس من أوائل من أدخلوا المعتزلة إلى المغرب بواسطة كتب الجاحظ أيضا[2]، وخليل بن عبد الملك المعروف بخليل الغفلة[3] الذي أحرق فقهاء المالكية كتبه عند موته[4]، وغيرهم ممن جمعوا بين الاعتزال ومذاهب الباطنية وآراء الفلاسفة والفقهاء[5].

وممن تأثر بآراء المعتزلة وغيرها من العقائد المنحرفة؛ محمد بن مسرة القرطبي[6] (ت319هـ/931م)، الذي أظهر نسكا وورعا واعتزالا، فاغتربه الناس، ثم أظهر لهم سوء معتقده وقبح مذهبه فانقبض عنه من كان له إدراك وعلم، وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل، فدانوا بنحلته وبثوا في الناس مذهبه[7]؛ كما كانت له إشارات غامضة ومقالات ردية فتُتبعت مصنفاته بالحرق[8] .

وقد عاقبت السلطة السياسية أتباعه، وكل ما يمت له بصلة في عهد عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912-961م)[9]؛ والذي يظهر أن ابن مسرة قد جمع بين التصوف والاعتزال والفلسفة، وبذلك يكون هو أول واضع للمبادئ الأساسية للفكر الصوفي الجدلي بالأندلس[10].

---

[1]- فرج بن سلام: من أهل قرطبة؛ يكنى أبا بكر كان، معتنيا بالأخبار والأشعار والآداب؛ رحل إلى المشرق، ودخل العراق، فلقي عمرو ابن بحر الجاحظ؛ وأخذ منه كتاب البيان والتبيين وغير ذلك من مكتوباته، وأدخلها الأندلس رواية عنه. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 393.

[2]- إبراهيم التهامي، المرج السابق، ص 200.

[3]- خليل الغفلة: خليل بن عبد الملك بن كليب، المعروف بخليل الفضلة من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق، وكان يعلن بالاستطاعة؛ وكان في بدء أمره صديقا لمحمد بن وضاح، ثم لما تبين أمره لابن وضاح هجره. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 165-166.

[4]- ليفي بروفنسال، **الحضارة العربية في اسبانيا**، تر: الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1994، ص 167.

[5]- انجل بالنثيا، المرجع السابق، ص 325.

[6]- للتوسع في ترجمته ينظر: ابن حيان، المصدر السابق، ص ص 20-36.

[7]- ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت468هـ/1076م)، **المقتبس لابن حيان**-الجزء الخامس-(القطعة الرابعة)، تح: شالميتا مستعينا بكورينطي ومحمود صبح، مدريد، المعهد الاسباني العربي للثقافة، 1989، ص 32-33.

[8]- أبو نصر الفتح بن خاقان الإشبيلي، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح: محمد علي شوابكة ط1، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983، ص 287.

[9]- زكرياء سعيدي وعبد الجليل ملاخ، **حركة ابن مسرة القرطبي من خلال كتاب المقتبس لابن حيان الأندلسي** 3-4هـ/9-10م، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، المجلد 6، العدد 02، 2022، ص 198.

[10]-ميغيل كروز هيرنانديس، **الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية**، من كتاب: الحضارة العربية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص 1093.

3.2.1- الشيعة:

فرقة إسلامية، يقول الشهرستاني: "وهم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده"[1]، وظهر التشيع أول الأمر كمذهب سياسي منذ نهاية خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم ترعرع في عهد علي بن أبي طالب[2]، فكل من اعتقد أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة ولده من بعده فهو شيعي، وان خالف فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون[3].

وتنقسم الشيعة إلى خمس فرق هي: الكيسانية، الزيدية، الإمامية، الإسماعيلية، الغلاة (السبئية)[4]، وقد تأثرت عقائد الشيعة بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، وكذلك بشخصية يهودية غامضة، وهو عبد الله بن سبأ[5]، وفي الجملة يمكن أن نوجز عقائدهم فيما يلي[6]:

- الإمامة تكون بالنص وأن عليا قد نص على ولديه الحسن والحسين.
- العصمة لأهل البيت الاثنا عشر عن الخطأ والنسيان، واقتراف الكبائر والصغائر.
- العلم اللدني، فكل إمام أودع العلم من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم.
- خوارق العادات التي تجري على يد الأئمة. وبراءتهم من الخلفاء الثلاثة.
- الرجعة، وان محمد بن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.
- الغيبة، فالزمان لا يخلو من حجة الله عقلا وشرعا.
- التقية، وهي من أصول ديانتهم، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة. وغيرها من المعتقدات.

---

[1]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 146.

[2]- أبو زهرة، المرجع السابق، ص 35.

[3]- ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ص 90.

[4]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 147.

[5]- القمي: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي (ت299هـ/911م)، **كتاب المقالات والفرق**، مركز النشر العلمي والثقافي، طهران، ط2، 1982، ص 20. وللاستزادة حول أصول ابن سبا وعلاقته بالشيعة وأثره في فتنة صدر الإسلام هناك دراسة قيّمة للدكتور: سلمان بن فهد العودة، **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**، دار طيبة، ط3، 1991.

[6]- الموسوعة الميسرة، ج1، ص 3-56.

إن أكبر تحد يواجه الباحث في المدونات الشيعية، التي يحاول أن يستقي منها معلوماته أو يتحقق من روايات بعض الوقائع، أن يصطدم بحجم الكذب الكبير الذي وضعه هؤلاء في كتبهم، وقد سجل الباحث خالد كبير علال أرقاما مهولة في دراسته "**مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه**"، حيث أحصى 547000 حديث وخبر تم تلفيقه[1]؛ أقول هذا في سياق حديثي عن الروايات التي تحدثت عن دخول التشيع إلى بلاد المغرب، والتي تعود حسب المصادر إلى الداعيين اللذين أرسلهما الإمام جعفر الصادق[2] (ت148هـ/765م)[3]، وقد تمكن الشيعة بعد تطورات سياسية كبيرة من تشكيل دولا لهم في المغرب، وهما: الأدارسة (172-311هـ/788-923م) على المذهب العلوي الزيدي، والفاطمية (296-361هـ/909-972م) على المذهب الإسماعيلي[4].

أما في الأندلس فقد وصل إليها التشيع مبكرا، وكان مركزه البيوتات العربية التي دخلت الأندلس، والقبائل البربرية التي استأثر دونهم العرب بمغانم الانتصار وثمراته، وبالتالي كانت التربة خصبة للدعوات الشيعية[5]، ولم تهدأ شبه الجزيرة من تلك الحركات الهدامة التي تبرز بين الفينة والأخرى وبمسحة شيعية، ولعل أخطرها ثورة عمر بن حفصون في جنوب الأندلس ثم ثورة أحمد بن معاوية سنة 266هـ/901م[6]، والتي شكلت آخر المحاولات المسلحة لإقامة دولة شيعية في الأندلس[1].

---

[1]- خالد كبير علال، **مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه**، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2003، ص 55.

[2]- جعفر الصادق: أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان عالما زاهدا من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضلُه أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي، سمع عن أباه، ومحمد بن المنكدر، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، وروى عنه سليمان بن بلال، والثوري، ومالك بن أنس، ويحي بن سعيد =الأنصاري وغيرهم، توفي عام 148هـ/765م. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص327. الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص 126.

[3]- وردت هذه الرواية في رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت363هـ/973م).

[4]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 58، ص 174. عبد الجليل ملاخ، المرجع السابق، ص 200.

[5]- محمود علي مكي، **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 2004، ص 7-9.

[6]- أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام المعروف بابن القط: من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، كان أديبا عالما بالهئية والنجوم، شجاعا؛ خرج في أيام الأمير عبد الله بن محمد يطلب الدولة ويظهر الجهاد؛ فاجتمع حوله نحو ستين ألفا أكثرهم من البربر، فهاجم بهم جليقية (Galice) وكتب إلى ملكها ومن معه يدعوهم إلى الإسلام، فقاتلوه، فخذله رؤساء البربر، وثبت هو فيمن بقي معه إلى أن

وأول من نقل الثقافة الشيعية إلى بلاد الأندلس هو محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى[2] (ت221هـ/836م)، بعد عودته من رحلته إلى العراق، فنقل كتب وكيع بن الجراح من كبار المحدثين الشيعيين[3]؛ كما ساهمت الدعاية الفاطمية بنشر الدعاة والجواسيس بين الناس، ونذكر منهم: ابن هارون البغدادي، وابن حوقل، وأبو الخير[4]؛ ومع تعدد مظاهر التشيع في الأندلس برز الأثر السياسي بشكل واضح خلال القرن 5هـ/11م، وذلك عندما استطاعت جماعات الشيعة تكوين كيان سياسي لهم، تمثل في دولة الأدارسة الحموديين سنة 407هـ/1016م[5]، وقد كانوا شيعة معتدلين لم يأخذوا من التشيع إلا بالقدر الذي يحقق لهم مأربا سياسيا[6].

ومما لا يفوتنا ذكره؛ أن التشيع استطاع توسيع نشاطه في عهد ملوك الطوائف في ظل الحرية الفكرية التي سادت الأندلس خصوصا مع غياب الملاحقات المروانية التي انتهت بنهاية الخلافة، ولم يكن التشيع لوحدة بل الكثير من الأفكار المشرقية لقيت رواجا، ومن مظاهر ذلك انتقال رسائل إخوان الصفا، فكان أول من أدخلها إلى الأندلس أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمان الكرماني القرطبي (ت458هـ/1065م)، إضافة إلى ازدياد الصلة بين الفاطميين وقيام الدعوة العلوية في بعض مناطق الأندلس[7].

=قتل سنة 288هـ/901م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 259. ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)، **الحلة السيراء**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ص 368-369.

[1]- محمود علي مكي، المرجع السابق، ص 13-15.

[2]- محمد بن عيسى عبد الواحد بن نجيح المعافري: المعروف بالأعشى من أهل قرطبة؛ يُكنى أبا عبد الله؛ رحل في العام الذي توفي فيه مالك بن أنس، وسمع من سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح الرواسي، ويحيى بن سعيد القطان، وغيرهم من العراقيين والمدنيين، وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار، وكان رجلا عاقلا، سريا جوادا، وكانت فيه دعابة وأخباره في ذلك كثيرة مشهورة، توفي سنة 221هـ/836م. ينظر: ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص7، الحميدي، المصدر السابق، ص 74. القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 114. الضبي، المصدر السابق، ص 109.

[3]- محمود علي مكي، المرجع السابق، ص 16.

[4]- أبو الاصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس** (مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى)، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، مصر، ط1، 1981، ص48.

[5]- ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص 96-102. بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج2، ص 5 وما بعدها. عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 124.

[6]- محمود علي مكي، المرجع السابق، ص48.

[7]- محمود علي مكي، المرجع السابق، ص 43.

2- المذاهب الفقهية:

1.2- المذهب الظاهري:

ينتسب الظاهرية إلى أبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني[1] (ت270هـ/884م)، إمام أهل الظاهر، وأحد أئمة السنة، لكن مذهبه انقرض بعد أن عاش زمنا بالعراق وخراسان والأندلس، وانجذب إليه الناس في بادئ الأمر لما كثرت الفرق والكلام على الاعتزال، لأنه جعل الباب مفتوحا لكل أحد أن يجتهد، فحتى الجزارين والفحامين لهم أن يجتهدوا، وأبطل التقليد وطلب من الناس أن يُشرّعوا لأنفسهم[2].

أما أصول الظاهرية[3]، فيحدثنا عنها ابن خلدون؛ حيث يقول: "...ثمّ أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظّاهريّة، وجعلوا المدارك كلّها منحصرة في النّصوص والإجماع وردّوا القياس الجليّ والعلّة المنصوصة إلى النّصّ، لأنّ النّصّ على العلّة نصّ على الحكم في جميع محالّها"[4]؛ وقد انتشر هذا المذهب مع المعارضة الشديدة للكثيرين له، ويرى المجدوب أن سطحية الظاهرية جعلت فقهاء إفريقية يستصغرون شأن داود ويسخرون منه، ويعتبرونه عقيم المدارك محدود المعارف[5].

وصل المذهب الظاهري إلى الأندلس بعد استقرار المذهب المالكي رسميا، حيث تذكر المصادر أن أول من نشر مبادئ الظاهرية هو عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال[6] (ت272هـ/885م)، وكان مالكيا

---

[1]- دَاوُد بْن عَلِيّ بْن خلف: أَبُو سُلَيْمَان الفقيه الظاهري، قدم بغداد فسكنها وَصنف كتبه بها، وهو إمام أصحاب الظاهر، وَكَانَ وَرعا ناسكا زاهدا، وَفِي كتبه حَدِيث كثير، إِلا أن الرواية عنه عزيزة جدا؛ أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبي ثور، ومن المتعصبين للشافعي وصنف كتابين في فضائله والثناء عليه، وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد، وأصله من أصفهان ومولده بالكوفة، ومنشؤه ببغداد. توفي سنة 270هـ/884م. ينظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463هـ/1072م)، **تاريخ بغداد**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج9، ص 342. الشيرازي، المصدر السابق، ص 92. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص ص 102-109.

[2]- احمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1990، ص 5.

[3]- للاستزادة ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج2، ص 381. أحمد بكير، المرجع السابق، ص 20 وما بعدها.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 564.

[5]- عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 91.

[6]- محمد بن قاسم بن هلال: عَبْد الله بْن محمد بْن قاسم بن هلال القُرْطُبيّ الفقيه رحل وأخذ عن المَزَنيّ، وبالعراق عن دَاوُد الظّاهريّ، وأدخل الأندلس كُتُب دَاوُد؛ وكان عارفًا بمذهب مالك، فقيه النَّفس؛ روى عَنه محمد بن عبد الملك بن أيمن، وقاسم بْن أَصْبَغ، ومحمد بْن قاسم، وغيرهم، تُوفي سنة 272هـ/885م. ينظر: الخشني: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني (ت361هـ/972م)، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، تح: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد،

في أول الأمر لكنه تتلمذ على داود وتأثر به، فنسخ كتبه وأقبل بها إلى الجزيرة؛ ومن بين الأعلام الذين نافحوا عن المذهب الظاهري بعد بن هلال نجد منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمان البلوطي[1] (ت 355هـ/966م)، الذي وصل إلى مناصب رفيعة، فتولى قضاء الجماعة بقرطبة[2]؛ كما تذكر المصادر الأندلسية أن شخصيات أخرى وفدت على الأندلس بدافع التجارة، فتقمصت المذهب الظاهري، واستطاعت أن تقدم إضافات لهذا التيار خلال القرن 5هـ/11م[3].

وما إن أفل نجم الظاهرية في المشرق حتى قيض الله لهم علما مشهورا في الغرب الإسلامي، ذاع صيته، وعلا نجمه، وفتح صفحة جديدة سجلت فيها حلقات لاذعة من السجالات والمناظرات بينه وبين مالكية الأندلس، فإذا كان داود قد ألّف كتبا في فروع فقهية كلها أحاديث وسنن، فإنه قد جاء بعده فقيه عبقري سجل للمذهب حضوره في هذا الوجود بالدفاع عنه والاستدلال له، خالف داود ووافقه، ولكنه في الحالين أيد منهاجه، فكان الإمام الثاني بعد أن ذهبت أثار دواد[4]، وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد (ت456هـ/1064م)[5]، ولعلي وقفت على أحسن وصف له عند الذهبي في

=اسبانيا، 1991، ص 217. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، 257. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 565. قاسم علي سعد، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط1، 2002، ج2، ص 755.

[1]- منذر بن سعيد القاضي: أبو الحكم، يعرف بالبلوطي، الإمام المحدث الفقيه العالم القاضي الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، كان حاضر الجواب قوي الحجة سمع من عبيد الله بن يحي بن يحي ونظرائه، وكان متفننا في ضروب العلم وغلب عليه التفقه بمذهب داود الظاهري والأخذ به فإذا جلس للخصومة قضى بمذهب مالك وأصحابه، وكانت مدة ولايته القضاء ستة عشر عاما لم يحفظ عليه جور في قضية ولا قسم بغير سوية؛ له تآليف بارعة مفيدة، منها أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ، وتوفي سنة 355 هـ/965م. الزبيدي، المصدر السابق، ص 295. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 142-143. الحميدي، المصدر السابق، ص 348-349. الضبي، المصدر السابق، ص 465. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص 238.

[2]- انجل بالنثيا، المرجع السابق، ص 440.

[3]- عبد القادر بوعقادة، وقائع الحركة المذهبية، ص 105.

[4]- أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج2، ص 352.

[5]- للتوسع في ترجمته يُنظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ص308-311.ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1138م)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، ط2، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، 1955، ص 395. الضبي، المصدر السابق، ص 106. الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 2000، ج20، ص ص 93-98. الحموي، **معجم الأدباء**، ج4، ص 1650، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص 184-213. المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص 78-83. ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1449م)، **لسان الميزان**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002، ج5، ص 488. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 325. أبو الفلاح: عبد الحي بن أحمد

سيره؛ إذ يقول: "... إنه تفقه أولا للشافعي، ثم أدّاه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبراءة الأصلية، واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتبا كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه"[1]؛ ويُذكر أنه كان سليط اللسان مع علماء عصره شديد الجدال متعصب، الأمر الذي عجل بزوال مذهبه، ونفور الناس عنه، وفي هذا يقول الذهبي: "... ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها، ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقادا واستفادة، وأخذا ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجا في الرصف بالخرز المهين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون"[2].

امتلك ابن حزم مؤهلات شخصية وعلمية عالية، مكنته من الوقوف بكل جرأة وشجاعة في وجه المرجعية الرسمية للأندلس وللاختيارات السياسية للسلطة، دافع بها عن ظاهريته والتي خالف فيها مؤسس المذهب، فمن حيث الأصول أنكر القياس جملة وتفصيلا، الخفي منه والجلي، كما عمد إلى تطبيق المنهج الظاهري على مستوى العقائد، فلم يأخذ إلا بالمعنى الظاهري للقرآن والسنة، فجاءت ظاهريته أعمق وأشمل في العقائد والمذاهب[3].

=بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، (ت1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمد الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج1، ص 37-38.

[1]-الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 186-187.

[2]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 186-187.

[3]- بكير محمود، المرجع السابق، ص ص 41-59. بوعقادة، وقائع الحركة المذهبية، ص 107. وقد نظم ابن حزم المسائل التي تنازع فيها مع مخالفيه في أبيات شعرية، ذكرها إحسان عباس في كتابه **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، ص 282. حيث يقول: (من البحر الطويل)

قَـالُوا: تَحَفَّظْ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرَتْ أَقْوَالُهُمْ، وَأَقَاوِيلُ الْعِدَا مِحَـنُ

فَقُلْتُ: هَلْ عَيْبُهُمْ لِي غَيْرَ أَنِّيَ لَا أَقُولُ بِالرَّأْيِ إِذْ فِي رَأْيِهِمْ فِتَنُ

وَأَنَّنِـي مُولَـعٌ بِالنَّـصِّ لَسْـتُ إِلَى سِـوَاهُ أَنْحُو وَلَا فِي نَصْرِهِ أَهِنُ

لَا أَنْثَـنِي نَحْوَ آرَاءٍ يُقَالُ بِهَا فِي الدِّينِ، بَلْ حَسْبِيَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَنُ

وقد كانت له مناظرات كثيرة وخصومات مع فقهاء عصره ذكرتها المدونات الأندلسية، ولعل أشهرهم مع أبي الوليد الباجي[1]، الذي يقول عنه القاضي عياض: "... فلما ورد ابن الوليد الأندلس وعنده من الإتقان والتحقيق والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصله في رحلته، أمله الناس لذلك، فجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه من ميورقة، وقد كان رأس أهلها، ثم لم يزل أمره في سفال، فيما بعد"[2]؛ واستمر نشاط المذهب الظاهري بشكل خافت إلى أن جاءت دولة الموحدين، التي اعتمدته نكاية في المرابطين، وزاد ترسخه حينها عندما أحرقت كتب الفروع، ونبذت الاشتغال بالرأي، فلقي الاحترام والتقدير من السلطات الرسمية.

قد نتساءل عن بقية المذاهب الأخرى كالحنفي والحنبلي والشافعي التي انتشرت في المشرق أو المغرب، ألم يكن لها حظ في بلاد الأندلس؟ وللإجابة عن هذا فإن ما توفر لدينا من مصادر لم تذكرها إلا بالقدر اليسير الذي لا يرقى إلى أن يشكل كيانا مذهبيا مؤطرا له هويته الواضحة في الحياة الفكرية للأندلسيين، وإنّ كل ما لدينا لا يخرج عمّا ذكره القاضي عياض؛ إذ يقول: " وأدخل بها -أي الأندلس- قوم من الرحالين والغرباء شيئا من مذهب الشافعي وأبي حنيفة واحمد وداود، فلم يمكنوا من نشره فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم إلا من تدين به في نفسه ممن لا يؤبه لقوله، على ذلك مضى أمر الأندلس إلى وقتنا هذا"[3].

---

[1]- أبو الوليد الباجي: سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب بن وارث الباجي الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، أبو الوليد، الأندلسي، القرطبي، الذهبي، أخذ عن يونس بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، وغيرهم؛ وحدث عنه أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم، وأبو بكر الخطيب، وغيرهم، وكان فقيهاً نظّاراً محققاً راوية محدثاً، يفهم صيغة الحديث ورجاله، متكلماً أصولياً فصيحاً شاعراً مطبوعاً، حسن التأليف، متقن المعارف؛ من تآليفه المنتقى في شرح الموطأ عشرين مجلدا؛ وكانت وفاته بالمرية، جاء إليها سفيراً بين رؤساء الأندلس يؤلفهم على نصرة الإسلام، ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملوك المغرب المرابطين سنة 474هـ/1081م. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج8، ص ص 118-127. ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 197-199. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص 408-409. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص ص 55-59. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 125.

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج8، ص 128.

[3]- نفسه، ج1، ص 27.

في نهاية هذا الفصل يتضح لنا أن الأوضاع السياسية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين في الأندلس المنقسمة بين أمرائها، وبلاد المغرب الأوسط المنهكة بالصراعات، قد رمت بضلالها على الحياة الفكرية والمذهبية، ويمكن حينئذ أن نلحظ التشابه الكبير بين المنطقتين من خلال ملامح بارزة كسوء الأوضاع الداخلية وعدم استقرارها، وتلاشي روح الوحدة المذهبية بين عناصر المجتمع، والانقسامات الشديدة على أسس دينية وعرقية، خاصة بين البربر والعرب؛ إضافة إلى التدخلات الخارجية إذا اعتبرنا الفاطميين الذين غادروا المغرب واستقروا في مصر، ودورهم في إذكاء الحروب وإبقائهم على تبعية المغرب للبلاط الجديد.

كما سجلنا التشابه الكبير في النسيج المذهبي الذي طبع العدوتين، مع بعض الاختلافات في طبيعة المذاهب والعقائد المنتشرة في كل بلاد، فمنطقة المغرب الأوسط كانت أكثر ديناميكية مذهبية في تعدد الفرق التي وفدت من المشرق، وسادت بقوة السيف أو الدعوة، وما إن تنهض واحدة حتى تختفي أخرى، رغم الاستقرار النهائي على المذهب المالكي خلال القرن 5هـ/11م الذي كانت ضريبته قاسية على العباد والبلاد، بينما في الأندلس فقد توحدت مرجعيتها هي الأخرى -بشكل لافت- تحت المظلة السنية المالكية، وذلك نتيجة لعوامل داخلية عديدة.

الفصل الأول: نشأة الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي وتطورها خلال القرون (2-5هـ/8-11م)

المبحث الأول: الكتابة التاريخية دلالات المصطلح وأبعاده

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي

المبحث الثالث: محطات الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب

تمهيد

تعتبر الكتابة التاريخية إحدى مظاهر الحضارة الإنسانية في شقها الثقافي، فبواسطتها استطاع الإنسان منذ العصور القديمة أن يخلّد بها تاريخه على وجه البسيطة، ومن خلالها أيضا حافظت الشعوب والأمم على ذاكرتها من الضياع أو النسيان، ولأنها فعل إنساني يعبر عن وعي داخلي، فلا يمكن أن تكون حكرا على أحد أو مجتمع دون آخر؛ بل هي إنتاج يتسم بالتطور والاستمرار عبر الزمان والمكان.

لقد عرف المسلمون التدوين التاريخي عبر مراحل مختلفة، تمكنوا حينها من تطوير مناهجه وأساليبه مع تنوع مواضيعه سواء في المشرق أو المغرب، متماشيين مع دوافعهم وأهدافهم؛ فإذا كانت بلاد المشرق الإسلامي قد شهدت نبوغ المدارس التاريخية كمدرسة المدينة ومدارس العراق، فإن بلاد الغرب الإسلامي هي الأخرى كان لها نصيب من هذا الزخم المعرفي؛ ومن هنا تأتي أهمية دراسة الإسطوغرافيا المغاربية من خلال تتبع بداياتها الأولى ومراحل تطورها.

المبحث الأول: الكتابة التاريخية دلالات المصطلح وأبعاده

يرى الكثير أن علاقتنا بالتراث الإسلامي العربي هي كعلاقة الابن بأبيه، إذ يقول الجابري: "إن التراث أصبح بالنسبة لوعي الفرد العربي المسلم بمثابة حضور الأب في الابن أو حضور السلف في الخلف وحضور الماضي في الحاضر"[1]؛ وهو بذلك يشكل دورا أساسيا في حياتنا، ويعبر عن حاجاتنا الوجدانية والفكرية بمنتهى الصراحة، حيث يرى الجابري؛ أن التراث أصبح يقوم بأكثر من دور في حياة المجتمع الفكرية فهو الرجوع إلى الأصول، وفي الوقت نفسه صورة من صور الدفاع عن الذات، وبالتالي فهو إطار نقدي من أجل التجاوز[2].

وعليه، فإن البحث في قضايا التاريخ ينطلق أساسا من خلفية ثقافية راسخة لا جدال فيها؛ ومن هذا المنطلق، فإن تناول مسألة الكتابة التاريخية وصلتها بسيرورة الحياة الفكرية في الغرب الإسلامي يقتضي الوقوف عند دلالات هذا المصطلح واستجلاء أبعاده؛ فما المقصود بالكتابة التاريخية؟

---

[1]- محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة –دراسات ومناقشات–**، مركز دراسات الوحدة العربية، د.ط، بيروت، لبنان، 1991، ص 24.

[2]- نفسه، ص 25.

الكتابة لغة:

عرف القلقشندي الكتابة بأنها لغة: مصدر كتب يكتب كتبا وكتابًا وكتابةً ومكتبةً وكتبةً، فهو كاتب، ومعناها الجمع؛ يقال: تكتبت القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل: كتيبة، ومن ثم سمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، كما سمي خرز القربة كتابة لضم بعض الخرز إلى بعض، وقال ابن الأعرابي: وقد تطلق الكتابة على العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ أي: يعلمون[1].

الكتابة اصطلاحًا:

إن مفهوم الكتابة له تعريفات كثيرة، إلا أن تعريف ابن خلدون أشمل وأدق؛ إذ يقول: "... وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة؛ إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان، فهي تطلع على ما في الضمائر"[2]؛ لهذا فهي ترتبط بالوجود الإنساني نظرا لما تقدمه من خدمات جليلة، حيث يرى ابن خلدون أنها "... تتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم؛ فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع، وخروجُها من الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم"[3].

وفي السياق ذاته، يعبّر عن فوائدها؛ فيقول: "وأمّا الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الإنسان حاجته ومقيّدة لها عن النّسيان ومبلغة ضمائر النّفس إلى البعيد الغائب، ومخلّدة نتائج الأفكار والعلوم في الصّحف ورافعة رتب الوجود للمعاني"[4].

---

[1]- القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري (ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1، ص 81. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت بعد 666هـ/1268م)، **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط5، 1999، ص 266.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 425.

[3]- نفسه.

[4]- نفسه، ص 508-509.

لقد جاءت الكتابة ومشتقاتها في القرآن الكريم والسنة النبوية لتدل على عدة معان؛ فالأصل في الكتابة النظم بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضه إلى بعض باللفظ، ويطلق كل منهما على الآخر، ولذا سمي كلام الله وان لم يكتب كتابا[1].

وحتى تكون الكتابة سليمة سواء كلاما منثورا أو شعرا، فلابد أن تتوفر فيها شروطا ذكرها ابن الأثير في جامعه الكبير حين قال: "اعلم أن صناعة تأليف الكلام، من المنثور والمنظوم، تحتاج إلى أسباب كثيرة، وآلات جمة، وذلك بعد أن يركب الله تعالى في الإنسان الطبع القابل لذلك، المجيب إليه، فإنه متى لم يكن ثم طبع لم تفد تلك الآلات شيئاً البتة"[2]، ويرى أدونيس أن الكتابة مهنة تدوينا أو نقلا أو تصنيفا، وهي جمعا لأن الكلام غير المكتوب يظل مبعثرا، وهي إنشاء لأنها اختراع على غير مثال[3].

الكتابة هي عملية معقدة في ذاتها كفاءة أو قدرة على تصور الأفكار، وتصويرها في حروف وكلمات وتراكيب صحيحة نحوا، وفي أساليب متنوعة المدى والعمق والطلاقة، مع عرض تلك الأفكار في وضوح، ومعالجتها في تتابع وتتدفق، ثم تنقيح الأفكار والتراكيب التي تعرضها بشكل يدعو إلى مزيد من الضبط والتفكير؛ فالكتابة هي إحدى مهارات اللغة العربية، وهي عملية عقلية يقوم الكاتب فيها بتوليد الأفكار وصياغتها وتنظيمها، ثم وضعها بالصورة النهائية على الورق[4].

إن التاريخ كممارسة علمية، فإنه قلّما خُصِّصت له مؤلفات مستقلة أو رسائل متخصصة تعالج قضاياه من زاوية نظرية، سواء فيما يتعلق بالأصول أو الموضوع أو المنهج؛ وبعبارة أخرى، قلّما يجد الباحث في مجال الكتابة التاريخية العربية نصوصا تتناول التاريخ باعتباره تنظيرا علميّا، لا مجرد جمع

---

[1]- أحمد بن محمد حميد، **كتابة الحديث بين النهي والإذن**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، د.ت، ص 9.

[2]- ابن الأثير: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، (ت637هـ/1239م)، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1955، ص6.

[3]- ادونيس، **الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب**، دار الساقي، بيروت، ط8، 2002، ج4، ص 20، ص 24-25.

4- حسني عبد الباري، **الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2000، ص 248. نقلا عن موقع الألوكة:https://www.alukah.net/literature_language/0/101098/، 2025/08/18، 22:00.

للوقائع؛ وهذا ما يكشف عن وجود قصور نظري في مستوى التأصيل المنهجي لعلم التاريخ، مقارنة بالوفرة الكبيرة في إنتاج النصوص التي انصبت أساسا على جمع المادة التاريخية[1].

وعليه، فإن كلمة **التاريخ** لها خمس معانٍ عند العرب؛ هي[2]:

1- سير الزمن والأحداث أي التطور التاريخي، وتقابل كلمة The Historyof

2- تاريخ الرجال أو ما يقابل The Biography

3- عملية التدوين التاريخي أو التأريخ، ووصف التطور وتحليله، وهي التي تقابل كلمة Historiography

4- علم التاريخ والمعرفة به، وكتب التاريخ وما فيها، وهو ما يقابل كلمة The History المفردة.

5- تحديد زمن الواقعة أو الحادثة باليوم والشهر والسنة.

والذي يهمّنا من بين هذه المعاني، ويتناسب مع موضوع دراستنا هو التعريف الثالث، أي عملية التدوين والكتابة (Historiography)، بوصفها تأريخًا للأحداث والوقائع، وتمثّل في جوهرها التعبير العلمي أو الأدبي عن المعرفة التاريخية؛ فهي تجيب عن سؤال جوهري: كيف صاغ المؤرخ تلك المعرفة في نص مكتوب؟ وترتبط الكتابة التاريخية بالمنهج الذي يعتمده المؤرخ في معالجة الأحداث، من حيث عرضها وتحليلها وتفسيرها وترتيبها، فضلًا عن الأسلوب الذي جاءت به؛ وهي في المحصلة عملية فكرية تعكس رؤية المؤرخ وثقافته ومرجعياته.

ويرى البعض من زاوية ضيقة؛ أن الكتابة التاريخية تقوم على جملة من القضايا الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها، وهي التي تشكّل مضمون الوحدات التاريخية التي تتناولها المدونات؛ فالملك وما يرتبط به من وزارة وحجابة، والحروب وما يتبعها من دماء ودولة ونسب وفتوح وصراعات، كلها تدخل

[1]- مصطفى بلبولة، **الكتابة التاريخية العربية من النقل إلى النقد**، من كتاب: التاريخ والديانة رؤية منهجية لخدمة التاريخ، تقديم: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي، تلمسان، الجزائر، 2020، ص 54.

[2]- شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص 50-51.

في إطار الكتابة التاريخية؛ وعليه، فليس كل ما يقع في مجرى الأحداث يصلح أن يكون مادة للتاريخ، إذ ليس كل ما يحدث يُعدّ بالضرورة حدثا تاريخيًّا[1].

ويُظهر هذا المفهوم نوعا من الإقصاء لتاريخ بعض الظواهر أو الفئات الاجتماعية التي عاشت على الهامش، وهو ما يُعرف بالتاريخ الهامشي أو بالتاريخ من الأسفل.

تأتي كتابة التاريخ حسب المفهوم المعاصر ضمن الكتابات العلمية غير الأدبية، التي تهتم بالحقائق والمعلومات العلمية التي يتلقاها القارئ بشكل سليم، ومن أجل ذلك فهي لا تلقي بالا إلى الإطار اللفظي والتعبيري، ولا تكترث بمجال الإخراج، لهذا لا تهتم بالبديع والمجاز والتشبيه ولا بطرائف المبالغات والتهاويل إذا استثنينا منها كتب التراجم والأعلام[2]؛ وهذا الرأي، قد لا يصح إطلاقه على الكتابة التاريخية في القرون الوسطى، وذلك عندما ارتبطت بدايات التدوين التاريخي بعلوم الشريعة أو بالأدب، ولعل الناظر في كتابات ابن حيان أو ابن خلدون فيما بعد سيجد الأسلوب الأدبي البليغ والتعبير الإنشائي الواضح، وكل هذا يرجع إلى ثقافة وتكوين مؤرخ ذلك العصر.

المبحث الثاني- عوامل ازدهار الكتابة التاريخية في بلاد الغرب الإسلامي:

1- الخلفية النفسية والدينية عند المسلمين:

ارتبط الإنسان المسلم بدينه الذي يعتز به، وقد حثّ الإسلام على طلب العلم ونيل المعرفة والحكمة، فكان علم التاريخ عند العرب والمسلمين جزءا لا يتجزأ من التزامهم بتعاليم الإسلام وحرصهم على فهم سنن الله في الخلق؛ ولهذا نجد أن الشريعة الإسلامية قد تناولت الفكر التاريخي في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، حيث دعَت إلى التأمل في أحوال الأمم السابقة وأخذ العبرة من مصيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[3]، وقوله أيضًا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِنْ

[1]- عزيز العظمة، **الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية –مقدمة في أصول صناعة التأريخ العربي–**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1995، ص 69.

2- محمد رزق سليم، **الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث**، دار الكتاب العربي، مصر، 1957، ص 57-58.

[3]- سورة الروم، الآية 42.

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]؛ ومن هنا يُعدّ القرآن الكريم مصدرا تاريخيا موثوقا لما يتضمنه من قصص صادقة تهدف إلى العظة والتوجيه، وهذا ما يجعلنا نفهم كيف فتحت المعرفة الدينية أبوابها أمام التاريخ ليدخل منها، ويبحث في تفاصيل القصص القرآني[2].

أما السنة النبوية، فقد نقلت إلينا الكثير من الأخبار والأحداث التاريخية، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحدّث أصحابه عن سير الأنبياء والمرسلين، ويشرح ما ورد في القرآن من قصصهم، فيفصل المجمل ويبين المبهم؛ ومن الأحاديث ذات البُعد التاريخي ما رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ)[3]، حيث يُفهم من هذا النص الشرعي خيرية القرون الثلاثة الأولى، مما يعكس اهتمام السنة بالتأريخ للعصور الفاضلة والاستفادة منها.

كما جاءت نصوص حول الخلافة والحكم، فقد روى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه الله، قال :كنا جلوساً في المسجد فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمراء، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت، قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه. فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين – يعني عمر– بعد الملك العاض والجبرية، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فَسُرَّ به وأعجبه[4]، والنصوص في هذا

---

[1]– سورة يوسف، الآية 111.

[2]– شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 60.

[3]– البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت256هـ/870م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، ج3، رقم الحديث 2652، ص 171.

[4]– أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ/855م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج30، ص 355.

الباب كثيرة جدا؛ منها ما تصُب في مواضيع التاريخ السياسي للخلافة الإسلامية خاصة في صدر الإسلام.

إذا تأملنا في التراث الإسلامي، نجد أن علم التاريخ قد حظي بمكانة رفيعة لدى كبار العلماء والفقهاء، فقد كان يُنظر إليه بوصفه علما مساعدا لفهم الشريعة وتوسيع المدارك؛ فقد روي عن الإمام الشافعي، كما نقله السّلاوي عن بدر الدين القرافي، أنه قال ما معناه: "أمضيت سنوات طويلة في قراءة علم التاريخ، وما فعلت ذلك إلا لأستعين به على الفقه"[1]؛ وهذا يدل على عمق الارتباط بين المعرفة التاريخية والعلوم الشرعية في نشأتها الأولى، لا سيما الحديث النبوي الشريف، الذي شكّل مصدرا أساسيا للوقائع والأحداث.

ولذلك كان أغلب المؤرخين الأوائل من العلماء والمحدّثين، وكان التاريخ عندهم امتدادا طبيعيا للعلوم الإسلامية؛ وقد انتقلت هذه الروح العلمية إلى المؤرخين المغاربة، الذين تأثروا بالثقافة المشرقية وساهموا بجهد وافر في التدوين التاريخي، حيث برعوا في التأليف وتنوعت أعمالهم لتشمل مختلف المجالات؛ ومن أبرز هؤلاء عبد الملك بن حبيب، الذي كان فقيها ومؤرخا، وكذلك ابن حزم، وابن عبد البر، والوارجلاني، والخشني، وغيرهم من الأعلام الذين جمعوا بين الفقه والتاريخ.

وقد استمر هذا التداخل بين العلوم إلى أن بدأ علم التاريخ ينفصل تدريجيا عن العلوم الشرعية، بعد قرون من التفاعل، ليتطور لاحقا ويكتسب استقلاليته، وتتسع مجالاته وتخصصاته، حتى غدا علما قائما بذاته، له مناهجه ومجالاته المتعددة.

2- تشجيع الخلفاء والأمراء وتنافسهم:

لقد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ويجمعونهم من الأقطار ويغدقون عليهم العطايا والهبات مما كان له الأثر المحمود في إقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف[2]. وهذه الحالة جديرة بخلق البيئة الثقافية التي ازدهرت فيها الكتابة التاريخية، ومن أشهر خلفاء الأندلس في

[1]- السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 59.

[2]- جودة هلال ومحمد محمود صبح، **قرطبة في التاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص78.

هذا؛ الحَكَم الثاني الذي لم يكن هناك من أحد يجاريه في إلمامه بالتاريخ الأدبي حتى لقد كان أغلب علماء الأندلس يعدون تعليقاته مرجعا[1].

وكان من اهتمامه أنه أنشأ عدة مكاتب، فكان يرسل وكلاءه إلى المشرق يستنسخون الكتب، فما هو إلا أن يؤلف المؤلف تصنيفه حتى تستنسخ منه نسخ أو نسخة لتحمل إلى خليفة الأندلس ولا يفوت بلاده شيء من حركة العقول، وكانت دار كتبه تحتوي على أربعمائة ألف مجلد جاء فهرسها في أربعة وأربعين مجلدا[2]؛ كانت هذه المكتبة تفوق في عظمتها مكتبات القاهرة وبغداد والإسكندرية، وبلغ من حرصه في اقتنائه للكتاب أنه كان يعمل جهده في أن يظهر الكتاب الحديث في مكتبة قرطبة قبل أن يظهر في موطن مؤلفه[3]؛ ولقد ترامى إلى مسامعه أن أبا فرج الأصفهاني ألف كتابه "الأغاني" فبعث إليه سفيرا من سفرائه يحمل ألفا من الذهب الخالص ثمنا لهذا الكتاب[4].

وكان بعض الحكام يستقطبون النخبة الفكرية من المغرب ويقرّبونهم إلى بلاطاتهم، بل ويعطونهم مناصب رفيعة كالقضاء، ومثال ذلك ما حدث لابن الفرضي (ت403هـ/1012م) الذي تولى منصب القضاء في بلنسية[5]، وعريب بن سعد (ت369هـ/979م) الذي تولى مناصب إدارية في بلاط الناصر[6]، والخشني (ت371هـ/981م) الذي دخل في خدمة الحَكَم المستنصر ثم أوعز له بالكتابة التاريخية ككتابه "تاريخ قضاة قرطبة"[7].

لطالما أجزل ملوك الأندلس الصلات لبعض مؤلفي الشرق والأندلس حتى يذكروا في مقدمتها أنهم ألفوها برسم خزائنهم؛ ويُذكر في ترجمة المعيطي وابن المكوي أن الحكم الثاني كلفهما بتأليف الاستيعاب

---

[1]- دوزي، المرجع السابق، ص 67.

[2]- محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ج2، ص146.

[3]- جودة هلال ومحمد محمود صبح، المرجع السابق، ص 79.

[4]- جودة هلال، ص 80.

5- ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 105.

6- المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703 هـ/1303م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012، ج3، ص 118-119. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 227.

[7]- بالنثيا، المرجع السابق، ص 267.

فألفاه وأجازهما على ذلك جائزة سنوية[1]؛ وسارت الأندلس على هذه التقاليد الفكرية حتى في عهد ملوك الطوائف، الذي سجّل ظواهر متناقضة شدّت انتباه الكثير؛ وذلك حينما كان معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء والعلماء، وكانت قصورهم منتديات زاهرة ومجامع للعلوم والآداب والفنون، وأن يحفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكتاب والشعراء، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسي والفكر الإسلامي بصفة عامة[2].

فقد كان بنو عباد أكبر ملوك الطوائف قوة وجاها وملكا، ومن أعظم رواد النهضة الأدبية والفكرية، وقد امتازوا بالنبوغ في ميدان الشعر والأدب وبرز منهم المعتضد بن عباد وولده المعتمد، إضافة إلى هذا فقد كانوا يجمعون في قصورهم جمهرة من أكابر الشعراء والكتاب[3]؛ كما كان لملوك بني ذي النون بطليطلة وخاصة المأمون يحي بن ذي النون، فقد كان حريصا على جمع كتب العلوم القديمة معنيا بالنظر فيها؛ وكذلك كان بنو هود بسرقسطة، فقد امتاز بلاطهم بالاهتمام بالعلوم القديمة واستقطاب المشتغلين بها وتشجيعهم؛ وكان الأمير أحمد بن سليمان المقتدر يعقد مع هؤلاء العلماء مجالس عامرة بالمذاكرة والمناظرة في الفلسفة والفلك والحساب والهندسة والطب[4].

وفي المغرب الأوسط استطاع بنو رستم في فترة وجيزة أن يحولوا عاصمتهم إلى عاصمة فكرية كغيرها من العواصم كالقيروان وفاس، وقد اهتم الأئمة أنفسهم بدراسة الكتب العلمية، وقد روي أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم وردت عليه خزانة من الكتب من بلاد المشرق لمطالعتها. كما كان ابنه أفلح قبل توليه الإمامة يقوم بتعليم فنون العلم، وقد ألف في الفقه كتبا تعرف بجوابات الإمام أفلح[5]، وروي عنه أنه قال: "عليكم بدراسة كتب المسلمين لاسيما هذا الكتاب يعني كتاب أبي سفيان محبوب"[6].

---

[1]- محمد بن سالم مخلوف، المرجع السابق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ج2، ص 147

[2]- محمد عنان، المرجع السابق، ج2، ص 423.

[3]- محمد عنان، المرجع السابق، ج2، ص 425.

[4]- حسن الوراكلي، **ياقوتة الأندلس دراسات في التراث الأندلسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ب.ط، 1994، ص15-16.

[5]- مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 247.

[6]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 478.

كان لملوك وأمراء البلاد المغاربية حس تاريخي يركز عادة على جوانب معينة تختلف من حاكم إلى آخر، فمنهم من أسند مهمة كتابة تاريخ النظام القائم إلى شخص معين يتابع أحداثه، ومثال ذلك حرص الأمير الإدريسي أحمد بن إبراهيم، حفيد محمد بن إدريس على تكوينه التاريخي وضبطه للأنساب؛ كما نظم المعز بن باديس الزيري (ت454هـ/1062م) منظومة النفحات القدسية في تراجم مشائخ الصوفية، فساهم بذلك في الإنتاج التاريخي والصوفي معا[1].

والشواهد في المصادر التاريخية كثيرة جدا؛ وكلها تثبت أن الأمراء والحكام كانت لهم عناية خاصة بقضية التدوين التاريخي، ويرجع ذلك إلى تكوينهم العلمي وشخصيتهم الثقافية، فقد كان اغلب حكام الرستميين أئمة وفقهاء، كما برز إحساس بعض الخلفاء وحكام الدولة الإسلامية بالحاجة إلى الاطلاع على أخبار السابقين، وخاصة ملوك الأمم السابقة والاستفادة من أساليبهم في الإدارة وسياسة الرعية، وكذلك الحال بالنسبة لبعض حكام الأندلس الذين طغت عليهم النزعة العلمية.

3- الرحلات العلمية وانتقال الكتب (المؤثرات المشرقية):

لا شك أن الرحلة في طلب العلم تُعدّ مبدأً أصيلا في الثقافة العربية الإسلامية، وقد شكّلت دائما جزءا مهما من سير الأئمة والصالحين، لما لها من أهمية كبيرة في تحصيل العلم من مصادره الأصلية، وتبادل الخبرات والثقافات بين الحواضر الإسلامية، وقد حث العلماء على هذا النهج في كتبهم حول طلب العلم، وأُلفت فيه الرسائل والمؤلفات، ومن ذلك ما قيل للإمام أحمد بن حنبل: "رجل يطلب العلم يلزم رجلا عنده علم كثير، أو يرحل؟ قال: يرحل، يكتب عن علماء الأمصار، فيشافه الناس ويتعلم منهم"[2]؛ ولذلك فإن كتب التراجم والطبقات، لا تكاد تخلو من هاته العبارات "ورحل من الأندلس إلى المشرق في سنة كذا ... فحجّ وأخذ عن العلماء ...".

ذكر ابن خلدون كلاما نفيسا حول هذه المسألة ننقله بنصه؛ إذ يقول: "أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم والسّبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلّا أنّ

[1]- إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9/15م**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ج1، ص 247-248.

[2]- ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت852هـ/1448م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1959، ج1، ص 175.

حصول الملكات عن المباشرة والتّلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا؛ فعلى قدر كثرة الشّيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها... فلقاء أهل العلوم وتعدّد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرّد العلم عنها ويعلم أنّها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرّسوخ والاستحكام في المكان وتصحّح معارفه وتميّزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتّلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعدّدهم وتنوّعهم"[1].

وقد اختلفت أهداف الرحلة للمشرق، فمنها الرحلة الدينية وزيارة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة بغية أداء فريضة الحج، ومنها التجارية بهدف تصدير البضائع واستيرادها، ومنها الرحلة العلمية، وكان من بين الأعلام من جمع بين هذه الأهداف كلها[2].

لقد كان الطلاب المغاربة أول ما يمرون بمصر؛ فيأخذون من علمائها أمثال أشهب وابن القاسم والإمام الشافعي ثم يؤمون الحجاج لأداء فريضة الحج والسماع من علماء المدينة الكثيرين أمثال: مالك بن أنس وسفيان الثوري وشيوخهما وتلاميذهما؛ فلذلك مال أهل المغرب إلى المذهب المالكي واختصوا به[3]، ولعل منطقة المغرب الأوسط عرفت خروج عدد كبير منها إلى المشرق أو الأندلس، ومن هؤلاء يوسف الفتاح الذي تعلم بتاهرت وانتقل إلى القيروان ليعلم إباضيتها[4]، ورحل الأديب بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزياتي التاهرتي إلى البصرة، والتقى بكبار الأدباء والشعراء هناك، ثم رحل إلى بلاط الخليفة المعتصم العباسي، وأخيرا عاد إلى القيروان ثم تاهرت حاملا معه المؤثرات المشرقية[5].

نشطت حركة الرحلات العلمية بالأندلس، فقد كانت قرطبة وطيدة الصلة بالمشرق في المجالين الثقافي والعلمي، ومن يتصفح كتب التواريخ والتراجم الأندلسية يجدها مفعمة بالرحلات إلى بيت الله الحرام ثم مقابلة الشيوخ الفضلاء والعلماء الأذكياء؛ ولم تكن الحواجز السياسية أو الحدود الجغرافية لتقف حجرة عثرة دون أماني هؤلاء الأندلسيين الراغبين في المعرفة الطامحين إلى علم غيرهم من المشارقة، ولم تمنع

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 744.

[2]- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، **علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002، ص 37.

[3]- محمد منير مرسي، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب، د.ط، 2005، ص 33.

[4]- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 383.

[5]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 197.

التقاليد السياسية تدفق العلماء الشرقيين إلى الأندلس يحملون التراث العربي، ومن بينهم أبو علي البغدادي الفقيه الأديب في زمن الناصر[1].

ولأهمية موضوع الرحلة؛ فقد عقد صاحب نفح الطيب بابا في موسوعته للتعريف ببعض من رحل من الأندلسيين، وأحصى منهم أكثر من 150 عَلما، وذكر في مقدمتة: "أنّ حصر أهل الارتحال، لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام، لطال الكتاب وكثر الكلام، ولكنّا نذكر منهم لمعا"[2].

ونفس الأمر بالنسبة للعدوة المغربية؛ فقد كان الإباضية يقتنون الكتب النفيسة من جميع مدن المغرب أو المشرق، ومثال ذلك ما ذكره الدرجيني من أن أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي -أحد شيوخ الإباضية- سافر إلى قلعة بني حماد بمجرد أن بلغه بأن تفسير القرآن للإمام عبد الرحمان بن رستم ينادى عليه بالبيع في سوق القلعة، حتى سافر إليه وجعل يسأل عنه فقيل له أنه قد بيع قبل قدومك، فتأسف لذلك واشترى كتبا أخرى ثم أرسلها إلى وارجلان[3].

كل هذه الشواهد وغيرها تؤكد أن الكتابة التاريخية لم تكن لتظهر أو تتطور في مواضيعها وأساليبها في ظل غياب الرحلة، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أدت إلى انتقال الكتب والمدونات المشرقية إلى منطقة الغرب الإسلامي، فقد نقل العلماء والفقهاء العائدون إلى الأندلس عددا معتبرا من الكتب في مجالات متنوعة، سواء ما كان منها مرويا أو منقولا، ونذكر من ذلك ما وفد إلى الأندلس من كتب التاريخ العام كتاب التاريخ لخليفة بن خياط العصفري، وكان بقي بن مخلد أول من أدخله[4]، وأيضا كتاب التاريخ لأبي بكر بن أبي خثيمة رواه قاسم بن أصبغ في ثلاثين جزءا[5]، ويعتبر قاسم بن اصبغ من رجال جيل فريد من علماء الأندلس نقلها من دور النقل والتبعية إلى دور الإبداع واستقلال الشخصية[6].

---

[1]- جودة هلال ومحمد محمود صبح، المرجع السابق، ص78.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج2، ص 5.

[3]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 471-472. الشماخي، المصدر السابق، ص 438.

[4]- ابن خير: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (ت 575هـ/1179م)، **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، تح: محمد فؤاد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ص 197.

[5]- ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص 174-175.

[6]- حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، مكتبة مدبولي، ط2، 1986، ص 30.

وأما كتب السيرة فهي كثيرة؛ وقد حظيت باهتمام كبير من قبل الأندلسيين؛ منها: مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم لموسى بن عقبة رواها قاسم بن أصبغ، وكتاب السير لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري رواها محمد بن وضاح بن بزيع القرطبي[1]؛ وهكذا وفدت إلى المغرب والأندلس المؤلفات المتنوعة مما مكّن للأندلسيين من الاطلاع عليها، وساهمت بدورها في إنعاش حركة التأليف التاريخي بالمنطقة.

ومن لطائف ما يُنقل عن أهل الأندلس وشغفهم الكبير بكل ما يأتي من المشرق، ورغبتهم الشديدة في سماع الأخبار وتلقي علوم تلك الأمصار البعيدة، أن التّجار الذين خرجوا من أجل التجارة، إذا عادوا إلى الأندلس تحلق الطلاب حولهم طلبا للعلم، فهذا مسعود بن خيران (ت371هـ/981م) وهو تاجر خرج إلى المشرق، ولم يكن من أهل العلم وعند عودته إلى الأندلس أقبل عليه الناس للسماع منه[2]؛ فالتجار وان جلبوا هاته الكتب فإنهم لا يستهدفون في رحلاتهم طلب العلم، بل طلبا للربح أو ليهدوها إلى النخبة المتعلمة مثل ما فعل أبو بكر الدينوري (ت349هـ/960م)[3].

4- أدوات وتقنيات الكتابة (الوراقة والنسخ والترجمة):

عرف العرب الورق عن طريق اتصالهم بالصينيين، الذين كانوا قد اكتشفوه بنهاية القرن الأول الميلادي، وبعد الفتح العربي لآسيا الوسطى انتشر استخدام الورق في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد أسهم في إنتاج الكتاب العربي، فنشطت صناعة الورق لسد حاجات التأليف والعلماء وطلاب العلم، وتعدد مراكز صناعة الورق فقد كان في الأندلس مصانع غرناطة وبلنسية وطليطلة يصنع فيها أجود أنواع الورق[4]، ويذكر أن أول من أدخل الورق الذي يسمى (الكاغد) إلى بغداد هو الفضل بن يحي البرمكي سنة 178هـ/794م[5].

---

[1]- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ج1، ص 198. ص 203.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج3، ص 131.

[3]- نفسه، ج1، ص 76. خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص 152.

[4]- حامد الشافعي دياب، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998، ص 31.

[5]- رشيد الطيف إبراهيم الحشماوي، **التدوين التاريخي (من سنة1هـ إلى 400هـ)**، دار صفحات، دمشق، ط1، 2016، ص 20.

كما أن صناعة الورق وانتشار استعماله وانخفاض سعره بالنسبة لورق البردي أو الرق، جعلا ثمن الكتب رخيصا والحصول عليها ممكنا حتى من أشد طبقات المجتمع فقرا. وفي الوقت نفسه، وجدت مهنة الوراقة مجالا عريضا للانتشار والازدهار[1]؛ يقول ابن خلدون في شأن الوراقة ما نصّه: "... ثمّ طما بحر التّآليف والتّدوين، وكثر ترسيل السّلطان وصكوكه وضاق الرّقّ عن ذلك. فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السّلطان وصكوكه، واتّخذه النّاس من بعده صحفا لمكتوباتهم السّلطانيّة والعلميّة. وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت"[2].

واشتهر الكثير من الناس بالكتابة على الورق، وحضي بعضهم بعناية السلطة الحاكمة، فهذا عباس بن عمرو بن هارون الكناني (379هـ/989م) لُقّب بالورّاق، وقد تقرب من ولي العهد الحكم بن عبد الرحمان، فوسع له في الورق وصار من جملة الوراقين[3]؛ ولم تكن هذه المهنة حكرا على الرجال فقط، بل أبدعت فيها النساء أيضا؛ حيث تذكر المصادر أنه كان بالرَّبض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[4].

لم يكن هؤلاء الخطاطون على مستوى واحد في الأداء، فقد انقسموا إلى ثلاث فئات؛ منهم فئة كبار الخطاطين ويعملون عند الخلفاء وعلية القوم؛ حيث رغد العيش وعملهم ثابت يأخذون عليه أجرا، وفئة الخطاطين العاديين الذين توظفهم المكتبات ولهم أجرة ثابتة أيضا، وهناك الفئة الثالثة وهم المؤقّتون الذين يعملون بصفة مؤقتة فقط[5].

وقد اجتهد المستشرق الاسباني ريبيرا لإعطاء رقم تقريبي حول عدد الكتب التي كانت تُطبع في قرطبة لوحدها خلال سنة واحدة ما بين 60-80 ألف كتاب[6]، ومما تذكره المصادر من تلك الشخصيات التي رفعت لواء الخط وأبدعت في الأدب وجمع الكتب؛ محمد بن يحي الغافقي من أهل قرطبة يعرف بابن الموصول ويكنى أبا الوليد، كان أديبا كاتبا جماعا لدفاتر العلم من لدن صباه منتقيا لكرائها، بصيرا

[1]- خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص 125.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 532.
[3]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 343.
[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 267.
[5]-حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص 61-62.
[6]- خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص 173.

بخيارها، عارفا بخطوطها، يحتكم إليه في ذلك، مؤثرا لها على كل لذة حتى اجتمع منها عنده مالم يجتمع مثله لأحد بالأندلس، وقد بيع كل ما حصّله في تركته بلغت قيمته مبلغا عظيما حتى قُومت الورقة الواحدة في بعضها بربع مثقال[1]؛ وهذا ما يدل على ازدهار حركة التأليف وارتباطها بأعلى مستوى في هرم السلطة الأندلسية آنذاك.

في المقابل لم تسعفني المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها في رصد مظاهر الوراقة بالمغرب الإسلامي، ولعلي استأنس بما جاء عند الباحث إبراهيم بحاز من أن جلب الكتب من المشرق واستنساخ البعض منها كان عملية رائجة في مغرب الرستميين، وأن ما تعرضت له مكتبة المعصومة كان سببا في اختفاء هذه الكتب[2].

وقد استخدم المسلمون في المشرق والأندلس لطباعة الكتب القوالب الخشبية في نهاية القرن 3هـ/9م[3]، وعرفت تطورا أكبر في الأندلس حيث ينقل الباحث قاسم السامرائي عن جاك ريسلر قوله: "وفي قرطبة، كان كاتب الخليفة عبد الرحمان يصدر الوثائق الرسمية في نسخ كثيرة، بمساعدة مطبعة بدائية ما زلنا نجهل كيف كانت تعمل"[4].

أما الترجمة؛ فقد كانت لها بصمتها في تنشيط حركة التأليف العلمي والتاريخي، وازدرت حركة الترجمة في الأندلس على عهد الخليفتين عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912-961م) وابنه الحكم المستنصر (350-355هـ/961-966م)، فقد كان لهما اهتمام كبير باستقدام العلماء، واقتناء الكتب، وتوجيه حركة التأليف والترجمة، وتشجيع القائمين عليها من علماء المسلمين والنصارى[5]؛ حيث تُرجمت أهم الكتب اللاتينية إلى العربية، وكان منها بعض كتب الطب، مثل ما حدث في عهد عبد الرحمان

---

[1]- ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، د.ط، 1995، ج1، ص 312.

[2]- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 289 وما بعدها.

[3]- قاسم السامرائي، **الطباعة العربية في أوروبا**، ضمن أعمال ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، 1996، ص 49.

[4]- نفسه، ص 50.

[5]- حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص 13.

الناصر، حينما أهداه إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع كتاب ديسقوريديس في الطب، وكان مكتوبا بالإغريقي، لكن تمت ترجمته إلى العربية بواسطة الراهب نيقولا الذي وضع نفسه في خدمة الخليفة[1].

ويذكر حسين مؤنس نقلا عن أحد المستشرقين أنه ربما يكون اسم كتاب هروشيش قد أضيف إلى اسم كتاب ديسقوريديس بسبب الخلط والاضطراب الذي أحاط بهذه الرواية، وربما يكون السبب كذلك أن ترجمة عربية لكتاب هروشيش ظهرت في الأندلس حوالي ذلك الوقت[2]، ويُذكر أن المؤرخ الوحيد الذي استفاد من ترجمة كتاب هروشيش هو ابن خلدون فقد نقل عنه كثيرا في العبر[3]، وقد أفادنا ابن خلدون بخصوص من قام بترجمة هذا الكتاب، حين قال: "وما نقله أيضا هروشيش مؤرّخ الروم في كتابه الذي ترجمه للحكم المستنصر من بني أمية قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ"[4].

إذن يُفهم من هذا أن ترجمة هذا الكتاب تمت بالتعاون والاشتراك بين قاضي النصارى الذي يُستبعد أن يكون مسلما مع قاسم بن اصبغ، حيث قام القاضي بنقل مضمون النص إلى صاحبه لمعرفته باللاتينية ثم تولى قاسم صياغة ذلك في قالب عربي[5]، والكتاب الأول "ديسقوريديس" موضوعه الحشائش الطبية، والثاني "هروشيش" حول تاريخ الروم وأخبار الملوك الأُول[6].

وكان لهذا الكتاب الأخير أهمية بالغة عند الأندلسيين بوصفه كتابا عاما في الجغرافية والتاريخ، قدّم معلومات عن وصف المنطقة وتاريخ عصورها القديمة، ولأهميته فقد أثّر في كتابات المؤرخين الجغرافيين، مثل أحمد الرازي، الذي كان أول من أدخل قاعدة التقديم للتاريخ بالجغرافية، ثم أخذها عنه معظم من جاء بعده من المؤرخين[7].

---

[1]- خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص 155. أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/1269م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 493-494.

[2]- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ص 36-37.

[3]- نفسه، ص 37.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 101.

[5]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 38.

[6]- حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص 19.

[7]- عبد الواحد ذنون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص57.حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 45.

في سياق كتب التاريخ، ذكر ابن حيان أن أسقف خيرونة "غوتمار الثاني" أملى بتكليف من الحكم الثاني تاريخاً بأخبار ملوك الفرنجة نُقل إلى العربية[1]، وأيضا تُرجم كتاب الأسقف إيسيدورو الإشبيلي المسمى بـ "الحوليات"؛ ويمكن أن نضيف كتاب "القروانة" للقديس خرونيمو أويرونم الترجمان، وهذا الكتاب نقله من اليونانية إلى اللاتينية عن يوسبيوس القيسراني وزاد فيه، فأصبح مرجعا للأحداث التاريخية القديمة[2].

اهتم الأندلسيون بمصنفات الترجمات القادمة من المشرق، والتي شملت نصوصا علمية في لغة أخرى غير اليونانية، هي اللاتينية، وكانت تدور حول معارف وعلوم متعددة، منها علم التنجيم، الذي عني الضبي بترجمة مصنف لاتيني فيه لم يهتد الدارسون إلى أصله[3]؛ وهذا الاهتمام بالمصنفات المترجمة ظهر أثره في الكتابات المتخصصة عند الأندلسيين؛ فهذا الوزير أبو المطّرف بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الكريم بن يحي بن وافد ابن مهند اللخمي قد عُني بقراءة كتب جالينوس وارسطوطاليس، وتمكن من علوم الأدوية، وألف كتابا جمع ما تضمنه كتاب ديسقوريديس وكتاب جالينوس في خمسمائة ورقة[4].

ومن لطيف ما يُذكر أن سعيد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد ربه كان طبيبا وشاعرا وله في الطب رجز جليل، وقد ظهر شغفه بالكتب الطبية في أبيات شعرية؛ يقول فيها[5]: (من البحر الكامل)

لَمَّـا عَدِمْتُ مُؤَنِسًـا وَجَلِيسَـا نَادَمْتُ بُقْرَاطًـا وَجَالِينُوسَـــا

وَجَعَلْتُ كُتْبَهُمَا شِفَاءَ تَفَرُّدِي وَهُمَا الشِّفَاءُ لِكُلِّ جُرْحٍ يُوسَى

وَوَجَدْتُ عِلْمَهُمَا إِذَا حَصَّلْتُهُ يُذْكِي وَيُحْيِي لِلْجُسُومِ نُفُوسَا

[1]- حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص 29-30.

[2]- نفسه، ص 50.

[3]- حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص 22-23.

[4]- أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت462هـ/1069م)، **طبقات الأمم**، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1912، ص 79.

[5]- نفسه، ص 83-84.

5- حرية الفكر والاعتقاد:

لقد حرص المسلمون الأوائل عندما فتحوا شبه الجزيرة الإيبيرية على ترك الناس ممن لم يعتنق الإسلام على ديانتهم، فظلوا على نصرانيتهم أو يهوديتهم، وكانت حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية مكفولة لهم، واستمر هذا الحال طوال الحكم الإسلامي على المنطقة[1] إلى درجة أنه بات من الصعب بمكان تمييز النصارى عن المسلمين في المظهر في قرطبة[2].

وقد كان لسياسة التسامح التي انتهجها الأمويون الأثر الإيجابي على واقع الحياة العلمية والفكرية؛ حيث أتيح لكافة أهل الذمة أن ينهلوا من علوم المسلمين ومعارفهم، مما سمح ببروز شخصيات برعت في التأليف والتصنيف في فنون علمية شتى، وهذا مُجرب مُشاهد؛ فلا يمكن أن يكون الإبداع والابتكار في ظل تقييد حرية التعبير والتفكير[3].

لم تستثن سياسة التسامح التي شاعت في الأندلس من تولى أهل الذمة للوظائف العامة، بما فيها العمل في قصر الخلافة نفسه، أينعت ثمارها باستثناء أيام الفتنة الأندلسية، ولم يهمل اليهود الدراسات العربية التي كتبوا بها مؤلفاتهم وأثرو بها مكتباتهم، ويرى مونك أن اليهودي يوسف بن إسماعيل وزير باديس بن حبوس أمير غرناطة كان من عشاق الكتب المشهورين في الأندلس[4].

وقد بلغ التحرر منتهاه في عصر ملوك الطوائف إلى درجة شيوع بعض المظاهر السلبية التي كانت إلى وقت قريب من الممنوعات، وأدى رفع القيود عنها إلى زيادة انتشارها، ومثال ذلك التساهل في الخمر، وحجاب المرأة، وذيوع العلاقات الغرامية بين الجنسين[5]، ويصف صاحب كتاب دولة الإسلام في الأندلس هذا الوضع؛ فيقول: "وكان هذا الانحلال الشامل يجتاح يومئذ سائر طبقات المجتمع

---

[1]- حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص 12.

[2]- مارغريتا لوبيز غوميز، **المستعربون: نَقَلَة الحضارة الإسلامية في الأندلس**، من كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ج1، ص 270.

[3]- أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص228.

[4]-خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص 169-170.

[5]- محمد عنان، المرجع السابق، ج2، ص 424.

الأندلسي"[1]، لكن الغريب أن النهضة الأدبية والعلمية التي عرفتها البلاد خلال هذه الفترة لم تتأثر سلبا بالواقع الأندلسي المريض.

في ظل هذا المناخ السائد في الأندلس، نمت وترعرعت مبادئ الكتابة التاريخية وبرز روادها، حيث كتب المؤرخون في مختلف المواضيع، ولم يمنعهم ذلك من إبداء آرائهم وتوجيه انتقاداتهم، حتى في وقت الاضطرابات السياسية، ولعلّ طبيعة التفكك وظهور الكيانات السياسية المتناحرة؛ قد شجعت بعضهم على تبني خطاب نقدي، إذ كان بإمكانهم ببساطة تغيير ولائهم السياسي من إمارة إلى أخرى[2]. وتُعبر هذه الظاهرة الأدبية عن استقواء النزعة النقدية خاصة بعد الفتنة الأندلسية، بسبب اضطراب المعايير في الحياة الاجتماعية والأدبية[3].

ولا تُعدَم الشواهد التاريخية التي تؤكد على هذا التوجّه؛ فقد عبّر أبو الوليد الباجي، وابن عبد البر، وابن حزم الظاهري، وابن حيان القرطبي، وعبد الله بن بلقين وغيرهم، عن مواقف سلبية اتجاه سياسات أمراء الطوائف، موجهين إليهم سهام النقد اللاذع، وكاد بعضهم أن يدفع حياته ثمنا لمواقفه تلك، رغم ما كان لهم من مكانة رفيعة لدى عدد من ملوك الطوائف[4]؛ ولعلي أذكر بعضا من هذه المواقف؛ فهذا ابن حيان لم يكن محابيا لكثير من الأمراء الأندلسيين والقرطبيين منهم، بل ربما كان قاسيا على بعض الشخصيات الأندلسية سياسية كانت أو علمية، وقد نال القرطبيون من لسانه ما لا يستطيع غيره قوله[5]. ومن جملة ما ذكر وهو يتحدث عن أيام الفتنة: "شدادا نكدات، صعابا مشئومات، كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة؛ لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف؛ ولا تم سرور، ولا فقد محذور؛ مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واشتعال الفتنة، واعتلاء المعصية، وظعن الأمن، وحلول المخافة"[6]؛ كما كان شديد النقد على أمراء الطوائف وعمّالهم، ويصفهم بأقبح الألقاب، حيث يروي ابن سعيد عنه في وصف إسماعيل بن ذي النون؛ قوله: "كان أول الثوار إيثارا لمفارقة الجماعة... لم يرغب في صنيعة ولا

[1]- محمد عنان، المرجع السابق، ج2، ص 424.

[2]- أمحمد بن عبود،، المرجع السابق، ص230.

[3]- إحسان، عباس، المرجع السابق، ص 141.

[4]- نفسه، ص 232.

[5]- عبد السلام الهراس، **مأساة الأندلس في رأي ابن حيّان**، مجلة المناهل، ع29، س1984، ص 446-447.

[6]- ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 36.

سارع إلى حسنة فما أعملت إليه مطية ولا استخرج من يده درهم في حق ولا باطل، ومنه تفجر ينبوع الفتن وكان ينال من السلف الصالح"[1].

أما ابن عبد البر، فهو الآخر لم يدّخر جهدا في إظهار معارضته وسخطه على الأوضاع السياسية؛ ويتجلى ذلك في قوله: "وانقطع ملك بني أمية بعد الأربعمائة بأعوام يسيرة، فصار كل من غلب على موضع ملكه واستعبد أهله، وكثر فيها الأمراء، فضعفوا وصاروا خولا للنصارى، يؤدّون إليهم أضعاف ما كانوا يأخذون منهم اليوم"[2]؛ ويستمر هذا الخطاب؛ وبنبرة يعلوها الحزن والأسى ذهب ابن حزم ينكر على ملوك الطوائف؛ ويشنع عليهم؛ فيقول: "فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم.... وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه"[3]، وكان في حالة إحباط شديدة من زوال ملك بني أمية وافتراق أمرهم بالأندلس، حيث عبر عنه حين قال: "وما انتفعت بعيش ولا فارقني الإطراق والانغلاق مذ ذقت طعم فراق الأحبة، ...، وإني لقتيل الهموم في عداد الأحياء، ودفين الأسى بين أهل الدنيا"[4].

وفي المقابل؛ برزت فئة من النخبة والمثقفين سعت إلى استغلال الوضع المضطرب لصالحها، حيث وجدت في حالة التنافس بين الإمارات فرصة سانحة لتحقيق مكاسب شخصية، فأصبح بإمكانهم اختيار الدولة التي يستطيع أن يحصل منها على أكبر درجة ممكنة الدخل الامتيازات[5].

قد لا يختلف الوضع كثيرا في بلاد المغرب الإسلامي؛ التي عرفت نوعا من الحرية الدينية عند بعض الأنظمة السياسية التي حكمت هذا القطر؛ وينطلق البحث من القول بأن وجود أهل الذمة في المنطقة حقيقة روتها الإسطوغرافيا الوسيطية، وان كان بشكل محتشم ومتواضع، فبالنسبة للدولة الرستمية فإن المصادر التي بين أيدينا لا تذكر صراحة وجود أهل الذمة إلا في مواضع قليلة، حيث تشير إلى وجود بعض الكنائس، وأن الدولة ضمنت لهم حرية التعبير، فكانوا يطرحون قضاياهم ومشاكلهم، مما يوحي

---

[1]- ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص 12.

[2]- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ/1071م)، **القصد والأمم في التعريف بأصول انساب العرب والعجم**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1931، ص 35.

[3]- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ط1987،2، ج2، ص 19.

[4]- ابن حزم، **طوق الحمامة**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص 125.

[5]- أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص231.

بأنهم كانوا يتمتعون بكامل المواطنة[1]؛ وقد لعبوا دورا هاما في الحياة العلمية والسياسية؛ بل وتقلد بعضهم مناصب رفيعة في الدولة، إذا المعروف أن الفاطميين استجلبوا كثيرا من الصقالبة الذين ما لبثوا أن عُتقوا وصاروا في مناصب عليا؛ منهم جوهر الصقلي، وجوذر، وقيصر، وسرور[2]؛ وقدموا عطاء علميا أثرَوا به الساحة العلمية والفكرية، كيعقوب بن كلس اليهودي الذي تنسب إليه الرسالة المذهبية[3]، ويذكر صاحب رياض النفوس أن الفقيه سحنون كان يراسل رؤساء كنيسة النصارى، فيجتمع معهم، ويسمع منهم، ويحاورهم[4].

وشملت الحرية الفكرية داخل الدولة الرستمية الفرق الإسلامية أيضا، فقد فُسح المجال للمذاهب، فعقدت المناظرات وجلسات الجدل الطويلة[5]، ويصف ابن الصغير واقع الحال يومئذ؛ فيقول: "ومن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك"[6]؛ ويرى البعض أن هذا الانفتاح المذهبي المدروس كانت نتيجة وع عال للسلطة الرستمية من أجل حماية مكتسبات الدولة في التجارة العابرة للصحراء، مما حتّم على الحاكم التنازل عن النفس الاصطفافي[7]؛ وقد عبّر ابن الصغير عن هذا الانفتاح بقوله: "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد، وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين..."[8].

---

[1]- إسماعيل سامعي، **قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2012، ص 80-81.

[2]- محمد مصطفى زيادة، **سيرة الأستاذ جوذر (تصنيف أبي علي الجوذري)**، المجلة التاريخية المصرية، ع05، س1956، ص 178.

[3]- إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 82. ينظر ترجمته: ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 27 وما بعدها.

[4]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 370.

[5]- محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي –حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس–**، دار القلم للنشر التوزيع، الكويت، ط3، 1987، ص 236.

[6]- ابن الصغير (ت القرن 3هـ/9م)، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص 102.

[7]- حسين بوبيدي، **بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي (قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهي)**، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع23، س2018، ص 213.

[8]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31-32.

برزت أسماء شخصيات إباضية برعوا في الجدل الفكري أمثال: محمود بن بكر، يذكر ابن الصغير أنه: "...كان مَدَارهم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق في مقالاتهم ويؤلف الكتب في الرد على مخالفهم"[1]، ويرى الباحث إبراهيم بحاز أن المناظرة[2] التي جرت بين الإباضية والواصلية أهم مظهر ثقافي في الدولة الرستمية، بل شبهها بما حدث في بغداد حول مسألة خلق القرآن[3].

يتّضح مما سبق؛ أن تقاليد التحرّر ورفع القيود التي عرفتها الأندلس بقوة وبلاد المغرب بدرجة أقل، على الرغم مما خلّفته من آثار سلبية في بعض الجوانب كالتعصب المذهبي، قد أسهمت في تحرير العقل التاريخي، ومنحته مساحة أوسع للإبداع، فأنجبت لنا "الفردوس المفقود" كوكبة من الأعلام والروّاد في الفكر التاريخي، الذين ظلّوا، وما يزالون بوصلة هادية لكل من يسلك درب هذه المعرفة الإنسانية.

6- دور المذهبية (تاريخ دعوة أم توظيف أقلام):

من أهم عوامل ازدهار حركة التدوين ونمو الفكر التاريخي، تلك الفسيفساء المذهبية التي بلورت الحياة الثقافية للمغرب والأندلس، فقد عملت انتقال العقائد والمذاهب على تسريع عملية استيعاب المنطلقات الأساسية للحضارة العربية الإسلامية، كما أدت إلى رفع مستوى الخصوبة الفكرية لدى المجتمع، وبالتالي جسّدت وحدة التصور إزاء القضايا العلمية والمصيرية في حياة الأمة[4]؛ بدون أن نغفل عن الانعكاسات التي أفرزتها حلقات الصراع الفكري بين مختلف المذاهب، فإن من نتائجه إقبال العلماء من كل مذهب على طلب العلم، حتى بلغ منهم رجال برزوا في شتى العلوم، ونافسوا أهل المشرق في ذلك، بل وتفوق بعضهم حتى صار مرموقا بعلمه مشرقا ومغربا[5].

وإننا على يقين بأن انتشار الكتابات التاريخية الموجَّهة لم يكن نتاجا عفويا، بل كان ثمرة نهج واضح تبنّته الدول ذات الخلفيات المذهبية في الغرب الإسلامي، فقد أدركت السلطة السياسية مبكرا القيمة الإستراتيجية للتاريخ، فسخّرته توظيفا دقيقا وفعّالا من خلال استقطاب الأقلام الفكرية والتيارات الدينية

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 81.

[2]- ينظر تفاصيل المناظرة: أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تح: عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1985، ص 104- ص 114

[3]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، ص 334.

[4]- إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 113-114.

[5]- عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 240.

والثقافية لبناء مشروعها وتكريس شرعيتها[1]؛ وفي المقابل، لم يكن كتّاب التاريخ بمنأى عن ميولاتهم المذهبية وانحيازاتهم العقدية، مما حال دون بناء معرفة تاريخية موضوعية ونزيهة في كثير من الأحيان.

وسواء أكان هذا التوظيف إيجابيا أم سلبيا، فإن العلاقة بين السلطة والمثقفين أفرزت طبقة من كبار المؤرخين الذين أفنوا أعمارهم في خدمة البلاطات السلطانية، وقد أسهم هؤلاء في إنتاج مؤلفات تاريخية عديدة، اتسمت في كثير من الأحيان بتداخل القضايا وتشابكها، وانطوت على قدر من الانحياز، إذ غابت عنها الموضوعية والدقة في نقل الأخبار وتمحيص الروايات أو المبالغة بما يخدم خلفياتهم وأهواء حكامهم، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في نقده لمناهج التأريخ؛ إذ يقول: "ولما كان الكذب متطرّقا للخبر بطبعه وله أسباب تقتضيه، فمنها التّشيّعات للآراء والمذاهب فإنّ النّفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقّه من التّمحيص والنّظر حتّى تتبيّن صدقه من كذبه وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأوّل وهلة وكان ذلك الميل والتّشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتّمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله "[2]؛ ومن ثمّ، فإن أغلب الكتابات التاريخية التي ظهرت في هذا السياق جاءت موجَّهة بخلفيات أيديولوجية، سواء مذهبية أو سياسية، حيث ركب المؤرخون رياح السلطة وسايروا توجهاتها، حتى بدت كتاباتهم تجسيدا حيا للقول المأثور: "الناس على دين ملوكهم".

ويمكن أن ندلّل على هذه النزعات المذهبية؛ وكيف أثرت على عملية التأليف التاريخي ولعبت دورا في ازدهارها؛ من خلال الشواهد التاريخية الكثيرة، كنا قد أشرنا إلى بعضها في العنصر السابق، ونقصد رواد الكتابة التاريخية؛ ابن عبد البر، وابن حزم، وابن حيان، في الأندلس، ولكن نضيف لهم في هذا العامل النموذج الشيعي في المغرب؛ الذي مثله القاضي النعمان (ت363هـ/973م) صاحب الشخصية الموسوعية في علوم العقيدة والفقه والتاريخ، فقد حاول إضفاء الشرعية الدينية للمذهب الإسماعيلي والخلافة الفاطمية، لذا تعد كتاباته لحد اليوم عمدة المذهب الإسماعيلي، ومن جملة مؤلفاته في التاريخ كتاب "افتتاح الدعوة" و"المجالس والمسايرات" و"شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار"، ولم يكن يكتب من رغبته العلمية بقدر ما كان إرضاء لأمرائه، فلم يؤلف تأليفا ولا جمع كتابا حتى عرضه على

---

[1]- للتوسع في موضوع توظيف الحكام للتاريخ؛ ينظر: Gabriel Martinez-Gros, **L'idéologie omeyyade,La construction de la légitimité du Califat de Cordoue (Xe-XIesiècles)**, Bibliothèque de la Casa de Velázquez no8.1992.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 46.

الأئمة، فيثبتون له الصحيح ويقومون له الخاطئ[1]؛ ويفصح هو بنفسه عن هذا اللون من التدوين؛ إذ يقول: "أمرني أمير المؤمنين بجمع أخبار الدولة في كتاب، ومناقب بني هاشم ومثالب بني عبد شمس في كتاب، ففعلت، وجمعت في كل فن من هذين الفنين كتابا جامعا ضخما ...ورفعتهما إليه فاستحسنهما وارتضاهما واستجاد معناهما"[2]، وهذا أكثر ما يدل على عدم استقلالية المؤرخ المتعصب للمذهب، فيرى نفسه الخادم الوفي لسادته وأئمته.

والنموذج الثاني الإباضي؛ ويمثله أبو زكرياء الوارجلاني (ت471هـ/1078م)، فإن كتاباته تعبير صارخ عن أدبيات الخوارج التي تميزت بالقوة والغضب والاستماتة في طلب الحق ونشره، وأدب التضحية[3]، والتفاني في خدمة المشائخ وتخليد مآثرهم في نمط تاريخي أصطلح عليه بالسير، لهذا يعتبر الوارجلاني أقدم مؤرخ إباضي، وكتابه "كتاب سير الأئمة وأخبارهم" أوفى وأرقى مؤلف مكتوب عن إباضية المغرب[4].

بينما الاتجاه الثالث المالكي في المغرب؛ فيمثله المؤرخ محمد بن الحارث الخشني (ت361هـ/971م) الذي فرّ إلى قرطبة، وكتب عن "طبقات علماء إفريقية"، حيث دون فيه أخبار شيوخ المالكية في إفريقية ودورهم في رفع لواء المعارضة ضد الفاطميين[5]؛ ومثله فعل أبو بكر المالكي (ت نهاية 4هـ/10م) في مؤلفه "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية"، وهي مؤلفات ركزت على طبقة العلماء ودورها في الدفاع عن عقيدة أهل السنة بالمغرب ضد العقائد الفاطمية.

النموذج الرابع الظاهري؛ ويمثله ابن حزم (ت456هـ/1064م) الذي ساهم في تطوير الفكر التاريخي في عصره واختط لنفسه مسارا خاصا انعكس أثره على ما صنفه في ميدان التاريخ[6]، حيث يقول في فضل التاريخ: "لمطالعة أخبار الأمم السالفة والخالفة، وقراءة التواريخ القديمة والحديثة ليقف من ذلك على فناء الممالك المذكورة، وخراب البلاد المعمورة، ...، وتقلب الدنيا بأهلها، وذهاب الملوك الذين قتلوا النفوس وظلموا الناس واستكثروا من الأموال والجيوش والعدد ليستديموها لهم ولأعقابهم فما دامت لهم،

---

[1]- الداعي إدريس عماد الدين (ت872هـ/141467م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب –القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار–**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 559.

[2]- نفسه، ص 566.

[3]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،، مصر، ط10، د.ت، ج3، ص 341.

[4]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر التاريخي، ص 188.

[5]- نفسه، ص 182.

[6]- نفسه، ص 200.

بل ذهبوا وانقطعت آثارهم، ورحل بنوهم وضاعوا، وبقي ما تحملوا من الآثام والذم والذكر القبيح لازماً لأرواحهم في المعاد ولذكرهم في الدنيا"[1]، ولأنه إمام وفقيه؛ فقد أدرك مكانة علم التاريخ، حيث صنفه في المرتبة الثانية بعد الشريعة؛ يقول في هذا: "فالعلوم تنقسم أقساما سبعة عند كل أمة وفي كل زمان وفي مكان وهي: علم شريعة كل أمة... وعلم أخبارها وعلم لغتها، فالأمم تتمايز في هذه العلوم الثلاثة..."[2].

وهكذا سعت المذاهب إلى حث أقلامها على عمليات الكتابة التاريخية وفق المنظور المذهبي، فأدى هذا إلى اشتداد تنافس الأحزاب السياسية والفرق والتيارات الدينية إلى تسجيل الأحدث ومعرفتها لتوظيف ذلك في تأييد نظرها أو في الدفاع عنها؛ وهو ما كان يجد سنده دوما في وقائع التاريخ وأحيانا في اختراع المواقف التاريخية المؤيدة أو المناهضة لاجتذاب التأييد من أكبر عدد من المسلمين[3].

7- عوامل أخرى مشتركة:

جميع العوامل التي أشرنا إليها سابقا ترتبط ارتباطا مباشرا بحركة التأليف التاريخي في الغرب الإسلامي، غير أن هناك عوامل مكمّلة لا تقل أهمية، تمثّل الظروف المحيطة بنشوء المعرفة التاريخية وازدهارها.

لقد أسهم اتساع الدولة الإسلامية واندماج شعوب وأمم وممالك ذات حضارات عريقة وتواريخ ممتدة -كالعراق، والشام، ومصر، وفارس، والهند- في تشكيل واقع حضاري جديد داخل نطاق الإسلام؛ وقد دخلت هذه الشعوب في الإسلام وهي تحمل معها إرثًا تاريخيّا وثقافيّا لا يمكن محوه أو الانفصال عنه دفعة واحدة، الأمر الذي أوجب على المسلمين الأوائل أن يولوا اهتماما خاصّا بتواريخ هذه الأمم، تمييزا بين ما يمكن الإفادة منه وتوظيفه في خدمة الإسلام، وما ينبغي الإعراض عنه ورفضه، حفاظًا على نقاء الهوية العقدية والثقافية.

وفي السياق نفسه، برز اتجاه نحو كتابة الوقائع الإسلامية، أي تسجيل مجريات الأحداث الكبرى التي شهدتها الدولة الإسلامية، من فتوحات، وحروب، وخلافات، وفتن، وتعاقب الحكّام، وثورات، وأزمات وقد ارتبط هذا النمط من التأريخ ارتباطا وثيقا بكثير من أحكام الشرع التي يحتاج إليها المسلمون

[1]- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ط1، 1983، ج4، ص 72.

[2]- نفسه، ص 78.

[3]- شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص 64.

في تسيير شؤون دولتهم، مثل: تنظيم أمور الجهاد، ومعاملة الذميين، وتحديد الخراج، وتحديد الموقف من الفتن والاضطرابات الداخلية، فضلا عن مواجهة الأزمات المزمنة كأزمة العصبية القبلية.

وقد شهد هذا اللون من التأريخ تطورا ملحوظا، حتى بلغ ذروة السبك التاريخي المتقن على يد البلاذري في كتابه فتوح البلدان (ت 279هـ/892م)، وبلغ أوجه مع الطبري شيخ المؤرخين (ت310هـ/922م).

المبحث الثالث- محطات الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب:

إن الحديث عن حركة التدوين التاريخي في بلاد الغرب الإسلامي لا يمكن أن يكون مبتورا دون الرجوع إلى حيثيات الكتابة التاريخية في المشرق الإسلامي، وذلك للارتباط الوثيق بينهما، وللصلات الوطيدة بين المنطقتين، خاصة بعد الفتح الإسلامي؛ فقد انتقلت العلوم والثقافات عبر عوامل عديدة؛ كالحج، وهجرة العلماء، والرحلات العلمية، وبالتالي سيكون المشهد العام للرواية التاريخية في المغرب هو شبيها بالرواية التاريخية المشرقية إلى حد كبير؛ وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى المجازفة بالقول إن المدرسة التاريخية الأندلسية هي ابنةُ المدرسة المصرية[1].

1- الإسطوغرافيا المشرقية (قاطرة الريادة):

لقد تميز علم التاريخ عند السلمين بميزة أصيلة انفرد بها، مما دفع بعض الباحثين إلى الجزم بالقول: "إن تأليف التاريخ الإسلامي من إبداع العرب، ولم يتأثر بالمؤثرات الخارجية يونانية أو فارسية، كما حصل مع الفلسفة وعلم الكلام، فهو ليس نقلا أو اقتباسا أو استعارة من الغير"[2]؛ ولكن هذا التميّز لم يستمر طويلا فما إن لبث حتى تأثر بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب والفرس، بل صار جميع المؤرخين من الموالي في أواخر القرن الثاني الهجري، وهذا ما حصل لكثير من العلوم الإسلامية فيما بعد[3]، ثم تطور بعد ذلك تطورا طبيعيا ضمن حدود الثقافة الإسلامية وأبعادها، وفي إطار حاجات المجتمع الإسلامي

[1]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 181.

[2]- عبد الله العروي، **العرب والفكر التاريخي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط5، 2006، ص 79.

[3]- حسين نصار، **نشأة التدوين التاريخي عند العرب**، منشورات اقرأ، ط2، بيروت، لبنان، 1980، ص 91.

ومميزاته[1]؛ وتجدر الإشارة إلى أن العامل الديني شكّل الدافع الرئيس في التدوين التاريخي، وبهذه الطريقة أُلفت الأخبار والمغازي والفتوحات[2].

نشأت الكتابة التاريخية الإسلامية في بدايتها من تيارين مختلفين: اتجاه قديم يتألف من القصص الخيالية والأساطير الشعبية المأثورة عن قدماء العرب بحيث لا تعتمد على توقيت تاريخي لحوادثها، ومثّل هذا التيار الخيالي في العهد الإسلامي عبيد بن شرية ووهب ابن منبه، والاتجاه الثاني جديد استحدثه الإسلام، وهو تيار السيرة يتميز بأخباره الدقيقة التي تأثرت بعلم الحديث[3]، وقد تفرع عن هذا الاتجاه مدرستان بارزتان هما: مدرسة المدينة التي اختصت بالحديث ومغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدرسة العراق التي تخصصت في أيام العرب والأنساب والفتوحات والشعر والسير وعلوم القران[4].

وخلال فترة القرن الثاني الهجري انتشرت الكتابات التاريخية التي تعنى بالسيرة النبوية أو المغازي، فنجد أسماء بارزين أمثال: ابن قتادة (ت120هـ/ 738م) وشرحبيل بن سعد (ت123هـ/740م) وابن شهاب الزهري (ت124هـ/741م)، وهذا الأخير يعتبر مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة، حيث أصبح المرجع الأول لمن جاء بعد في كتابة السيرة، كابن إسحاق (ت151هـ/768م) والواقدي (ت207هـ/822م)[5].

عرفت الفترة الممتدّة من القرن الثالث الهجري وما بعده ازدهارا في حركة التدوين التاريخي وتنوّعا في موضوعاتها، ولم يعد الاهتمام مقصورا على السيرة وأحداث المغازي، بل تجاوز ذلك إلى موضوعات أخرى من تاريخ المسلمين؛ فبرزت مؤلّفات حملت عناوين متعدّدة تناولت أخبار الأمم السابقة قبل الإسلام، ثم ظهرت المعاجم والموسوعات وكتب التاريخ العام، ومن هؤلاء الإخباريين الذين عبّروا عن نضج الوعي التاريخي، بسبب تنوعهم في الوظيفة الاجتماعية واختلاف اهتماماتهم العلمية والفكرية وحتى المذهبية[6]، نذكر: ابن خياط (ت240هـ/854م) وابن قتيبة (ت270هـ/883م)، والدينوري (ت282هـ/891م)

---

[1]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 58.

[2]- العروي، المرجع السابق، ص 81.

[3]- حسين نصار، المرجع السابق، ص 89-90.

[4]- رشد الطيف إبراهيم الحشماوي، **التدوين التاريخي (من1هـ إلى 400هـ)**، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2016، ص 35. السيد عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 66. عبد العزيز الدوري، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، د.ط، 2002، ص 147.

[5]- بشار قويدر، **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه**، دار الوعي، الجزائر، ط1، 1993، ص ص 20-27.

[6]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 271.

وآخرهم الطبري (ت310هـ/923م)، وقد سُجلت ملامح جديدة في هذه المرحلة منها: اعتماد المؤرخين على ترتيب المادة التاريخية ترتيبا زمنيا (الحوليات)، وتقسيم مؤلفاتهم إلى قسمين، قسم لم يعاصره المؤرخ وقسم آخر عاصره، بل وشارك في بعض أحداثه؛ كما قلّ استعمال الإسناد عند الكثير منهم، في حين طغت الرغبة الذاتية للمؤرخ في التأليف دون تدخل السلطة وهو ما يعبر عن الاستقلالية، حيث استفادوا من الرحلات العلمية بدافع الفضول وحب امتلاك الحكمة[1]، وهنا اقتحم التاريخ شريحة اجتماعية واسعة ليست من تخصصات الفقه والمحدثين، بل من عمال الدواوين والكتاب ورجال البلاط وحتى الوزراء، مما أسهم في ظهور التاريخ كعلم للمعلومات العامة، وأسهم خصوصا في إضفاء الطابع المدني بدلا من الطابع الديني[2]؛ ومن ثم أخذ التاريخ مظهره كعلم من أجلّ علوم المسلمين وأعظمها شأنا، وأخذ المؤرخون مكانتهم بين علماء الدولة الإسلامية، وفي الحياة العامة سياسية كانت أو عقلية أو أدبية[3].

والكلام في تطور الكتابة التاريخية في المشرق يطول، وقد أخذ حظه الكبير من البحث والدراسة، وكما تقول العرب: "حسّبك من القِلادة ما أحاط بالعُنق"، فما ذكرته آنفا جعلته مدخلا ضروريا، لفهم السياق العام الذي ظهرت فيه الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي.

المدونات المشرقية في خدمة المعرفة التاريخية للغرب الإسلامي:

يُحسن بنا الوقوف عند مساهمة الكتابات المشرقية في تاريخ بلاد المغرب والأندلس، فقد سجلت المدونات المشرقية اهتماما معتبرا للكتابة عن هذا الجزء من البلاد الإسلامية؛ ولنبدأ مع كتب الفتوح، التي أولاها المؤرخون عناية بسبب الفتوحات الإسلامية، فاهتموا بتدوين عمليات وصول الإسلام، فكان من أقدم كتب الفتوح المشرقية التي وصلتنا كتاب "فتوح المغرب والأندلس" لابن عبد الحكم (ت257هـ/870م)، والبلاذري (ت279هـ/892م)، وأيضا "فتوح إفريقية" للواقدي (ت207هـ/822م) وابن أعثم الكوفي (ت314هـ/926م).

أما في كتب التواريخ العالمية، فقد سجل الإخباريون أهم أحداث المغرب من وجهة نظر خليفة بغداد. ونذكر منهم اليعقوبي (ت284هـ/897م) في كتابه "كتاب التاريخ" والطبري (ت310هـ/922م)

[1]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 30-31.

[2]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 276.

[3]- الأستاذ هرنشو، **علم التاريخ**، تر: عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1937، ص 60.

صاحب "تاريخ الرسل والملوك"، وبعض الجهود في مؤلفات ابن قتيبة (ت274هـ/887م)، وأيضا "كتاب النسب الكبير" أو "الجمهرة في الأنساب" لابن الكلبي (ت204هـ/819م)[1].

2- إسطوغرافيا الغرب الإسلامي (تبعية النهج وتميز الطرح):

إن التغيرات الجيوسياسية والثقافية التي حدثت في المغرب الإسلامي في منتصف القرن الثاني الهجري، وظهور بعض الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق، كالدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، والأدارسة بفاس، والمدرارية بسجلماسة، أو حتى تلك التي تتبع الخلافة كالأغالبة بالمغرب الأدنى، كان له دور كبير في نشأة الفكر التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي.

هذا وقد شهدت بلاد المغرب حركة تدوين ربما عاصرت حركة المشرق، إذ وُجدت روايات وكتابات أشار إليها مؤرخون لاحقون في موسوعاتهم، وهي تُعد في حكم المفقودة نتيجة الحروب والصراعات السياسية والمذهبية؛ غير أن حجم الروايات التاريخية في المغرب كان أقلّ منه في المشرق للأسباب المعروفة[2]؛ ومما يلاحظ أن الدول التي قامت في المغرب كانت ذات إيديولوجية مذهبية، وبالتالي كان مؤرخوها متمذهبين، الأمر الذي عرّض مؤلفاتهم للضياع[3].

ولفهم الأطوار الكبرى التي مرت بها الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة، أمكننا تقسيمها إلى مراحل مصنفة حسب معياري الزمن والموضوعات، حتى يتسنى لنا التمييز بين أطوار الكتابة وتحديد أهم مميزات كل مرحلة. ويكن توضيح ذلك في الآتي:

1.2- المرحلة الأولى: إرهاصات التدوين التاريخي (2-3هـ/8-9م):

يمكن القول بأن نشأة حركة التدوين التاريخي في بلاد المغرب ابتدأت في النصف الثاني من القرن الثاني للهجري، مع كتاب "مغازي إفريقية" لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي دينار (ت نهاية القرن 2هـ/8م)، الذي يعتبر أول كتاب مغربي في التاريخ وهو مفقود[4]، وفي نفس الفترة ساهم قاضي إفريقية

---

[1]- محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، 1983، ج1، ص 17-18. علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 150-160.

[2]- محمود إسماعيل، **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي –طور الازدهار الفكر التاريخي–**، سينا للنشر، مصر،ط1، 2000، ص 65.

[3]- نفسه، ص 66.

[4]- محمد المنوني، المرجع السابق، ج1، ص 17. أبو العرب، المصدر السابق، ص 120.

الشهير وأول مولود ولد في الإسلام بإفريقية[1] عبد الرحمان بن زياد (ت161هـ/778م) في الكتابة التاريخية وألّف كتابه عن فتوح إفريقية.

ومع بداية القرن الثالث الهجري ازدهرت الكتابة التاريخية وتعاظمت، ولكنها ضاعت، وهنا كانت قد ظهرت كتابات العائلات الحاكمة، أهمها الكتاب الضائع الذي ألفه الأمير محمد بن زيادة الله الأغلب (ت282هـ/895م)، والمؤَلف الثاني للفقيه المالكي محمد بن سحنون (ت256هـ/869م) سماه "طبقات العلماء"، كما ألف الإباضية "كتاب فيه بدأ الإسلام وشرائع الدين" لابن سلام اللواتي (ت273هـ/886م)، والذي عبّر عن نظرة إباضية لتاريخ الإسلام والمغرب[2].

وبالنسبة للمدونات الإباضية فإنها أمدتنا بجانب نفساني-اجتماعي هام للأئمة مما أفضى بها في الغالب إلى عنصر المبالغة والأسطورة[3]، ولأن التعصب المذهبي كان سمة العصر فقد قدّم المغرب مؤرخا اهتم بالتاريخ السلالاتي للأئمة الرستميين، وهو ابن الصغير المالكي (ت بعد 294هـ/906م) فوضع كتابا حول "أخبار الأئمة الرستميين" قبل سقوط تاهرت ببضع سنين[4]؛ كما كان للحروب والصراعات التي حدثت حينها تأثير على كتابات المؤرخين، فكتب يحي بن عمر (ت289هـ/902م) في الحصون والأربطة كتاب "أحمية الحصون"، وتبعه فيما بعد أبو الفضل يوسف بن مسرور (ت310هـ/922م)[5].

أهم ما ميز هذه الفترة من عصر التدوين التاريخي؛ هو المنهج الشفوي الذي اتبعه إخباريو الإباضية، إذ لم تكن يومها مؤلفات متداولة يمكنهم الرجوع إليها واعتمادها كمصادر مكتوبة، إلى جانب منهج المحدثين في الرواية، وضعف التحكم في المنهج التاريخي مع سيطرة الجانب القصصي على المادة التاريخية، والتوسع في ذكر المناقب والفضائل إلى حد الأسطورة[6]؛ وقد ألفت الكثير من الكتب آنذاك

---

[1]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص 412.

[2]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص 153.

[3]- محمد طالبي، **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1995، ص 18.

[4]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 153.

[5]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 67.

[6]- آسيا ساحلي، **إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير، إشراف علاوة عمارة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص 26-27. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 27.

وللأسف فُقدت، والذي بقي منها اعتمده مؤرخو مغاربة في عصور لاحقة في كتبهم، ومن ذلك ما نجده عند المالكي صاحب رياض النفوس[1].

ولعلي أذكر في الأخير ما أنتجه المغرب الأقصى من تآليف ولكنها ضائعة، مثل كتاب "تاريخ الأدارسة" كتبه الفقيه محمد بن عبد الملك بن الودون قاضي فاس، ثم "كتاب السُفرة" الذي ألفه أبو طالب بن احمد بن عيسى حفيد الإمام إدريس الثاني[2].

أما بلاد الأندلس فقد افتتح عصر التدوين التاريخي بها مع المؤرخ عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م) حيث ألّف كتابه "كتاب التاريخ" قبل أن يكتب الطبري موسوعته المشهورة، وكانت بداية لكتابة تاريخ عالمي على طريقة المدرسة المشرقية، وبالتالي اشتركت معها في وحدة الموضوع والمنهج والرؤية[3]؛ وبذلك نرى تأثير الثقافة المشرقية وخاصة المصرية على الفكر التاريخي الأندلسي[4]، وهناك مؤرخ آخر جسد المحاولات الأولى للتدوين التاريخي، وهو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، أحد أحفاد موسى بن نصير، الذي ألف كتابا في تاريخ الأندلس ولكنه مفقود[5].

وفي نفس الفترة برز محمد بن موسى الرازي (ت277هـ/890م) في كتاب صغير سماه "كتاب الرايات" تحدث فيه عن فتح الأندلس[6]، وعبّر عن النظرة المحلية للفكر التاريخي. وهكذا انطلقت السرديات التاريخية الأندلسية في مصادر أهم ما ميزها وقتئذ سيولة الظواهر الثقافية وتوحدها في سائر أقاليم العالم الإسلامي، وهو ما جعل مؤرخي الأندلس يكتبون في نفس الموضوعات[7].

2.2- المرحلة الثانية: التاريخ الموجه والأدب (3-4هـ/9-10م):

شهد القرن الرابع الهجري نموا لحركة التأريخ، فإذا كان يعرف بأنه قرن الجغرافيا العربية، إلا أن الناس قد أولوا التدوين التاريخي عناية كبيرة، وزاد إقبالهم عليه، على اعتبار أنه فرع من فروع المعرفة التي ازدهرت

[1]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 66.

[2]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص 18.

[3]- نفسه، ص 78.

[4]- عبد الواحد ذو النون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص 11.

[5]- نفسه، ص 15.

[6]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص 17.

[7]- نفسه.

بالجملة خلال هذه الفترة، أين بلغت الحضارة العربية الإسلامية أوجها[1]، حيث تطورت الكتابة التاريخية وتعددت طرق التأليف فيها بين التاريخ العام والتواريخ المحلية وتواريخ الدول والأسرات الحاكمة وتواريخ الخلفاء وسير الملوك، وتواريخ المدن وكتب الخِطط، وكتب الزيارات وكتب التراجم والطبقات[2].

أخذ علم التاريخ يقف على قدميه كعلم مستقل عن العلوم الإسلامية، فصارت المعرفة التاريخية تُطلب لذاتها، لا لخدمة علم آخر، وأصبح لهذا العلم رجاله المتخصصون، وصارت اهتماماته أوسع بكثير من ذي قبل، وبذلك نشأت إلى جانب السير والتراجم تآليف أشمل كالتاريخ العالمي، ودوّن المؤرخون الذين لا يحصى عددهم أحداث وأخبار الدولة العربية الإسلامية بكل تفاصيلها[3]؛ حينها بلغ التفاعل العلمي وتبادل الأفكار والأساليب التاريخية بين المدارس والأمصار منتهاه وبخاصة عن طريق الرحلة في طلب العلم[4].

وفي المقابل، كان للانقسام السياسي في الأمة الإسلامية بين ثلاثة أقطاب مركزية كبرى: الخلافة العباسية في المشرق، والفاطميين في المهدية، والخلافة الأموية بقرطبة، دور كبير في تحول طبيعة الكتابة التاريخية إلى لون إيديولوجي جديد وظهور التواريخ المحلية[5]، فبعد القرن الثالث الهجري اتخذت المعرفة التاريخية في المغرب والأندلس تطورا موازيا للمشرق ذا طابع محلي خاصة على مستوى المواضيع[6]؛ ولا شك أن هذا التحول يترجم محاولات حثيثة لإثبات الشخصية المحلية، وتبريرا للانفصال السياسي لإعطائه الشرعية التاريخية والسياسية[7].

لم تظهر للإباضية كتابات تاريخية في هذه الفترة، وذلك بسبب زوال الدولة الرستمية، وتشتت علمائها، وضياع أمهات كتبهم في المغرب الأوسط، خاصة إذا استحضرنا ما حدث لمكتبة المعصومة

---

[1]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 274.

[2]-أيمن فؤاد السيد، **الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط2، 2016، ص 89.

[3]- محمد عبد الكريم الوافي، **منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط3، 2008، 248-249.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 152.

[5]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص 153.

[6]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 267.

[7]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص 288.

بتاهرت على يد أبي عبد الله الشيعي[1]، لكن هناك نُتف أخبار مُغلفة بالشك حول بعض المؤرخين الإباضيين الذين ساهموا في دفع حركة التأليف التاريخي بالمغرب؛ منهم: أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد، وأبو عبد الله محمد بن احمد من وادي ريغ، وأبو محمد ويسلان بن أبي بكر من جربة، وأبو يعقوب بن أبي إسحاق من وارجلان[2].

أما المرحلة الفاطمية، فقد تطورت الكتابة التاريخية فيها من خلال ظهور عدة مؤلفات كان أصحابها ضمن الشخصيات المقربة من السلطة ودواليب الحكم، وقد هدفت إلى صناعة مجتمع شيعي خاضع لسلطة العبيدين، في إطار المواجهة المحتدمة بين أهل السنة والشيعة، ومن هنا برزت أهمية التاريخ كأداة استقطاب ودعاية لخدمة المرجعية الإسماعيلية، فظهرت كتابات تاريخية تخدم هذا التوجه[3].

وتدليلا على هذا الرأي فإننا نسُوق بعضا من نماذج المؤرخين من رواد هذا الجيل ممن ساروا في هذا الخط؛ منهم: العزيزي أبو علي المنصور الجوذري (عاش في القرن 4هـ/10م) في كتابه "سيرة الأستاذ جوذر"، الذي كان كاتبا لجوذر وكتب سيرة عن قائده[4]، وحيدرة بن محمد بن إبراهيم الكتامي الذي عاش في نفس الفترة وألف كتاب "السيرة الكتامية"، كما ألف الطبيب أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزار (ت369هـ/980م) كتاب "أخبار الدولة" والمعروف بـ"التعريف في أخبار إفريقية"، إلا أن المؤرخ الذي اشتهر أكثر في هذه الفترة، وترك لنا ارثا معتبرا، هو الفقيه القاضي النعمان بن محمد (ت363هـ/973م)، من أهم مؤلفاته: "افتتاح الدعوة" و"كتاب المجالس والمسايرات"[5].

والجدير بالذكر أن المدونات التاريخية الإسماعيلية قد اختفت مع زوال ملكهم بالمغرب ثم مع القطيعة المذهبية مع القاهرة، رغم محاولة عماد الدين إدريس القرشي (ت872هـ/1488م) لإحياء التاريخ

---

[1]- إسماعيل سامعي، **قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 199.

[2]-الزرويل صالح وبحاز إبراهيم، **ملامح من الكتابة التاريخية الإباضية ببلاد المغرب ما بين القرنين (3-10هـ/9-16م)**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، ماي 2022، ص 89.

[3]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ، ص 156.

[4]- أبو علي منصور العزيزي الجوذري، **سيرة الأستاذ جوذر**، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص2-3.

[5]- القاضي النعمان (ت363هـ/973م)، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986. القاضي النعمان، **كتاب المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي وإبراهيم شتوح ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

الفاطمي، حيث جمع أغلب ما كتب عن الفاطميين المغاربة في كتاب سماه "عيون الأخبار وفنون الآثار"[1]؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن الكتابات التاريخية الإسماعيلية كانت أكثر تطورا وكثافة من خصومهم السنة والخوارج ومردُّ ذلك؛ تعاظم القوة السياسية والعسكرية للفاطميين من جهة، وكذا المكانة التي نالها المؤرخون من السلطة وقربهم من دواليب الحكم[2].

كانت بلاد المغرب تتدافع بالتأليف التاريخي في هاته الفترة، وفي جناحها الأيمن، أين المغرب الأدنى، كان له مساهمة في الإنتاج الفكري والتاريخي، حيث أخرجت لنا مؤرخين من طينة الكبار، نذكر منهم: المؤرخ ابن خيرون (ت301هـ/913م)، الذي كتب عن الخلافة الفاطمية وكان شاهد عيان، قال عنه الخشني: "بلغني أنه ألف لعبيد الله كتاب نسب الشيعة وأخبارهم"[3]، وساهم أبو العرب التميمي (ت333هـ/950م) في كتابات التراجم والطبقات، فأخرج لنا كتابه "طبقات علماء إفريقية وتونس" و "عباد إفريقية" وغيرهما[4]، ثم جاء أبو عبد الله محمد الخشني القرطبي[5] (ت361هـ/971م) الذي كتب حول "قضاة قرطبة وعلماء إفريقية" وكتاب "أخبار الفقهاء والمحدثين"، وابن الجزار القيرواني (ت369هـ/980م) الطبيب ابن الطبيب، الذي ألف كتاب "مغازي إفريقية" و"وفيات علماء عصره"، وهما مفقودان[6]، وآخرهم ابن التبان (ت371هـ/971م) ألف كتابا أسماه "فضائل أهل البيت" ولم يصل إلينا[7].

ونؤكد على حقيقة واضحة تتضح لنا معالمها من خلال ما ذكرناه سابقا؛ أن الفكر التاريخي في هاته الفترة كان مؤدلجا بشكل كبير، حمله الصراع السياسي، والتعصب المذهبي بين السنة والشيعة.

---

[1]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 155.

[2]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 179.

[3]- الخشني: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني القرطبي (ت361هـ/971م)، **طبقات علماء إفريقية**، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، د.ط، د.ت، ص 44.

[4]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 67.

[5]- من المؤرخين الذين اختلف الباحثون في نسبتهم إلى إفريقية أم إلى الأندلس، فبالرغم من أن نشأته كانت في القيروان إلا أن ثقافته وطريقة تفكيره أندلسية، وبالتالي فهو من الناحية العلمية أندلسي الفكر والثقافة. ينظر: عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 21. مصطفى الشكعة، **مناهج التأليف عند العلماء العرب-قسم الأدب-**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1991، ص 215-216.

[6]- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 482. محمد المنوني، المرجع السابق، ص 18.

[7]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2،1994، ج1، ص 152.

بينما في العدوة الشمالية فيما وراء المتوسط؛ فإن إعلان الخلافة الأموية وما تبعها من تجاذبات مع تهديدات الخطر الفاطمي، لم يمنع حركة التدوين التاريخي من التطور، حيث طغت نوعية الكتابات المحلية والموجه بالإيديولوجية الأموية[1] في ظل التنافس الشديد بين المشروعين المتصارعين الفاطمي-الأموي، فإنه لم كن محصورا في المستوى الإيديولوجي بل امتد إلى المستوى المعرفي الإبستيمولوجي[2].

كانت هذه الفترة من ألمع عصور الدولة الأموية بالأندلس، حيث زهت العلوم والآداب[3]، ومن ضمنها الكتابة التاريخية التي اتّسمت بالتجديد، حينما ركزت على موضوعات خاصة بواقع الحياة في الأندلس، وأعلنت القطيعة مع المؤثرات المشرقية.

ونستهل هذه الفترة مع أسرة آل الرازي الابن أحمد بن محمد الرازي (ت324هـ/935م)، الذي لُقب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل، فقد ألّف كتاب "أخبار ملوك الأندلس" و"صفة قرطبة"، وكتاب "مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة"، والمؤسف أن هذا الكم الهائل من المؤلفات قد ضاعت مع الأحداث والفتن[4]، وألف عبد الله بن عبيد الله الأزدي (ت341هـ/952م) الملقب بالحُكَيْم كتابا عن أنساب العرب، وأهداه إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر[5].

كما برز المؤرخ أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، المعروف بابن القوطية (ت367هـ/977م) في كتابه عن "تاريخ افتتاح الأندلس"، وقد كان من المقربين لدواليب الحكم[6]، ونضيف لهم مؤرخا آخر نال حظوة من السلطة، وهو محمد بن يوسف الوراق (ت363هـ/974م) الذي كتب في الإثنولوجيا كتابه "أنساب البربر"، فضلا عن مسالك إفريقية[7]؛ ولعلي أختم بمؤرخ شغل عدة مناصب إدارية على عهد الناصر، ثم كان طبيبا خاصا للمستنصر؛ وهو عريب بن سعد القرطبي (ت369هـ/979م)، فقد حاول إحياء التاريخ

[1]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 156.

[2]- رحيم هادي الشمخي، **قرطبة ومدرستها الفكرية**، مجلة الموقف الأدبي، ع606، 2021، ص 28.

[3]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص 696.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 35-36.

[5]- نفسه، ص 17.

[6]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 157.

[7]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 79.

العالمي من خلال تلخيص تاريخ الطبري وتذييله، لكنه فشل، ولم يؤثر كثيرا في الفكر التاريخي الأندلسي[1].

ويذكر بالنثيا أن أبا عامر بن شُهَيد (ت393هـ/1002م) تلميذ القاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة، قد كتب تاريخا كبيرا يقع في أكثر من مائة جزء[2]؛ هؤلاء المؤرخون وصفهم محمود إسماعيل بالتيار المحافظ، الذي يرجع له الفضل في تطوير الكتابة التاريخية بالأندلس، بسبب ثقافتهم الموسوعية، واتصالهم الدائم بالشرق من خلال رحلاتهم العلمية[3].

لقد بدأ الفكر التاريخي في هذه المرحلة يستقل عن علم الحديث، ويلتحق بركب الأدب؛ حيث كان أغلب مؤرخي هذا العصر من الرحالة والأدباء وكتّاب الدواوين، أو من التجار ورؤساء الفرق والمذاهب[4]، وبدأت مرحلة الانعتاق بتراجع دور المؤرخ –المحدث–، وإفساح المجال للمؤرخ الفقيه، والتاجر، والوراق، والكاتب، والطبيب، والفيلسوف؛ الأمر الذي أدى إلى الانتقال من الراوية إلى الدراية[5]؛ ظهر ذلك في الاهتمام الذي أولاه بعض المؤرخين بطبقات الشعراء وأدباءها، أمثال عثمان بن ربيعة الأندلسي (ت310هـ/922م)، الذي ألّف "طبقات الشعراء بالأندلس"، وما كتبه محمد بن هشام بن عبد العزيز المرواني (ت340هـ/951م) عن "أخبار الشعراء بالأندلس"[6]، ولا شكّ في أن أكثر الرجال الذين يهتم بهم التاريخ الأندلسي كانوا جميعا من الأدباء، ومنه فإن المؤرخ لا يمكنه أن يغض الطرف عن الجوانب الأدبية التي ترتبط بهذه الشخصيات[7].

هذه الحالة تجعلنا نسجل انطباعا على نوعية التدوين ورجالاته، فلم يكونوا إخباريين ولا مؤرخين، بل موظفين داخل نظام الحكم، ونظرا لقربهم من السجلات والوثائق الإدارية للدولة، فقد ساعدهم هذا على التدوين الدقيق للمعلومات عن الخلفاء الفاطميين –مثلا–، وهو ما اعتبره بعض الباحثين أمرا

[1]– علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 157. محمد المنوني، المرجع السابق، ص 25.

[2]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 207.

[3]– محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 192.

[4]– نفسه، ص 154. ص 178.

[5]–محمود إسماعيل، **إشكالية المنهج في دراسة التراث**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص 14.

[6]– نفسه، ص 81-82.

[7]– مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 626.

صحيا[1]؛ ونفس الأمر نراه مع آل الرازي الذين كانوا من مؤخري البلاط؛ بل وصل الأمر بالرازي الجد الذي اشتغل بالتجارة، أنه اتخذها كستار لإخفاء حقيقة مهنته؛ وهي التجسس لحساب أكثر من جهة سياسية[2]، وكل هذا في الأخير يقودنا إلى الحكم على أن الكتابة التاريخية في هذه الفترة لم تكن إلا وجها آخر للسلطة.

يمكن القول انه مع ظهور كتابات آل الرازي والخشني وابن القوطية تشكلت شخصية المدرسة التاريخية الأندلسية، وانتهت الوصاية المشرقية على تاريخ المنطقة الإقليمي، ثم مع حلول القرن الخامس الهجري حتى انتهى هذا الامتداد الفكري بين المنطقتين.[3]

3.2- المرحلة الثالثة: المعرفة التاريخية بين التوظيف والوحدة الجامعة (4-5هـ/10-11م):

رأينا فيما سبق أن الأوضاع السياسية في بلاد المغرب قد عرفت اضطرابات كبيرة خلال القرن 5هـ/11م، انتهت إلى انقسام نظام الحكم المركزي في القيروان إلى دولتين، الباديسية بالقيروان، والحمادية بالقلعة ثم بجاية، وقد ألقت هذه الظروف بضلالها على ملامح الحياة الفكرية، كما ساهمت في بلورة فكر تاريخي جديد، وإن لم يختلف كثيرا عن العهد السابق في بقاء المؤثرات الفاطمية.

ويظهر هذا الموروث الفاطمي مع المؤرخ الشيعي الشهير أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، المعروف بالرقيق القيرواني (ت420هـ/1029م)، الذي ألّف كتابه "تاريخ إفريقية والمغرب"، وهو أول مؤرخ مغربي يضع تاريخا شاملا لبلاد المغرب[4]، وتبعه في خدمة البلاط الفاطمي المؤرخ والأديب أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجدامي (ت460هـ/1067م) القيرواني، الذي دوّن هو وابنه أحداث المغرب من سنة 417-485هـ/1026-1092م؛ وقد قام الطبيب الأندلسي بن أبي الصلت (ت529هـ/1134م) فيما بعد بتذييل تاريخ إفريقية والمغرب وملحقاته إلى غاية السنوات الأخيرة من وفاته، في مؤلف أسماه "الديباجة في مفاخر صنهاجة"، وهو يعبّر عن القطيعة الزيرية للبلاط الفاطمي[5].

---

[1]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، 156.

[2]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 258.

[3]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج2، ص 183.

[4]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص 160.

[5]- نفسه، ص 161.

في مقابل الروايات الشيعية نهض التيار السني بمؤلفات دافعت عن عقيدة ومذهب أهل المغرب، ونجد ذلك عند المؤرخ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت453هـ/1060م)، عندما ألف كتاب "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية"[1]؛ كما صنف الأحناف كتبا عن مذهبهم وطبقات أعلامهم لكنها مفقودة، ولعلي أذكر منهم المؤرخ محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي (ت485هـ/1092م)، له كتاب "أخبار بني عبيد"، والذي نسب ابن عذاري إليه كتاب "تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان"[2].

وقد كانت هناك بعض الكتابات التي لم ترق إلى درجة مهمة من التبلور[3]؛ نذكر منها: كتاب "الأنساب والأخبار" للحسن بن محمد التميمي المعروف بابن الربيب التاهرتي (ت420هـ/1029م)[4].

لم يكن المغرب الأوسط بأحسن حالا من سابقه، ونلمس ذلك في النزعة التشاؤمية التي طبعت بعض الباحثين عند حديثهم عن هذه الفترة؛ إذ يرى بعضهم أن المغرب الأوسط زمن الحماديين لم تكن له رؤية وتقاليد تاريخية واضحة المعالم، نتيجة سيطرة البداوة على بلاطه، فافتقر إلى المؤرخين[5]؛ وهذا الموقف نجد ما يبرره في سكوت المصادر وضياعها في الأغلب-كما أشرنا سابقا-، إلا أننا نستطيع رصد بعض الجهود المتواضعة التي أبداها مؤرخو المغرب الأوسط، وان كانت هناك بعض المؤلفات التي جاءت بعد فترة الدراسة (2-5هـ/8-11م)، خاصة في عصر بجاية، غير أننا لن نتطرق إليها ونكتفي بما يهم الإطار الزمني المخصص.

ونذكر من هؤلاء مؤرخ التراجم أبي الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني (ت بعد 456هـ/1071)، الذي ترك ثروة أدبية وعلمية كبيرة ومتنوعة، فألف "أنموذج الزمان في شعراء قيروان"[6]، وفي المناقب نجد "مناقب أبو إسحاق الجبنياني" الذي ألفها اللبيدي (ت440هـ/1048م)، و"مناقب محرز بن خلف" التي كتبها الفارسي (ت بعد 440هـ/1048م)[7]؛ وإلى الجنوب، نشطت المدونات الإباضية في مجال السير، الذي

---

[1]- المالكي، رياض النفوس، م المحقق.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 281.

[3]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 162.

[4]- نفسه.

[5]- نفسه.

[6]- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص 189. علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 173.

[7]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص 174.

تطور فيما بعد إلى التراجم والمناقب، فكتب أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني (ت حوالي471هـ/1078م)، مؤلفه "كتاب السيرة وأخبار الأئمة"[1]، وقبله صنف أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي (ت حوالي 471هـ/1078م) كتاب "سير المزاتي"، وأيضا ألف أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي (ت440هـ/1049م) كتابا أسماه "الألواح"[2].

يتضح لنا جليا أن مسار الكتابة التاريخية في المغرب خلال هذه الفترة من حيث عدد المؤرخين ومؤلفاتهم كان ضئيلا مقارنة بالمرحلة السابقة، ويعود هذا التراجع في منحى التدوين إلى الحروب والصراعات الداخلية، ولا سيما مع فقدان وضياع هذه المدونات وأن ما وصلنا منها شحيح ومفتت، والبعض منها جاء في إشارات متقطعة في بطون المصادر اللاحقة؛ والحقيقة أن هذا الحال يجعل تقييم الفكر التاريخي بالشكل المرجو في هذه الفترة أمرا صعبَ المنال.

أما الأندلس؛ فيرى الباحث علاوة عمارة أنه في هذه الفترة وُلِدت بها نوعين من الكتابة؛ الأولى هي امتداد للمرحلة السابقة، أي الكتابة التاريخية الموجهة من طرف نظام الحكم، والثانية تُعبّر عن الرفض للتفكك والانقسام الذي عرفته الأندلس خلال القرن 5هـ/11م، وبالتالي، جاءت ملامحها حنينية لأيام الخلافة[3]؛ بينما يرى الباحث عبد الواحد ذنون طه؛ أن الكتابة التاريخية عموما في الفترة نفسها انقسمت إلى قسمين: الأول يمثل عصر النشأة والتكوين؛ وتجسدها المراحل السابقة، والثاني يمثل عصر القمة والنضوج (القرن 5هـ/11م)، والذي يتربع على هرمه إمام المؤرخين ابن حيان القرطبي[4]. وفي الجملة فإن مسار الكتابة التاريخية في الأندلس قد اتخذ طريقا آخر يختلف عن المغرب، لعبت فيه الفتنة الأندلسية الدور الكبير في رسم ملامحه وتحديد أنواعه؛ حيث عرف تطورا هائلا على مستوى المناهج والمواضيع، فظهرت موضوعات الجغرافيا، والتراجم، والطبقات، وتاريخ الأدب، بفضل مجموعة من المؤرخين المتميزين.

قُبيل هذا الوقت؛ واصل نمط التاريخ الوظيفي طريقه في الأندلس مع فترة العامريين، فبالرغم من شغف الحاجب المنصور بالعلم والأدب، إلا أنه لم يكن متسامحا إزاء الأفكار الحرة[5]، لكن ظهرت مجموعة

---

[1]- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تح: عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1985.

[2]- صالح الزرويل وإبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 90.

[3]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص 156.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 78.

[5]- محمد عنان، المرجع السابق، ج1، ص 704.

من مؤرخي البلاط، أمثال عبد الصمد بن محمد بن عمر (ت426هـ/1034م)، الذي ألف كتاب "الدولة العامرية"، وحسين بن عاصم (ت449هـ/1057م) صاحب كتاب " المآثر العامرية"[1]؛ وقد برع عالم ومؤرخ آخر في تراجم العلماء والفقهاء في نفس الفترة ويعود إليه الفضل في تطوير هذا الفن؛ وهو أبو الوليد بن الفرضي (ت403هـ/1013م)، وألف كتاب "تاريخ الفقهاء والقضاة ورواة العلم والأدب من أهل الأندلس"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الكتابة التاريخية في هذا القرن تطورت بكيفية مستقلة خارج الدوائر الرسمية في إمارات الطوائف[3]، وأن ما كتبه بعض المحسوبين على السلطة، فإنه كان في زمن خارج خدمتهم بمدة طويلة، ومثال ذلك كتاب التبيان لعبد الله بن بلقين حاكم غرناطة، فقد كتبه في المغرب عقب سقوط غرناطة؛ مما يعني غياب أي أغراض سياسية ملموسة دفعته لتأليفه[4]، وهذا الرأي قد لا يُعمَّم على إطلاقه؛ إذ نجد من الشواهد ما يثبت عكسَه، ويتمثّل ذلك في النموذج الحيّاني الذي كتب تاريخَه داخل الوظيفة التي تقلّدها.

لم يلبث مسار التدوين بعد هذا طويلا، حتى تبلور الاتجاه الثاني مع مجموعة من كتّاب التاريخ الذين شدّهم الحنين إلى أيام الخلافة[5]، وأحزنهم ما آلت إليه أوضاع شبه الجزيرة الأيبيرية، من التشتت والانقسام، خاصة إذا علمنا أن الكثير منهم كانت له صولات وجولات في دواليب الحكم الأموي، أو ينتمي إلى أسر كانت في خدمة السلطة، فمن البديهي أن ينعكس هذا على تفكيرهم وأقلامهم التاريخية، نذكر من هؤلاء: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ/1064م) الذي تعددت مواهبه وتنوعت مشاربه، فكتب في فنون عديدة، وساهم في دفع حركة التدوين التاريخي؛ فمن مؤلفاته التاريخية: كتاب "الفصل في الملل والنحل" و"جمهرة أنساب العرب" وكتاب "نقط العروس في تواريخ الخلفاء"[6]، وكذلك المؤرخ صاعد الطليطلي (ت462هـ/1069م) صاحب كتاب "طبقات الأمم"، والحميدي (ت488هـ/1095م) صاحب كتاب "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"، والذي ألف أضخم كتاب

---

[1]-محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 193.

[2]- بالنثيا، المرجع السابق، ص 271.

[3]- أمحمد بن عبود، **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، مطبعة النور، المغرب، 1987، ص 232.

[4]- نفسه.

[5]- Gabriel Martinez-Gros, op.cit., p.163.

[6]- الضبي، المصدر السابق، ص 416. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 379.

في عصر الطوائف في النثر الأندلسي[1]، وكل هؤلاء المؤرخين تنوعت موضوعاتهم وشملت شتى العلوم، بل واندرجت في التواريخ العالمية[2]، ومثّل هؤلاء أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض المعروف بابن الغشّاء (ت459هـ/1066م) في مؤلف له يحمل عنوان "كتاب العبر" وهو مفقود إلا بعض نصوصه المنقولة[3].

جاء ابن حيان القرطبي (ت469هـ/1076م) ليمثل تيار الولاء للخلافة الأموية، ورائدا للكتابة التاريخية بالأندلس على حد قول ابن خلدون؛ والذي تعتبره الأقلام الأجنبية أعظم مؤرخ العصر[4]، دوّن لنا كوكبة من المؤلفات التي حفظت الذاكرة الجماعية بعضها، بينما بقي أغلبها مشتتا في نصوص المؤرخين اللاحقين، ومن مؤلفاته: كتاب "المقتبس" وكتاب "المتين" وكتاب "البطشة الكبرى"[5] (سنفرده في الدراسة)، ويأتي معه الفقيه المشهور أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت463هـ/1063م) بنظرة ومنهج جديدين من خلال تنوع مصادره من المؤرخين والإخباريين، فألف "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" وكتاب "الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم والكنى"[6]، وبديهي أن يزدهر الفكر التاريخي في الأندلس موضوعا ومنهجا، تحقيقا وتفسيرا، بحيث أسهم كبار مؤرخيها في ترسيخ هذا العلم ليحتل مكانة مرموقة بين العلوم الأخرى[7].

كما لا يفوتني أن أشير إلى مؤلفات الجغرافيا التاريخية، التي ازدهرت خلال هذه المرحلة؛ أهمها كتاب "المسالك والممالك" لأبي عبيد البكري (ت487هـ/1094م)[8]، وأيضا ألف أبو العباس العذري

---

[1]- منجد مصطفى بهجت، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1988، ص 170.

[2]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ص 200.

[3]- ابن شكوال، المصدر السابق، ص 63. وفي نقل نصوصه ينظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 312. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 128.

[4]- بالنثيا، المصدر السابق، ص 208.

[5]- ابن حيان، المقتبس (القطعة الثانية) -مقدمة المحقق-، ص 65.

[6]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج8، ص 130. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 194.

[7]- محمود إسماعيل، إشكالية المنهج في دراسة التراث، ص 15.

[8]- البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت487هـ/1094م)، **المسالك والممالك**، تحك جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، م المحقق.

المعروف بابن الدلائي (ت478هـ/1086م) كتابا عنوانه "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"[1].

وقد لا نوافق بعض الآراء حينما اعتبرت أن اهتمام مؤرخي الأندلس بالأقاليم والمدن هو دليل على تحول الولاء بعدما فُقدت الثقة في النظم الحاكمة خاصة فترة ملوك الطوائف[2]، بالعكس من ذلك؛ فهذا دليل على نبوغ العقل الأندلسي وسعة أفقه في تطوير المعرفة التاريخية، ومما تجدر الإشارة إليه أن النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، عرفت الأندلس صياغة جديدة للفكر بعيدة عن الباطنية والتصوف، ومغايرة للفكر الإسلامي التقليدي، يمكن أن نسمي مؤلفات هاته الفترة بـ"حقبة الموسوعات "[3].

يمكننا القول بأن حركة التدوين التاريخي في الأندلس قد تطورت، واستحدث فقهاؤها ومؤرخوها أنواعا كثيرة، شملت ميادين الواقع الأندلسي، وخضعت لمتغيرات محلية بين الممالك والإمارات المنقسمة، وهي التي لم يتطرق إليها المؤرخون القدامى، وأن هذا التطور كان نتيجة حتمية لحركية المعرفة الإنسانية في المنطقة، ولتراكمات الميراث الثقافي والفكري خلال الثلاثة قرون السابقة؛ كل هذا أدى في الأخير إلى نشوء مدرسة تاريخية أندلسية لها شخصيتها وأطرها وأبعادها، وأضحت مكونا حضاريا يفتخر به الأندلسيون بين كل الأمم.

---

[1]- ابن الدّلائي: أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت478هـ/1086م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، تح: عبد العزيز الاهواني، م المحقق، ص د. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 190.

[2]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 189.

[3]- ميغيل كروز هيرناندیس، **الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية**، من كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ج2، ص 1093.

الفصل الثاني: اتجاهات الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب وأهم روادها

المبحث الأول: أنماط التدوين التاريخي في الأندلس وأهم أعلامه

المبحث الثاني: أنماط التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي وأهم أعلامه

المبحث الثالث: المميزات العامة للمدرسة التاريخية في الغرب الإسلامي

تمهيد:

اتسمت حركة التدوين التاريخي في الغرب الإسلامي بتعدد مظاهرها وتنوّع المجالات التي انشغل بها المؤرخون، إذ اعتمدت المؤلفات التاريخية الأولى أنماطا متباينة في سرد الحوادث وتفسير الوقائع؛ فقد برز المنهج الموضوعاتي الذي تناول الأحداث وفق موضوعاتها ومحاورها الكبرى، إلى جانب منهج التراجم والطبقات وسير الصالحين الذي اعتنى بتتبع تراجم الأعلام ورصد أدوارهم العلمية والسياسية؛ كما ظهر منهج الحوليات القائم على ترتيب الوقائع بحسب السنين، فضلا عن أشكال أخرى من الكتابة التاريخية ككتب الأنساب، والتواريخ المحلية والعالمية، والمذكّرات الشخصية.

ولم يكن المؤرخ في هذه البيئة ملزما بنمط واحد من أنماط الكتابة، بل شهدت بعض المصنفات تنوّعا واضحا في مناهج التأريخ داخل العمل الواحد، مما يعكس مرونة الإسطوغرافيا الإسلامية وقدرة المؤرخين على تطويع الأشكال المعرفية.

وانطلاقا من هذا الإطار، يتقدّم هذا الفصل للبحث في الإشكالية الآتية: إلى أي مدى أسهمت بلاد الغرب الإسلامي في تشكيل إسطوغرافيا وسيطية مميزة؟ وما هي أبرز أشكالها ومساراتها وأعلامها خلال القرنين 2-5هـ/8-11م؟

المبحث الأول– أنماط التدوين التاريخي في الأندلس وأهم أعلامه:

أولا– السير والمغازي:

تُعدّ كتابة السّير والمغازي من أقدم ألوان الكتابة التاريخية، ويُقصد بها سيرة الرسول ﷺ وغزواته، بما فيها من أحداث، وبما تم فيها من إنجازات في مجال بناء الحضارة العربية الإسلامية[1]، وقد نشأت في بداياتها بوصفها فرعا من الحديث النبوي، إذ كان الصحابة يروونها كما يروون الأحاديث، ولذلك التزموا فيها بأسلوب المحدثين في الإسناد[2]، ومن أبرز من كتب في هذا المجال: ابن إسحاق، وابن هشام،

[1]– بشار قويدر، المرجع السابق، ص 21.

[2]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 53-54.

والواقدي، وابن سعد، وموسى بن عقبة، والزهري، وغيرهم من رواة السّير والمغازي، وقد كانت مصدر اهتمام المسلمين، فاعتزوا بها وحبذوا سماعها في مجالسهم[1].

إن المتفحص للمصادر التاريخية، ومنها فهرسة ابن الخير الاشبيلي سيندهش من حجم اهتمام الأندلسيين بالسيرة النبوية، فقد يحصي عددا معتبرا من العلماء الذين ارتحلوا إلى المشرق، وسمعوا مرويات السيرة ونقلوا كتبها، وذلك يدل على مدى تعلق أهل الأندلس بسيرة خير البشر صلى الله عليه وسلم رواية وسماعا ودراسة.

ونستهل طلائع التدوين في مجال السيرة عند عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/854م) الذي ألف كتاب مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، ثم تبعه قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي (ت302هـ/941م) في مؤلفه "شرح غريب الحديث ومعانيه أو الدلائل"[3]؛ ثم ألف أبو عيسى يحي بن عبد الله بن يحي الليثي (ت367هـ/978م) كتاب "اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم "[4]،وأضاف أبو المطرف عبد الرحمان بن محمد بن فطيس (ت402هـ/1011م) كتابه "أعلام النبوة ودلالات الرسالة" في عشرة أجزاء[5]؛ ليس هذا فقط، بل استمرت المؤلفات –وأغلبها مفقود–، فألف لنا أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي (ت478هـ/1068م) كتابه "دلائل النبوة"[6]، وما كتبه أيضا أبو عبيد البكري (ت487هـ/1094م) تحت عنوان "أعلام النّبوة "[7]؛ كما أخرج محمد بن فرج القرطبي الملقب بابن الطلاع (ت497هـ/1103م) كتابا بعنوان "أحكام النبي عليه السلام"[8].

---

[1]– بشار قويدر، المرجع السابق، ص 20.

[2]– ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت 799هـ/1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ج2، ص 13.

[3]– ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص 161.

[4]– المصدر السابق، ج1، ص 203. الذهبي، ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 189–190. سير أعلام النبلاء، ج12، ص 299.

[5]–ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 300. ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 216.

[6]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص 417. الحميدي، المصدر السابق، ص 136–137. ابن بشكوال، المصدر السابق، ص69–70.

[7]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 278. ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 185–186. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص577.

[8]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 543. الضبي، المصدر السابق، ص 123. ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص242–243.

ويجب أن نشير إلى بعض العلماء ممن لهم تصانيف في علوم أخرى، ويُحتمل أنها اشتملت على جوانب من السيرة من بينهم؛ أحمد بن خالد بن الجباب (ت322هـ/934م)[1]، وابن عبد ربه أحمد بن محمد (ت328هـ/939م) في كتابه "العقد الفريد"[2].

لقد ازدهرت مؤلفات السيرة النبوية، وانكبّ علماء الأندلس على تتبع صفات وشمائل النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بين أشهر الأعمال التي وصلت إلينا، وكان لها صدى في باب المغازي، بل أصبحت مصدرا مهما لكل من جاء بعدها، الأول؛ ابن حزم الظاهري (ت456هـ/1064م) في كتابيه "جوامع السيرة" و"حجّة الوداع"[3]، والثاني؛ ابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) فقد كتب "الدّرر في اختصار المغازي والسير" و"أعلام النبوة"[4]؛ وينقل ابن بشكوال رواية عن أبي الوليد الباجي أنه قال في ابن عبد البر: "أحفظ أهل المغرب"[5].

ولأهمية كتاب الدّرر يحدثنا ابن عبد البر عنه؛ فيقول: "هذا كتاب اختصرت فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وابتداء نبوته وأول أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها لأني ذكرت مولده وحاله في نشأته، وعيونا من أخباره في صدر كتابي في الصحابة، وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقاته صلى الله عليه وسلم"[6]؛ وقد ألف الأندلسيون في القرن الخامس الهجري وحده، ما مجموعه ثمانية (8) كتب في السير والمغازي، منها خمسة (5) كتب وصلت إلينا[7].

ثانيا– التراجم والطبقات:

تُعدّ كتب التراجم والطبقات من أرقى أنماط الكتابة التاريخية في التراث الإسلامي، وقد أبدع المسلمون في هذا اللون من التصنيف بما لم تسبقهم إليه أمة من قبل، فخلّفوا لنا ذخيرة تاريخية ضخمة

---

[1]– الحميدي، المصدر السابق، ص 124-122. بن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص 159-160.

[2]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 141-142. الصفدي، المصدر السابق، ج8، ص 08.

[3]– ابن حزم، **حجة الوداع**، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1998. ابن حزم، **جوامع السيرة**، تح: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط1، 1900.

[4]– ابن عبد البر، **الدرر في اختصار المغازي والسير**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1982.

[5]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 641. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص 199.

[6]– ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص 27.

[7]– إيمان محمود حمادي العبيدي، **التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري**، أطروحة دكتوراه، إشراف: كريم عجيل حسين، كلية الآداب –قسم التاريخ–، جامعة الانبار، العراق، 2011، ص 68.

توثق سير الأفراد من مشاهير الناس، ممن كان لهم أثر بارز في مجالات العلم، أو الدين، أو السياسة، أو الاجتماع، أو التجارة، أو الحروب، أو الفنون، أو الحكم، إلى غير ذلك من ميادين الحياة.

وقد اعترف المستشرقون بقيمة هذا العلم الذي اختص الله عزّ وجل به المسلمين، حيث يقول العالم الألماني أشبره نكر نقلاً عن الشيخ مصطفى صبري: "إن الدنيا لم تر ولن ترى أمة مثل المسلمين، فقد دُرس بفضل علم الرجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل"[1]؛ كما أُنتزع اعتراف آخر من المستشرق اليهودي دافيد صموئيل مرجليوث، في قوله: "ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم"[2]؛ وقد تطورت الكتابة التراجمية بتطور علم الحديث وبظهور الإسناد، فأسهمت مساهمة فعالة في توسيع دائرة التاريخ الإسلامي، وصار أكثر المؤرخين يعتمدون على كتب الطبقات[3].

وقد بدأت هذه الكتابات بسِيَر الصحابة الكرام، وتراجمهم، وذكر فضائلهم وأحوالهم، ثم توسعت لتشمل رواة الحديث النبوي، ثم امتدت إلى غيرهم من الفئات المؤثرة، كالشعراء، والأدباء، والأطباء، وغيرهم؛ وإذا جئنا إلى الفرق بين المصطلحين، فإن كتب الطبقات تترجم لجماعات من الأعيان تشترك في خصائص متشابهة، منها طبقات الشعراء، وطبقات الأدباء، وطبقات المفسرين، وطبقات المحدّثين[4].

أما كتب التراجم فإنها لا تختص بفئة واحدة لها خصائص مشتركة، وإنما تترجم لكل الأعيان من ملوك وسلاطين، ووزراء وقوّاد، وعلماء، وفلاسفة، وشعراء وأدباء، وفقهاء، وظرفاء، إلى غير ذلك، باستثناء كتابي، الفهرست، ومعجم الأدباء[5]؛ وقد صُنفت في رجال الأندلس كتب كثيرة، وصلنا بعضها، وكثير منها فُقد مع ما اندثر من التراث الأندلسي[6]؛ وهناك من قسّم هذا النوع من الكتابات إلى خمسة

[1]- مصطفى صبري، **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ج4، ص 59.

[2]- عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، **المقدمات وما إليها**، دار عالم الفوائد لنشر والتوزيع، السعودية، د.ط، د.ت، ص 112.

[3]- بشار قويدر، المرجع السابق، ص 75.

[4]-مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 539.

[5]- المرجع السابق، ص 539-540.

[6]- مصطفى حميداتو وخدومة العيادي، **فن التراجم عند الأندلسيين دراسة في النشأة والمنهج**، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع22، مج13، 2016، ص 12.

أنواع[1]، وبرز العديد من المؤرخين ممن عنوا بهذا اللون التدويني في الأندلس، وسلكوا في ذلك منهجين: منهج الطبقات، ومنهج الترتيب على حروف المعجم[2].

ولأن المؤلفات في باب التراجم والطبقات كثيرة جدا، حيث وصل عدد ما أُلف منها في تراجم الرجال والطبقات خلال القرن الخامس الهجري فقط، ما مجموعه 76 كتابا[3]، لهذا سنختار عينات لبعض المؤرخين الذين اهتموا بهذا التصنيف التاريخي، نذكر منها على الترتيب:

- عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/852م) له كتاب "طبقات الفقهاء والتابعين"[4].

- أبو بكر فرج بن سلام (ت255هـ/868م) من أوائل الذين كتبوا في تراجم الكتاب الأندلسيين[5].

- محمد بن موسى بن هاشم الاقشتين (ت309هـ/921م) له كتاب "طبقات الكتّاب في الأندلس"[6].

- عثمان بن ربيعة (ت310هـ/922م) له كتاب "طبقات الشعراء بالأندلس"[7].

- أحمد بن محمد بن عبد البر (ت338هـ/950م) له كتابان "الفقهاء بقرطبة" و "تاريخ الفقهاء والقضاة"[8].

- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت351هـ/962م) له كتاب "الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار"[9].

---

[1]- مصطفى حميداتو وخدومة العيادي، فن التراجم عند الأندلسيين دراسة في النشأة والمنهج، ص 12.

[2]- يوسف أحمد يوسف بني ياسين، المرجع السابق، ص 259.

[3]- تم حساب هذا الرقم من خلال الدراسة –أطروحة الدكتوراه- التي قدمتها الباحثة إيمان محمود حمادي في رسالتها الموسومة بـ التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى القرن السابع الهجري.

[4]- محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 112. ك. بويكا، المرجع السابق، ص 47.

[5]- ك. بويكا، **المصادر التاريخية العربية في الأندلس**، تر: نايف أبو كرم، ط1، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1999، ص 61. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 52.

[6]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 31. تقي الدين المقريزي (ت845 هـ/ 1440م)، **المقفى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ج7، ص 124.

[7]- الضبي، المصدر السابق، ص 411.

[8]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 51. الصفدي، المصدر السابق، ج8، ص 38. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص 714.

[9]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 150. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 33.

– محمد بن الحارث الخشني (ت361هـ/971م) له ثلاثة كتب: "أخبار القضاة بالأندلس" وكتاب "أخبار الفقهاء والمحدثين" و"قضاة قرطبة"[1].

– سليمان بن حسان المعروف بابن جُلجُل (ت372هـ/982م) له كتاب "طبقات الأطباء والحكماء"[2].

– أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت379هـ/989م) له كتاب في طبقات النحويين واللغويين[3].

– عيسى بن أحمد الرازي (ت379هـ/989م) له كتابان "الوزراء والوزارة في الأندلس"، و"الحجاب للخلفاء في الأندلس"[4]؛ وهذا الأخير لم يصلنا منه نص صريح ويحتمل أنهما كتابا واحدا، لأن الحُجّاب كانوا أيضا وزراء للأمراء[5].

– ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف (ت403هـ/1013م) له كتاب "تاريخ علماء الأندلس"، و"أخبار شعراء الأندلس"[6]؛ وقد جاوز أثر ابن الفرضي عصره، واستمرت مؤلفاته بعده نحو أربعة قرون. وأصبح كتابه تاريخ علماء الأندلس قاعدة بنيت عليها سلسلة طويلة من المؤلفات التراجمية في الأندلس[7].

---

[1] –ابن السّاعي: علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (ت674هـ/1275م)، **الدر الثمين في أسماء المصنفين**، تح: أحمد شوقي بنبن ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2009، ص 199. ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ص 184. محمد بن الحارث الخشني (ت361هـ/971م)، **أخبار الفقهاء والمحدثين**. –سبق ذكره–. الخشني، **قضاة قرطبة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989. بالنثيا، المرجع السابق، ص 267.

[2]– ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت438 هـ/1047م)، **الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، المكتبة الشاملة، ص 431. المراكشي، الذيل والتكملة، ج2، ص 62. ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان (ت372هـ/982م)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

[3] – أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت379هـ/989م)، **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، د.ت. المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص 240 وما بعدها.

[4]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 138. بالنثيا، المرجع السابق، ص 198.

[5]– عبد الواحد ذنون طه، **تراث وشخصيات من الأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 95.

[6]– عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (ت403هـ/1013م)، **تاريخ علماء الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989. ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 246. الضبي، المصدر السابق، ص 335.

[7]– عبد الواحد ذنون طه، تراث وشخصيات من الأندلس، ص 98.

– أبو عبد الله محمد بن يحي بن أحمد بن محمد التميمي المشهور بابن الحذاء (ت416هـ/1019م) له كتاب "التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من الرجال والنساء"[1].

– أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحي المعافري الطلمنكي (ت429هـ/1037م) له كتاب "فضائل مالك"، و"رجال الموطأ"[2].

– أحمد بن رشيق الأندلسي (ت بعد 440هـ/1048م) له كتاب "تراجم كتاب الصحيح للبخاري"[3].

وقد عرف فنّ التراجم بداية من القرن الخامس الهجري حضورا قويا، بتجديد أساليبه وإخراجه من السّجع الممل إلى التأصيل والتحقيق الدقيق، ووضع العلماء له شروطا وحدودا[4]؛ ويمكن ملاحظة ذلك عند ثلاثة نماذج من أعمدة الكتابة التاريخية؛ هم: ابن حزم الظاهري (ت456هـ/1064م)، وابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م)، والحميدي أبو عبد الله محمد بن نصر (ت488هـ/1095م).

أما ابن حزم فقدّم لنا نوعا آخر من التراجم والطبقات، اتسمت بالاختصار حيث يبين فيها فضائل علماء الأندلس من طبقة المفسرين والمحدثين، واللغويين، والمؤرخين، والأطباء، والفلاسفة[5]؛ وقد غلب على التراجم الحزمية طريقة الطبقات، كما اتبع منهج الصرامة والموضوعية في تناول الرجال، فلم يكن ينقاد للرجال بقدر ما ينقاد لمنهج البحث العلمي، مسايرا لمنهجه العام في رفض التقليد والاجتهاد[6].

---

[1]– ابن بشكوال، المصدر السابق، 479. المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص 228.

[2]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج8، ص 33. ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص 179. المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص 366.

[3]– الحميدي، المصدر السابق، ص 123. ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 128. الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص 261.

[4]– الحسين العربي رحمون، **أدباء الأندلس إسهاماتهم وتأثيرهم في الحركة الأدبية العربية (خلال القرنين: السابع والثامن الهجريين)**، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ق4، ص 205.

[5]– عبد الحليم عويس، **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1988، ص 206.

[6]– نفسه، ص 203.

من مؤلفات ابن حزم في باب التراجم والطبقات؛ نذكر: كتاب "أسماء الصحابة والرُّواة وما لكل واحد منهم من العدد"، وكتاب "تسمية شيوخ مالك"، وكتاب "مراتب العلماء وتواليفهم"، وله أيضا كتاب "عدد ما لكل صاحب في مسند بقي"[1]، وكتاب "أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم"، وهو مطبوع من جوامع السيرة، يقول فيه المحقق إحسان عباس: "الدقة البالغة في تحليل النص المنقول، واختيار الرواية الصائبة بعد الفحص والنظر والمقارنة، وتصحيح الأوهام التي تنجم عن سرعة أو قلة تدقيق ... هذه هي المميزات التي لا يستطيع أحد أن ينكرها على ابن حزم المؤرخ"[2].

في حين ألف بن عبد البر كتابه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" عالج فيه طبقات المحدثين في الأندلس، بنظرة جديدة ومنهج مبتكر وغاية محددة[3]، رتّب فيه التراجم ترتيبا أبجديا، حسب ما هو سائد في المغرب والأندلس، وجعل مقدمة كتابه جامعة، فقد ضم الكتاب 3500 ترجمة[4]، وتتجلى جدّته في تنوع مصادره؛ إذ عوّل على الإخباريين والمؤرخين كالواقدي؛ مخالفا بذلك ما درج عليه المؤرخون المحدّثون[5]، مراعيا الاختصار في الاقتباس حريصا على توثيق طرق تحمل تلك المؤلفات التي أفاد منها[6]، كما ألف كتاب "الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى"[7].

يأتي النموذج الثالث؛ وهو الحميدي، صديق بن حزم، قرأ عليه جميع كتبه، واضطر للرحيل عن الأندلس إلى مصر ودمشق، ثم استقر ببغداد، وهناك ألف كتابه "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس"،

---

[1]- الحميدي، المصدر السابق، ص 309. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 379.

[2]- ابن حزم، **جوامع السيرة**، -مقدمة المحقق-.

[3]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 194

[4]- ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 2019، ج1، ص 32-33.

[5]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 194-195.

[6]- ابن عبد البر، الاستيعاب، ص 32-33.

[7]- ابن عبد البر، **الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى**، تح: عبد الله مرحول السوالمة، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض، السعودية، ط1، ص 1985.

ويرتفع هذا الكتاب بقيمة علمية؛ إذ أن الحميدي انفرد برواياته الشخصية، والتي لا نكاد نجدها مروية عند غيره[1].

لقد عرفت كتابة التراجم في الأندلس حضورا مميزا ضمن عمليات الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي، وبذلك حفظت للفكر التاريخي تميزه النوعي ضمن التراث الثقافي الذي أنتجه العالم الإسلامي؛ وكان لهذه التجربة ارتباط وثيق ببيئة الأندلس، وما يتبعها من مواصفات وأحداث خاصة، مما مكّنت من تزويدنا بأخبار وأحوال رجالها، ومنها التعرف على حركة الثقافة والعلم في شبه الجزيرة الأيبيرية[2].

كما لا يفوتني أن أشير في السياق ذاته إلى نوع جديد من التآليف التراجمية، ظهر في حدود القرن الخامس الهجري، وهو كتب البرامج، التي تجد في التراجم مادتها الأساسية، ويهتم مؤلفوها بمختلف طبقات العلماء، وأساليب بناء المعلومات في كتبهم، وطرق تنظيمها، واتجاهاتهم في التحقق، وقد حملت هذه الكتب أسماء عديدة اختلفت بين المشرق والمغرب، منها: البرنامج، الفهرس، المشيخة، المعجم، الثبت، السند، والتقييد[3]؛ وبالتالي فإن كتب البرامج تضم الشيوخ والمؤلفين، وما أخذه التلاميذ من الرّوايات، وما قرأوه على شيوخهم، وتناولوه وأخبروا به، وكذا أساليب الدراسة وكل ما يحيط بها[4].

ويعرفها الباحث عبد العزيز الاهواني؛ فيقول: "أنه كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكرا عنوان الكتاب واسم مؤلفه، والشيخ الذي قرأ عليه أو تحمله عنه، وسنده إلى المؤلف

[1]- الحميدي، المصدر السابق، -مقدمة التحقيق-، ص س.

[2]- عبد الله المرابط التلغي، عمل تراجم الرجال في الأندلس، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ق1 ص 303.

[3]- هاني صبحي العمد، **كتب البرامج والفهارس الأندلسية**، المركز التقني للخدمات المطبعية، الأردن، ط1، 1993، ص 13-14.

[4]- نفسه.

الأول، وربما ذكر خلال ذلك المكان الذي كان موضعا للدرس، والتاريخ الذي بدأ فيه الدراسة أو ختمها"[1].

ولهذا النوع من الكتابة فائدتان جليلتان؛ الأولى تكشف لنا أي الكتب والعلوم التي كانت سائدة، وكان الناس يعتنون بها في عصر ما؛ أي تعرفنا بالكتب الحية المتداولة بين الناس، وبذلك تختلف عن الفهارس العامة التي تحصي الكتب دون أن تهتم غالبا بحياتها، وأما الثانية فإنها توضح الكتب الأندلسية التي لها صلة بما أُلف بالمشرق، وعلى يد من انتقلت من المشرق إلى المغرب[2].

ومن هنا ظهرت عدة مؤلفات حملت هذا التوجه؛ وبرزت مع ازدهار الحياة الفكرية في القرن الخامس الهجري، وصار من باب وفاء العلماء لشيوخهم، بأن يضعوا برامج تحتوي أسماء شيوخهم والمواد التي درسوها عنهم، نذكر من هؤلاء:

- الصاحبان أبو جعفر أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن ميمون (ت400هـ/1009م) وابن شنذير الراوية الطليطلي (ت401هـ/1010م)، وضعا برنامجا يتضمن أسماء العلماء والمواد التي درساها على أيديهم[3].

- أبو الوليد حيون بن خطاب بن محمد (ت404هـ/1013م) دوّن فهرسا فيه أسماء شيوخه، وهو مفقود[4].

- أبو عمر بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن لب بن يحي الطلمنكي (ت429هـ/1037م) له معجما دوّن فيه سير شيوخه والعلوم التي تلقاها على أيديهم[5].

- أبو الوليد يونس بن عبد الله ابن الصفار (ت429هـ/1037م)[1]، وغيرهم كثير.

---

[1]- عبد العزيز الأهواني، **كتب برامج العلماء في الأندلس**، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، مطبعة مصر، مج1، 1955، ص 91.

[2]- عبد العزيز الأهواني، المرجع السابق، ص 92.

[3]- ك. بويكا، المرجع السابق، ص217.

[4]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 152. ك. بويكا، المرجع السابق، ص 225.

[5]- ك. بويكا، المرجع السابق، ص 237.

ثالثا– التاريخ العالمي (التاريخ العام، الجامع، الحوليات):

يُقصد به ذلك اللون من الكتابة التاريخية الذي يُعالج الأحداث وفق تسلسل زمني دقيق، عاما بعد عام، ويُعرف أيضا باسم كتب الحوليات[2]، ويبدأ معظم المؤرخين هذا النمط بذكر بدء الخليقة، ثم قصة آدم وحواء عليهما السلام، يعقبها عرضٌ لأخبار الأنبياء، والأمم السابقة، والممالك البائدة، ثم ينتقلون إلى تاريخ عرب الجاهلية، فيتناولون أحوال قريش والقبائل العربية، وصولا إلى مولد النبي ﷺ، وحادثة الفيل، وبناء الكعبة، ثم يُفصّلون في وقائع البعثة النبوية، وأحداث السيرة، فالهجرة إلى المدينة، فالعهد النبوي، ثم عصر الخلفاء الراشدين، إلى أن يصل إلى عصر المؤلف، وهكذا تُروى الوقائع عاما بعد عام في تسلسل منتظم.

وكتب الحوليات إما أن تكون مصادر يكتب فيها المؤرخ عن أحداث شاهدها بنفسه، وإما أن تكون مؤلفات مجمعة استمد مؤلفوها معلوماتهم عن طريق مؤلفين أقدم، وهذا الأخير هو الأكثر عددا في المكتبات العالمية[3].

ويُعدّ ابن جرير الطبري (ت310هـ/922م) –شيخ المؤرخين والمفسرين والعلامة الموسوعي– الرائد الأبرز لهذا الاتجاه التاريخي، وقد اقتفى أثره جمعٌ من أعلام المؤرخين المسلمين، مثل :المسعودي، وابن مسكويه، وابن الأثير، والبرزالي، وابن كثير، وابن الجوزي، والمقريزي، ويُعد عبد الرحمن الجبرتي آخر الكبار الذين كتبوا على هذا النهج، ويُعبّر ظهور هذا النمط من الكتابة التاريخية عن تطور علم التاريخ من كونه يركز على السّير والمغازي والفتوحات إلى تدوين التواريخ العامة سواء الإسلامية أو تواريخ الأمم الأخرى[4].

نستهل مجال التواريخ العامة في الأندلس بالمؤرخ عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/852م)، وهو أول عربي تنتجه الأندلس يكتب عن بلاده[5]، ويؤلف "كتاب التاريخ"[6]، وقد بدأ فيه من بداية الخلق مرورا بآدم عليه السلام وقصص الأنبياء، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الخلفاء

---

[1]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 236.

[2]– صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص 152.

[3]– أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ص 192.

[4]– محمد عبد الكريم الوافي، المرجع السابق، ص 249.

[5]– عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 11.

[6]– عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت238هـ/852م)، **كتاب التاريخ**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2008.

الراشدين وبني أمية، وصولا إلى تاريخ المسلمين في الأندلس، وقد بذل جهده لاختصاره في عدد صفحات قليلة[1]؛ ويرى علي مكي أن النسخة التي وصلتنا كتبها بعض تلامذته، ويرجح أن يكون ابن أبي الرقاع هو من أكمل الكتاب وأضاف إليه، حيث كان يقيد سماعه عن عبد الملك[2]، فلقد كان لهذا الفقيه الإلبيري جرأة على التأليف تدعو إلى الإعجاب في محاولة منه على التأكيد على قوميته الأندلسية منذ وقت مبكر في ميدان الثقافة والفكر[3]، وعموما فإن محاولة عبد الملك وضعت اللبنة الأولى لبداية التأريخ الأندلسي، رغم ما اعترى الكتاب من قصور وتركيز على الأساطير والخرافات.

تستمر محاولات النهوض بتدوين التاريخ العالمي مع عريب بن سعد القرطبي (ت369هـ/997م)، الذي استطاع أن يختصر تاريخ الطبري ويذيله، ويضيف له أخبار إفريقية والأندلس[4]، وفي نفس القرن يبرز مؤرخ آخر وهو أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت393هـ/1002م) ليكتب تاريخا عالميا؛ ذكره ابن بشكوال "التاريخ الكبير في الأخبار"[5] على طريقة الحوليات، ولكنه مفقود[6]، ويذهب محمود إسماعيل إلى أنه أُحرق مع مصنفات ابن حزم[7] الذي يقول فيه: "...صديقنا وصاحبنا وَهُوَ حَيّ بعد لم يبلغ سنّ الاكتهال"[8]، وعلى الطريقة نفسها ألّف أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض (ت459هـ/1066م) التاريخي كما تسميه بعض المصادر[9]، له كتاب "كتاب العبر" وهو مفقود[10]؛ ونضيف مؤرخا آخر كانت له بصمة واضحة في التاريخ العالمي الإسلامي، حيث نسج تاريخه على منوال المدرسة الحزمية[11]؛ وهو أبو

[1]- عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت238هـ/852م)، **كتاب التاريخ**، - مقدمة المحقق- ص 5.

[2]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 14.

[3]- ابن حيان، المقتبس -مقدمة المحقق السفر الثاني-، ص 84.

[4]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 118-119. بالنثيا، المرجع السابق، ص 206.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 338. حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص 304.

[6]- بالنثيا، المرجع السابق، ص 207.

[7]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 199.

[8]- ابن حزم، فضائل الأندلس وأهلها، ص 20.

[9]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 121.

[10]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 63. بالنثيا، المرجع السابق، ص 212. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص 106. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 60.

[11]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 200.

القاسم أحمد بن صاعد الطليطلي (ت462هـ/1069م) صاحب كتاب "طبقات الأمم"[1]، وهو كتاب موجز في التاريخ البشري درس فيه أجناس البشر، وخصائص كلّ أمة[2].

ونختم هذا الاتجاه العالمي بما ألّفه ابن حزم كذلك في كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وكتاب "نقط العروس في تواريخ الخلفاء"، ونجد أن ما قام به هؤلاء المؤرخون يُعد نقلة نوعية في تطور التواريخ العامة، حيث انتقلت من السردية في نقل الأخبار ذات الطابع الأسطوري إلى كتابة ممنهجة أشبه بما سلكه ابن مسكويه والبيروني[3].

رابعا– التواريخ المحلية أو الإقليمية:

منذ ظهور الدول الإسلامية وتلاشي ملامح المركزية السياسية للخلافة العربية الإسلامية، برز التنافس بين الحواضر الإسلامية الكبرى، ليس على المستوى السياسي فحسب، بل أيضا في ميادين المعرفة والعلم؛ فشهدت مدن مثل القيروان وقرطبة وحلب والفسطاط وغيرها، نهضة علمية وثقافية نافست بها بغداد، وأصبحت مراكز مستقلة للإنتاج العلمي، ازدهر فيها التأليف، ونبغ فيها العلماء، ومنهم المؤرخون[4]؛ وقد كان لهذا الحراك أثر بالغ في تطور علم التاريخ، حيث ظهرت مصنفات تاريخية جديدة أولت عناية خاصة بتاريخ الأقاليم والأمصار، في إطار ما يمكن تسميته بـ "التأريخ المحلي"[5].

وقد اشتهر هذا النهج، فأرّخ كثيرون لبلدانهم، ومازال هذا النهج معتمدا في كتابات كثيرة معاصرة[6]، ويعتبر مؤرخي مصر والأندلس أكثر من كتبوا هذا اللون من الكتابة التاريخية، التي تعبر عن الشعور بالقومية، والاعتزاز بالوطن[7]؛ وللأندلس –تحديدا– عشرات المصادر التاريخية، التي تتحدث عن

---

[1]– أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت462هـ/1069م)، **طبقات الأمم**، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1912.

[2]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 239.

[3]– محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 201.

[4]– محمد عبد الكريم الوافي، المرجع السابق، ص 291.

[5]– نفسه، ص 291.

[6]– صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص 152.

[7]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 104.

أخبارها وأحوالها وتقلباتها في مسحة محلية تتغنى بالفضائل والمناقب الخاصة بالإقليم[1]، وهي ظاهرة عكست استقلال الأندلس منذ وقت مبكر على يد عبد الرحمان بن معاوية[2].

يبدو أن اهتمام المؤرخين الأندلسيين بالتأليف في مجال المحليات انطلق منذ نشأة التدوين التاريخي بالأندلس، وكانت البداية مع كتب الفتوح، حيث عني المؤرخون بوقائع الفتح الإسلامي ثم تطورت إلى التواريخ المحلية[3]؛ وهناك من الباحثين من يسمي بعض مصنفات هذا النوع بـ "كتب الخِطَط"[4]، ولم يلبث هذا النوع من التدوين حتى تعاظمت مدوناته في عصر ملوك الطوائف، سنين الانقسامات والاضطرابات، فراح كل أمير يفتخر بمملكته، ويمجد مآثره بين أوراق الكتب، وبأقلام حملة التاريخ وشيوخه.

يمكن أن نستعرض الكتابات التاريخية المحلية من خلال بعض النماذج، فيما يلي:

– **محمد بن موسى الرازي** (ت277هـ/890م) ألف "كتاب الرّايات"، الذي لم يبق منه إلا قطع متناثرة في ثنايا الكتب[5]، وفيه معلومات قيّمة عن فتح الأندلس والقبائل العربية التي رافقت موسى بن نصير، ورايتها التي حاربت بها[6].

– **أحمد بن محمد بن موسى الرازي** (ت324هـ/936م) المعروف بالتاريخي[7]، وواضع أسس فن الحوليات في الأندلس وأعظم مؤرخيها[8]، له مؤلفات عديدة منها: كتاب "أخبار ملوك الأندلس، وخدمتهم، وركبانهم

[1]–محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 81.

[2]– نفسه.

[3]– عبد القادر ربوح، **الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4–5هـ/10–11م (مجالاتها، أصنافها، نماذجها)**، مجلة الباحث، مج11، ع02، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2019، ص 28.

[4]– أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ص 222.

[5]– بالنثيا، المرجع السابق،، ص 196.

[6]– عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 31.

[7]– بالنثيا، المرجع السابق، ص197.

[8]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 102.

وغزواتهم"، وكتاب "صفة قرطبة، وخططها، ومنازل العظماء بها"[1]، ولابنه عيسى أيضا مساهمة في الكتابات المحلية، وقد ذكرناه سابقا.

– أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، المعروف بابن القوطية (ت367هـ/977م)، نُسب إليه تأليف كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"[2]، غير أن هذا العنوان لم يرد بهذا اللفظ في المصادر، بل ذكره الحموي باسم "تاريخ الأندلس"[3]، وقد رجّح بالنثيا أن الكتاب ليس من إنشاء ابن القوطية، وإنما كتبه أحد تلامذته حيث نقله عنه سماعا[4]، ويحمل الكتاب ميلا واضحا إلى أصول المؤرخ، سليل حفيدة آخر ملوك القوط[5].

– أبو عبد الرحمان مطرف بن عيسى الغساني (ت377هـ/987م) ألف كتابه للحكم بن عبد الرحمان سماه "المعارف في أخبار كورة إلبيرة وأهلها وبواديها وأقاليمها وغير ذلك من منافعها"[6]، وقد جمع بين الجغرافية الإقليمية والتاريخ السياسي للأندلس[7].

– إسحاق بن سلمة (ت399هـ/1009م) ألف كتابا بأمر من المستنصر حول أخبار الأندلس، وله كتاب "أخبار ريّة من بلاد الأندلس وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها"[8].

– عبد الرحمان بن محمد بن معمر (ت423هـ/1032م) كتب مؤلفا بعنوان "الدولة العامرية"[1]، كما تبعه حسين بن عاصم (ت449هـ/1057م) فألف ""المآثر العامرية"[2].

---

[1]– الحميدي، المصدر السابق، ص 104. الضبي، المصدر السابق، ص 151. ابن حزم، فضائل الأندلس وأهلها، ص 17. روزنتال، المرجع السابق، ص 210.

[2]– ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 79. الشنتريني، المصدر السابق، ج3، ص 523. بالنثيا، المرجع السابق، ص 203. القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 297.

[3]– الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص 2593. ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2،1989، –مقدمة المحقق–.

[4]– بالنثيا، المرجع السابق، 203.

[5]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 115. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 80.

[6]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 587-588.

[7]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 128.

[8]– ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 89. ابن حزم، **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها**، تح: إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ج2، ص 183. الحميدي، المصدر السابق، ص 169.

– أبو بكر محمد بن عيسى بن مُزَين (ت470هـ/1078م) ألف كتابا مختصرا في تاريخ الأندلس[3]، وهو صاحب الفصل الممتع الذي يحدثنا عن الملكية العقارية في الأندلس بعد الفتح[4].

كما لا ننسى ما كتبه ابن حزم في رسائله "فضائل الأندلس وأهلها"[5]، ومنه جاءت تسمية كتب الأقاليم "بالفضائل"[6]؛ ويجب أن نشير إلى تلك الكتب المجهولة، أو كما يسميها بويكا "تواريخ الثغر"، والتي خصصت مواضيعها لتدوين تاريخ الملوك الذين اعتُبروا اسميا فقط موالين لأمويي قرطبة[7]، ومنها كتاب افتتاح الأندلس لمؤرخ مجهول، حيث كتب صاحبه عن تاريخ الأندلس حتى نهاية عصر الخليفة الناصر(350هـ/961م)، وعلاقة قرطبة مع القوى النصرانية في الشمال[8].

ويبقى التاريخ الكبير لابن حيّان القرطبي أعظمَ ما أنتجته قرائحُ مؤرخي الأندلس ضمن الكتابات المحلية، والذي أفردنا له فصلا كاملا في هذه الدراسة.

خامسا– الأنساب:

شكّلت كتابة الأنساب ملمحا بارزا من أشكال التأليف عند العرب، متأثرة بما اشتهروا به من اعتزاز بالأنساب والأحساب، وبطبيعة الفكر القبلي السائد في بيئتهم، وتكمن أهمية علم الأنساب كونه يمثل أساس الشرف ومناط الفخر، ومن خلاله يُعرف الصحيح من غيره، فهو مجلبة للعز ومدعاة للقوة والألفة والمحبة[9]، وكان من أجلّ العلوم عند المسلمين، فقد جاء في السنة الصحيحة، في حديث النبي

---

[1]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 314.

[2]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 140. ك. بويكا، المرجع السابق، ص 131.

[3]– ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 129.

[4]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 212.

[5]– ابن حزم وابن سعيد والشقندي، **فضائل الأندلس وأهلها**، تح صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد،، ط1، 1968.

[6]– شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص 290.

[7]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 111.

[8]– محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 193.

[9]– منير جهاد محمد سبتي، **من اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري –الأنساب نموذجا–**، مجلة الآداب، كلية المأمون، جامعة، العراق، ع132، 2020، ص 159.

صلى الله عليه وسلم: "تَعَلَّموا من أنسابِكم ما تَصِلُونَ به أرحامَكم؛ فإن صلةَ الرحِمِ مَحَبَّةٌ في الأهلِ، مَثْرَاةٌ في المالِ، مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ"[1].

ولهذا ازدهرت الكتابة في باب النسب، وبرز النسّابة وكثرت أعدادهم خصوصا في القرن 3هـ/9م، وقد حفظ لنا التراث العربي أسماء لامعة في هذا المجال، أمثال: هشام الكلبي (ت204هـ/819م)، صاحب كتاب "الجمهرة في الأنساب"؛ ثم تطورت هذه الكتابات التي لا تختلف في دوافعها عن الكتابات المحلية، وذلك باستمرار الاهتمام بالمآثر والأنساب القبلية، نتيجة ظهور العصبيات المحلية للأمصار والاعتزاز بها لدى القبائل التي تسكنها[2]؛ غير أنّ هذا النمط من الكتابة أخذ يتراجع تدريجيًّا مع مرور الزمن وترسّخ الفكرة الإسلامية في نفوس الناس.

امتدت الكتابة عن الأنساب إلى الأندلس، وأبدع مؤرخوها في تدوين تراجم وسير أشراف العرب حسب أنسابهم، ومن الملاحظ أن اعتناء الأندلسيين بذلك كان نتيجة حرصهم على الحفاظ على أنسابهم، نظرا لدخول الكثير من القبائل العربية إلى هذه البلاد واختلاطها بعناصر أخرى، واحتمال ضياع أنسابها[3]؛ ومما يجب الإشارة إليه أن خلفاء بني أمية في الأندلس ساهموا في تنشيط هذا اللون من التدوين التاريخي—كما رأينا سابقا–، وقد صارت الكتب المشرقية، مثل كتاب "التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومطالبها" وكتاب "نسب بني كلاب" مصادرَ يعتمد عليها المؤرخون الأندلسيون فيما بعد[4].

ومن المدونات الأندلسية التي اعتنى مؤرّخوها بالأنساب؛ نذكر منهم:

– قاسم ابن أصبغ (ت340هـ/951م) ألف كتابان "الأنساب" وفضائل قريش"[5].

– أحمد الرازي (ت344هـ/955م) له كتاب "أنساب مشاهير أهل الأندلس" في خمس مجلدات ضخمة[6].

---

[1]– ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ/855م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج2، ص 374. حديث رقم 8855.

[2]– عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 39.

[3]– ربوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 38.

[4]– يوسف أحمد يوسف بني ياسين، المرجع السابق، ص 93.

[5]– ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص 184. الحميدي، المصدر السابق، ص 331. ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص 145.

[6]- الحميدي، المصدر السابق، ص 104. الضبي، المصدر السابق، ص 151. المقري، المصدر السابق، ج3، ص 143.

– مطرف بن عيسى بن لبيب بن محمد بن مطرف الغساني (ت356هـ/967م) له كتاب "أنساب العرب النازلين في ألبيرة وأخبارهم"[1].

– أبو عبد الرحمان معاوية بن هشام بن محمد بن هشام (كان حيا في النصف الأول من القرن 4هـ) ألف كتابا سماه "التاج السني في نسب آل علي"[2]، والجزء الوحيد المتبقي منه يخص سلالة الأمويين في الأندلس[3].

– "كتاب الطوالع في انساب أهل الأندلس" الذي أورده ابن حزم دون ذكر لمؤلفه، ومن المحتمل أنه من الكتب التي وضعت بتوصية من الحاكم الثاني[4].

– كتاب "أنساب العلويين والطالبيين القادمين إلى المغرب" مجهول المؤلف، وهو أيضا من الكتب التي وضعت خصيصا للخليفة الحكم المستنصر[5].

كما كان لابن عبد البر جهود معتبرة في باب الأنساب، حيث حفظ له التاريخ كتابه بعنوان "الإنباه في قبائل الرواة"[6]، وله أيضا كتاب "القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم"[7]؛ وكذلك المؤرخ ابن حزم فقد كان نسّابة بارعا، من خلال موسوعته "جمهرة أنساب العرب"[8]، التي تُعد من أوسع كتب النسب وأدقها مع الإيجاز والاستيعاب[9].

---

[1]– بكر بن عبد الله أبو زيد، **طبقات النسابين**، دار الرشد، الرياض، ط1،1987، ص 86.

[2]– ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 183.

[3]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 99.

[4]– ابن حزم، فضائل الأندلس وأهلها، ص 17. ك. بويكا، المرجع السابق، ص 181.

[5]– ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 202. المقري، المصدر السابق، ج3، ص 60.ك. بويكا، المرجع السابق، ص 180.

[6]– ابن عبد البر، **الإنباه على قبائل الرواة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1،1985، –مقدمة المحقق–

[7]– ابن عبد البر، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ويليه الإنباه على قبائل الرواة**، مكتبة القدسي، القاهرة، 1931.

[8]– ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت.

[9]– نفسه، مقدمة المحقق. ص 13.

سادسا– البلدان والرحلات (المسالك والممالك):

ينطلق موضوع المسالك والممالك مع الفتوحات الإسلامية، فعندما وحّد العرب البلدان التي فتحوها دينيا وثقافيا، تطلبت مسألة إدارتها التعرف عليها وتنظيم شؤونها، ثم إن كثيرا من الناس أصبحوا بحاجة إلى معرفة طرق الحج ومحطات القوافل ومنازل الحجاج في البلاد والأماكن المقدسة، فكان للمؤرخين مَهَمة وصف هذه المدن وسكانها وأحوالها؛ وبالتالي، لم يكن غريبا أن يوجد أعلام مثل ابن خرداذبة، وقدامة ابن جعفر، وابن حوقل، والمقدسي، الاصطخري، وغيرهم كثير[1].

وقد تنازع بعض الباحثين حول هذه الفكرة، حيث يرى آخرون أن التأليف في الجغرافية لم يصدر عند المسلمين عن مجرد الرغبة في معرفة طرق الحج، بل كان ذلك نتيجة النزعة العلمية، وهو من مظاهر العزّة الذي يصاحب الأمم الصاعدة[2]؛ وعلى أية حال، فقد تطورت الكتابة الجغرافية وأُعتبر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي قرن النضوج، حيث بلغ عدد الرحالة في هذا القرن حدا كبيرا[3].

ولأهمية هذا الفن؛ فقد أولاه حكام المسلمين عناية كبيرة، خاصة مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتشعب علاقاتها عن طريق السفارات والبعثات، فقد كان الخلفاء يبعثون الرحالة ليأتوهم بأحوال وشؤون الدول التي تربطها بها علاقات، ومن ذلك ما فعله الخليفة الواثق عندما أرسل سلام الترجمان إلى الصين ليشاهد السد الذي بناه الإسكندر في ديار يأجوج ومأجوج، وعادت الرحلة لتقص على الناس أخبار الصين وعجائبها[4]، والحقيقة أن أكثر المهتمين بهذا الفرع من فروع المعرفة كانوا من الرحالة الذين استهوتهم مغامرة الأسفار وكشف أسرار هذه المعمورة[5].

وقد كان غالبية هؤلاء الرحالة كتّابا فجاءت كتاباتهم يغلب عليها الطابع القصصي المفعم بالخيال والمتعة[6]، هذا ومما ينبغي الإشارة إليه أن الرحالة العربي كان دقيق الملاحظة متفتح الذهن، فكان من

---

[1]– حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1983، ص 11.

[2]– حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص 2-3.

[3]– حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص 12.

[4]– ابن خرداذبه: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو 280هـ/893م)، **المسالك والممالك**، دار صادر أفست ليدن، بيروت، لبنان، د.ط، 1889، ص 163.

[5]– بشار قويدر، المرجع السابق، ص 70.

[6]– نفسه، ص 12.

الطبيعي أن يوفَق المسلمون في أدب المسالك والممالك والبلدان، وبرز تفوقهم إلى أبعد الحدود، حتى أصبحت بعض كتب رحلاتهم من معالم الأدب العالمي[1].

بدأ الاهتمام بالتأليف في الجغرافية عند الأندلسيين في عصر الخلافة[2]، وكان ذلك بسبب انقطاعهم عن العالم الإسلامي واحتكاكهم بأوروبا، فكان لزاما عليهم معرفة مسالك هذا العالم وطبيعته الجغرافية[3]؛ ولهذا صار أهم ما يميز كتب الرحلات صبغتها المغربية أو الأندلسية[4]؛ وللأسف الشديد فإن الرصيد الوثائقي للأندلسيين من هذا النمط التأليفي، لم يبقَ منه إلا القليل من الشذرات والمقتطفات المتناثرة هنا وهناك، وبالرغم من ذلك الإنتاج الضخم كلّه، فإننا لا نملك كتابا واحدا باستثناء كتاب الإدريسي[5].

ويمكننا أن نستعرض بعض النماذج للجغرافيين الأندلسيين فيما يلي:

– أحمد الرازي (ت344هـ/955م) ألف كتابا في طرق الأندلس ومرافئها ومدنها الكبرى والأجناد العربية الستة التي نزلتها عند الفتح[6]، ويطلق عليه أبو الجغرافيا والتاريخ في الأندلس[7].

– محمد بن يوسف الوراق (ت362هـ/973م) ألف كتاب ضخما في "مسالك إفريقية وممالكها"[8].

– أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم، المعروف بابن النظام (عاش خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/10م)[9]، ووصلتنا كتاباته عن الجغرافيا الأندلسية عن طريق المؤرخين الذين نقلوا عنه أمثال ابن حيان القرطبي، والمقري[1].

---

[1]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 9.

[2]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 309.

[3]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 200.

[4]– محمد عبد الكريم الوافي، المرجع السابق، ص 324.

[5]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 21.

[6]–كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ج1، ص 169.حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 57. بالنثيا، المرجع السابق، ص 309.الحميدي، المصدر السابق، ص 104.

[7]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 56.

[8]– كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ج1، ص 169. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 73. المقري، المصدر السابق، ج3، ص 163.

[9]– ك. بويكا، المرجع السابق، ص 129.

– أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض (ت459هـ/1066م) ألف كتابا في الجغرافيا عن الطرق والأنهار وهو مفقود[2]، ولم تذكر المصادر اسم كتاب مفرد له، لكن بعض الباحثين استنتجوا أن المقدمة الجغرافية لتاريخه كانت طويلة مستوعبة، جعلت عبد الواحد المراكشي يدرج ابن أبي الفياض ضمن أصحاب كتب المسالك والممالك[3].

– أبو عمر احمد بن يوسف العذري الدلائي (ت478هـ/1085م) كتابه "نظام المرجان في المسالك والممالك"[4].

– أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت487هـ/1094م) أكبر جغرافي الأندلس، فقد ألف كتاب "المسالك والممالك"[5]، وكتاب "معجم ما استعجم"[6]، الذي كان فيه البكري أول من استعمل الطريقة الأبجدية، والكتاب ليس جغرافيا بقدر ما هو كتاب لغوي نال تقديرا كبيرا لدى المستشرقين[7].

سابعا– المذكرات الخاصة (التراجم الذاتية):

عرف التراث الإسلامي نمطا مميزا من الكتابة، وهو السيرة الذاتية، ويُعدّ كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ الكناني الشيْزري (ت584هـ/118م) من أقدم نماذجه، ويتضمن صورا حية لفترة الحروب الصليبية التي عاصرها مؤلفه[8]؛ ولقد كان للفتنة الأندلسية انعكاس مباشر على الحضور القوي للتراجم الذاتية، التي انبثق عنها الشعور بالماضي وتغيير الحاضر[9]، لهذا ظهر هذا الفن في مؤلفات الأندلسيين ووصلت إلينا مصنفاتها كاملة.

---

[1]– ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 236. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 103.

[2]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 212.ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 63.

[3]– حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 107.

[4]–الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 460. كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ج1، ص 273. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 83.

[5]– البكري: **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003. بالنثيا، المرجع السابق، ص 310.

[6]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 123.

[7]–كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ج1، ص ص274-279.

[8]– محمد عبد الكريم الوافي، المرجع السابق، ص 308.

[9]– إحسان عباس، المرجع السابق، ص 141.

يأتي ابن حزم كدليل واضح على هذا النمط من الكتابات الأدبية التي سادت خلال القرن 5هـ/11م، عندما ألف كتابه الشهير "طوق الحمامة"[1]، والذي حظي بتحقيقات ودراسات لعلها لم تتوافر لكتاب آخر من كتب الفكر الإسلامي[2]؛ وقد كشف لنا فيه عن أبعاد الحياة الاجتماعية الأندلسية، خاصة للفئات الراقية بالمجتمع[3]، وموضوع الكتاب يحدثنا عنه ابن حزم، فيقول: "... كلفتني – أعزك الله – أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة، لا متزايداً ولا مفنناً"[4]، وكان ذلك بعد أحداث الفتنة ومغادرة ابن حزم لقرطبة.

نضيف إلى ابن حزم، ما كتبه أمير غرناطة عبد الله بن بلقين في كتابه "التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة"، الذي ألفه أيام إقامته في منفاه بأغمات، وسرد فيه تاريخ آبائه وأحوال حكمه، وحوادث الأندلس في عصره[5]، ويعد الكتاب وثيقة هامة كشهادة أحد أمراء ملوك الطوائف على عصره[6]؛ وبالتالي فهمٌ عميق لغرناطة القرن الخامس الهجري، ويتأسف البعض كونه لم يكتب عن تاريخ الأندلس كلها[7]؛ وفي السياق ذاته، نذكر رسالة كتبها ابن شُهَيد إلى المؤتمن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن أبي عامر عن ذكرياته في ظل الدولة العامرية[8].

المبحث الثاني: أنماط التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي وأهم أعلامه:

سنتناول عناصر هذا المبحث بالمنهجية ذاتها التي اعتمدناها في المبحث السابق؛ وتجدر الإشارة إلى أن الإسطوغرافيا المغربية في الأقاليم الثلاثة (الأدنى، والأوسط، والأقصى) جاءت متفاوتة، على الأقل فيما وصل إلينا منها، الأمر الذي يدفعنا إلى دراسة محددات التدوين التاريخي في المنطقة ككل، دون التفريق بين هذه الأقاليم.

---

[1]- ابن حزم، **طوق الحمامة في الألفَة والألاف**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

[2]-عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي، ص 241.

[3]- نفسه.

[4]- ابن حزم، طوق الحمامة، ص 86.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص126.

[6]- محمود إسماعيل،، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 196. بالنثيا، المرجع السابق، صص241-247.

[7]- أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص 242.

[8]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص 141.

ومن جانب آخر، ندرك جيدا مدى صعوبة حصر الظاهرة الثقافية ضمن إطار جغرافي ضيق بمعزل عن التفاعلات الأخرى، ولا سيما داخل الإقليم المغاربي الواحد، ويزداد الأمر صعوبة مع الجناية الكبرى التي وقعت في حق المؤلفات التاريخية للمنطقة.

يبدو أن الفكر التاريخي الإسلامي في المغربين الأوسط والأقصى كان أكثر تحرجا مقارنة بنظيره في المغرب الأدنى[1]، ومع ذلك، نجد تنوعا في أشكال الكتابة التاريخية، شمل المغازي والسير، والتراجم والطبقات، والأنساب، والتواريخ المحلية والعامة، كما سيتضح لاحقا. وعموما؛ تبقى فجوات كثيرة وتساؤلات تحتاج إلى اكتشاف وتعمق، في ظل تراث طواه الإهمال وقد لا يعثر عليه قط[2].

أولا– السيرة والمغازي:

تلفت الانتباه ظاهرة قلة المؤلفات الخاصة بالسيرة النبوية، وما يُعرف بالمغازي، في المغرب، ويعود ذلك إلى وفرة الإنتاج المشرقي الذي غطّى بالتفصيل أحداث السيرة، مما لم يترك للمغاربة مجالا واسعا للإضافة خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الخامس الهجري؛ وقد انصب اهتمام المؤرخين المغاربة على تناول المعجزات النبوية وبعض الجوانب من شخصية الرسول ﷺ، في حين ظلّت بعض المؤلفات الأندلسية، مثل الاستيعاب لابن عبد البر، تُدرَّس قرونًا في حلقات العلم بالمغرب[3].

يرى بعض الباحثين أن المغاربة استكملوا معارفهم التاريخية المتعلقة بالسيرة النبوية خلال القرن 2هـ/8م، مستفيدين من رحلاتهم العلمية المكثفة إلى المدينة المنورة، حيث حرصوا على الأخذ عن إخباريّ السيرة والمغازي دون ادخار أي جهد، ورغم شحّ المعلومات المتوفرة، فقد شقّ النبوغ المغربي في هذا الميدان طريقه بثبات[4].

ويتّضح هذا من خلال بعض النماذج التي كانت لها مساهمة معتبرة في هذا النمط التدويني، منها:

[1]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 249.

[2]– نفسه، ص 253.

[3]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 249.

[4] –الطيب بوسعد، **المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث خلال القرون الهجرية الأولى**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، ع6، 2009، ص137.

– محمد بن عبد الله البرقي أبو عبد الله (ت249هـ/863م) ألف كتاب "أخلاق النبي"[1].

– عبد الملك المهري (ت253هـ/867م) له كتاب "تفسير مغازي الواقدي"[2].

– محمد بن سحنون (ت256هـ/870م) ألف في جميع العلوم، منها "المغازي"[3]، وأيضا عشرون كتابا في السير[4].

– أبو جعفر القصري أحمد بن محمد التميمي (ت322هـ/934م)، ألف في المعجزات كتابا سماه "كتاب تجديد الإيمان وشرائع الإسلام" [5].

– ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م) كتب عن مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه المشهور "الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ"[6].

– أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي بن زكرياء الشقراطيسي التوزري (ت466هـ/1073م)، اشتهر بقصديته "الشقراطيسية" في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي سيرة الصحابة، أنشدها بالمدينة عند قبره صلى الله عليه وسلم، وشرحها جماعة من العلماء[7].

اتضح أن إسهامات المؤرخين المغاربة في مجال السيرة كانت ذات قيمة حقيقية، واستطاعوا التميز بمؤلفات خاصة بهم تدل على عمق انتمائهم للحضارة العربية الإسلامية، وتفانيهم في خدمة المعرفة التاريخية.

---

[1]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 181. محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 100. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 258.

[2]– الزبيدي، المصدر السابق، ص 229. الصفدي، المصدر السابق، ج19، ص 130. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ/1329م)، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 189.

[3]– المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 443.

[4]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 207. ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص 171.

[5]–المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 198. الدباغ: عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي، أبو زيد (ت 699 هـ/1299م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: عبد لمجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج3، ص 10. محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 123. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 206.

[6]– أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، **كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ**، تح: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1973.

[7]– محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 173.

ثانيا– التراجم والطبقات:

يُعدّ القرن الرابع والخامس الهجريين أزهى العصور في تأليف كتب التراجم والطبقات بالمغرب الإسلامي، حيث انقسمت هذه المؤلفات إلى مجاميع تضم تراجم لعدد كبير من الشخصيات في عصر واحد أو عبر عدة عصور، وأخرى أحادية تُفرد الترجمة لشخصية واحدة فقط؛ أمّا التراجم الذاتية فكانت نادرة الظهور، ومن أبرز أمثلتها: كتاب التعريف لابن خلدون[1]، الذي ينتمي إلى فترة زمنية تقع خارج نطاق هذه الدراسة. نستعرض بعض النماذج التي اهتمت بالتراجم والطبقات، منها:

– محمد بن سحنون (ت256هـ/870م) ألف كتاب "طبقات العلماء" في سبعة أجزاء، وكتاب "السير" عشرون جزءا[2].

– ابن الصغير المالكي (ت بعد 294هـ/906م) له كتابا حول "أخبار الأئمة الرستميين"[3]، ويعتبر أقدم وثيقة وصلت إلينا عن الإباضية بتاهرت بعد ضياع ما رواه أبو صالح النفوسي وما كتبه ابن سلام بن عمرو اللواتي[4].

– أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت333هـ/865م)، ألف كتابه "طبقات علماء إفريقية"[5]، وله أيضا "عُباد إفريقية"[6].

– أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزار (ت369هـ/980م) له كتاب "طبقات القضاة"[7].

– إبراهيم بن أبي العباس بن خلف التميمي له كتاب "طبقات فقهاء تونس"[8].

---

[1]–إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 256.

[2]– المالكي، رياض النفوس، ص 13. القاضي عياض، ج4، ص 207.

[3]– ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 15.

[5]– أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي(ت333هـ/865م)، **طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس**، دار الكتاب اللباني، بيروت، لبنان، د.ت.

[6]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 324. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص 671.

[7]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 269.

[8]–نفسه.

– محمد بن الحارث الخشني (ت361هـ/971م) له كتاب بعنوان "أخبار الفقهاء والمحدثين"، وكتاب "طبقات علماء إفريقية"[1].

– أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد ابن رشيق (كان حيا سنة 376هـ/986م) ألف كتاب "أخبار العلماء والصلحاء ومناقبهم وكراماتهم شرقا وغربا"[2].

– أبو بكر عتيق بن خلف التجيبي القيرواني (ت1031/422م) له "كتاب الطبقات"[3].

– المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني (بعد 453هـ/1061م) له كتاب بعنوان "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية"[4].

– أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني (ت471هـ/1075م) ألف"كتاب السيرة وأخبار الأئمة"[5]. ويتضح أنه جمع بين التاريخ المحلي والتراجم، وسنفرد له فصلا مستقلا في الدراسة.

وللعلاقة الوثيقة بين العدوتين فقد تشابهت نوعية الكتابة في التراجم، فقد كان للمغاربة إنتاج معتبر في مجال البرامج والفهارس، حيث ازدهر أكثر بعد القرن 5هـ/11م، ومثال ذلك؛ فهرس محمد بن سعدون القيرواني[6]، وفهرس أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن حمود السفاقسي[7] في القرن 5هـ/11م.

وكنا قد ذكرنا مجموعة من المؤلفات التراجمية في المبحث الأول، لذا نكتفي بهذا القدر للاستشهاد على اتساع مجال التأليف في باب السير والطبقات.

---

[1]– ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 115. محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 141.

[2]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 190. محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 164.

[3]– محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 158. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 201.

[4]– المالكي: أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني (بعد 453هـ/1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

[5]–أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تح: عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1985.

[6]– ابن خير، المصدر السابق، ص 386.

[7]–نفسه، ص 387.

ثالثا– الأنساب:

شكّلت مسألة الأنساب موضوعا متكرر الحضور في التاريخ المغاربي منذ فترة مبكرة؛ إذ كان كلٌّ من العرب والبربر يرتبطون بالنظام القبلي في البوادي، وبالأسر الموسَّعة في الحواضر والبوادي على السواء؛ وقد استدعى ذلك تحديد هويات الأفراد والجماعات، وضبط حقوقهم في الأرض والمرعى والمياه، إضافة إلى الحفاظ على كيان عائلي موسَّع يضمن التعاون بين أفراد الأسرة، ويحقق طموحاتها في الظهور والسلطة واتخاذ القرار؛ كما برزت الحاجة إلى تمييز أنساب العرب في مرحلتين رئيسيتين: الأولى مع الفتوح الإسلامية والأجيال القريبة منها، بغرض توزيع الإقطاعات وتسهيل عمليات التجنيد وتحديد العطاءات، والثانية بعد الزحف الهلالي، ولا سيما منذ القرن 6هـ/12م[1].

وهذا ما أدى إلى بروز مؤرخين نسّابة في المنطقة، نذكر منهم:

– محمد بن خيرون المعافري (ت301هـ/914م) صنف "نسب الشيعة وأخبارهم"[2].

– أبو طالب بن احمد بن عيسى –حفيد الإمام إدريس مؤسس دولة الأدارسة– ألّف كتاب "السفرة" وهو ثبت لنسب الأدارسة الداخلين لبلاد المغرب[3].

– أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت333هـ/865م) صنف كتاب "مناقب بني تميم"[4].

– محمد بن الحارث الخشني (ت361هـ/971م) ألف كتاب "النسب"[5].

– ويعرفنا ابن خلدون على بعض نسابة البربر، أمثال: سالم بن سليم المطمامي، وهاني بن مسرور، وكهلان بن أبي لوا، وأيوب بن أبي يزيد، وسابق المطماطي، وسليمان بن إسحاق المطماطي، وغيرهم[6].

---

[1]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 250-251.

[2]– محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ج2، ص 266. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 112-113.

[3]– محمد المنوني، المرجع السابق، ص 27.

[4]–القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 324. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص 671.

[5]– الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 166.الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 75.

[6]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 117. ص 124. وللمستشرق رينه باسه دراسة عن بعض هؤلاء المؤلفين نشرها في مجموعة الوثائق المغربية بالمجلد الأول، عدد 11. ينظر: محمد المنوني، المرجع السابق، ص 27.

– محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق القيرواني (ت363هـ/973م) ألف كتاب "أنساب البربر"، وقد نقل عنه البيذق في المقتبس[1].

– إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي (ت470هـ/1077م) له كتاب "مختصر نسب قريش لأبي عبد الله بن الزبير"[2].

يتضح مما سبق؛ أن المصادر التاريخية قد حفظت لنا عددا معتبرا من هؤلاء النسابة والمؤرخين المغاربة، ممن اعتنوا بموضوعات الأنساب، فمن خلال تراجمهم نستطيع أن نلاحظ التميز والعمق والتمكن في بحوثهم التاريخية، مما أدى بهم إلى الانتقال من طور التتلمذ على المشارقة إلى التصدر للكرسي المغربي شرحا وتفسيرا[3].

رابعا– التاريخ المحلي:

ساهم المغاربة في تدوين أخبار بلادهم على غرار ما فعله المشارقة، حيث سارت طلائع هذا النوع من التدوين على الأرجح في إفريقية، مرورا بعدد من المدن المغاربية، وقد مثّل القرن الرابع الهجري/السادس الميلادي أول فترة خصبة لكتابة التاريخ المحلي[4]؛ كما شعر مؤرخو المغرب بأن لديهم من الأخبار والأحوال ما يستحق التسجيل، تعبيرا عن نزعتهم في تقدير الأخبار المحلية المشهودة مقابل الأحداث البعيدة غير المشهودة[5].

ولتوضيح ذلك، نستعرض قائمة من رواد هذا الاتجاه التأليفي، منهم:

– عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت226هـ/840م)، الذي كان له باع في أخبار إفريقية وحروبها[6].

---

[1]– البيذق: أبو بكر الصنهاجي، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط، الرباط، المغرب، 1971، ص 14.

[2]– إسماعيل باشا البابابي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص 10. الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص 51.

[3]– الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 134.

[4]–إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 252.

[5]– شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص287.

[6]– ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص 418.

- عيسى بن أبي المهاجر (ت252هـ/866م) له كتاب "فتوح إفريقية" وهو مفقود[1].

- محمد بن زيادة الله بن الأغلب (ت283هـ/896م) صاحب "تاريخ بني الأغلب"[2].

- أبو علي الحسين بن عبد الرحمن بن عبيد البصري المعروف بالوكيل (كان حيا سنة 346هـ/957م)، ألّف كتابه "الكتاب المعرب عن أخبار إفريقية والمغرب"، ولا نملك من هذا الكتاب إلا نصوصا، نقلها المؤرخون أمثال القاضي عياض، وابن الأبار، وغيرهما[3].

- تميم بن حمدان بن تميم السرتي (ت346هـ/957م)، يذكر القاضي عياض أنه كان عالما بأخبار إفريقية وأنساب أهلها[4].

- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزار (ت369هـ/980م) له كتاب "أخبار الدولة"[5]، يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب، وكتاب "التعريف بصحيح التاريخ"، وهو تاريخ مُختصر يشتَمل على وفيات عُلَمَاء زَمَانه وَقطعَة جميلَة من أخبارهم[6].

- أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي؛ القاضي النعمان (ت363هـ/974م) في كتابيه "افتتاح الدعوة" وكتاب "المجالس والمسايرات"[7].

- محمد بن عبد الملك بن الودون (ت ق3هـ/9م) ألف كتاب "تاريخ الأدارسة"[8].

---

[1]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 120.

[2]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 180. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 129. الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 131.

[3]- المالكي، رياض النفوس-مقدمة الكتاب-، ص 15.

[4]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 18.

[5]- يذهب البعض إلى اعتبار أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب "مغازي إفريقية". ينظر: أحمد بوشريط، **ابن الجزار القيرواني وإسهاماته العلمية**، مجلو عصور الجديدة، ع23 (عدد خاص)، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2016، ص 27.

[6]- الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص 187. ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 482.

[7]-القاضي النعمان (ت363هـ/973م)، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986. القاضي النعمان، **كتاب المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي وإبراهيم شتوح ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

[8]- إسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرا**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 37.

– أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (ت420هـ/1029م) له مؤلفات منها: "تاريخ إفريقية والمغرب" و"كتاب فيه أخبار زيري بن مناد وابنه أبو الفتوح يوسف بن بلكين وأبو الفتح المنصور بن يوسف الصنهاجيين"[1].

– أبو عثمان سعيد بن عبس بن الأصفر (ت460هـ/1068م) ألف كتابه "تاريخ تلمسان"[2].

– أبو بكر محمد بن سعدون القيرواني (ت485هـ/1091م) ألف كتاب "تأسي أهل الإيمان بما طرأ على مدينة القيروان"[3].

خامسا– التاريخ العام (تاريخ الإسلام):

سارت الكتابة التاريخية الخاصة بالتواريخ العامة عند المغاربة عموما على طريقة المشارقة في ترتيب الأحداث التاريخية، والملاحظ أن مساهمتهم كانت قليلة حسب ما توصلنا إليه، وهو ما جعل البعض يقرر أنه لم يكتب مؤرخ مغربي عن الأندلس باستثناء محمد الخشني الذي هاجر إليها[4].

ورغم ذلك، فإنه لا يمنع من وجود بعض النماذج التي نستعرضها فيما يلي:

– احمد بن عبد الله الكوفي نزيل طرابلس (ت261هـ/874م) له كتاب "التاريخ"[5].

– سليمان الفراء ابن أبي عصفور القيرواني (ت269هـ/882م)، الذي قال بخلق القران، فقد ألف كتاب "أعلام النبوة"[6].

---

[1]– الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت420هـ/1029م)، **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: عبد الله علي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د. ت، د.ط. الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص 97. الصفدي، المصدر السابق، ج1، ص 58.

[2]– حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص 289. المالكي، رياض النفوس، ج2، ص 350.

[3]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 53–55. القاضي عياض، المصدر السابق، ج8، ص 113. العباس بن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1998، ج4، ص 09.

[4]– محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 186.

[5]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 259.الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص 26–27.

[6]– الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص 75.

– أبو العرب التميمي (ت333هـ/950م) ألف كتاب "المحن"[1]، ويتناول الكتاب المحن والمصائب التي نزلت بالعلماء والفقهاء والأولياء من لدن الصحابة إلى زمن المؤلف، وفيه قصص وروايات لفقهاء وعلماء عصره ممن تعرضوا للظلم والضرب والقهر[2]؛ كما ألّف كتاب "التاريخ" في سبعة عشر جزءا[3]، وهو مفقود. وقد ذهب بعض الباحثين إلى جعله في مستوى تاريخ الطبري[4].

– محمد بن سحنون (ت256هـ/870م) ألف كتاب "التاريخ" في ستة أجزاء[5].

– أبو عبد الملك الملشوني (عاش في القرن 3هـ/9م)، حيث ينقل المالكي عن أبي العرب أن أبو عبد الملك الملشوني "كان صاحب أخبار ومغاز، وله كتاب كبير في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وفي البدء"[6]. وتبعه ولده إسحاق بن أبي عبد الملك، الذي روى عن تاريخ القيروان وعقبة بن نافع[7].

– سعيد بن الحداد (عاش في القرن 3هـ/9م) له كتاب "عصمة النبيين"[8].

– علي بن فضال المجاشعي القيرواني (ت479هـ/1086م) له "كتاب الدُول"[9].

يبدو أن المغاربة قد فضلوا عدم إدراج موضوعات التاريخ العالمي في كتاب جامع، بل خصصوا لكل منها كتابا مستقلا، سواء في البدء أو أخبار الأمم السالفة أو تاريخ الأنبياء[10].

---

[1]– أبو العرب، **كتاب المحن**، تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2006.

[2]– يُنظر الصفحة 357 وما بعدها.

[3]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 324.

[4]– الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 141.

[5]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 207. ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص 171.

[6]– المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 401.

[7]– أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 8.

[8]– الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 163. الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص 26-27.

[9]– الداودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي(ت 945هـ/1538م)، **طبقات المفسرين للداودي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص 425-426. إسماعيل باشا، المرجع السابق، ج1، ص 693.

[10]– الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 140.

سادسا– المسالك والممالك:

يختلف الإنتاج المعرفي للمغاربة في مجال الجغرافيا التاريخية عن نظيره الأندلسي؛ إذ لم يسهم المغاربة إسهاما كبيرا في إنتاج المؤلفات الجغرافية؛ غير أن عدة عوامل تضافرت للنهوض بهذا النمط التأليفي لدى مثقفيهم، ارتبط بعضها برغبة الحكام ورعايتهم، خاصة مع اشتداد التنافس والصراع بين الأمويين في الأندلس والعبيديين في المغرب، فيما ارتبط بعضها الآخر بالنزعة العلمية والحاجة المعرفية لدى شريحة واسعة منهم[1]، ويقلّ عدد هؤلاء المؤرخين الرحالة في الفترة محلّ الدراسة، إذ لم نُسجّل سوى ثلاثة نماذج، هي:

– محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق القيرواني (ت363هـ/973م) ألف كتاب "مسالك إفريقية وممالكها"[2]؛ وقد وصف ابن حيان هذا المؤرخ الكبير بأنه "الحافظ لأخبار المغرب"[3].

– أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزار (ت369هـ/980م) ألف كتاب "عجائب البلدان"[4]، وهو في حكم المفقود.

– أبو عبيد البكري (ت487هـ/1094م) ألف كتابه "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"[5].

المبحث الثالث: المميزات العامة للمدرسة التاريخية في الغرب الإسلامي:

تعكس الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب الإسلامي مدى الثراء الفكري والثقافي الذي بلغته هذه المناطق في العصور الإسلامية، واهتمامها بتدوين تاريخها وحفظ تراثها؛ وقد تميزت الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب الإسلامي بخصائص مشتركة وأخرى متفردة لكل منطقة، وذلك نتيجة للتفاعل الثقافي والسياسي بينهما، مع ما شهده كل منهما من تطور خاص.

---

[1]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 310-311.

[2]– محمد المنوني، المرجع السابق، ص 25.

[3]– ابن حيان، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح: عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 33.

[4]– حجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص 1126. إسماعيل باشا، المرجع السابق، ج1، ص70.ابن الجزار، **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، تح: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1968، ص 48.

[5]– البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.

ومع ذلك فقد غلبت عليهما عناصر التداخل على عناصر التمايز؛ إذ تشترك الكتابة التاريخية في المنطقتين في اهتمامها بالسير والتراجم والتاريخ المحلي، إلى جانب التأثر بالرواية الشفهية والوثائق؛ وفي المقابل، سُجلت عناصر التمايز في كون الأندلس قد عرفت تطورا أعمق في مناهج الكتابة التاريخية، وظهور أسر علمية متخصصة في التأريخ، وتنوع في أساليب التدوين، مع تركيز خاص على تدوين الحضارة الأندلسية.

أما المغرب الإسلامي، فقد تميز بالدور البارز للرحلات العلمية باعتبارها رافدا أساسيا للكتابة التاريخية، وبدمج الوصف الجغرافي الدقيق مع السرد التاريخي، فضلا عن التطرق إلى جوانب من حياة الناس اليومية.

أولا– مميزات الكتابة التاريخية في الأندلس:

1– التأريخ بالشعر (الأرجوزة):

ابتكرت المدرسة الأندلسية أسلوبا فريدا في تدوين التاريخ يتمثل في نظمه شعرا على شكل أرجوزة[1]، لتمجيد الأمراء وتسجيل بطولاتهم؛ فكان للوزير تمام بن علقمة (ت194هـ/809م) الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها، ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم[2]، ثم تبعه يحي بن حكم الغزّال (ت250هـ/862م)[3] في هذا الأسلوب، فكتب أرجوزة في فتح الأندلس؛ وقد وصفها ابن حيان بأنها "كانت جميلة طويلة، عرض فيها أسباب الفتح والوقائع بين المسلمين والنصارى، وأطال الحديث عن أمراء هذا الصقع في أسلوب جميل عميق، وكانت شائعة متداولة بين الناس، غير أنها ضاعت مع مرور الزمن"[4].

---

[1]–المقري، المصدر السابق، ج3، ص 182. صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص 156.

[2]– ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 144.

[3]–الحميدي، المصدر السابق، ص 374-375.ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن الحسن ذي النسبين (ت633هـ/1235م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، سوريا، د.ط، د.ت، ص ص133-151.

[4]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 56.

2- دور رجال الدولة في ازدهار التدوين التاريخي:

ساهم رجال الدولة بالأندلس في تنشيط حركة التدوين التاريخي، من خلال التشجيع المادي، ودعم الرحلات العلمية، وتطوير حرفة النسخ والوراقة؛ وقد انعكس ذلك بشكل واضح على الحركة العلمية والتاريخية في الحواضر والمدن الأندلسية[1].

3-تنوع المعارف والأساليب عند المؤرخين:

أفرزت المدرسة التاريخية الأندلسية مؤرخين جمعوا بين معارف متعددة، فزاوجوا في كتاباتهم بين التدوين والتقصي عن الحقائق التاريخية، سواء كانت محلية أو إقليمية أو عالمية، واتسمت الكتابات التاريخية بالتدقيق والاسترسال في التفاصيل والنوادر على الرغم من حرص الكثير على الاختصار، كما تميزت بالتسلسل الزماني دون التقيد بالنمط الحولي[2]؛ وقد اختلفت مناهجهم وأساليبهم في معالجة الأحداث وتفسيرها[3].

وتميزت المدرسة الأندلسية بالشمولية في بعض الأحيان، ويظهر ذلك في تناولت بعض الكتابات التاريخية الأندلسية جوانب متعددة من الحياة، مثل الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

4-المنهج النقدي:

تميز مؤرخو الأندلس بالنزعة النقدية والاعتماد على منهج سليم في التأريخ، حيث سعى بعض المؤرخين الأندلسيين إلى توخي الدقة في نقل المعلومات، والتحقق من صحة الروايات، والمصادر التي اعتمدوا عليها؛ ويُعدّ ابن حزم أبرز ممثلي هذا الاتجاه؛ فقد أسس مدرسة إبداعية جمعت بين العقل والنقل، بين الدراية والرواية، وتقوم على الحجاج والمقارنة، والتأصيل التاريخي[4]؛ وقد أصبحت مؤلفاته من أهم المصادر التي يعتمد عليها في دراسة الأنساب والتربية والفقه والتاريخ[5].

---

[1]- عبد القادر ربوح، المرجع السابق، ص 44.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 190.

[5]- نفسه.

5- العناية بالتاريخ المحلي وتاريخ المدن:

انعكست طبيعة اللامركزية التي تمتعت بها المدن الأندلسية في العهد الأموي، إلى جانب النزعات الانفصالية، على اهتمام المؤرخين بكتابة تاريخ مدنهم؛ فبرزت التواريخ المحلية باعتبارها جزءًا مميزًا من الإنتاج التاريخي الأندلسي[1]؛ فكان الاهتمام كبير بتدوين تاريخ المدن والأسر الحاكمة والشخصيات البارزة، مثل مؤلفات "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، و"المقتبس من أنباء أهل الأندلس" لابن حيان القرطبي.

6- الاطلاع على المصادر اللاتينية وأخبار الممالك المسيحية:

اتسمت المدرسة الأندلسية بدقة الأخبار، خاصة فيما يتعلق بالممالك المسيحية وما وراءها، ويعود ذلك إلى اطلاع بعض المؤرخين على المدونات اللاتينية القديمة، أو استفادتهم من روايات أهل الذمة من النصارى واليهود المقيمين بالأندلس والعارفين بأحوال تلك الممالك[2].

7- إسهام الأندلسيين في معاجم الأعلام وفهارس الكتب:

برز اهتمام المؤرخين الأندلسيين بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب، واتسع نطاق هذا النشاط العلمي والتاريخي، مما يعكس المستوى المتقدم الذي بلغته المعرفة في الأندلس[3].

8-دور أسرة آل الرازي:

شهد القرن الرابع الهجري ازدهار الكتابة التاريخية بفضل جهود أسرة آل الرازي، التي تركت بصمة واضحة في مسار التأريخ الأندلسي، وأسهمت في إعطاء صورة مشرقة عن هذا التراث[4]؛ ومنهم أحمد

---

[1]- عبد القادر ربوح، **مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3-4هـ/9-10م**، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، ع8، 2018، ص 557-558.

[2]- نفسه.

[3]- عبد القادر ربوح، مساهمة المدرسة الأندلسية، ص 557-558..

[4]- نفسه.

الرازي الذي كان مؤرخا وجغرافيا في الوقت ذاته، وهو وان كان مشرقي الأصل لكنه أندلسي المولد والنشأة والثقافة، قضى عمره في تدوين تاريخ الأندلس ووصف جغرافيتها[1].

ثانيا– سمات التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي:

1– ضعف المساهمة المغربية في التاريخ العام:

لم يكن للمغاربة إسهام كبير في مجال التأريخ العام، إذ انصب اهتمامهم بشكل أكبر على التاريخ الإقليمي والمحلي بمختلف صوره؛ وقد تميز العمل المغاربي عن نظيره المشرقي في طبيعة العطاء، رغم التقاء الطرفين في التركيز على العصر الإسلامي[2].

في المقابل؛ انصرفت كتب التراجم والطبقات والأنساب إلى إبراز سير الأمراء والولاة، كما يظهر في مؤلفات ابن الأغلب التي تناولت أخبار الأغالبة، وما دوّنه أبو العرب حول تراجم الولاة والقضاة وعلماء إفريقية؛ ومن جهة أخرى، سعى مؤرخو التواريخ المحلية وتواريخ تعاقب الدول إلى تثبيت مكانة أقاليم المغارب الثلاث في نشأة الكيانات السياسية وتطورها؛ فدوّن ابن الصغير تاريخ الدولة الرستمية، وكتب ابن الأغلب عن سير الأغالبة، في حين تناول القاضي النعمان أخبار الفاطميين، إضافة إلى غيرهم من المؤرخين الذين شاركوا في هذا المسعى.

2– ضعف الرصيد التاريخي المغربي:

يُسجَّل قصور واضح في الرصيد المغربي من المصنفات التاريخية، لاسيما فيما يتصل بتاريخ القبائل والأنساب، وأخبار الخلفاء والطبقات، فضلًا عن موسوعات التراجم، وكتب الفتوح والوقائع، وسائر المؤلفات السياسية ذات الطابع الحولي أو الموسوعي؛ ويُعزى هذا الضعف أساسًا إلى ضياع جانب كبير من تلك المصادر، بحيث لم يصل إلينا منها سوى شذرات متناثرة، الأمر الذي يجعل معالجة هذه النقائص وتداركها مهمة بالغة الصعوبة، ورغم ذلك فقد أبدى مؤرخو المغرب اهتماما بالكتابة التاريخية بسير الأئمة والفقهاء والأولياء.

[1]– عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 27.

[2]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص ص246-248.

3- الاعتماد على الإنتاج المشرقي:

غالبًا ما اكتفى المؤرخون المغاربة، فيما يخص التاريخ الإسلامي، بما أنتجه المشارقة؛ أما ما دوّنه المغاربة أنفسهم فقد ضاع معظمه، ويُستثنى من ذلك بعض الأعمال البارزة، مثل تاريخ ابن خلدون[1]. كما اختلفت الكتابات المغربية عن المشرقية بمحدوديتها وطابعها المحلي والمذهبي وتركيزها على جغرافيا الغرب إسلامي، وعدم اقتحامها للتاريخ المشرقي غالبا رغم ضياع كثير من تلك المصنفات، بينما وصلت إلى مرحلة من النضج والثراء المعرفي.

4-ريادة المغاربة في أدب الرحلات:

احتل المغاربة مكانة متقدمة في مجال الرحلات، سواء كانت سفرية أو علمية، وهي مؤلفات ذات قيمة عالية لا يختلف على أهميتها في شتى الميادين[2]؛ فقد كانت الرحلات العلمية جزءاً لا يتجزأ من الكتابة التاريخية في المغرب، حيث قام الرحالة بتدوين ملاحظاتهم عن المدن والأحداث والشخصيات، ودمجوا الوصف الجغرافي الدقيق مع المعلومات التاريخية؛ وقد تميزت هذه الرحلات بالاعتماد على التجربة والملاحظة، وليس فقط على الرواية والنقل.

5- التواريخ المذهبية:

ازدهرت الكتابة التاريخية بارتباطها بازدهار الحركة المذهبية، وقد تميّزت هذه الكتابات بتوافقها في المنهج وأسلوب العرض ولغته، ويُعزى ذلك إلى انتماء معظم المؤرخين إلى طبقة علمية واجتماعية متقاربة، إذ كان أغلبهم من العلماء والمقرّبين من السلطة في عواصم الدول؛ سواء في القيروان المالكية، أو تاهرت الإباضية، أو المهدية الفاطمية.

وقد اتبعت الكثير من المؤلفات التاريخية أسلوب العرض القصصي مع الإسراف في ذكر المآثر والمناقب والفضائل، إلى حد اعتماد الأساطير والخوارق، وبرزت سمة العنف المتبادل في هذه الكتابات من حيث تسفيه الآخر وتبرير العنف وتأكيد مشروعية ممارسته مع الخصوم[3].

وقد أولى الإباضية عناية خاصة بالكتابة السِّيرية مقارنة بغيرها من أصناف التأليف التاريخي، نظرا لما تحمله من أهمية بالغة؛ إذ عُدّت كتب السيرة مصادر أساسية في تأريخ الجوانب السياسية والاجتماعية

---

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص ص246-248.

[2]- نفسه.

[3]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 69.

والثقافية للشعوب؛ كما احتوت هذه المؤلفات على معارف متنوعة شملت العقيدة وعلم الكلام والمواريث والنوازل، إلى جانب التاريخ والجغرافيا والتراجم والأمثال، مما جعلها مدونات موسوعية يُرجع إليها طلاب العلم، وعلى الرغم من شمولية هذه الكتابات، فقد اتسمت بالبساطة في الأسلوب، الأمر الذي جعلها ميسّرة ومقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء[1].

ولتوضيح طبيعة الكتابة التاريخية في كلٍّ من الأندلس والمغرب الإسلامي، رأيتُ أن أُدرج جدولا مقارنا بين المنطقتين، اعتمادا على محددات ومعايير عامة يمكن من خلالها تقييم وضع الفكر التاريخي ورصد مسارات تطوّره[2].

المحددات/الإقليم	الأندلس	المغرب الإسلامي	حدود التشابه والاختلاف
المحتوى والمواضيع	– السيرة والمغازي – التراجم والطبقات – التاريخ العالمي – التاريخ المحلي – الأنساب – البلدان والرحلات – المذكرات الخاصة	– السيرة والمغازي – التراجم والطبقات – الأنساب – التاريخ المحلي – التاريخ الإسلامي العام – المسالك والممالك	– تتشابه مواضيع الكتابة التاريخية في المنطقتين إلى حد كبير، باستثناء المذكرات الخاصة التي لم يرصد لها وجود في المغرب خلال الفترة المدروسة.
الغزارة	– إنتاج معرفي كبير، وصلنا منه أعداد لا بأس بها تمكننا من دراسة وفهم مراحل تطور الكتابة التاريخية ومنهجيتها.	– إنتاج معرفي متواضع جدا، ولم يصلنا منه ما يكفي لفهم معالم الكتابة التاريخية بصورة أدق أ لتحليل المنهجية التي اعتمدها المؤرخون.	– يوجد فرق شاسع بين المنطقتين، ويُعزى ذلك إلى ضياع المؤلفات نتيجة الاضطرابات السياسية، مما كان له أثر بالغ في هذا التفاوت.
المنهجية (الأسلوب، النقد، المصادر، ...الخ)	– تنوع في طريقة الكتابة بين الحوليات والمواضيع والتراجم، وغالبا ما كان يُتبنى أكثر من	– تنوعت طرائق الكتابة، مع التركيز على التراجم وأسلوب العرض الحدثي.	– تشابه كبير بين مؤرخي العدوتين في أسلوب الكتابة التاريخية.

[1]– الزرويل صالح وإبراهيم بحاز، المرجع السابق، 103.

[2] – الجدول من إنجاز الباحث.

	طريقة في المؤلف الواحد. - واكبت الأحداث التاريخية التي عايشها المؤرخ، وبين فيها رأيه وانتقاده للأوضاع القائمة.		
التأثير والتأثر	- التأثر بالمدرسة المشرقية في مراحلها الأولى ثم الاستقلال مع القرن 4هـ/10م، في اتجاهات تاريخية جديدة. - كتب مؤرخوها عن المغرب، حتى من أولئك الذين هاجروا إليها.	- التبعية للمشرق في البداية، ثم الاستقلال مع التركيز على التواريخ المذهبية من جهة أخرى. - لم يكتب مؤرخو المغرب عن الأندلس، وكان اهتمامهم بتاريخ خارج الحواضر المغربية قليلا جدا.	- تبادل التأثير والتأثر لاعتبارات الجغرافيا والدين والثقافة المشتركة.
المذهبية (الدينية والسياسية)	- ثبات الكتابة وفق المرجعية الدينية والسياسية للدولة، أي على الخط السني المالكي.	- كتابة تاريخية وظيفية (مؤدلجة) ومتنوعة، اتبعت التجاذبات المذهبية والسياسية للدول الناشئة (الإباضية، السنة، الشيعة)	- فرق كبير بين المنطقتين، يعود ذلك إلى عوامل عدة، منها: عدم الاستقرار السياسي والمذهبي الذي رمى بضلاله على نوعية النخبة وإنتاجها المعرفي.

ختامًا لهذا الفصل، يتبيّن أن الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي لم تكن منفصلة عن مسار الإبداع العربي الإسلامي، بل جاءت امتدادا طبيعيا لنظيرتها المشرقية، في علاقة تفاعلية اتسمت بالتأثير والتأثر المتبادل؛ وقد ساعدت عوامل متعدّدة على تطوّر حركة التأليف التاريخي وازدهارها عبر العصور، حتى غدت رافدا أساسيا من روافد المعرفة الإنسانية.

لقد شملت الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي مجالات متنوّعة، من التراجم والسير، والتواريخ العالمية، والأنساب، إلى المغازي والفتوح، فضلًا عن كتب المسالك والممالك؛ وقد تميزت هذه المؤلفات بانتظامها في أنساق منهجية مترابطة، أشرف على صياغتها أعلام كبار من النخب الفكرية والعلمية.

وإذا كانت البدايات الأولى لمسار التدوين التاريخي قد ارتبطت بعلوم الشريعة، وبخاصة الحديث والفقه، فإن القرن الرابع الهجري شهد توسعا ملحوظا في اهتمامات المؤرخين، انعكس في تنوع مشاربهم الثقافية وخلفياتهم الفكرية، وهو ما أثر بعمق على طبيعة المعرفة التاريخية وحجمها.

أما فيما يخصّ الإسطوغرافيا المغربية والأندلسية، فلا يلحظ اختلاف كبير بينهما، سواء من حيث المناهج المعتمدة أو من حيث الإنتاج؛ غير أن الاضطرابات السياسية، والحروب، والصراعات المذهبية العنيفة، وإن أسهمت أحيانا في تنشيط حركة التدوين التاريخي، فإنها في المقابل أدّت إلى ضياع جزء وافر من تلك المدونات، وحالت دون وصول كثير من جهود المؤرخين إلينا؛ ورغم ذلك فلا يغيب عنا أن تطور الفكر التاريخي الأندلسي كان أسبق من المغرب حيث وصلت المدونات الأندلسية مرحلة متقدمة من النضج التاريخي سبقت نظيرتها في المغرب بمدة زمنية طويلة.

الفصل الثالث: حياة وتراث أبي مروان حيان القرطبي وأبي زكرياء يحيى الوارجلاني

المبحث الأول: ترجمة لابن حيان القرطبي وأهم آثاره.

المبحث الثاني: ترجمة لأبي زكرياء يحيى الوارجلاني وأهم آثاره.

المبحث الثالث: التعريف بكتابي المقتبس لابن حيان والسيرة للوارجلاني.

تمهيد:

كانت قرطبة حاضرة الأندلس وأهم مدنها في العصر الإسلامي، إذ شهدت خلال القرون الهجرية الرابع والخامس ازدهارا واسعا في مختلف مجالات الحياة، ولا سيما في الحقلين الفكري والعلمي؛ فقد غصّت بالمكتبات ودور الوراقة، وانتعشت فيها حركة التأليف والنسخ، وبرز فيها الأدباء والفقهاء والمؤرخون، مما جعلها منارة علمية يقصدها طلاب المعرفة من أنحاء العالم الإسلامي؛ وقد أسهم هذا الحراك الثقافي في إبراز أعلام كبار تركوا بصمتهم في بناء الإسطوغرافيا الأندلسية.

وعلى نحو مواز، شهدت حاضرة وارجلان في المغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م نشاطا فكريا إباضيا وازدهارا علميا لافتا، قبل أن تتعرض لاضطرابات سياسية وهجمات خارجية دفعت بالوجود الإباضي إلى التحول تدريجيا نحو واحات بني ميزاب التي أصبحت لاحقا المركز الأبرز للفكر الإباضي في المنطقة؛ وقد أسهم هذا المحيط الثقافي في إنتاج تراث تاريخي وفقهي مهم، خطّه عدد من العلماء والمؤرخين الذين شكّلوا مرجعية مركزية لمن جاء بعدهم.

وفي هذا الإطار برز اسمان في الغرب الإسلامي؛ ابن حيان القرطبي في الأندلس، وأبو زكرياء الوارجلاني في المغرب الأوسط، وقد جمعهما العيش في حقبة زمنية واحدة، وإن اختلفت بيئتهما العلمية وانتماءاتهما المذهبية؛ وقد خلّف كل منهما آثارا تاريخية ذات قيمة عالية، جعلت منهما مصدرين لا غنى عنهما في دراسة الإسطوغرافيا الوسيطية في حوض الغرب الإسلامي.

سنستعرض في هذا الفصل ترجمة حياتهما والتعريف بأبرز مؤلفاتهما، مع الوقوف على مساراتهما العلمية وصلاتهما الثقافية، قبل أن نخوض في دراسة منهجيتهما في الكتابة التاريخية من خلال ما وصل إلينا من نتاجهما.

المبحث الأول: ترجمة لابن حيان القرطبي وأهم آثاره:

يُعَدّ ابن حيان[1] من أبرز رواد المدرسة التاريخية بالأندلس، فقد كرّس جهوده لخدمة المعرفة التاريخية وأسهم إسهاما واسعا في تدوين التاريخ المحلي للمنطقة، وهو ما أكسبه مكانة رفيعة شهد له بها كبار المؤرخين من معاصريه ومن جاء بعدهم؛ هذه المكانة الرفيعة فرضت على الباحثين الغوص في ابن حيان ودراسة حياته بشكل شامل، وتتبع أسلوب كتابته، ورصد آثاره التي وصلت إلينا.

أولا– نسبه:

هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان، القرطبي الأندلسي، المؤرخ، الإمام، الأديب[2]؛ كان جده الكبير حيان مولى للأمير عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن بعد الملك بن مروان (صقر قريش)[3]، قال ابن بشكوال: "كذا قرأت نسبه وولاءه بخطه"[4].

وكانت الأندلس قد عرفت أنواعا كثيرة من الولاء، ويرى علي مكي أن ولاء أجداد بن حيان للبيت الأموي كان ولاء اصطناع، وأن ابن حيان كان من أسرة إسبانية قديمة أيدت الأمير عبد الرحمان الداخل؛ وعلى الرغم من ولائهم الأموي، فقد كانوا من طبقة صغار الموظفين القريبين من السلطة[5]، حيث كان والده خلف بن حيان من كتّاب المنصور بن أبي عامر، فتولى أعمال الإدارة والمال، وكان صاحبه في مغازيه، وتصفه المصادر بأنه كان ماهرا بالحساب محمود الطريقة[6].

---

[1]–كتب الكثير عن ابن حيان، ومن أهم الكتابات العربية الشاملة التي تناولت كل ما يخص هذا المؤرخ، دراسة علي مكي في مقدمة كتاب المقتبس –السفر الثاني–، وقد عبّرت عن ذلك زميلته عائشة عبد الرحمان بقولها : "... الزميل الدكتور محمود مكي، في أوعب وأسخى دراسة قرأتها عن ابن حيان". ينظر: عائشة عبد الرحمان، **أبو مروان ابن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984، ص49؛ كما صدر لكوكبة من المؤرخين والباحثين العرب دراسة عن ابن حيان في عدد خاص لمجلة المناهل، العدد 29 لسنة 1984؛ أما الكتابات الأجنبية فهي كثيرة، ولعل أقدمها وأهمها دراسة الأب ملشور م. انطونيه المقدمة كرسالة دكتوراه بجامعة مدريد في 1933/12/01 تحمل عنوان "ابن حيان القرطبي وتاريخه لإسبانيا الإسلامية".

Melchor Martínez Antuña, **Ibn Hayyan de Córdoba y su historia de la España musulmana**, en cuadernos de historia de Espana, vol .1946, buenos aires, pp5-72.

[2]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 150. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 370-371

[3]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 150.

[4]– نفسه.

[5]– ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس –مقدمة المحقق–**، تح: محمود علي مكي، د.ط، القاهرة، 1994، ص 8.

[6]– ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 241.

وقد كانت علاقة والده بالمنصور وثيقة، فكان كاتم سره الأول يوصيه بما يعرض له من مهام، وهذا ما مكّن لخلف بن حسين من الاطلاع على دقائق أسرار الدولة[1]، الأمر الذي ساعد ابن حيان المؤرخ على كتابة تاريخه بمصادر قريبة من الحكم، وتقف النصوص شاهدة على هذه العلاقة، ومن ذلك ما أورده ابن حيان عن أبيه في روايات نقلتها المصادر التاريخية[2].

ثانيا- مولده ونشأته:

ولد أبو مروان حيان القرطبي بمدينة قرطبة سنة 377هـ/987م، ونشأ في أسرة ميسورة الحال، وكان وحيد والديه، الأمر الذي جعله يلقى عناية كبيرة من أسرته، فاختار له والده خلف أحسن المؤدبين أمثال ابن أبي الحباب (سنأتي على ترجمته في شيوخ ابن حيان) الذي كان مؤدبا لعبد الملك بن المنصور، وهذا دليل على مدى اقتدار والديه على توفير أرقى مستوى من التعليم لابنهما[3].

وقد عاش في محيط بلاط الخليفة وقصر الحاجب العامري، وهذا ما يفسر تعصبه الشديد لبني أمية وتسفيه خصومهم[4]؛ كما حصل على قدر من التعليم المخصص لأبناء طبقته، بما ينسجم مع ما كان سائداً آنذاك[5]، فدرس القران الكريم، والتفسير، والحديث، والفقه، وتلقى معلومات تاريخية كثير في بلاط الوزراء والأمراء، وأهتم بدراسة التاريخ لدرجة أنه لم يكتب في أي فرع من الفروع الأخرى[6]؛ ويُعد والده خلف الأستاذ الأول الذي تدرج عليه مؤرخنا، فضلا عن كونه مصدرا من أهم مصادر تاريخه[7]؛ وقد تميز بالفطنة والذكاء، وساعده على تنمية شخصيته العلمية المناخ الثقافي السائد في قرطبة، فقد كانت أعظم مدينة بالأندلس، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء[8].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 11-12.

[2]- للتوسع ينظر: هاجر بوباية، **أخبار الدولة العامرية لابن حيان القرطبي –جمع ودراسة وتحقيق-**، ص 198 وما بعددها.

[3]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 17.

[4]- أنور محمود زناتي، **ابن حيان القرطبي مؤرخا (377-988هـ/469-1076م)**، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2011، ص 49.

[5]- خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص 34.

[6]- أنور الزناتي، المرجع السابق، ص 49.

[7]- ابن حيان، المدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 16.

8- الحميري، المصدر السابق، ص 456.

فقد أدرك من المؤرخين الكبار؛ يقول ابن حزم: "... وهو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال"[1]، ويقول الحميدي أيضا: "... وأدركناه بزماننا"[2]، ومن المؤكد أنه استفاد كثيرا مما عايشه في بلاط الخلفاء والوزراء، فاكتسب خبرات وتجارب غنية، كما بذل جهودا فردية كبيرة لتوسيع مداركه وتنمية معارفه[3].

ظلّت قرطبة الوطن الذي لم يغادره ابن حيان، إذ آثر البقاء فيها حتى في أشد أزماتها؛ وقد أسهمت الفتنة التي اجتاحت المدينة في صقل تجاربه وتعزيز ملكاته النقدية، إذ شهد بعينه انتقال الأندلس من أوج عظمتها إلى فتنة مدمّرة سنة 399هـ/1008م، وكانت تلك المحنة دافعا لإيقاظ العقول النيّرة، وإبراز مفكرين مخلصين سعوا إلى تشخيص الداء، فبرز من بين أبناء قرطبة جيل متميّز، منهم ابن حيان، وابن حزم، وابن شهيد، وابن عبد البر[4]، وإذا كان بعض هؤلاء الأصدقاء قد استوزرهم عبد الرحمان المستظهر في خلافته القصيرة، وقد ألجأتهما الفتنة إلى الاضطراب في الأندلس، إلا أن مؤرخنا اعتزل الحياة السياسية وزهد في هذه المناصب، وظلت قرطبة وطنه الذي لم يكف أبدا عن الاعتزاز به ووفيا له حتى وفاته[5].

لم تفدنا المصادر عن الحياة الأسرية الخاصة بشيخ المؤرخين، غير أنها تذكر أن له ولدا يُدعى عمر، وكان من بين الذين رووا عنه، إلا أن المأمون الفتح بن محمد بن عباد قتله بالمدور ومثّل بجثته عام 474هـ/1081م[6].

[1]- ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص 184.

[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص 200.

[3]- أنور الزناتي، المرجع السابق، ص 52.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 23.

[5]- نفسه، ص 28-29.

[6]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 382.

ثالثا- شيوخه وثقافته:

1- عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموي القرطبي (ت401هـ/1010م):

الفقيه المحدّث يكنى أبا حفص؛ كان شيخا صالحا من أسرة عُرفت بالعلم والدين، وكان والده من أبرز الفقهاء والمحدّثين في عصره[1]، وقد ابتُلي في أواخر حياته بفقدان البصر، ومع ذلك استمر الناس في الأخذ عنه، فسمعوا منه كثيرا، ومن أبرز شيوخه: قاسم بن أصبغ، وأبو عبد الملك بن أبي دليم، ومحمد بن عيسى بن رفاعة الخولاني، وأبو بكر بن معاوية، إضافة إلى والده حسين بن محمد بن نابل؛ وقد ذكر ابن حيان أنه توفي في زمن الوباء، ونعته بالثقة الصدوق العفيف الموسر -رحمه الله-، وخلّف ولدا فقيها فاضلا، عُرف بالخير والورع والاقتداء بالسلف، وقد ولاّه الخليفة هشام المؤيد خطة الرَّدّ[2] بقرطبة، غير أنّه توفي بعد والده بأشهر قليلة في السنة نفسها[3].

2- أحمد بن عبد العزيز بن فرج المعروف بابن أبي الحباب القرطبي النحوي (ت400هـ/1009م):

شيخ الأدب يُكنى أبا عمر؛ أصله من مصمودة، وكان عالما باللغة والأخبار، حافظا ثقة ضابطا، وكان فيه صلاح وخير، روى عن أبي علي البغدادي ولزمه، وكانت له منه خاصة، وعن أبي محمد عبد الله ابن محمد بن قاسم الثغري القاضي، روى عنه القاضي أبو عمر بن الحذاء؛ وقد اتخذه المنصور معلما لولده المظفر عبد الملك، ويعتبر حامل علم أبي علي القالي، وأكثر تلاميذه نشاطا في كتبه في الأندلس[4]. قال ابن حيان: ودفن في مقبرة الرصافة، وصلى عليه القاضي أحمد بن ذكوان وقد قارب التسعين سنة[5].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق -مقدمة المحقق-، ص 18.

[2]- خطة الرّد: من النظم القضائية الفريدة التي ميزت المغرب والأندلس عن سائر بلاد العالم الإسلامي، وهي إحدى الخطط الست التي تناولها القاضي "ابن سهل" بالتعريف والتوثيق. ويتمثل مفهومها في كونها جهة قضائية متخصصة للنظر في القضايا الغامضة أو الشائكة التي يستريب فيها القضاة؛ فإذا تورع القاضي عن إصدار حكم في مسألة لم تتضح معالمها لديه، أحالها إلى "صاحب الرّد" للبت فيها، مما يجعلها بمثابة مخرج نظامي لضمان العدالة وتجنب الشبهات في الأحكام. ينظر: سالم بن عبد الله الخلف، **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 2003، ص 766.

[3]- الحميدي، المصدر السابق، ص 300-301. القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص 300-301. ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 375. الضبي، المصدر السابق، ص 405.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق -مقدمة المحقق-، ص 18-19.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 25.

3- صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي (ت417هـ/1026م):

الأديب وأحد كبار شعراء بلاط المنصور، متضلع في علوم اللغة والتاريخ، عُرف بالذكاء والفطنة وحسن الحديث والمعاشرة، أصله من العراق، وقدم إلى الأندلس في أيام هشام المؤيد بالله؛ روى عن القاضي أبي سعيد بن الحسن بن عبد الله السيرافي، وأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، وأبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي سليمان الخطابي، وغيرهم، يقول فيه ابن بسام: "وكان مع ذلك محسنا للسؤال، حاذقا في استخراج الأموال "[1]؛ ويذكر ابن حيان أنه جمع للمنصور محمد بن أبي عامر كتابا سمّاه الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار، وأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة، وأشار ابن بشكوال أن صاعدا هذا يُتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده[2]، وقد خرج في أيام الفتنة من الأندلس وقصد صقلية فمات بها[3].

4- عبد الرحمان بن محمد بن أبي يزيد خالد بن خالد بن يزيد البسري الأزدي المصري (ت410هـ/1020م):

كنيته أبو القاسم؛ ويعرف بالصواف النسّابة، أديب ومتكلم مالكي، برع في علم الاعتقاد وتحقيق الأنساب، وكان حافظا للحديث حسن الشعر؛ قدم من مصر هاربا، ودخل الأندلس تاجرا في آواخر الدولة العامرية؛ سمع القاضي أبا طاهر الذهلي، وأبا سعيد بن يونس الصدفي، وحمزة الحافظ، وابن أبي الموت، وأبا محمد الفرغاني؛ وروى عنه بالأندلس أبو عمر ابن الحذاء، وابن الحصار، وقاسم ابن الراموني السبتي؛ ويذكر الخولاني أنه لقيه وكان أديبا نبيلا ذكيا شاعرا مطبوعا[4]؛ قال ابن حيان: خرج من الأندلس إلى إفريقية ثم جاء إلى الأندلس فمات بها[5].

---

[1]-ابن بسام، المصدر السابق، ج7، ص 8

[2]-ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 233.

[3]- الحميدي، المصدر السابق، ص 240. ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 232-233. الضبي، المصدر السابق، ص ص319-323. بالنثيا، المرجع السابق، ص 66.

[4]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 337.

[5]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص 91-92.

5- أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي (ت403هـ/1012م):

يذكر المحقق علي مكي انه يمكن إضافة المؤرخ المشهور القاضي ابن الفرضي إلى شيوخ ابن حيان، بعدما تأكد أن أبا علي الغساني، تلميذ ابن حيان، ينقل عن شيخه نصا يؤكد روايته عنه[1].

لقد تأثرت ثقافة ابن حيان بنخبة من الشيوخ من رجال الفقه والأدب واللغة، من هؤلاء أيضا أبو بكر مسلم بن أحمد بن أفلح النحوي (ت433هـ/1042م)، وكان وافر الحظ من العلم له باع كبير في العربية ورواية الشعر[2]؛ وإن تأمل معارف هؤلاء الشيوخ يعطينا فكرة عن ثقافة ابن حيان في دور التكوين، ويلقي ضوءا على منهجه في كتابة التاريخ، فجميعهم كانوا من أصحاب الثقافة الإنسانية العامة، وبعض علوم الحديث، وقد استفاد مؤرخنا من ذلك فوائد جمة[3].

اتصل ابن حيان بكثير من أعلام عصره وأدبائه المشاهير، واحتك بهم، بل أخذ عنهم واستفاد من مخالطتهم، فتوطت علاقته بأبي الوليد بن جهور، وأبي بكر بن ذكوان الذي ولي منصب الوزارة وعُرف بالعلم والفضل، كما صاحب الأديب أبو الوليد بن زيدون (ت394هـ/1003م)، ومن أصدقائه ابن حزم الظاهري، واشتركا في النزعة والولاء للأمويين في الشرق والغرب[4]، وغيرهم كثير؛ فكانت منزلته رفيعة عند الكبراء، ومكانته سامية عند الوزراء، وذلك يعود إلى سبق علمه وفضله، وليس إلى مال أو منصب[5].

وتجدر الإشارة الى أن توجه ابن حيان لدراسة التاريخ، لم تكن بدافع من أحد من هؤلاء الشيوخ الذين ذكرناهم، بل كان نتيجة وعي شخصي نابع من إحساس ودقة نظر، وقدرته على الاستيعاب وملكته النقدية، كما قد يكون هذا الاتجاه اكتسبه وراثة، فأخذه عن أبيه معلمه الأول ومرشده إلى الفكر التاريخي[6].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 19-20.

[2]- أنور الزناتي، المرجع السابق، ص 57.

[3]- ابن حيان، المرجع السابق –مقدمة المحقق-، ص 20.

[4]- أنور الزناتي، المرجع السابق، ص 60-61.

[5]- مصطفى الشكعة، **المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1987، ص 359.

[6]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 21.

يُعَدّ ابن حيان نموذجا فريدا في اتساع الثقافة ودقة الإدراك، إذ كان من أبرز علماء عصره، غير أنّ إسهاماته في غير ميدان التاريخ جاءت ثانوية، فيما شكّلت بقية فروع الثقافة مجرد روافد دعمت اهتمامه الرئيس بالتاريخ؛ ويتضح من خلال ذلك أنّ مفهوم ابن حيان لطبيعة عمله التاريخي يقارب ما نعبّر عنه اليوم بمبدأ التخصص العلمي؛ ومع ذلك، فإن هذا التخصص ظل محدودا؛ إذ لم يتناول في كتاباته تاريخ المشرق أو المغرب أو الأمم القديمة، وإنما اقتصر على تاريخ بلده منذ الفتح الإسلامي حتى زمانه[1].

رابعا– تلاميذه:

1– عمر بن حيان بن خلف (ت474هـ/1081م):

أشرنا إليه سابقا؛ وهو الابن الوحيد لمؤرخنا، عُرف بفقهه واشتغاله بالحديث، وكان من أهل النبل والذكاء، والحفظ واليقظة، والفصاحة التامة، كما روى عن أبيه، وأبي محمد بن حزم، ومحمد بن عتاب، وحاتم بن محمد وغيرهم[2]؛ وتبقى معلوماتنا حوله قليلة جدا، فلم تذكر المصادر أي تفاصيل أخرى.

2– طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي (ت484هـ/1091م):

كنيته أبو الحسن؛ وكان فقيها محدثا أديبا حافظا من أهل بيت علم وجلالة[3]، تقدم على معاصريه في المعرفة والفهم، اعتنى بالحديث عناية تامة، واشتهر بالحفظ والإتقان، وتميز بحسن الخط وجودة الضبط، مقرونا بالفضل والصلاح والورع والتواضع والزهد؛ روى عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ، وأكثر عنه، واختص به، وهو أثبت الناس فيه، وسمع من أبي العباس العذري، وأبي الوليد الباجي، وغيرهم؛ وسمع بقرطبة من أبي القاسم حاتم بن محمد، وأبي مروان بن حيان وغيرهما[4].

3– أبو عبيد البكري عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م):

المؤرخ والجغرافي، له مكانة كبيرة عند ابن حيان، ويبدو أنه لازم ابن حيان خلال إقامته في قرطبة، ولعله هو الذي وجهه إلى الاشتغال بعلم الجغرافية الذي كان وثيق الارتباط بكتابة التاريخ[5]؛ وكان من

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 46.

[2]– ابن بشكوال، المصدر السابق، 382. الضبي، المصدر السابق، ص 406.

[3]– الضبي، المصدر السابق، ص 327.

[4]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 235-236.

[5]– ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 52.

أهل اللغة والآداب الواسعة، والمعرفة بمعاني الأشعار والغريب والأنساب والأخبار، متقنا لما قيده، ضابطا لما كتبه؛ روى عن أبي مروان بن حيان، وأبي بكر المصحفي، وأبي العباس العذري سمع منه بالمرية، وأجاز له أبو عمر بن عبد البر الحافظ وغيره[1]؛ يقول ابن حيان في وصف البكري: "بز الأقران جمالا وبهاء وسروا وأدبا"[2]؛ وقد صنّف في ألوان من الكتابة التاريخية، كنا قد ذكرناها في الفصل السابق.

4-أحمد بن سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي (ت493هـ/1100م):

كُنيته أبو القاسم، وكان عالما فاضلا تقيّا، من أذكى الناس وأعلمهم، خلّف مؤلفات نفيسة تدل على حذقه ونبله؛ أخذ العلم عن والده، فروى عنه معظم روايته ومصنفاته، ثم تولّى حلقته بعد وفاته، فقصده تلامذة أبيه وأخذوا عنه؛ كما سمع بقرطبة من حاتم بن محمد، والعقيلي، وابن حيان، وقد أثنوا عليه ووصفوه بالنباهة والجلال؛ وقد رحل إلى المشرق لأداء الحج، وتوفي بمدينة جدّة عقب رجوعه من أداء المناسك[3].

5- حسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالجياني (ت498هـ/1105م):

كُنيته أبو علي، وكان رئيس المحدّثين بقرطبة، ومن كبار العلماء المسندين وأعيان الجهابذة في عصره؛ عُني بالحديث عناية فائقة، جمعا ورواية وضبطا، وتميّز بحسن الخط ودقّة الضبط؛ وكان واسع المعرفة باللغة والإعراب، بارعا في الغريب والشعر والأنساب، حتى جمع من علومها ما لم يجمعه أحد في وقته قصده الناس من الآفاق، واعتمدوا عليه في الرواية، وجلس للتحديث بالمسجد الجامع بقرطبة، فسمع منه أعلامها وكبار فقهائها ورجالها؛ موصوف بالجلالة والحفظ والنباهة، مقرونا بالتواضع، ومن أبرز مصنفاته كتاب في رجال الصحيحين، سماه "تقييد المهمل وتمييز المشكل"؛ وقد روى عن جماعة من الأئمة، منهم: أبو العاص حكم بن محمد الجذامي، وأبو عمر بن عبد البر، وأبو شاكر القبري، وأبو عبد الله محمد بن عتاب، وأبو القاسم حاتم بن محمد، وغيرهم[4].

---

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، 277.

[2]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 182.

[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 73-74.

[4]- نفسه، ص 141-142.

6- مالك بن عبد الله العتبي السهلي (ت507هـ/1113م):

كُنيته أبو الوليد، كان من أهل التضلّع في الآداب واللغات والعربية، بارعا في معاني الشعر، حاضر الشاهد والمثل، متقدّما في ذلك على جميع أقرانه؛ عُرف بثقته في الرواية، وإتقانه لما يكتب، فكان حسن الخط، جيّد الضبط، وقد خلّف بخطه علما غزيرا متقنا محكما، فأخذ الناس عنه وانتفعوا به؛ روى عن جماعة من الأئمة والعلماء، منهم: القاضي سراج بن عبد الله، وأبو مروان الطبني، وأبو مروان بن حيان، وأبو القاسم حاتم بن محمد، وأبو عبد الله محمد بن عتاب الفقيه، وأبو بكر المصحفي، وأبو مروان بن سراج، وغيرهم[1].

7- عبد الله بن محمد بن دري التجيبي المعروف بالركلي (ت513هـ/1120م):

كنيته أبو محمد؛ روى عن أبي الوليد الباجي، وأبي مروان بن حيان، وأبي زيد عبد الرحمن ابن سهل بن محمد وغيرهم؛ يقول ابن بشكوال: "كان من أهل الأدب، قديم الطلب سمع منه أصحابنا ووثقوه"[2].

8- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد (ت520هـ/1126م):

كُنيته أبو الوليد، كان شيخا أديبا، نحويا لغويا، وكاتبا بليغا؛ عُرف بكثرة سماعه من الشيوخ، وحرصه على ملازمتهم والتردد عليهم، وإن لم تكن له أصول مدوّنة؛ تميّز بحسن الخلق، ورجاحة العقل، وكمال المروءة، وحسن العشرة، مع برّه لإخوانه وأصحابه؛ روى عن القاضي سراج بن عبد الله بقرطبة، وأبي عمر بن القطان، وأبي عبد الله ابن عتاب، وأبي مروان بن مالك، وأبي القاسم حاتم بن محمد، وأبي مروان بن حيان، وغيرهم؛ قال ابن بشكوال: "وقد سمع منه جماعة أصحابنا، وبعض شيوخنا...، وأجاز لي ما رواه غير مرة بخطه"[3].

9- عبد الرحمان بن محمد بن عتاب (ت531هـ/1137م):

كُنيته أبو محمد، وكان آخر كبار شيوخ الأندلس وأجلّتهم في علوّ الإسناد وسَعة الرواية، حفظ القرآن الكريم وأكثر من تلاوته، متمكّنا من رواياته وطرقه، عارفا بكثير من تفسيره وغريبه ومعانيه، وله

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 586.

[2]- نفسه، ص 281.

[3]- نفسه، ص 80.

نصيب وافر من علوم اللغة والعربية، وكان مرجعا في الفتوى لتقدمه وسنّه، ومن أهل الفضل والحلم والتواضع؛ كتب بخطه علما كثيرا في فنون متنوّعة، وجمع كتابا نفيسا في الزهد والرقائق سمّاه "شفاء الصدور"، وارتحل الناس إليه، واعتمد عليه أصحاب الحديث لثقته وجلالته، وعلوّ إسناده، وصحّة كتبه. وتميّز بصبره على خدمة الناس، ومواظبته على الاستماع لهم، إذ كان يجلس يومه كله لاستقبالهم، وطال عمره حتى صار مقصودا في الرواية والسماع؛ أخذ العلم عن أبيه وأكثر الرواية عنه، وسمع منه معظم ما عنده، وكان الممسك لكتب أبيه يقرأها على الطلبة، فكثر بذلك روايته عنه، وقد سمع منه وأجاز له جمع من العلماء، ومنهم ابن حيان في الفصوص[1].

خامسا– وظائفه:

يدور الحديث حول الوظائف الرسمية التي تولاها مؤرخنا، والتي يمكن إرجاع أصلها إلى ثلاثة نصوص وردت في المصادر التاريخية؛ أولها ما ذكره ابن الخير الاشبيلي في فهرسته، بقوله: "الشيخ المؤرخ صاحب الشرطة أبو مروان حيان بن خلف بن حيان"[2]؛ وثانيها ما أورده المقري في قوله: "أبو مروان ابن حيان صاحب الشرطة"[3]؛ بينما النص الأخير فقد جاء عند ابن بسام –وهو قريب عهد بابن حيان– نقلا عن ابن حيان في معرض حديثه عن فضائل أبي الوليد، بقوله: "... بأن قلدني إملاء الذكر في ديوان السلطان المطابق لصناعتي، اللائق بتحرفي، براتب واسع"[4].

من خلال هذه الشواهد تباينت آراء الباحثين في شأن طبيعة الوظيفة التي مارسها ابن حيان، وذلك لأن هذه المهنة –صاحب الشرطة– بعيدة كل البعد عن مجال وفكر ابن حيان، وحتى لو صحّت، فلا يمكن أن تكون إلا على وجه تشريفي أو فخري، ولا تُحمل على حقيقة الممارسة الميدانية، وينهض هذا الرأي باعتبار أن هذه الألقاب النظرية كانت تقليدا جاريا منذ أيام الحَكَم المستنصر، واستمرت

[1]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص332–333.

[2]– ابن الخير، المصدر السابق، ص 293.

[3]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص 566.

[4]– ابن بسام، المصدر السابق، ج2، ص 605.

طوال الدولة العامرية[1]، وبذلك تتحدد وظيفة ابن حيان بما صرّح به هو نفسه عند ابن بسّام، إذ وصفها بأنها: "إملاء الذكر في ديوان السلطان"، أي كتابة التاريخ[2].

غير أن علي مكي يرى أنّ ابن حيان، على الرغم من الراتب الكبير الذي ناله، ظل يكتب تاريخه بضمير حيّ ونزاهة ظاهرة، ولم يكن في يوم من الأيام مؤرّخا للبلاط[3].

وممّا يُستوقف في هذا السياق أنّ مرحلة حكم بني جَهور كانت أكثر الفترات حيوية في حياة مؤرخنا، إذ أُتيح له خلالها الاطلاع على كثير من خفايا عصره بصورة لم تتح لغيره؛ كما سنحت له الفرصة لقراءة الرسائل الديوانية القديمة، ومنها المراسلات المتبادلة بين الخليفة الناصر وقادة جيوشه في المغرب، فضلا عن رسائله الموجّهة إلى الرعية عقب قمعه لحركة ابن مسرة[4]؛ وقبل ذلك، في أيام الفتنة الكبرى، لزم هو ووالده دارهما، فلم يتولَّ واحد منهما ولاية ولا تقلّد منصبا من مناصب السلطان، ولو شاء ابن حيان بعد ذلك أن يلحق بركب المتصدّرين لنال بغيته كما نالها غيره، غير أنّه اقتفى أثر والده الذي آثر العزلة عن السياسة مذ تداعت أركان الدولة العامرية[5].

سادسا– وفاتــه:

توفي مؤرخنا عن عمر شارف الخامسة والثمانين، بعدما أدى رسالته وحقق غايته، وأصبح حامل لواء التاريخ في الأندلس، وكان ذلك يوم الأحد 23 ربيع الأول 469هـ الموافق لـ 30 أكتوبر 1076م. ودفن من يومه بعد العصر بمقبرة الربض[6]، وهكذا تنطفئ شعلة هذا القلم الفذ الذي حمله أعظم مؤرخ عرفته أرض الأندلس[7].

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 36.

[2]– نفسه، ص 37.

[3]– نفسه.

[4]– أنور الزناتي، المرجع السابق، ص 53.

[5]–ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص28.

[6]– ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص 219.

[7]– نفسه، 45.

سابعا- مكانته وآراء العلماء والباحثين فيه:

لقد ترك ابن حيان أثرا بالغا في نفوس معاصريه ومن جاء بعدهم، سواء ممن لقيه أو سمع به أو قرأ تاريخه، ويبدو ذلك جليا في آرائهم وانطباعاتهم التي دونوها عنه، حتى قال أحدهم "بأننا لا نجد من بين مؤرخي العرب إلا القليلين ممن نستطيع أن نقارنهم به، ولن نجد بينهم من نقدمه عليه"[1]؛ وفيما يلي، نستعرض نماذجَ من تلك الشهادات والنقولات:

يقول عنه ابن بشكوال: "صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها، وله حظ وافر من العلم والبيان، وصدق الإيراد"[2].

قال عنه تلميذه أبو علي الغساني: "كان عالي السن، قوي المعرفة مستبحرا في الآداب، بارعا فيها، صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس فيه، وأحسنهم نظما له"[3]؛كما وصفه بالصدق فيما حكاه في تاريخه[4].

وينقل ابن خلكان عن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عون أنه قال: "كان ابن حيان فصيحا في كلامه، بليغا فيما يكتبه بيده، وكان لا يتعمد كذبا فيما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار"[5].

ويصفه الذهبي بقوله: "... أبو مروان القرطبي الأديب، مؤرّخ الأندلس ومسندها"[6].

بينما يحدثنا ابن بسام عن طريقة عمله في تصنيف موسوعته، حينما اعتمد بالأساس على ابن حيان، فكان مصدره الأول؛ إذ يقول: "وسينخرط في سلك ما أوشح به هذا التصنيف، من تلخيص التعريف بأخبار ملوك الجزيرة، وسرد قصصهم المأثورة، ووقائعهم المبيرة المشهورة، لابن حيان، فصول من غرائبه، وجمل وتفاصيل من عجائبه؛ لأني إذا وجدت من كلامه فصلا قد أحكَمه، أو خبرا قد سردَه ونظمه، عوّلت على ما وصف، ووليته خطة ما سطّر وصنّف، إقرارا بالفرق، وإعفاءً لنفسي من معارضة

---

[1]- بالنثيا، المرجع السابق، ص 211.

[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص 200.

[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 151.

[4]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص 219.

[5]- نفسه.

[6]- الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، ص 326.

من أحرز بأفقنا في وقته قصبات السبق، ... وأكثر ما يمر في هذا الكتاب، من هذا الباب، فعلى تأريخه الكبير عولت، ومن خط يده أكثر ما نقلت؛ وتحريت جهدي اقتضاب ما طول، وتخفيف ما ثقل، وإجمال ما شرح وفصل؛ على أنه لم يخلص إليّ من غمامه إلا قطرة، ولا حصلت في يدي من حسامه إلا إبرة؛ ولذلك ما ارتشفت ثمادي، ونفخت فيما لم أجد من كلامه رمادي، وأنفقت في ذلك من تافه زادي..."[1].

ويصفه ابن خلدون في حديثه عن أهل الأندلس بقوله: "وكان فيهم ابن حيّان المؤرّخ إمام أهل الصّناعة في هذه الملكة ورافع الرّاية لهم فيها"[2]؛ وفي منهج عمله واختصاصه بالتاريخ المحلي يقول ابن خلدون: "...، فقيّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته ومصره، كما فعل أبو حيّان مؤرّخ الأندلس والدّولة الأمويّة"[3].

وقد نعته الزركلي "بالمؤرخ البحّاث"، ثم قال: "كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس بالتكلم فيه، وأحسنهم تنسيقا له"[4].

وفي العصر الحديث يقول المستشرق الهولندي دوزي: "إن كتّاب العرب يمتدحون في كتب ابن حيان صدق الرواية بقدر ما يعجبون بجمال أسلوبه وجزالة لغته ورنين عباراته، وأنا أؤيدهم في ذلك كل التأييد، ولا أتردد في القول بأن كتبه –لو بقيت– لألقت على تاريخ الأندلس الغامض ضياءً باهرا وصورته لنا أحسن تصوير، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغا يجعلنا نستغني بها عن غيرها من الكتب التي تتناول تاريخ هذه العصور"[5].

ويرى الباحث فرجيليو مارتينيز أنه لو وصلتنا مؤلفات ابن حيان كاملة، لاستسلمت جميع الدراسات التاريخية الاسبانية الحديثة والمعاصرة عند قدمي هذا المؤرخ الذي سيدرج بلا شك في قائمتها العظيمة بحروف من ذهب[6].

---

[1]– ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 779.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 7.

[4]– الزركلي، الأعلام، ج2، ص 289.

[5]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 211.

[6]–Martínez EnamoradoVirgilio**, Ibn Hayyan, el abanderado de la historia de Al-Ándalus**, Journal: Jábega Peña Martín, Salvador, Issue: 97, 2008, p 30.

يقول علي مكي: "... وهو بغير شك أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس، بل والغرب كله –الإسلامي والمسيحي منه على السواء– طوال العصور الوسطى، ولا نستثني من هذا الحكم إلا فيلسوف التاريخ ابن خلدون الذي يعتبر في تاريخ الفكر الإنساني كله ظاهرة فذة غريبة"[1].

ويقول مصطفى الشكعة: "لقد كان أبو مروان بن حيان ممن تعاطى الأدب الرفيع، بحيث يعد أديبا في موكب الأدباء، وكان من الدقة والبراعة في كتابة التاريخ الأندلسي، بحيث يحسب كبير المؤرخين الأندلسيين، وكان يكتب التاريخ بقلم الأديب، وأمانة المؤرخ، ووجدان الفنان، فهو، بغير مراء، أديب المؤرخين ومؤرخ الأدباء"[2].

ويقول الباحث علي عبد العظيم: "... وكان عروضيا شاعرا، حافظا للأخبار والأنساب، طويل اللسان، متصرفا في فنون العلم، وتصانيفه كثيرة"[3]؛ وبالجملة فهو من كبار المؤرخين الذين ظهروا في الغرب الإسلامي، وان لم يكتب تاريخا عاما للبلاد العربية والإسلامية؛ كما فعل الطبري وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم، لكنه سدّ فراغا لولاه لما يُسد، وعمل في دائرته الخاصة عملا متقنا[4].

وقد حاولت طائفة من المعاصرين تسجيل بعض المثالب لمؤرخنا، مثل ما ذكره عمر فروخ عندما اعتبر ما قام به ابن حيان من مخالفة سياسة أهله وتقربه إلى بني ذي النون أصحاب طليطلة، حيث يقول: "كان ابن حيان رجلا سياسيا متقلب الهوى"[5]، وكان قبله علي مكي قد عقد عنوانا عريضا في مقدمة تحقيقه للمقتبس سماه "عثرات في سلوك ابن حيان"، وذلك حينما وقع سلوكه في مظهر التناقض، عندما أبرق برسالة تهنئة بفتح قرطبة إلى المعتمد بن عباد، وهزيمته للمأمون بن ذي النون، بعدما رماه بأسوأ التهم، وهو الذي أهدى إليه من قبل تاريخه وطرزه باسمه[6].

ويبدو أنّ ما حمل ابن حيان على هذا التناقض إنما كان دافعا قسريا اضطر إلى مسايرته اتقاءً لما قد يترتب على الاعتراض أو الامتناع، غير أنّ ذلك لا يقلل من مكانته كمؤرخ، ولا ينتقص من القيمة العلمية لتاريخه الكبير.

---

[1]–ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص7.

[2]–مصطفى الشكعة، **أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984، ص 187.

[3]– علي عبد العظيم، **شيخ المؤرخين أبو مروان ابن حيان**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984، ص 310.

[4]– هاجر بوباية، المرجع السابق، ص 64-65.

[5]– عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج4، ص 215-216.

[6]–ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص39.

ثامنا– آثاره:

خلّف مؤرخُنا تراثا جليلا، غير أنّ الأقدار لم تدع لنا منه كتابا تامّا، فقد طواه الضياع بأسره، ولم يسلم من غوائل الدهر وصروفه إلا نتف متفرقة، وأخبار منقولة في مصنّفات من جاء بعده، وأخصَّها ما أثبته ابن بسام في الذخيرة، ولم يبق من مجموع ما ألفه ابن حيان إلا أجزاء من كتابي المقتبس والمتين[1]. يقول مصطفى الشكعة: "لقد أثمرت هذه العبقرية التاريخية وتلك الموهبة الأدبية، اللتان تميز بهما أبو مروان، عددا من الكتب الرفيعة قدرا، الدقيقة خبرا، المليئة عبرا، المترعة أدبا الأنيقة أسلوبا، البديعة إنشاء"[2].

ولما كان ابن حيان عند أهل العلم ذا منزلة رفيعة، ذهب بعض الباحثين إلى الغلوّ فيه، فنسبوا إليه من المصنفات عددا عظيما، في فنون شتى من أدب وشعر، وعلوم دين وكلام، بغير تثبت ولا نقد، وكل ذلك مما لا يصح ولا يثبت[3]؛ ويرى بعض الباحثين ومنهم عبد الرحمان علي حجي، أن ابن حيان ألف كتابا واحدا اسمه "المتين"، أما الكتب الأخرى فهي إما أقسام منه أو مختصرات، وقد استدلّ على هذه الأطروحة بمجموعة من القرائن منها[4]:

- اسم المقتبس يدل على أن ابن حيان اقتبسه من المتين، فهو مختصر منه.
- رغم دقة وضبط وعدالة ابن بسام، إلا انه لم يذكر المقتبس في ذخيرته.
- كل ما نقله ابن بسام عن ابن حيان ذكر بأنه من تاريخه الكبير أو تاريخه، ويقصد المتين.
- حجم كتاب المتين الذي يصل إلى الستين مجلدا، وهو يتناول تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قبيل وفاة مؤرخنا، وهو يغني عن كل المصنفات الأخرى.

بينما يكاد يتفق كل من كتب عن ابن حيان من المعاصرين على أن الكتابين منفصلان عن بعض، وهذه الأطروحة وردت فيها قرينة قوية عند صاحب نفح الطيب في قوله: "وهل لكم في علم التاريخ كابن

---

[1]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 208.

[2]– مصطفى الشكعة، أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ، ص 156.

[3]–ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص54.

[4]– علي عبد الرحمان حجي، **ابن حيان القرطبي مؤلفاته ومنهجيته**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984، ص237-238.

حيان صاحب " المتين " و" المقتبس"[1]؛ وهذا دليل على أن كلا الكتابين مستقلان، وبناءً على ما تقدم، يمكن أن نسوق مؤلفات مؤرخنا وفق ما أحصاه ورتبه الباحثون على النحو التالي:

1- كتاب المقتبس: وهو موضوع دراستنا، سيأتي الحديث عنه لاحقا.

2- كتاب المتين: ذكره ابن سعيد، كما أشرنا، بأنه الكتاب الذي يتألف من ستين مجلدة، وهو في حكم المفقود، ويعتبر ابن بسام صاحب الحظ الوافر في نقولاته عنه، حيث يقول: "...؛ وعولت في معظم ذلك على تاريخ أبي مروان بن حيان، فأوردت فصوله ونقلت جمله وتفاصيله؛ فإذا أعوزني كلامه، وعزني سرده ونظامه، عكفت على طللي البائد، وضربت في حديدي البارد؛ على حفظ قد تشعب وحظٍ من الدنيا قد ذهب"[2]؛ وفي هذا يرى علي مكي بأنه لو أمكن استخراج تلك النقولات من مختلف أقسام الذخيرة، ومن الجزء الثالث من البيان المغرب، ومن كتب ابن الأبار، وابن سعيد، والصلة لابن بشكوال، وترتيب المدارك، لأمكن إعادة بناء جزء كبير من هذا الكتاب الضائع[3].

يبدأ تاريخ المتين بأحداث الفتنة الأندلسية التي اندلعت على نظر ابن حيان سنة 399هـ/1008م، وينتهي قبل موته بسنوات قليلة في نحو سنة 463هـ/1071م، أي يتناول تاريخ نحو أربع وستين سنة من حياة الأندلس المعاصرة لابن حيان[4]، ويصفه علي مكي بأنه ثمرة تسجيل صخب الأندلس وضجيجها، وشبهه بجهد رجل من رجال صحافة اليوم يبحث عن المتاعب ويشتم الأخبار جريا وراء الحقيقة أينما كانت[5]؛ ومن ثم كان حصيلة متابعة، وحصاد معايشة، وثمرة شهادة، سجل فيه أبو مروان كل شؤون الأندلس السياسية والحربية والحزبية والاجتماعية والثقافية والأدبية، مع ترجمة وافية للمعاصرين له من العلماء والأدباء والحكام والوزراء، وقد رصّع المؤلف كتابه بمقطوعات من النثر الرفيع، وقصائد الشعر البديع[6].

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص 193.

[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 18.

[3]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 56.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 56.

[5]- نفسه.

[6]- مصطفى الشكعة، أبو مروان حيان ين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ، ص 156.

وقد قام عبد الله محمد جمال الدين بجمع نصوص المتين من مخطوطات الذخيرة لابن بسام ودرسها، وحققها وقارنها بنصوص المصادر الأخرى، العربي منها والأوروبي في كتاب سماه "من نصوص كتاب المتين للمؤرخ القرطبي الكبير أبي مروان بن حيان"[1].

وقبل الانتقال إلى الحديث عن بقية مؤلفات ابن حيان، لا بد من التوقف عند مسألة التفريق بين المقتبس والمتين، وهي قضية شغلت حيّزا معتبرا من نقاشات الباحثين، رغم الإشارات المصدرية التي سبق عرضها؛ فقد ذهب جمهور المستشرقين إلى أنّ ابن حيان ألّف المقتبس في طور شبابه، ثم صنّف المتين في مرحلة نضجه وشيخوخته، مستدلّين على ذلك باختلاف أسلوب التدوين بين الكتابين، غير أنّ هذا الرأي لم يلقَ موافقة من علي مكي، وإن كان قد سلّم لهم بتقدّم المقتبس على المتين في ظهوره للناس، نظرا لطبيعة موضوعه الذي يتناول تاريخ الأندلس إلى نهاية خلافة المستنصر، بينما اقتضى المتين، بحكم تناوله للتاريخ المعاصر–زمن المؤلف–، مراجعة وتنقيحا وإضافات متتابعة بحسب تطوّر الأحداث، فجاء ظهوره متأخّرا[2].

وقد اتّخذ علي مكي في هذا السياق موقفين معتدلين، خالف فيهما جمهور المستشرقين: ففي الموقف الأول، ذهب إلى أنّ ابن حيان ألّف الكتابين في فترة زمنية واحدة، متّبعا أسلوب الكتابة المتوازي؛ إذ كان يدوّن المقتبس بالاعتماد على ما بين يديه من مصادر مكتوبة، في حين يكتب المتين اعتمادا على مشاهداته المباشرة ولقاءاته وتفاعلاته مع محيط عصره[3]؛ وبذلك كان في المقتبس ناقلا مسندا، وفي المتين شاهدا موثّقا[4].

أما في الموقف الثاني، والمتعلّق بالفروق الأسلوبية بين الكتابين، فقد رأى علي مكي أنّه لا وجود لاختلاف جوهري في الأسلوب، وإنما استخدم ابن حيان طريقتين مختلفتين في الكتابة تبعا لاختلاف طبيعة الموضوع، وتباين المصادر المعتمدة في كلٍّ منهما؛ وهو في هذا يتفق مع الرأي الذي تبنّاه المستشرق غرسية غومس[5].

---

[1]– عبد الله محمد جمال الدين، **من نصوص كتاب المتين للمؤرخ القرطبي الكبير أبي مروان بن حيان**، د.ط، مدريد، 1977.

[2]–ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص57.

[3]– ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 59.

[4]–عائشة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 36.

[5]–ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص60-61.

ومما يجدر التنويه به أن أسلوب ابن حيان في الكتابة التاريخية يتسم بطابع أدبي وتصويري، يتميز بالقوة والجزالة، وطول النفس، مع براعة في انتقاء العبارات واستحداث الألفاظ، والابتكار في التراكيب. غير أن هذا الميل إلى التفنن والغرابة في اللفظ والبناء يصل أحيانا إلى حدّ من التعقيد، مما يجعل نصوصه عسيرة الفهم أو مشوبة بشيء من الغموض[1].

3-أخبار الدولة العامرية: ورد ذكر هذا الكتاب في عدة مصادر وسيطية، منها ما رواه ابن الأبار في قوله: "هذا ما أورده ابن حيان في أخبار الدولة العامرية"[2]؛ ويقول في موضع آخر أثناء حديثة عن غزوات المنصور: "وغزواته في كل صائفة متصلة أزيد من خمسين عدها ابن حيان في كتابه الموضوع في أخبار الدولة العامرية وجعله لمن شاء خزله عن تاريخه الكبير أو ضمه إليه"[3]؛ وذكره أيضا في إعتاب الكتاب بقوله: "ذكر هذه الحكاية ابنه أبو مروان في أخبار الدولة العامرية من تأليفه"[4]، ويتضح من خلال رواية ابن الأبار أن هذا الكتاب مستقل، وهو جزء مختصر من التاريخ الكبير لابن حيان.

كما أورده المراكشي في المعجب بتسمية مغايرة إذ يقول: "غزا في أيام مملكته نيفا وخمسين غزوة، ذكرها أبو مروان بن حيان كلها في كتابه الذي سماه بـ المآثر العامرية"[5]؛ وهو ما اعتبره علي مكي خلطا وقع فيه المراكشي بسبب تشابه الأسماء، وبعد المراكشي عن بلاده ومصادره، حيث ألّف معجبه في المشرق[6]؛ أما ابن سعيد فقد ذكره في أثناء ترجمته للمنصور بن أبي عامر، حيث يقول: "الذي حجب المؤيد وكان في منزلة سلطان هو مذكور في كتب كثيرة ولابن حيان فيه كتاب مفرد"[7]؛ وأخيرا نجد عند المقري شاهدا آخر، حيث أورده في قوله: "وأمّا المنصور فقد ذكره ابن حيّان في كتابه المخصوص بالدولة العامرية"[8].

---

[1]- إحسان عباس، **طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984، ص 117.

[2]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص 227.

[3]- نفسه، ج1، ص 269.

[4]- ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص 198.

[5]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 37.

[6]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص62-63.

[7]- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 199.

[8]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 399.

أما العنوان الكامل للكتاب فيفيدنا به ابن الخطيب إذ يقول: "فذكر أبو مروان خلف رحمه الله في كتابه الذي أنافت على المائة أسفاره المسمى بـ أخبار الدولة العامرية المنسوخة بالفتنة البربرية، وما جرى فيها من الأحداث"[1].

ويغطي الكتاب الفترة التي تنحصر بين ولاية هشام المؤيد سنة 366هـ/976م، إلى ثورة محمد بن هشام المهدي على العامريين سنة 399هـ/1008م[2]؛ وبذلك، فهو يعالج تاريخ العامريين الذي كان أبوه كاتبها على عهد منشئها المنصور ابن أبي عامر، وفي ظلها نشأ وتربى مؤرخنا؛ وليس من شك في أن ما سمعه من أبيه، وما أورثه إياه من مذكرات ووثائق، وما شاهده بنفسه من أحوال تلك الدولة الفتية قصيرة الأجل، قد مكنه من كتابة تاريخ دقيق رحيب عن العامريين ودولتهم التي لم تعش طويلا[3].

4- البطشة الكبرى: جاء ذكر هذا المصنف عند بعض المؤرخين القدامى، منهم ابن بسام، حيث يقول: "فصح عندي أنه وصف كيفية خلعهم وإخراجهم من قرطبة في جزء كبير سماه البطشة الكبرى في مجلد كبير"[4]؛ كما ذكره ابن الخطيب في قوله: "وقد أفرد ابن حيان لهذه النكبة الجهورية كتابا سماه البطشة الكبرى وكلامه فيه لباب بلاغته"[5]؛ وموضوع الكتاب ما وقع لقرطبة لما دخلها المعتمد بن عباد، حاكم إشبيلية بعد خداعه لعبد الملك بن جهور الذي استنجد به من حصار المأمون ابن ذي النون، لكن المعتمد بن عباد غدر به فدخلها وخلعه عن رياسة قرطبة، ثم نفي من بقي من آل جهور[6]، فلم يفت هذا الحدث الجلل الواقع في قرطبة قلم ابن حيان، الذي سجل كل وقائعه.

هذه المؤلفات الأربعة هي ما يُعبّر عنها بالتاريخ الكبير لابن حيان، والتي تشتمل على تاريخ الفتح الإسلامي حتى قرب وفاة ابن حيان، مغطية بذلك فترة ثلاثة قرون ونصف؛ غير أنه لا يفوتنا أن نذكر تلك المؤلفات التي حاول البعض نسبتها إلى ابن حيان، وهي كما حقق علي مكي، لا تعدو أن تكون أجزاء أو مقتطفات من تاريخ الكبير، ومن هذه المؤلفات ما يلي:

---

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 92.

[2]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص64.

[3]- مصطفى الشكعة، أبو مروان حيان ين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ، ص 157.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج2، ص 614.

[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 146.

[6]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص65.

كتاب "تاريخ فقهاء قرطبة"[1]، وكتاب "انتخاب من أخبار القضاة"[2]، وكتاب "الجمع بين كتابي القبشي وابن عفيف"[3]، وكتاب "الانتخاب الجامع لمآثر بني خطاب"[4].

المبحث الثاني– ترجمة أبي زكرياء يحيى الوارجلاني وأهم آثاره:

إنّ المعطيات التي أتاحتها لنا المصادر التاريخية حول هذا المؤرخ لا تقدّم صورة وافية عن حياته ولا تجيب عن جميع التساؤلات المرتبطة بسيرته، إذ لم يصلنا سوى أخبار متفرقة تضم شذرات من حياته، يعتري بعضها النقص في الأدلة والشواهد؛ ومن ثَمّ فإنّ كثيرا مما نعرفه عنه قد بُني على اجتهادات الباحثين واستنتاجاتهم.

أولا– اسمه ونسبه:

الشيخ الفقيه الأجل الفاضل الأعدل[5]، أبو زكرياء يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني[6]؛ نسبة إلى بنو يراسن أو يوراسن أو يهراسن؛ وهي قبيلة من قبائل البربر الخارجة من صلب زناتة[7].

ثانيا– مولده ونشأته:

لا نملك تاريخ ميلاد الوارجلاني، لكنه عاش في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، وقد صنّفه الدرجيني في الطبقة العاشرة (450هـ-500هـ)[8]؛ ولد في مدينة وارجلان، أو بقرية تماواط[1] على حد تعبير

---

[1]– بالنثيا، المرجع السابق، ص208.

[2]– ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 70. ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 284.

[3]– ابن الأبار، التكملة، ج3، ص7.

[4]– ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 82.

[5]– هاته الأوصاف دائما ما ترد في النسخ التي اعتمدها محقق كتاب السيرة عبد الرحمان أيوب. ينظر: أبو زكرياء يحي الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 25-26، ص 29.

[6]– أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (ت6هـ/12م)، **سيّر الوسياني**، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 2009، ص 184، ص 229. الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 272-275. الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 92-93. أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 14-15. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص451-452. تادايوش ليفيتسكي، **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، تر: ماهر جرار وربما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2007، ص 82-83.

[7]– ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص106.

[8]– الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 272-275.

ليفيتسكي[2]، وتشير المصادر التاريخية أنه نشأ وترعرع بوارجلان[3]، حيث كانت هناك نهضة علمية، وسلطة روحية انتقلت إليها إثر سقوط الإمامة في تاهرت[4].

ولا شك في أن الوارجلاني قد أمضى سنين طفولته فيها بين أقرانه، وتدرج في مراحل التعليم الأولى من المحضرة إلى الكتاب فالمسجد، وهذا حال معظم مشائخ الإباضية[5]؛ تلقى العلم والآثار في وارجلان على يد خاله الشيخ أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم، ثم انتقل في فترة شبابه إلى وادي ريغ ودرس الآثار والسير عند الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، الذي لازمه لمدة عشر سنوات[6].

أما عن حياته الشخصية، فلا تورد لنا المصادر إلا إشارات محدودة عن أقاربه، حيث تشير إلى بعض أفراد عائلته دون ذكر للتفاصيل، فقد اشتهرت أسرته بالعلم والعلماء، وهم دار علم وتقى وشهرة في الخير، ولم ينقطع الإسلام منهم[7]، إذ لم يرد ذكر أحد من أسرته سوى رجلين؛ أولُهما خاله الشيخ أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل، وقد نُقلت عنه بعض الروايات التي جاءت عند الشماخي، مثال ذلك في قوله: "وعن أبي زكريا عن خاله أبي حمزة، قال: تكلم الشيخ يكنون آمرا للجماعة وقد استقبلوا الشتاء أن يَكْرُوا جمالا للعرب يحملون حطبا للمسجد فسكت الأشياخ ولم يعب عليه أحد"[8].

والثاني فهو أخوه أبو يحي زكرياء بن أبي بكر، والذي تذكره المصادر بأنه كان يدرس التاريخ والسير في وادي ريغ وفي واحة وارجلان على الأرجح[9]، وكان له باع في علم النظر، ومأثورات وأقوال

---

[1]- تماواط: وهي قرية من قرى وارجلان القريبة أو الملتصقة بها، وهي مؤلفة من مقطعين: "تما" و"أواطت"، وتعني صلة في تلك الجهة، كانت القرية موجودة إلى القرن 5هـ/11م، ثم اندثرت. ينظر: مجهول، **كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة**، تح: الحاج سليمان بن إبراهيم بازيز الوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2009، هامش ص 99. صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، هامش ص 27.

[2]- صالح الزرويل، **مؤرخو الإباضية ببلاد المغرب في القرنين (5-6هـ/11-12م) الوارجلاني والبغطوري –دراسة مقارنة–**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: إبراهيم بحاز، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، 2014-2015، ص 27. ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 80. ليفيتسكي، **دراسات شمال إفريقية –جمع وترجمة لبحوث ذات أبعاد تاريخية واجتماعية ولغوية–**، تر: أحمد بومزقو، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، ط1، 2008، ص 70.

[3]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 15.

[4]- الوسياني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 184.

[5]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 45.

[6]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 46-47. ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 82.

[7]- إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 346.

[8]- الشماخي، المصدر السابق، ص 493.

[9]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 272. ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

خالدة متناثرة في بطون الدفاتر والسير، عُرف بالمشيخة والتقوى، وكانت حوله حلقة علم، وله وصايا وأشعار لتلامذته[1]؛ يقول عنه الشماخي: "وأما أخوه الشيخ زكريا، فمن الفضلاء والأبرار الأتقياء"[2].

ثالثا- رحلاته العلمية:

يمكن استعراض تنقلات الوارجلاني لطلب العلم والاستزادة من الشيوخ في ثلاث محطات رئيسة، هي:

المحطة الأولى: نهل من العلوم في بداية مشواره في وارجلان ثم وادي ريغ، لكنه في سنة 460هـ/1067م ترك وارجلان وانتقل إلى طرابلس، حيث سكن في سنة 461هـ/1068م مدينة تمولست[3] في جنوب شرق تونس أين درس على يد الشيخ أبي الربيع[4]؛ وكانت هذه الرحلة منهجا يتبعه العلماء في فترة العصور الوسطى، فلا يمكن أن يقتصر الشيخ على علوم بلده، بل يرحل إلى المدن والحواضر المجاورة لملاقاة المشائخ والاستفادة منهم[5].

المحطة الثانية: بحلول سنة 471هـ/1078م، انتقل إلى الغرب هو ومن معه، ونزل في تين وال[6] بوادي ريغ، واختلط ببعض العلماء البارزين، أمثال الشيخ ماكسن والشيخ مزين، وكان شيخه قد توفي بعد انتقاله بمدة قصيرة، أي في هذه السنة[7]، حيث يقول: "وفي تلك السنة، سنة إحدى وسبعين وأربعة مائة ورد إلينا موت الشيخ أبي الربيع رحمه الله، ونحن آنذاك في تين وال عند الشيخ ماكسن ومزين"[8]؛ ويذكر الوارجلاني أن شيخه شيعهم عند خروجهم، وأوصاهم ببعض الوصايا، منها قوله: "امضوا بالسلام، فإذا وصلتم منازلكم، إن شاء الله، فإياكم والدنيا أن تستقبلوها بوجوهكم. فمن استقبلها أغرقته..."[9].

---

[1]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 155-156.

[2]- الشماخي، المصدر السابق، ص 428.

[3]-تمولست: تقع بين سلسلة جبال تمتد من الجريد التونسي إلى جبال الحوابي بجنوب تونس. ينظر: أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 367، هامش ص 253.

[4]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

[5]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 47.

[6]- تين وال: محلة قريبة من آجلو. ينظر: صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 47.

[7]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

[8]-أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 374.

[9]- نفسه، ص 371.

المحطة الثالثة: وفي سنة 474هـ/1081م، ترك وادي ريغ فرارا من جيش أبي دوناس[1]، واستقر في واحة وارجلان، في قرية تماواط مسقط رأسه[2].

رابعا- مهنته ومصادر كسبه:

يذكر المؤرخ إبراهيم بحاز أن الوارجلاني كان يشتغل بالزراعة للاسترزاق[3]، فقد كان فلاحا سخيا[4]، كما ورد عند الوسياني رواية تفيدنا بالنشاط الذي كان يمارسه، فيقول: "وذكر أن الشيخ أبا زكرياء يحي بن أبي بكر حصد عنده العزابة، فلما فرغوا وأرادوا المضي قال لهم: تريدون أن تجعلوني باكبت [كذا]، فجلبهم وأطعمهم وهذا في غابته المنسوبة إليه"[5]؛ وهذا يعني انه امتلك مزارع، ولكن ليس واضحا ما إذا كانت مزارعه في وارجلان، أم في وادي ريغ، التي مكث فيها مدة طويلة، وعلى الأرجح كانت في وادي ريغ[6]؛ وبما انه كان فلاحا، فلا نستبعد أن يكون له قطيعا من الغنم، أو أنه اهتم بتربية المواشي، التي هي من تبعات النشاط الفلاحي[7].

خامسا- شيوخه:

1-إسحاق بن إبراهيم بن أبي طاهر إسماعيل اليزماتي المزاتي: يُكنى بأبي حمزة؛ وهو خال مؤرخنا -كما أسلفنا-، وكان شيخا عالما عاملا[8]؛ أخذ طرق أجداده في الصلاح والاستقامة، وله باع طويل في حسن التدبير والدراية في الأحكام الشرعية[9]؛ روى عنه كل من ابن أخته الشيخ أبو زكرياء يحي، وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي مسائل فيها تفنيد ادّعاء المتشيعة، كما روى عنه الوسياني مسائل في الفقه[10].

---

[1]- أبو دوناس: رئيس أهل الدعوة بطرابلس في عهد سلطة الخزريين عليها؛ كان ذا هيبة وصوت مسموع لدى أمير، وذكر الوارجلاني أنه يسمى عسكر أبي ذئب، وجاء في الهامش عند ليفيتسكي أنه مجهول من قبلنا. ينظر: أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 379.بحاز وآخرون، ليفيتسكي، المؤرخون، هامش ص 83. معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 148.

[2]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 379. ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

[3]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 452.

[4]- مجهول، المعلقات، هامش 1 ص 92.

[5]- الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 270.

[6]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 31.

[7]- نفسه، ص 32.

[8]- الشماخي، المصدر السابق، ص 493.

[9]- إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 346.

[10]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 54. الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص 699.

2- سليمان بن يخلف الوسلاتي القابسي المزاتي النفطي: يُكنى بأبي الربيع؛ ويلقب بالفقيه أو الأعور[1]، الأصولي، والمؤرخ والمتكلم، أخذ العلم عن جمع من العلماء، أمثال: الشيخ عبد الله محمد بن بكر النفوسي، والشيخ أبي محمد ويسلان بن أبي صالح اليرانسي؛ وكان رفيقه في الطلب الشيخ ماكسن بن الخير؛ وقد كان غاية في العلوم وله من التآليف التحف في الأصول، أفنى شبابه في القراءة وبقية عمره في تعليم الناس، فصار من أكابر العزابة ومن جازت عليهم سلسلة نسب الدين، وله كرامات عديدة[2].

روى عنه خلق كثير خاصة وأنه كان رحالة متنقلا بين حواضر المغرب الأوسط والأدنى، منهم: أولاد الشيخ أبي زكرياء فصيل، وأولاد أبي بكر بن يحي -منهم المؤرخ أبو زكرياء الوارجلاني- في المسجد الكبير بجربة[3]؛ من مؤلفاته: كتاب التحف المخزونة في إجماع الأصول، كتاب السير، وغيرهما[4]، توفي على المشهور سنة 477هـ/1078م في توغين[5].

3- يحي بن الخير بن أبي الخير الجناوي: كنيته أبو زكرياء، كان شيخا فقيها، وعالما نفوسيا، أحد علماء جبل نفوسة من قرية إجنّاون؛ قال عنه الشماخي: "وأبو زكرياء في زماننا أشهر من جده لكثرة تآليفه"[6]. وهو حلقة في سلسلة نسب الدين، مكث في طلب العلم مدة اثنتين وثلاثين سنة؛ روى عن أبي الربيع سليمان بن أبي هارون، وغيره، وأخذ عنه أبو الربيع سليمان بن يخلف، وأبو زكرياء الوارجلاني، وأبو سليمان داود بن هارون؛ له كتاب عقيدة نفوسة، وكتاب الأحكام[7].

4- مزين بن عبد الله الوسياني: كنيته أبو عبد الله؛ من بني وسين بوارجلان، وهو أحد علمائها، عاصر أبا الربيع سليمان بن يخلف، وكان عالما فاضلا صالحا، يُرجع إليه في النوازل، وقد تتلمذ عليه المؤرخ أبو زكرياء الوارجلاني في تين وال بوارجلان، وهو من علماء الطبقة العاشرة (450-500هـ/1058-1106م)[8].

---

[1]- ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 65.

[2]- إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 318.

[3]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 269 وما بعدها. الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 425. الشماخي، المصدر السابق، ص 412.

[4]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 216.

[5]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 67.

[6]- الشماخي، المصدر السابق، ص 535.

[7]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 456.

[8]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 429. الشماخي، المصدر السابق، ص 414. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 414.

5- زكرياء بن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليراسني: يُكنى بأبي يحي؛ عالم ذكي، سخي العلم والمال، من أفذاذ علماء جربة بتونس، من أسرة ذات علم، تلقى العلم عن والده أبي زكرياء فصيل في الجامع الكبر، كان من مؤسسي نظام العزابة في جربة؛ اشتغل بالتدريس واهتم بشؤون الناس في مدينته، وظل رافعا راية العلم لوحده بعد وفاة أكثر علماء جربة، ومع تقدمه في السن كان يجول بحماره كل جمعة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ أخذ عنه سليمان بن يخلف، وأبو زكرياء الوارجلاني وروى عنه كثيرا[1]، توفي على الأرجح سنة 508هـ/1114م[2].

سادسا- تلاميذه:

لم تشر المصادر التاريخية صراحة إلى طلبة الوارجلاني، غير أن الاستقراء يسمح بتحديد بعض تراجم التلاميذ الذين يُحتمل أنهم اخذوا عنه أو سمعوا رواياته، وقد أحصى الباحث صالح الزرويل تسعة منهم، مشيرا إلى أن الوارجلاني كان شيخا لهذا أو لذاك، أو قد اجتمع بهم في مجلس علم أو حلقة، أو رافقهم في بعض أسفاره وتنقلاته[3].

1- صالح بن إبراهيم بن يوسف الزمريني المزاتي التجممي: كنيته أبو نوح؛ أحد علماء وادي ريغ، قال عنه الشماخي: "ومنهم أبو نوح صالح بن إبراهيم وكفاك به شهرة أنه الذي عرض عليه كتاب السؤالات وكان شيخا وأبوه إسحاق إبراهيم من كبراء الأشياخ أيضا"[4]؛ أخذ عن الشيخ عيسى بن يرصوكسن، وأبي عمار عبد الكافي، وأبي سليمان أيوب؛ كما روى عنه أبو الربيع سليمان الوسياني روايات كثيرة؛ له كتاب نفيس في السير، وكان حيا في 557هـ/1161م[5].

2- سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني: يُكنى بأبي الربيع؛ مؤرخ وراو بارز، ومن أبرز أعلام الإباضية، ولد بقصطيلية من بلاد الجريد، قال عنه الدرجيني: "أحد شيوخ الحلق الكبار، الحافظ للسير والآثار، المروي عنه التواريخ والأخبار، لم تفته سيرة لأهل الدعوة في كل الأعصار"[6].

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 204-205.ص 252.

[2]- مجهول، المعلقات، هامش 5 ص 231.ليفيتسكي، المؤرخون، ص 77. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 162.

[3]- صالح الزرويل، المرجع السابق، ص 55.

[4]- الشماخي، المصدر السابق، ص 524-525.

[5]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 58 وما بعدها. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 226. وذكره محقق سير الوسياني في شيوخه. ينظر: الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 131.

[6]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 513.

ويُنسب إليه كتاب "سير الوسياني" الذي يعتبر من المصادر المهمة التي اعتمد عليه كل من جاء بعده. كان حيا في 557هـ/1161م[1].

3- عثمان بن خليفة السوفي المارغني: كنيته أبو عمرو؛ الإمام العارف بالله، أصولي متكلم، وفقيه مجتهد، وأحد أعلام الإباضية أصله من بلاد سوف، عالم بالجدل والمناظرة في الدفاع عن مذهبه، كان إماما في العلوم ولا سيما علم الكلام؛ يقول عنه الدرجيني: "الكاشف بحسن بيانه ونور منطق لسانه دياجى الظلام، المفتي في العلوم لا سيما علم الكلام، المدافع عن كلمة الإسلام، حتى إن له في موطن اللين قراعا بلسان مخدام، وربما كان في محل هدنة فاشتعل الاضرام، ولم يعبأ بمن قال، كل مقال له مقام"[2]؛ أخذ العلم عن أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، وأبي الربيع سليمان بن يخلف، وسليمان أيوب بن إسماعيل، وغيرهم، وتتلمذ على يديه المعز بن جناو بن فتوح، وأبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي، وغيرهما؛ أحيا المذهب الاباضي بتآليفه الهامة، منها: كتاب السؤالات، ورسالة في الفرق، توفي ربما قبل 530هـ/1135م[3].

4- إبراهيم بن أبي إبراهيم مطكوداسن بن يخلف بن مالك الدجمي المزاتي الغرماني: كنيته أبو إسحاق؛ مؤرخ وشيخ فاضل من رواة السير، وأحد أعلام الإباضية الذين ألفوا كتب العزابة[4]، كان سخيا منكبا على الكتابة حتى قال: "... وحسبك أني كتبت أحد عشر كتابا في عشرة أيام"[5]؛ أخذ العلم عن أبي الربيع سليمان بن يخلف، وروى عنه أبو زكرياء الوارجلاني[6]؛ كان حيا بعد 471هـ/1078م وقبل 504هـ/1110م[7].

---

[1]- الوسياني، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 18-19. ليفيتسكي، المؤرخون، ص62-63. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 204.

[2]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 483.

[3]- الوسياني، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ج1، ص 129-130.ليفيتسكي، المؤرخون، ص 38-40. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 287-288. إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 380.

[4]- الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص 704.

[5]- الشماخي، المصدر السابق، ص 506.

[6]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 210.

[7]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 32. ليفيتسكي، المؤرخون، ص 93-94. ص47-48.

5- سعيد بن عمار الزواغي: عالم أصول وفقيه مفتٍ، سكن أريغ، وهو ابن العالم عمار الزواغي، أخذ عنه وعن محمد بن بكر، وعنه روى أبو زكرياء الوارجلاني؛ له أخبار ومسائل فقهية في كتب السير والمعلقات[1].

6- عائشة بنت معاذ بن أبي علي: ذكرها الوسياني في روايات والدها وأخوها، ولقيت أبو زكرياء الوارجلاني وسألته عند المحضرة القديمة في مصلى آجلو[2]؛ كانت من خيرة نساء آجلو نالت حظا من العلم والخير، ومجالسة العلماء والأخذ عنهم[3]؛ تلقت العلم عن أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، والشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي[4].

7- عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الوارجلاني: يكنى بأبي عمار؛ عالم شهير، مؤرخ وفقيه، ولد بقرية تناوت من قرى وارجلان، أخذ العلم عن أبي زكرياء الوارجلاني، وأبي سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي؛ كما ارتحل إلى تونس لطلب العلم، ثم عاد إلى بلده وتحلق الطلبة حوله، فكان مقصدا لهم من مختلف مواطن الإباضية في المغرب؛ تتلمذ عليه أبو يحي إسماعيل بن يحي، وسليمان بن محمد بن إسحاق، وسليمان بن يومر؛ ترك تراثا زاخرا، من تآليفه: كتاب الموجز، وكتاب شرح الجهالات للملشوطي، وكتاب الاستطاعة، وغيرها[5]؛ يقول عنه الدرجيني: "تدارك المذهب قد أقبر فأنشره نشورا، ونوه به وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، فأحيا الله به رفاته، وجمع ببركته شتاته، خدم العلم دهرا حتى وعاه، وأوعى منه الأوعية"[6]؛ توفي ودفن في أعلى جبل بامنديل من ضواحي وارجلان قبل 570هـ/1174م[7].

8- يحي بن إبراهيم بن سليمان بن زرقون بن ويجمان: كنيته أبو سهل؛ سليل أسرة العلم والعلماء، وأجداده كلهم معدودون في جملة المشايخ ولهم ذكر في كتب السير؛ العالم الشهير، ذو الكرامات العديدة،

---

[1]- مجهول، المعلقات، هامش 3 ص 252. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 183. الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص 620. ليفيتسكي، المؤرخون، ص 103.

[2]- الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص 593.

[3]- نفسه، ص 592.

[4]- الشماخي، المصدر السابق، ص 422.بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 238-239.

[5]-ليفيتسكي، المؤرخون، ص ص35-38.

[6]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 485.

[7]-إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 331.بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 258-259.

والآثار القيمة، والتآليف الكثيرة[1]؛ ترجم له الشماخي مقدما إياه على آبائه لكونه أشهر من أُخذ عنه وتأليفه[2]؛ أخذ العلم عن أبيه وروى عن أبي زكرياء الوارجلاني، ومن تلاميذه الدرجيني صاحب الطبقات. من مؤلفاته كتاب العقيدة في معرفة التوحيد والفرائض، ومسائل أبي سهل في الطهارات[3].

9- يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني: يكنى بأبي يعقوب؛ عالم موسوعي من أشهر علماء الإباضية المجتهدين؛ ولد سنة 500هـ/1105م بسدراتة ونشأ بها؛ يقول عنه الدرجيني: "بحر العلم الزاخر، المسخر للنفع فترى الفلك فيه مواخر، الرفيع القدر والهمة، الجامع لفضائل كل أمة، المحتوي على علوم جمة"[4]؛ أخذ العلم عن أيوب بن إسماعيل، ويحي بن إسماعيل، وغيرهما، وتتلمذ عليه جمع أمثال: ابنه أبو إسحاق، وأبو سليمان أيوب بن نوح؛ ارتحل كثيرا وزار حواضر العالم الإسلامي، منها الأندلس ولُقب بالجاحظ، عكف على التأليف حتى ترك آثارا عديدة، مثل: تفسير القران الكريم، الدليل والبرهان، مرج البحرين في المنطق، وغيرها؛ توفي ودفن في مسقط رأسه وارجلان سنة 570هـ/1175م[5].

سابعا- وفاته:

بعد عمر من العطاء انتهت حياة مؤرخنا في مقسط رأسه وارجلان أو مدينة سدراتة[6]، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ وفاته، حيث أكد محقق سير الوسياني أنه توفي بعد سنة 474هـ/1081م[7]، بينما جاء في بيبليوغرافيا الإباضية للمستشرق الألماني كاسترس أنه توفي سنة

---

[1]- إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 351.

[2]- الشماخي، المصدر السابق، ص 507.

[3]- أبو القاسم البرّادي (ت810هـ/1407م)، **الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات**، ص 9. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 455-456.

[4]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 491. الشماخي، المصدر السابق، ص 443.

[5]-الوسياني، المصدر السابق، الهامش 1 ص 74. أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني، **الدليل والبرهان**-مقدمة المحقق-، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط2، 2006، ص 9-10. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 481-483.

[6]- ليفيتسكي، الإباضية، ص 72. ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

[7]- الوسياني، المصدر السابق -مقدمة المحقق-، ص 184.

471هـ/1078م، أو بعد 474هـ/1081م[1]؛ وعند ليفيتسكي، فإنه يقول: "ولا نعلم شيئا عن مصيره سوى أنه توفي في بداية القرن السادس الهجري بعد عام 504هـ/1110م"[2].

ويُعد هذا التاريخ مرجوحا، إذ يُحتمل أن يكون ليفيتسكي قد التبس عليه الأمر فخلط بينه وبين تاريخ وفاة شقيقه زكرياء بن أبي بكر سنة 508هـ/1114م[3]؛ أما المحقق عبد الرحمان أيوب، فإنه اعتمد تاريخ بعد 474هـ/1081م، وهذا هو الرأي الذي نميل إليه، وإن كان اعتماده قد استند إلى قرينة لا تبدو قوية، تتمثل في كون هذا التاريخ آخر ما ورد ذكره في كتاب السيرة[4]؛ ويظل تاريخ وفاته غير محدد بدقة، ويبقى التحقق منه رهينا بما قد تتيحه المصادر التاريخية مستقبلا من معطيات جديدة.

ثامنا– آثاره:

لم يكن أبو زكرياء الوارجلاني مؤرِّخا وحسب، بل يُعد من أبرز أعلام الإباضية الذين اتسعت معارفهم لتشمل مختلف مجالات العلم؛ فقد برز فقيها وداعية، ثم راويا ومؤرِّخا، وهو ما يمكن استنباطه من الإشارات المتفرقة الواردة في عدد من المصادر التاريخية؛ غير أنّ ما أصاب التراث الإباضي من ضياع بسبب تقلبات الزمن وصروفه كان له الأثر البالغ في فقدان الكثير من المؤلفات، الأمر الذي حال دون تكوين صورة أوفى عن شخصية الوارجلاني ومكانته العلمية؛ والحال هذه فإنه لم يصلنا من مؤلفاته إلا كتاب السيرة وأخبار الأئمة؛ وفيما عدا هذا فإنه كان صاحب أجوبة وفتاوى في علم الكلام[5]، وله مؤلف آخر على قدر كبير من الأهمية يختص بالفرق الإباضية، ولكن لم يُكتب له البقاء[6]؛ وهذه الآثار نجدها عند بعض العلماء الذين يستشهدون بأقواله وآرائه الكلامية، منها ما ذكره أبو سهل يحيى بن إبراهيم في بداية كتابه العقيدة[7].

---

[1]–أم أتش كاسترس، **ببليوغرافيا الإباضية**، تر: موحمد ؤمادي وخديجة كرير، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2012، ج1، ص 732.بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 451.

[2]– ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

[3]– نفسه.

[4]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص14-15.

[5]– البرّادي، **رسالة في ما سمعت به أو وقفت عليه من تواليف أصحابنا**، محبوب لنشر الرقمي، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2022، ص30.

[6]– ليفتسكي، المرجع السابق، ص 85.

[7]– بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 425.نقل صاحب كتاب المعلقات بعض أخباره في الفتوى. ينظر: مجهول، المعلقات، ص 92.

وقد أشار البرّادي إلى أن أبا زكرياء قد ألّف أيضا عددا من الرسائل في الفقه والمسائل، لكنه لم يحددها، ويبدو أنها فُقدت[1].

تاسعا– مكانته وآراء المؤرخين والباحثين فيه:

تدل المعطيات المتوفرة على أنّ مؤرخنا كان واسع العلم متنوع المعارف، وأن سيرته قد انطوت على أخبار تشير إلى ما اتصف به من مكارم الأخلاق ورجاحة العقل، فضلا عن ورعه وتقواه، فقد ورد في تاريخه رواية عن أبي عمرو، عن أبي زكرياء بن أبي بكر، أنه كان كثيرا ما يردد قول يحيى بن معاذ الرّازي: للتوبة ثلاث مقامات، الندم، والاستغفار،..."[2]، ويذكر الوسياني حكاية عن مؤرخنا أنه زار وارجلان ثم انصرف منها مسرعا، فقال له أهلها: امكث قليلا نستأنس بك، فقال لهم: أنتم مثل من قال: امكث قليلا يمت قلبك، وذلك لما اطلع عليهم من سيرهم[3].

ويحدثنا الوسياني أيضا عنه، فيقول: "فرحمة الله على شيخنا أبي زكرياء، له فضل السبق في هذا، لم يأل خيرا برأفته وهمته وفراسته"[4]، ويقول في موضع آخر: "وكان فطنا عاقلا ذا نية بصيرا"[5]؛ وأما في وصف أخلاقه ومحاسن سيرته فيصفه البرّادي، بقوله: "كان ورعا وصاحب فضل وسعة في فنونه وغزارة عيونه"[6].

يقول الدرجيني في وصف الأخوين يحيى وزكرياء: "كانا من الأفاضل المقتفين آثار الأوائل، لم تزل نفس الديانة بحياتهما حية، وطرق البر ناهجة والصلاحية وطلب علوم المذهب، وسير من تنسك أو ترهب، ولهما في علوم النظر أطول باع، بأدلة ذات إقناع وحجج تملأ القلوب والأسماع، وتغني عند المحاضرة ما لا تغني المشرفية عند القراع فكانا مراد الفارّين على تباعد الدارين"[7]، ومثله يذكر الشماخي في قوله: "كانا فاضلين عالمين"[8].

---

[1]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 15.

[2]– الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 274-275.

[3]– الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص 745. وجاءت هذه الرواية عند الدرجيني، ولكنه أسندها لشقيق مؤرخنا زكرياء بين أبي بكر. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 272.

[4]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 229-230.

[5]– نفسه، ج2، ص 744.

[6]– البرّادي، الجواهر المنتقاة، ص 11.

[7]– الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 448.

[8]– الشماخي، المصدر السابق، ص 427.

ومن المعاصرين نجد إسماعيل العربي يثني على تاريخه، بقوله: "ومهما يكن من أمر، يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن تاريخ أبي زكرياء إنما هو تاريخ إباضي في المكان الأول، يرتكز على سير العلماء والأئمة الذين يقتصر على إيراد الحوادث التي وقعت لهم أو شاركوا فيها دون أن يهتم بسياقها التاريخي العام في المغرب؛ ونحن يجب أن نأخذه على ما هو ونثني على منهجية صاحبه وعلى دقته ونزاهته"[1]؛ هذا وقد ذهب بعيدا عندما أشاد بالروايات التي قدمها الوارجلاني عن ثورة أبي يزيد النكاري، والتي لا تفوقها في التفاصيل سوى رواية ابن الأثير[2].

أما محقق تاريخ الوارجلاني عبد الرحمان أيوب، فيقول: "... أو أهميته من حيث إنه وضع أول مرسى لتأريخ فترة أساسية من فترات الفكر الديني في شمال إفريقيا، أعني الاتجاه الديني الإباضي"[3]؛ في حين يعبّر مؤرخ الإباضية في عصرنا الحالي إبراهيم بحاز عن أهمية تاريخ أبي زكرياء، فيقول: "فيعتبر أهم كتاب إباضي جمع سير الأئمة الرستميين وأحداث دولتهم، ويمكن أن نقول، دون مبالغة، أن أبا زكرياء وضع كتابه أساسا لذلك الغرض"[4].

وفي السياق ذاته يقول عوض الشرقاوي: "تعتبر سيرة أبي زكرياء مصدرا أساسيا وهاما عن تاريخ الفرقة الإباضية في جبل نفوسة، خاصة على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فضلا عما تناوله عن إباضية تاهرت وعلاقتهم بإباضية جبل نفوسة"[5].

وفي مقابل هذا، فلم يسلم الوارجلاني من بعض مآخذ الباحثين على تاريخه، من ذلك ما سجله عوض خليفات في قوله: "ويبدو أبو زكرياء متعصبا لبعض القوميات، وخاصة الفارسية التي تنسب إليها الأسرة الرستمية"[6]؛ ويلفت الانتباه كذلك إلى كثرة الأساطير والكرامات المنسوبة إلى الأئمة والمشايخ الإباضية التي أوردها في تاريخه، ولكن ذلك لا يمنعه من اعتباره، وبدون شك، مصدرا أساسيا هاما عن

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم –مقدمة المحقق–**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 1979، ص 21.

[2]- نفسه، ص 20.

[3]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق– تح: ع أيوب، ص 21.

[4]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، ص 25.

[5]- عوض الشرقاوي، **التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2011، ص 9.

[6]- عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص 15.

تاريخ الحركة الإباضية في بلاد المغرب، منذ بداية تسربها إلى تلك المنطقة حتى سقوط الدولة الرستمية[1]. بينما إسماعيل العربي، فبعدما أشار إلى بعض الفجوات التي سقط فيها مؤرخو الإباضية، ومنهم الوارجلاني، يقول: "تلك وغيرها فجوات تستلفت أنظار الدارس المدقق لكتاب السير، وليس من السهل تفسيرها، اللهم إلا إذا راعينا أن انسحاب الإباضيين إلى الجنوب واحتلال العبيديين لكثير من مراكز الإشعاع لبلدهم قد حرمهم من مكتباتهم ولا سيما مكتبة المعصومة بتيهرت..."[2].

وأخيرا ما ذكره محقق السير عبد الرحمان أيوب، وهي مبالغة لا ضرورة لها، عندما اعتبر أن الإجماع حاصل حول ضعف أسلوب الكتابة واللغة التي استخدمها أبو زكرياء، وهذا الضعف كان سببا في إلقاء كتاب أبي زكرياء في غياهب النسيان[3]؛ ولكنه أعطى بعض التبريرات التي دفعته إلى القول بهذا، فالوارجلاني قدم كتابه للعامة قبل الخاصة، ولأنه شيخ وداعية رغب في انتشار أخبار الشيوخ والأئمة الإباضية، وبالتالي لم يعتن بأسلوبه كثيرا، وكأنه أسرع في تحريره خشية الوفاة قبل الفراغ منه[4].

المبحث الثالث: التعريف بكتابي المقتبس لابن حيان والسيرة للوارجلاني:

أولا– التعريف بكتاب المقتبس لابن حيان:

يقول ابن حيان فيما نقله ابن بسام عنه في الذخيرة، في مقدمة صدّر بها تاريخه الكبير: "... وبعد، فإني امرؤ يسرت لطلب هذا الخبر، واقتفاء هذا الأثر، أحرس شارده، وأقيد نافره؛ وأبيت بأبوابه، وأنصب لطلابه؛ فشغلت به دهرا، وفجرت منه نهرا، صيرني تربا لعدنان، وزماما على الحدثان، أقص أنباءه، وأضرب أمثاله، وأحصي وقائعه، وأحترز مواعظه"[5].

يوضح ابن حيان في هذا النص هويته في بطاقة شخصية، عاش ملتزما بها طيلة حياته، فكان التاريخ علمه وحرفته، ووظيفته ورسالته، وهمه وهواه[6].

---

[1]– عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص 15.

[2]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 21.

[3]– نفسه، ص 12.ص 14.

[4]– نفسه، ص 14.

[5]– ابن بسام، الذخيرة، ج2، ص 576.

[6]– عائشة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 61.

1-قيمة الكتاب وموضوعه:

ذكر هذا المصنف ابن الأبار في قوله: "وقال ابن حيان في تاريخه المقتبس من أنباء أهل الأندلس"[1]، وفي قوله: "قال أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان في كتابه المقتبس من أنباء أهل الأندلس"[2]؛ وقال عنه حاجي خليفة أنه يتكون من عشر مجلدات[3]؛ ورغم ذلك، فإن الكتاب قد اشتهر باسم "المقتبس"، بفتح الباء أو كسرها، ويرجح علي مكي أن يكون الاسم بفتح الباء "المقتبَس"، وهو الشائع في عناوين الكتب[4].

كما ذكر ابن حزم مفتخرا بهذا المصنف أنه يشتمل من نحو عشرة أسفار[5]، ولئلا يُلتبس كتاب المقتبس بكتاب المتين، فقد حدثنا المقري في شأنهما، إذ يقول: "وأما التواريخ، فكتاب ابن حيان الكبير المعروف "بالمتين" في نحو ستين مجلدة، وإنما ذكر ابن حزم كتاب "المقتبس"، وهو في عشر مجلدات، والمتين يذكر فيه أخبار عصره ويمعن فيها مما شاهده، ومنه ينقل صاحب الذخيرة"[6].

أما موضوع كتاب المقتبس فهو تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى قريب من عصر المؤلف، وبالتقريب ينتهي بنهاية خلافة المستنصر (91-366هـ/711-976م)[7]؛ ويقدم لنا فيه أوسع رواية عن تاريخ الأندلس في القرون الهجرية الأربعة التي يغطيها الكتاب، بصورة لن تتكرر في كل ما وصلنا من كتب عن تاريخ الأندلس[8]؛ وقد اقتبس مادته من مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه، ولا سيما أحمد بن محمد الرازي، وابنه عيسى الرازي، ويوسف الوراق، وابن الجزار[9].

---

[1]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 290.

[2]- ابن الأبار، **إعتاب الكتاب**، تح: صالح الأشتر، مطوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1961، ص 172.

[3]- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج2، ص 1792.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص 54-55.

[5]- ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج2، ص 184.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص 181.

[7]-ابن حيان، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص55.

[8]- هاجر بوباية، المرجع السابق، ص 56.

[9]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 21.

معظم مصادر ابن حيان مفقودة، لهذا فإن كتابه ذو أهمية بالغة، لأنه حفظ لنا مادة تاريخية لمؤلفين معاصرين لتاريخ الدولة الأموية في الأندلس، يضاف إلى ذلك سعة اطلاعه على الوثائق الرسمية المحفوظة في أرشيف الدولة بواسطة والده[1].

يعد كتاب المقتبس أوعب كتاب يؤرخ للأندلس، وهي شهادة يجمع عليها من عرفوا هذا الكتاب، وانتفعوا منه من القدماء، ومن استخدموا مادته من الباحثين المحدثين؛ وهو بالنسبة لتاريخ الأندلس بمنزلة تاريخ الطبري بالنسبة للمشرق؛ بل إن شخصية ابن حيان كانت من النبوغ ووفرة العلم وسعة الثقافة شبيهة بشخصية الطبري[2]؛ ومع ذلك فقد ظل كنزا مخبوءا لزمن طويل، حتى كان اكتشافه على يد الهولندي الكبير راينهارت دوزي، صاحب أول جهد علمي حقيقي في كتابة تاريخ الأندلس[3].

وهنا تكمن أهمية المقتبس، خاصة وأنه يتضمن أخبار وفيرة، وروايات ووثائق نادرة، تجعله يرقى إلى مرتبة الأصول الأولى التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تاريخ المغرب والأندلس، وما يزيد قيمة الكتاب أن الكثير من المصادر التي استند إليها أولها فُقدت، ولم يعد بإمكان الباحثين مراجعتها إلا من خلال هذا الكتاب[4]، والكتاب في معظمه عمل غير أصيل لابن حيان، إذ فيه يقتبس عمن سبقه من مؤرخي الأندلس[5].

2- قطع الكتاب وتحقيقاته:

لقد وصلنا من هذا الكتاب خمس قطع منفصلة جرى تحقيقها، وهي كالتالي:

القطعة الأولى: مخطوطة كبيرة حصل عليها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال من الخزانة العامة لجامع القرويين في فاس بالمغرب الأقصى؛ بقيت في حوزته إلى أن توفي سنة 1957، فانقطع خبرها، لتظهر من جديد سنة 2003 بعدما حققها محمود علي مكي في حوالي 700 صفحة[6]؛ وهي تضم كل إمارة الحَكَم

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 21.

[2]- مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص 701.

[3]- ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس –القطعة الأولى–**، تح: محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط1، 2003، ص 15.

[4]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 72.

[5]- أمين توفيق الطيبي، **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، الدار العربي للكتاب، تونس، د.ط، ج2، ص 58.

[6]- ابن حيان، السفر الثاني من كتاب المقتبس –القطعة الأولى–، ص 15.

بن هشام الربّضي (180-206هـ/796-821م) والشطر الأعظم من إمارة ابنه عبد الرحمان الأوسط (206-232هـ/821-846م)، وكانت تقع في 188 ورقة[1].

القطعة الثانية: تتناول الأيام الأخيرة من إمارة عبد الرحمان الثاني ثم معظم أيام ابنه محمد، وتبدأ حيث تنتهي القطعة السابقة أي من سنة (232-267هـ/821-880م)، وكانت في الخزانة العامة لجامع القرويين في فاس بالمغرب الأقصى، وقد نشرها الأستاذ محمود علي مكي سنة 1973 في حوالي 350 صفحة[2]. وقد اخرج الكتاب على ثلاثة مجلدات: الأول، ويضم مقدمة ودراسة عن ابن حيان، وعن مخطوط المقتبس، ثم بقية النص الخاص بإمارة عبد الرحمان الأوسط بن الحكم مع تعليقاته؛ والثاني يضم مقدمات عامة استهل بها ابن حيان كلامه عن إمارة محمد، وهي تشمل أحكاما عامة حول عصره وسيرته، وتراجم مفصلة لرجال دولته على منهج ابن حيان في الكتابة؛ أما الثالث، فيشتمل على الجزء الثاني من إمارة محمد، وفيه سرد الأحداث على نسق السنين من 283هـ إلى 267هـ، التي تنتهي بها هذه القطعة المخطوطة، وتلي ذلك التعليقات وتُختم بالفهارس المفصلة للكتاب والخرائط[3].

القطعة الثالثة: هي التي قام بنشرها الراهب الاسباني الأب ملشور أنطونيا بباريس سنة 1937، عن الأصل المخطوط المحفوظ في المكتبة البدليانية (جامعة أكسفورد) تحت رقم 509، وتتناول إمارة عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م) وأخبار ثوار الأندلس خلال الفتنة الكبرى[4]، وتضم مائة وسبع ورقات[5]؛ شملت جزءا من السفر الثالث، وقد أعاد إسماعيل العربي نشرها سنة 1990[6]؛ وقد حقق هذه القطعة علي حجي سنة 2008[7]، وهي النسخة المعتمدة في الدراسة.

---

[1]-ابن حيان، المقتبس– القطعة الثانية مقدمة المحقق-، ص55.

[2]- نفسه، ص 120. عبد القادر بوباية، **المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، 2011، ص60.

[3]- المصدر السابق، ص 127.

[4]- أنور محمود زناتي، **مصادر تاريخ المغرب والأندلس (المصادر، المراجع، الدوريات)**، دار سحر للنشر، ط1، 2008، ص 40.

[5]- ابن حيان، المقتبس– القطعة الثانية مقدمة المحقق-، ص 120.

[6]- ابن حيان، **كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس –القطعة الثالثة–**، تح: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1990. عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 60.

[7]- ابن حيان، **السفر الثالث من كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي**، تح: محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط1، 2009.

القطعة الرابعة: وهي موجودة بالخزانة الملكية بالرباط؛ وتبدأ بأول عصر عبد الرحمان الثالث بالحديث عن فضائله، ثم يذكر المؤلف أولاده وتربيتهم، ثم فتنة ابن مسرة، وتغطي هذه القطعة إحدى وثلاثين سنة من أيام عبد الرحمان الناصر، وقد نشر هذا الجزء من طرف بدرو شالميتا وآخرين في حوالي 580 صفحة سنة 1979[1]، ويقع هذا السفر في مائة وخمسة وثمانين ورقة كبيرة[2].

القطعة الخامسة: وهي قطعة موجودة بالخزانة الملكية بالرباط، وتعالج أحداث خمس أعوام غير كاملة من حكم الخليفة المستنصر بالله (360-364هـ/971-974م)، تحتوي معلومات هامة عن الشؤون الإدارية في هذا العصر. قام بتحقيقها عبد الرحمان علي الحجي، وصدرت في بيروت سنة 1965[3]، وألحق بها قطعة صغيرة من مخطوط القرويين التي كان ليفي بروفنسال يملكها، وتتضمن هذه القطعة بعض التفاصيل عن الحروب التي وقعت بين الحكم وبعض أمراء العدوة المغربية[4].

ومحصلة ذلك تظهر من استنتاجات بعض الباحثين حول مجموع أقسام (أسفار) المقتبس، إذ يرون أن القطعتين الأولى والثانية تؤلفان السفر الثاني كاملا، وأن السفر الأول المفقود –بالنظر إلى أحداث السفر الثاني– لابد أنه يتناول المقدمة الجغرافية التي يرجح أن ابن حيان صدّر بها تاريخه، وأن هذا السفر كان يضم تأريخا لنحو تسعين سنة من حياة الأندلس[5]؛ بينما السفر الثالث فهو في القطعة الثالثة كاملا، والقطعة الرابعة تضم السفر الخامس، مع الاعتقاد بأن خلافة عبد الرحمان الناصر قد تكون استغرقت القسمين الرابع والخامس، وربما السادس أيضا، لأنها من أجّل عهود التاريخ الأندلسي[6].

أما كتاب أخبار الدولة العامرية الذي يبدأ بولاية هشام بن الحكم المؤيد؛ فهذا يرجح أن التأريخ لخلافة عبد الرحمان الناصر استغرقت سفرين أو ثلاثة على أكثر تقدير، فلا يبقى من سياق التاريخ إلا

---

[1]–ابن حيان، **المقتبس لابن حيان القرطبي–القطعة الرابعة–**، تح: شالميتا وف. كورينطيوم. صبح وغيرهما، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979. عبد القادر بوباية، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، ص 60.

[2]–أنور زناتي، مصادر تاريخ المغرب والأندلس، ص 40.

[3]– ابن حيان، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس –القطعة الخامسة–**، تح: عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، 1965. أنور الزناتي، مصادر تاريخ المغرب والأندلس، ص 40.

[4]–عبد القادر بوباية، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، ص 61.

[5]– وقد وردت نقولات كثيرة عن هذا السفر عند المقري في الجزأين الأول والرابع. ينظر: المقري، المصدر السابق، ج1، ص230.

[6]– أنور زناتي، ابن حيان مؤرخا، ص 75-77.

خلافة الحَكَم المستنصر، وبالتالي يكون ابن حيان قد جعل كتابه في أخبار الدولة العامرية في أول الأمر جزءا من المقتبس، ثم بدا له بعد ذلك أن يجعل له عنوانا خاصا[1].

ثانيا– التعريف بكتاب السيرة لأبي زكرياء الوارجلاني:

بيّن لنا الوارجلاني غرضه من كتابه السير في مقدمته، حيث يقول: "...، فإنه لما رأينا ما انطمس من الآثار وما اندرس من الأخبار انبعث أفكارنا إلى تأليف أخبار من سلف من مشائخ أهل الدعوة وصلحاؤها، وتذّكر مناقبهم وحسن سيرهم، وجميل مذهبهم ونشر فضائلهم، فكتبنا من ذلك ما تيسرت كتابته ورجونا منفعته، من بعد ما خشينا على العوام أن يتخذوه وراءهم ظهريا ويجعلوه نسيا منسيا..."[2].

ويبين قصده من التأليف في الجزء الثاني، بقوله: "وقد قصدنا في هذا الكتاب إلى إيضاح ما انتهى إلينا من سير أوائلنا وأسلافنا، من أدركنا منهم، وما بلغنا عمن لم ندركه، من المناقب الكريمة والمراتب الشريفة، المنتخب من الفعل والمنتحل من القول"[3]؛ هذا النص يدلنا بوضوح على أن دوافع الكتابة التاريخية عند الوارجلاني كانت لإحياء أخبار وتاريخ الإباضية، الذين يسميهم بأهل الدعوة، وذلك من أجل تذكر سيرتهم ونشر فضائلهم، ويبين مدى حرصه وخوفه على اختفاء وانطماس مذهبهم بين العامة. وهذا يدل على أنه كان من أوائل من بادر إلى تدوين تاريخ الدولة الرستمية[4]؛ والأمر نفسه ما أكده إبراهيم بحاز فيما نقلناه سابقا.

1– مضمون الكتاب وقيمته العلمية:

ذكر هذا الكتاب البرّادي في قوله: "وكتاب الشيخ أبي زكرياء يحي بن أبي بكر في السير، وهو المعروف بكتاب المشايخ، وهما مجلدان الأول والثاني، وقفت على الثاني منهما في بلاد أريغ"[5]؛ كما ذكره المستشرق البولوني موتيلنسكي في البيبليوغرافيا بعنوان "كتاب السيرة وأخبار الايمة" وهو في مجلدين[6].

وللكتاب أهمية كبيرة في التأريخ للمذهب الإباضي، فقد كان المصدر المعتمد لدى إباضية المغرب قديما، ويمكن أن نؤكد ذلك من خلال ما ذكره البرادي في أن سبب تأليف كتاب الطبقات –للدرجيني–

[1]– أنور زناتي، ابن حيان مؤرخا، ص 77.

[2]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 40.

[3]– أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 281.

[4]– عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص 15.

[5]– البرّادي، رسالة فيما سمعت به، ص 37.

[6]– Motylinski**, les livres de la secte abadhite**, imprimerie de l'association ouvrière,p. fontana et clé, alger, 1885,p17.

هو أن جماعة من عمان قدموا جربة، يطلبون كتابا يتضمن سير الأوائل، ومناقب الأسلاف، وتاريخ المذهب في المغرب، "فنظروا في كتاب الشيخ أبي زكريا يحي بن أبي بكر فوجدوه مخلا ببعض التفصيل قاصرا دون أمد التحصيل... فاهتموا بتصنيف كتاب يشتمل على سير الدولة الرستمية ومناقب الأسلاف كما طلب ذلك إليهم فلم يروا أهلا لهذا التصنيف غير أبي العباس"[1].

إن إصرار أهل عُمان على الاعتماد على كتاب أبي زكرياء تحديدا، أو على كونه أحد المصادر الرئيسة للدرجيني، يمثل دلالة واضحة على مكانته البارزة وأهميته البالغة، ولا ريب أن اطلاعهم على وجود سير الوسياني لم يمنعهم من تفضيل كتاب السيرة على غيره من السير[2]؛ وظل سير الوارجلاني هو العمدة الذي اعتمد عليه كثير من المؤلفين الإباضيين المتأخرين، مثل الوسياني والدرجيني والشماخي، وغيرهم[3]. يقول عبد الرحمان أيوب: "ويعتبر هذا الكتاب المرجع الأول الذي أخذت عنه المصادر الإباضية اللاحقة لتاريخ مشايخ الإباضية في المغرب"[4].

ونفس الأمر يذهب إليه إسماعيل العربي في قوله: "وأما ما ذكره أبو زكرياء عن الأئمة الرستميين، فهو بالتأكيد، أدق وأغنى ما وصل إلينا من المعلومات عن هذه الدولة، وكتاب السير سيظل المرجع الأول والأخير عنها"[5]؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن محقق سير الوسياني توصل بعد البحث والتحقيق إلى أن الكتاب الثالث من مجموعة الوسياني هو الجزء الثاني من كتاب السيرة وأخبار الأئمة للوارجلاني، الذي حققه عبد الرحمان أيوب[6].

وهكذا تضافرت الشهادات قديما وحديثا، على الإقرار بالقيمة العلمية لكتاب أبي زكرياء، حتى أصبح مرجعا لا يستغني عنه الدارسون؛ وقد امتد هذا الاعتراف إلى المستشرقين الذين كان لهم فضل التنبيه إلى أهميته والعناية به، بحيث لم تخل مؤلفات المؤرخين في التاريخ الوسيط، ولا سيما في الدراسات الإباضية، من الإشارة إليه أو الاقتباس منه أو الاستشهاد بمضامينه[7].

---

[1]- البرّادي، الجواهر، ص 10.

[2]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 63.

[3]- عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص 15.

[4]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 15.

[5]- نفسه، تح: إسماعيل العربي، ص 20.

[6]- الوسياني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ج1، ص 146.

[7]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 68.

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية لجمعية التراث في إنجازها لمعجم أعلام الإباضية، حيث اعتمدت فيه على طبعة تونس بالدرجة الأولى[1].

أما مضمون كتاب أبي زكرياء فقد جاء جامعا لمادة تاريخية متنوعة على طريقة الحوليات[2]، الأولى تتضمن التاريخ والثانية تتضمن السير؛ ويحدثنا الوارجلاني عن موضوع الكتاب وترتيب أحداثه، فيقول: "فأول ذكر ذلك سبب وقوع مذهب الإباضية ببلاد المغرب، وكيف ابتداء أمره، وأول من جاء به من أرض المشرق، وأخبار الخمسة النفر الحملة للعلم إلى أرض المغرب، وكيف كان مبتدأ الإمامة على انقراضها... ثم يتلو ذلك من أخبار المشائخ وأخبار أهل الدعوة مع الأئمة المسودة، وكيف قيام من قام عنهم قرنا بعد قرن، بعدها يتبع ذلك من أحاديث أهل الدعوة ونشر مآثرهم، وطيب أخبارهم سلفا عن سلف، وخلفا عن خلف، وعسى أن يذكر به متذكر ويستيقظ ذو هفوة، وان الذكرى تنفع المؤمنين"[3].

وفي هذا يقول ماسكوراي: "إن طابع تاريخ أبي زكرياء في جوهره أنه تاريخ أصحاب الدعوة"[4]. والحال نفسه عند ليفيتسكي إذ يقول: "وأبو زكرياء هو مؤلف عمل تاريخي وسيري في الوقت نفسه"[5]. ويشرح هذا التنوع أكثر في موضع آخر، حيث يقول: "وينقسم هذا العمل إلى قسمين، أولهما ذو محتوى تاريخي، بينما يحتوي القسم الثاني على تراجم عدد من الإباضيين البارزين من المغرب... ليس هناك أدنى شك في أننا هنا بصدد قسمين من عمل واحد مؤلفه هو أبو زكرياء"[6].

لقد اهتم الكتاب بسير المشايخ الإباضيين من أهل المغرب، وأهم الأحداث والمراحل التي مرّ بها التاريخ الاباضي في هذا المجال الجغرافي[7]، وفي زمن تأليف الكتاب فإنه لا يُعلم تاريخ كتابة الجزء الأول، أما القسم الثاني فقد كتب بعد عام 504هـ/1110م[8].

---

[1]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 452.

[2]- ليفيتسكي، دراسات، ص 71.

[3]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 41-42.

[4] – Emile Masqueray, **Chronique D'ABOU ZAKARIA**: traduction; imp. De l'association ouvrière Alger, 1878, p78.

[5]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

[6]- نفسه، ص 84.

[7]- حنان الطرابلسي، **سيرة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري من خلال كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني**، الندوة العالمية حول كتب السير الإباضية، مركز الدراسات العمانية، الخوض، سلطنة عمان، ج2، 2014، ص 50.

[8]-ليفيتسكي، المؤرخون، ص 84.

لقد اشتمل سير الوارجلاني في جزئه الأول على تاريخ الرستميين وتأسيس دولتهم في تاهرت وسقوطها؛ كما يشتمل على الافتراقات الخمسة التي حدثت بين الإباضية خلال ثلاثة قرون وأسبابها، والمسائل الفقهية التي تناقش حولها المشايخ، وبذلك فقد زودنا بمعلومات مهمة عن دخول العقيدة الإباضية إلى المغرب وتطورها[1]؛ أما جزؤه الثاني فقد ركز أساسا على توثيق أخبار الشيوخ المنتمين للطبقات ما بين السابعة والعاشرة: مثل أبي محمد بن مانوج اللمائي، وأبي محمد ويسلان بن يعقوب الدجمي، وغيرهما؛ كما تضمن أخبارا متفرقة لبعض الشيوخ، وبعض المواقع التي اشتهرت بحدث ما، أو لبعض المسائل التي حصل الاختلاف حولها[2].

2- نسخ الكتاب وترجماته:

ظل كتاب الوارجلاني متداولا لدى الإباضية، ثم تُرجم الجزء الأول وحققه المستشرق الفرنسي إميل ماسكوراي ونشره باللغتين الفرنسية والعربية عام 1878م وكانت ترجمة ضعيفة[3]، وكان لهذا المستشرق اهتمام كبير في دراسة المخطوطات الإباضية من خلال قيامه برحلات إلى شمال إفريقيا[4]؛ ثم ترجمة جان أوغشتبوسترو التي بقيت مجهولة[5]، ثم ترجمه Le Tourneau والهادي روجي إدريس سنة 1960 كاملا، ترجمة أدق وأشمل[6]؛ ومن هنا كانت شهرته، ثم حظي بتحقيقين وأربع طبعات[7]؛ أمّا فيما يخصّ نسخ الكتاب، فقد قام الباحث صالح الزرويل بتتبعها وحصرها في ثلاث عشرة نسخة، يمكن تصنيفها وترتيبها على النحو الآتي:

1- نسخة ايميل ماسكوراي المؤرخة سنة 504هـ/1110م.

2- نسخة إبراهيم بن سليمان النفوسي المؤرخة سنة 1302هـ/1884م.

3- نسخة بكير بن إبراهيم المؤرخة سنة 1335هـ/1916م.

4- نسخة سموغورفسكي المؤرخة سنة 1345هـ/1926م.

---

[1]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 83.

[2]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، تح: ع أيوب، ص 15-16.

[3]-ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 85.

[4]- منجي بن معاذ، **السير الإباضية عند المستشرقين**، الندوة العالمية حول كتب السير الإباضية، مركز الدراسات العمانية، الخوض، سلطنة عمان، ج2، 2014، ص 142.

[5]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، تح: ع أيوب، ص 10-11.

[6]- نفسه، ص 11. وينظر: Le Tourneau R, **La chronique d'Abou Zakariyya al Wargalani**, Revue Africaine t .CV (1960) ,99-176. Et 322-386, et.CVI (1961),117-176 et 323-374

[7]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 452.

5- نسخة جون بوسترو المؤرخة سنة 1346هـ/1927م.

6- نسخة جامعة لوو.

7- نسخة جوزيف شاخت.

8- نسخة مؤسسة تاوالت الثقافية.

9- نسخة الشيخ سليمان بن داود.

10- نسخة الشيخ بكر بن إبراهيم.

11- نسخة الشيخ يحي بن الحاج سعيد بن يوسف.

12و13- نسختين ذكرهما ليفيتسكي.

أمّا فيما يتعلّق بتحقيق الكتاب، فقد أُنجز على يد باحثين؛ أولهما الجزائري إسماعيل العربي الذي أصدر تحقيقه بعنوان "**كتاب سير الأئمة وأخبارهم**" في جزء واحد عن المكتبة الوطنية بالجزائر سنة 1979م؛ بينما التحقيق الثاني قام به الباحث التونسي عبد الرحمان أيوب تحت عنوان "**كتاب السيرة وأخبار الأئمة**"، وصدر عن الدار التونسية للنشر سنة 1985م، متضمنا الجزأين معا، وقد تميّز بدقّة أوفى وشمول أوسع، وهو التحقيق الذي نعتمده أساسا في هذه الدراسة.

من المهم أن نقف هنا، لتوضيح مسألة أسالت الكثير من الحبر حول أصالة الجزء الثاني لتاريخ الوارجلاني؛ وهل هو فعلا من تأليفه أم لأحد المؤلفين الذين جاءوا من بعده؟ بينما نُسب إلى الوارجلاني! وهنا يشدد إبراهيم بحاز بمقترحه على إعادة تحقيق ونشر كتاب السيرة لأبي زكرياء بناء على ما توصل إليه عمر بوعصبانة، من أجل رفع اللبس حول الجزء الثاني[1]؛ وقد كان بوعصبانة قد توصل بعد التحقيق في الكتاب الثالث للوسياني، والذي انطلق من أسئلة ثلاث هي: هل الكتاب الثالث من المجموعة للوسياني؟ أم لأبي زكرياء؟ أم لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي؟ أم لغيرهما جميعا؟ وبعد مناقشته لهذه الإشكالات توصل بالشواهد إلى أن هذا الجزء ليس للوارجلاني ولا للوسياني بل هو لمؤلف قنطراري درس على الشيخين أبي زكرياء وأبي الربيع المزاتي والتقى بهما في تمولست[2].

وفي المقابل، انبرى الباحث يحي بن عيسى بوراس في مقالته الموسومة بـ "**كتاب سير أبي زكرياء وإشكالية الجزء الثاني**" للدفاع عن أطروحة أصالة روايات الجزء الثاني للوارجلاني، وقدّم لذلك جملة من الشواهد التي تعضد رأيه، ليتوصل في الأخير إلى القول: "ومن هنا، نخلص إلى القول إن كتاب السير...

[1]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 78.

[2]- الوسياني، المصدر السابق –مقدمة المحقق-، ص ص141-147.

ما هو إلا كتاب من تأليف أبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، وان قدر الله وفسح في الأجل وأعان على المطلوب كتبنا ما تيسر عن مؤلف الكتاب..."[1]؛ وحتى لحظة كتابة هذه الأسطر، ما يزال الباحث بصدد عمل تحقيق جديد لكتاب السير لأبي زكرياء[2].

أما ليفيتسكي؛ فيرى موقفا معتدلا في هذه المسألة، إذ يؤكد أنّ الجزء الثاني يعود بلا شك إلى تأليف الوارجلاني، غير أنّ المؤشرات تدل على أنّ المؤلف توفي قبل أن يُتم ترتيبه النهائي، ويُرجَّح أنّه خلّف مسودة أولية، ثم جاء بعده من تولّى إتمام العمل واستكماله عقب وفاة أبي زكرياء[3].

[1]- يحي بن عيسى بوراس، **كتاب سير أبي زكرياء وإشكالية الجزء الثاني**، مجلة الحياة ع25، المطبعة العربية، الغرارة، غرداية، الجزائر، ص 187-204.

[2]- نفسه، هامش 3 ص 189.

[3]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 84.

الفصل الرابع: منهج الكتابة التاريخية عند ابن حيان من خلال المقتبس

المبحث الأول: هيكلة المقتبس ومصادره

المبحث الثاني: منهجه في النقل وطبيعة مادته التاريخية

المبحث الثالث: اتجاهات الكتابة التاريخية وأسلوب ابن حيان

المبحث الرابع: النقد التاريخي عند ابن حيان

تمهيد:

إن دراسة كتاب تاريخي مثل المقتبس والإحاطة بمضامينه على النحو المطلوب من أجل فهم الفكر التاريخي عند ابن حيان ليست بالمهمة اليسيرة، ولا تكمن صعوبتها في طبيعة الكتاب ذاته بقدر ما تعود إلى حالته التي وصلتنا، إذ لم يرد كاملا، وإنما على هيئة أجزاء متفرقة وقطع متناثرة؛ وهذه الوضعية تشبه إلى حد بعيد ما يقوم به المحقق في حوادث الطيران، حين يجد نفسه أمام حطام متناثر لطائرة سقطت من السماء، فيسعى جاهدا إلى إعادة تركيب أجزائها، وفهم ملابسات الحادثة وتداعياتها بغية تقديم تفسير علمي ومعقول لأسباب السقوط والتحطم؛ فإذا كان هذا الحال مؤكد عند المحققين للمخطوط، فإنه بدرجة أقل عند الباحثين الذين يسعون لفهم المنهج التاريخي الحياني بكل أبعاده.

يحاول هذا الفصل البحث في المنهج التاريخي الذي سار عليه ابن حيان من خلال دراسة تحليلية لكتابه المقتبس.

المبحث الأول: النسق الفني للمقتبس ومصادره:

1- هيكلة الكتاب وتفريعاته (الأبواب والأجزاء):

مجموع صفحات المقتبس (المتن فقط) للخمس قطع السابقة، دون احتساب الفهارس ومقدمات التحقيق هو 1401 صفحة، وهي متباينة في زمان ومكان دراستها وتحقيقها -كما رأينا-؛ والملاحظ أن ابن حيان لم يعتمد منهجية موحدة (التبويب والفصول) في التدوين، حيث روى الأحداث والتراجم بشكل متداخل، فكان يضع العنوان المناسب ويسرد وقائعه؛ ولتوضيح ذلك، نستعرض تفاصيل هذه المنهجية فيما يلي:

القطعة الأولى: يحتوي متن القطعة على 372 صفحة، مقسمة إلى قسمين: القسم الأول بعنوان إمارة الحكم بن هشام (180-206هـ)، والقسم الثاني بعنوان إمارة عبد الرحمان بن الحكم (206-232هـ)، وتتضمن أحداث ووقائع متنوعة شملت ميادين شتى في الأندلس، مع ذكر تراجم الحكم وابنه في البداية، والكتاب على طريقة الحوليات، ويتخلله تراجم وروايات عن بعض الشخصيات السياسية والأدبية والدينية وغيرها، حيث يبدأ الفصل بكلمة "ذكر"[1]، وقد اتبع المؤرخ طريقة التأريخ بالحوليات[2].

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى-، ص 93، ص 101، ص 103، ص 197. وغيرها

[2]- نفسه، ص 101، ص 103، ص 105.

القطعة الثانية: يحتوي متن القطعة على 89 صفحة، جاءت كلها تقريبا على طريقة الحوليات، وفيها تراجم للأعلام خاصة أمراء الدولة، وذكر تراجم وزرائهم وحجابهم[1]، كما تناول بعض تراجم القضاة، ومن ذلك ما حكاه عن نوادر أخبار قضاة الأمير عبد الرحمان مستخرجة من كتاب الاحتفال[2]؛ كما اشتملت القطعة على وفيات الأعلام من دولة الأمير عبد الرحمان بن الحكم، فكتب على طريقة الوفيات[3].

القطعة الثالثة: يحتوي متن القطعة على 230 صفحة، حكا فيها عن خلافة الأمير عبد الله بن محمد، وكل ما يتصل به من حوادث وأخبار، بداية من البيعة، وأسماء وزرائه وكتابه وقواده وقضاته وفقهائه، ثم الحركات المناوئة التي ثارت في الأندلس خلال هذه الفترة؛ أما تقسيمات الكتاب فجاءت حسب طبيعة الأحداث، حيث جعل لكل حدث عنوان بارزا، وعلى طريقة القدامى كان عنون الفصل يبدأ بكلمة "خبر" أو "ذكر"[4].

القطعة الرابعة: يحتوي متن القطعة على 483 صفحة، كتبها مؤرخنا على طريقة الحوليات بداية برواية الأحداث على نسق التأريخ لدولة الناصر لدين الله سنة 300هـ إلى غاية سنة 330هـ، وما جرى فيها من وقائع ومتنوعة[5]؛ فكانت العناوين هي السنوات التي سيؤرخ لها، ثم تأتي الأحداث المروية في عناوين فرعية تبدأ بكلمة "خبر"، كما في أحداث سنة 303هـ، حيث تناول خبر سلم المارق عمر بن حفصون، وخبر ابن مروان الجليقي، وخبر خروج الطاغية أردون بن أذقوش[6].

القطعة الخامسة: يحتوي متن القطعة على 227 صفحة، وابتدأها ابن حيان على طريقة الأحداث إلى غاية الصفحة 65، ثم انتقل إلى طريقة الحوليات بداية بسنة 361هـ، ثم يعود إلى طريقة سرد المواضيع في السنة الموالية، وكان يمزج بين هذه وطريقة الحوليات داخل روايات السنة الواحدة[7]، وهكذا حتى ينتهي من السنوات التي تغطيها هذه القطعة.

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 168، ص 170،

[2]- نفسه، ص 186.

[3]- نفسه، ص 211.

[4]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة-، ص 80، ص 92، ص 115، ص 133، ص 165. وغيرها

[5]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة-، ص42، ص 66، ص 71، ص 88، ص 94، وغيرها.

[6]- نفسه، ص ص 73-76.

[7]- المصدر السابق –القطعة الخامسة-، ص 110.

2- مصادر المقتبس:

لقد اجتهد ابن حيان في أن يجمع أكبر عدد ممكن من المصادر التي تنوعت بتنوع الموضوعات المعالجة في تاريخه منذ الفتح للأندلس إلى غاية عصره؛ والملاحظ بشكل عام أن مصادره كانت تقوم قبل كل شيء على كتب من سبقه من المؤرخين[1]، والذين رجع إليهم في مصادره ليسوا سواء في رواية الخبر الواحد، يرويه أحدهم على وجه ويرويه غيره على وجه آخر، وان تماثلوا في مواضعهم عنده من الثقة والاعتبار[2]؛ عكس ما نجده في المتين، حيث لم يكن لابن حيان حاجة في إيراد عدة روايات للخبر، أو إثبات مصدر لأخبار ووقائع هي منه بمرأى ومسمع، فقد كان فيه شاهد عصر ومؤرخه[3]، في حين لم تكن المصادر الإخبارية من مشافهة ومشاهدة ومشاركة ومساءلة ذات أثر كبير في المقتبس، إلا ما وُجد في بعض المواضع، وهي قليلة جدا، سنذكرها في حينها[4].

لقد اعتمد مؤرخنا على ثلاثة أنواع من المصادر؛ هي: المؤلفات التاريخية، الوثائق والسجلات، المنظومات الشعرية.

1.2- المؤلفات التاريخية: وتشتمل هذه المصادر أنواعا عدة، مثل: المصادر المحلية، المصادر غير المحلية، مؤلفات التراجم والطبقات، مصادر أدبية، مؤلفات الأنساب وأخرى متنوعة، حيث بلغ عدد هذه المصادر 37 مصدرا[5]، وأغلبها في عداد المفقود، وبالتالي كان لابن حيان الفضل في الاحتفاظ بكثير من مادتها التاريخية المندثرة[6]؛ وقد أحصى علي مكي في مقدمة تحقيقه للقطعة الثانية من المقتبس ما مجموعه 24 مصدرا ما بين مؤرخين أندلسيين، وآخرين غرباء[7]. وسنقتصر على ذكر أهم المصادر التي شكلت النصوص الغالبة في المقتبس، وهي مرتبة كالتالي:

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطة الثانية-، ص 72.

[2]-عائشة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 36.

[3]- نفسه، ص 42.

[4]- طارق وراد، **أبو مروان بن حيان ومنهجه التاريخي من خلال كتابه المقتبس**، رسالة ماجستير، إشراف: بوباية عبد القادر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2006/2005، ص 134.

[5]- نفسه، ص 140.

[6]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 73.

[7]- نفسه، ص 73.

أ/ احمد الرازي: يعتبر احمد الرازي من أكثر المؤرخين الذين نقل عنهم ابن حيان، ومنه امتلأت صفحات المقتبس، حيث وصل مجموع عدد نقولاته إلى 514 ما بين نصوص متيقنة وأخرى محتملة سواء في السير أو في الحوليات[1]؛ والرازي من أعظم المؤرخين في الأندلس، حيث ألف الحوليات ومعاجم الأنساب، وهو واضع أسس فن الحوليات في إسبانيا[2]؛ وقد درس الفقه والأدب، لكن تغلب عليه حب التاريخ والجغرافيا، فانشغل بهما ودرسهما دراسة تامة[3]؛ ويبدو تأثير قاسم بن أصبغ كان كبيرا في احمد الرازي، فقد اشتهر قاسم بمؤلفات عديدة تتناول شتى العلوم الدينية والدنيوية[4].

وكنا قد أشرنا في فصل سابق إلى مؤلفاته التاريخية ومدى مساهمته في تدوين تاريخ بلاده، حتى لُقب بالتاريخي؛ فقد غطى تاريخ الأندلس وجغرافيته إلى العصر الذي عاش فيه، ولم يترك ناحية من نواحي بلاده إلا وصفها، ولا حادثة من تاريخها إلا دونها[5]، ومعظم كتب الرازي، ولا سيما كتابه عن أخبار ملوك الأندلس، كانت المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤرخين والجغرافيين المتأخرين[6]؛ ومن نقولات ابن حيان نذكر: أحداث سنة إحدى وثمانين ومائة، لما اقتحم عبد الله بن الأمير عبد الرحمان بن معاوية المعروف بالبلنسي الأندلس من جهة تاهرت من أرض العدوة[7]؛ كما ذكر سيرة الشاعر إبراهيم بن سليمان الشامي، ودخوله إلى الأندلس[8].

ب/ عيسى الرازي: يأتي عيسى الرازي في المرتبة الثانية في حجم النصوص التي أودعها ابن حيان في مقتبسه، حيث بلغت عدد نقولاته إلى 347، ما بين نصوص متيقنة وأخرى محتملة، سواء في السير أو في الحوليات[9]؛ ومن بين الأمثلة على ذلك ما رواه ابن حيان في قصة جعفر الأندلسي، لما راسل الخليفة الحكم طالبا الاعتصام به، راغبا في تقبله وإنزاله منزلته[10]، وأيضا ما نقله عن عيسى الرازي في قصة الصبي

---

[1]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 259.

[2]- ك. بويكا، المرجع السابق، ص 101.

[3]- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ص 56.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص 33.

[5]- نفسه، ص 36.

[6]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 131-132. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ص 56.

[7]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى-، ص 96-97.

[8]- نفسه، ص 262.

[9]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 259.

[10]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الخامسة-، ص 39.

الذي وُلد متفاوت الخلق مختلفا عن أقرانه[1]؛ هذا وقد اعتمد رواية عيسى الرازي في ذكر عمر بن حفصون حيث يقول: "كان أول ما نظر فيه الأمير عبد الله من أمور سلطانه عند استواء الأمر له وقعوده على سرير ملكه أمر الخبيث عمر بن حفصون، أهم الأمور عليه وأعمها أذى لرعيته ..."[2].

ويذكر ناسخ الكتاب أن ابن حيان صرّح بقيمة تاريخ عيسى الرازي واعتماده عليه، ويتأسف عن فقدان بعضا من أجزائه التي حالت دون استكماله لأحداث النصف الأول من سنة 362هـ/972م في قوله: "ها هنا انقطع في كتاب عيسى الرازي –رحمه الله– الذي رجعتُ في خبر دولة الحَكَم بن عبد الرحمان –رحمه الله– فنظمت منه كتابي هذا المؤلف المتصل بما قبله من أخبار خلفاء بني أمية إلى أن انقطع في نظامه عند إتياني على آخر أخبار سنة إحدى وستين وثلاثمائة..."[3]، وكانت هذه خاتمته بعدما نقل عنه ابن حيان نحو 80 صفحة في القطعة الخامسة التي حققها علي حجي[4].

لقد اتبع عيسى الرازي مهمة والده احمد، وعمل كاتبا في بلاط الخليفة الحكم الثاني، وكان بارعا بالأدب والتاريخ، واشتغل في البلاط مؤرخا لخلافة الأمويين[5]، وكنا في فصل سابق قد تحدثنا عن مؤلفاته؛ ولا شك أنه اعتمد في تاريخه على والده أحمد الرازي، وتدل المعلومات التي أوردها عيسى في تاريخه بمدى معرفته بالممالك الاسبانية الشمالية، ومن المحتمل أن هذه الأخبار جاءته عن طريق بعض النصارى المقيمين في الأندلس؛ كما تبين من خلال بعض النصوص من تاريخه على أنه اتبع طريقة الحوليات في التأليف[6].

ج/ ابن الفرضي: من بين المؤرخين الذين كثرت مروياتهم في المقتبس حيث وصلت عددها إلى 77 موزعة بين الروايات المتيقنة والمحتمة، وتوزعت أغلبها في باب التراجم[7]، وتظهر أهمية هذا المؤرخ والتركيز عليه من ابن حيان في وصفه، حيث يقول فيه: "الفقيه الراوية الأديب الفصيح... ولم يرى مثله بقرطبة

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الخامسة–، ص 62.

[2]– نفسه –القطعة الثالثة–، ص 72.

[3]– نفسه –القطعة الثالثة–، ص 95-96.

[4]– نفسه، ص ص 19-95.

[5]– أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 136.

[6]– عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص ص 51-55.

[7]– طارق وراد، المرجع السابق، ص 260.

من سعة الراوية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم إلى الأدب البارع والفصاحة المطبوعة"[1].

جعله ابن حيان العمدة في تراجم الرجال، فكان يقدمه عند كل ترجمة، ومن ذلك ما يرويه في ترجمة يحي بن مضر القيسي[2]، وما ينقله عن ابن الفرضي من مؤلفه "تسمية الأدباء والشعراء بالأندلس" في ترجمة الحاجب ابن مغيث[3]، ويقول في ترجمة صعصعة بن سلام الشامي: "يكنى أبا عبد الله، روى عن الأوزاعي وعن سعيد ابن عبد العزيز ونظرائهما من الشاميين، وكانت الفتوى بالأندلس دائرة عليه، أيام الأمير الداخل عبد الرحمان بن معاوية..."[4]؛ وقد اتسعت شهرة ابن الفرضي كمؤلف لأكبر سجل بتراجم الأندلسيين في عصره، وهو كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، الذي يحتوي على تراجم 165 شخصية من مختلف مدن الأندلس، بدءا من الفتح الإسلامي وحتى نهاية القرن العاشر[5].

د/ معاوية بن هشام الشبينسي[6]: تتوزع مرويات الشبينسي عند ابن حيان في حوالي 62 رواية أغلبها من الروايات المتيقنة في التراجم[7]؛ وقد اعتمد الشبينسي في روايته التاريخية بشكل خاص على القصص التاريخية التي رواها والده، صاحب الاطلاع الواسع في أخبار الأسر[8]، وكان العمدة لابن حيان فيما نقل من أخبار بني مروان بالأندلس، ومن ذلك ما يروي ابن حيان عن الشبينسي في ترجمة ابن الأمير عبد الرحمان أبو قصي يعقوب، حيث قال: "كان أديبا شاعرا كلفا بالعلوم جامعا للآداب مطبوعا في الشعر،

---

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 248

[2]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 122.

[3]- نفسه، ص 191.

[4]- نفسه، ص 197.

[5]- ك. بويكا، المرجع السابق، ص 223-224.

[6]- معاوية بن هشام الشبينسي: عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن إسماعيل بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد بن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية القريشي المرواني من أهل قرطبة يكنى أبا المطرف ويعرف بابن الشبينسي، كان فقيها أديبا شاعرا راويا، يحمل قطعا من العلم والفقه والأدب؛ وقد أسموه بالإخباري والتاريخي وهو أحد الأوائل الذين أرخو لأموي الأندلس، توفي سنة 300هـ/912م. ينظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ج3، ص 10. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، 163. ك. بويكا، المرجع السابق، ص 99.

[7]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 260.

[8]- ك. بويكا، المرجع السابق، ص 99.

وكان جوادا لا يُليق شيئا، حتى يُخلّ بنفسه"[1]؛ كما أورد نقولات كثيرة عدة، منها: "ذكر عنه خبر المجاعة الشديدة بالأندلس سنة سبع وتسعين، التي أحسن فيها الأمير الحكم مواساة أهل الحاجة من الناس، فأفشى الصدقات الواسعة، وفرق الأموال في الضعفاء والمساكين وعابري السبيل المنقطعين"[2].

هـ/ أبو بكر الحسن القُبشي[3]: نقل ابن حيان عن هذا المؤرخ بشكل معتبر، إذ وصل عدد الاقتباسات إلى 41 اقتباسا أغلبها نصوص متيقنة وفي باب التراجم[4]، وكان نقل ابن حيان عنه من كتابه "الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء"[5]؛ ومما نقله ابن حيان عنه في مسألة اختلاف الرّواة على قضاة قرطبة، فقال: "وقال الحسن بن محمد بن مفرج: قال ابن عبد البر في تاريخه: لما ولي الأمير عبد الرحمن بن الحكم استقضى على قرطبة مسرور بن محمد سنة سبع ومائتين؛ ثم سعيد بن سليمان سنة ثمان ومائتين، ثم يحيى بن معمر الألهاني سنة تسع ومائتين"[6].

و/ محمد بن الحارث الخشني: من المؤرخين الذين نقل ابن حيان نصوصهم في المقتبس، وقد وصل عدد نقولاته إلى 36 ما بين المتيقنة والمحتملة، لكن أغلبها وردت في باب التراجم[7]؛ وقد نقل عنه في تراجم القضاة من كتابه قضاة قرطبة، ومن ذلك ما ذكره في ترجمة مسرور بن محمد، حيث قال: "قال محمد بن حارث الخشني: هو مسرور بن محمد بن سعيد بن شراحبيل المعافري، ووالده محمد الشهير فضله كان من الصالحين الفاضلين"[8]، ومثل ذلك فعله مع ترجمة يحيى بن معمر الالمهاني[9]، وإبراهيم بن العباس القرشي[10].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 164.

[2]- نفسه –القطعة الأولى-، ص 91.

[3]- القُبشي: يكنى أبا بكر؛ الحسن بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري، يعرف بالقبشي من أهل قرطبة، روى عن أبي جعفر بن عون الله، وأبي عبد الله بن مفرج، وأبي محمد القلعي، وغيرهم كثيرا، وعني بالحديث وروايته عن الشيوخ وسماعه منهم وتقييد أخبارهم، توفي بعد 430هـ/1038م. ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 135-136.

[4]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 261.

[5]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 254. بالنثيا، المرجع السابق، ص 275.

[6]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 177.

[7]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 259.

[8]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 186.

[9]- نفسه، ص 190.

[10]- نفسه، ص 194.

ز/ ابن القوطية: تبرز روايات ابن القوطية عند ابن حيان بشكل واضح، حيث اعتمد عليه من خلال نقولات بلغ عددها 35 اغلبها نصوص متيقنة سواء في السير أو في الحوليات[1]؛ ومن النصوص التي حفظها لنا المقتبس ما ذكره ابن القوطية، فيمن فرّ من أعلام الفقهاء الخارجين على الأمير الحَكَم في ثورة أهل الربض عيسى بن دينار الغافقي، ويحي بن يحي الليثي[2]، ويروي أيضا في خبر الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد في دولة الأمير عبد الرحمان، أنه لما توفي، تنافس الوزراء كلهم في خطة الحجابة بعده، وكدوا بالوسائل والشفاعات، حتى أضجروه، فأقسم أو اعتقد ألا يوليها واحدا منهم..."[3].

يبدو أن ابن حيان قد استقى أخبار المقتبس من كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، فقد كان يرجح رواياته[4]، وتحفظ المصادر التاريخية تميز ابن القوطية بثقافة واسعة، فكان حافظا للغة متقدما على أهل عصره لا يشق له غباره، ولا يلحق شأوه، عالما بالنحو، حافظا لأخبار الأندلس، ملما برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها[5]؛ وعلى الرغم من ثبوت رواية كتاب تاريخ افتتاح الأندلس بالسماع عن ابن القوطية، وأنه لم يكن من إنشائه، فإن ذلك لا ينفي أهمية مادة الكتاب، واعتبارها من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي في الأندلس[6].

ح/ أبو بكر عبادة الشاعر ابن ماء السماء[7]: استعان به ابن حيان في مواضع عديدة، وصل عددها إلى 34 اقتباسا، خاصة في مواضيع التراجم[8]؛ قال عنه ابن بسام: "كان أبو بكر في ذلك العصر شيخ الصناعة، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا، فقالت له غرائبه مرحبا وأهلا، وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها، ... فأقام عبادة هذا منآدها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته، وذهب بكثير من

---

[1]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 260.

[2]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 156.

[3]- نفسه –القطعة الثانية–، ص 167.

[4]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 140.

[5]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 79.

[6]- عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص 24-25.

[7]- أبو بكر عبادة بن عبد الله بن عبادة: المعروف بابن ماء السماء الشاعر المشهور، رأس الشعراء في الدولة العامرية، وهو الذي أقام عماد الموشحات وهذب ألفاظها وأوضاعها، واشتهر بها؛ له كتاب في أخبار شعراء الأندلس، توفي سنة 422هـ/1030م. ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 426. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 258.

[8]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 261.

حسناته"[1]؛ ويبدو أن ابن حيان قد نقل عن كتابه في "أخبار شعراء الأندلس"، الذي أثنى عليه ابن حزم وقال إنه كتاب حسن[2]، ومن نقولات مؤرخنا نذكر على سبيل المثال؛ ما قرأه هو بخط يدي عبادة الشاعر قوله: "كان يحي بن يحي وأصحابه الفقهاء يحسدون عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلومٍ لم يكونوا يعلمونها ولا يشرعون فيها، إذ كان مع تقدمه في الفقه والحديث عالما بالإعراب واللغة، مفتنا في العلوم القديمة، متصرفا في الآداب الناصعة، له تواليف جمة في أكثر هذه الفنون، منها كتابه في إعراب القرآن، وفي شرح الحديث، وفي الأنساب وفي النجوم، وغيرها"[3].

ط/ ابن حزم: اعتمد ابن حيان على مؤلفات صديقه في مواضع ليست كثيرة، حيث وصل عدد اقتباساته إلى 6 في كتابيه نقط العروس وجمهرة أنساب العرب[4]، وكنا قد تعرفنا سابقا على ابن حزم المؤرخ؛ ويبدو ابن حيان قد استفاد منه كثيرا، خاصة فيما توصل إليه من أحكام تاريخية تخص الشخصيات التي عرّفها في إطار ممارسة النقد التاريخي[5].

وفيما حكاه ابن حيان عن ابن حزم قوله: "ذكر الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم أن نصرا هذا الذي إليه تنسب منية نصر –الأثير كان– عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وكان من الفتيان المنتقين الذين خصاهم أبوه الأمير الحكم من أبناء الناس الأحرار الذين تعبدوا ليستخدمهم داخل قصره"[6]، وفي موضع آخر ينقل عن ابن حزم في نقط العروس قوله: "أكثر خلفائنا بالأندلس ذرية عبد الرحمان بن الحَكَم، قال: كان له مائة ولد: خمسون ذكورا، وخمسون إناثا"[7].

ي/ ابن عبد البر: توزعت نصوص ابن عبد البر في المقتبس بشكل متوسط، حيث وصل عدد الاقتباسات إلى 19 اقتباسا، شملت التراجم وأخبار القضاة[8]؛ ويبدو أن ابن حيان قد أخذ نصوص المقتبس من كتابه في فقهاء قرطبة، ويظهر ذلك عند كلامه عن قضاة قرطبة للأمير عبد الرحمان بن الحكم

---

[1]– ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 469.

[2]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية–، ص 346.

[3]– نفسه، ص 185.

[4]– طارق وراد، المرجع السابق، ص 260.

[5]– نفسه، ص 147.

[6]–ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية–، ص 156.

[7]– المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 290.

[8]– طارق وراد، المرجع السابق، ص 261.

على اختلاف الرواة في عددهم وترتيب دولهم، حيث يقول: "وقال الحسن بن محمد بن مفرج: قال بن عبد البر في تاريخه..."[1]، وينقل ابن حيان رواية للقبشي يذكر فيها مخالفة ابن القوطية لابن عبد البر في عدد هؤلاء القضاة وترتيب دولهم..."[2]

ك/ ابن عبد ربه[3]: من المصادر الأدبية التي رجع إليها ابن حيان، وجاءت نصوصه في مواضع قليلة جدا؛ ويبدو أنه اقتبس عنه من كتابه العقد الفريد، ومن ذلك ما ذكره في خبر الأمير عبد الله وتأريخ توليته، قوله: "وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه بل يوم السبت لثلاث عشرة، قال: وأمة لوالده الأمير محمد"[4]، وفي رواية أخرى ينقل عنه في "مديح الناصر لدين الله وقد خرج متصيدا أول رُكوب كان له في خلافته إلى مُنية الجنة بشرقي قرطبة غُرة جمادى الآخرة سنة ثلاث مائة"[5]، ونصوص أخرى في الشعر خاصة في القطعة الأولى[6].

هؤلاء الذين ذكرناهم قد أكثر ابن حيان من الاقتباس عنهم، بينما هناك مصادر أخرى وردت في المقتبس، ولكن نصوصها قليلة، نذكر منهم: ابن مسعود، ابن عبد ربه، القيني، عريب، ابن النظام، وغيرهم كثير. (ينظر الملحق رقم 01)

أما الروايات الشفوية والمشاهدات فقد أشرنا إلى أنها كانت قليلة جدا في المقتبس، إذ لا تكاد تتجاوز 10 روايات؛ ومن هذه الروايات: أولها ما أورده ابن حيان في قوله: "أنشدنا الوليد بن الفرضي..."[7]؛ والرواية الثانية في الموضع نفسه، فيما نقله عن ابن الفرضي بقوله: "وأنشد القاضي أبو الوليد، لمؤمن بن سعيد العريض، يهجو زريابا..."[8]؛ وأما الرواية الثالثة، فذكرها بالسماع عن مجهولين

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 177.

[2]- نفسه، 178.

[3]- ابن عبد ربه: يكنى أبا عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر، إمام الأدب في الأندلس وصاحب العقد الفريد، كان من كبار الشعراء وغلب عليه الاشتغال بأخبار الأدباء وجمعها؛ كان ذائع الصيت في عصره، من مؤلفاته العقد الفريد، واللباب في معرفة العلم والآداب، توفي سنة 382هـ/992م. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 49-50. حاجي خليفة، المرجع السابق، ج2، ص 1543.

[4]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة-، ص 37.

[5]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة-، ص 41.

[6]- المصدر السابق –القطعة الأولى-، ص 384 ص 392 ص 394.

[7]- المصدر السابق –القطعة الأولى-، ص 334.

[8]- نفسه، ص 334.

حيث قال: "ما سمعته من المشيخة الدانية بفنّتهم من تلك الدولة من فظيع سطوات الناصر لدين الله..."[1]؛ وأما الرواية الرابعة، فقد أوردها بعد أن وضع لها عنوانا عريضا (صلب المسؤولين عن هزيمة الخندق) وجاء فيها: "أخبرني يحي بن محمد بن نعمان العطّار، عن أبيه، وكان ثقة، أنه حضر صلب فُرتُون في هذا اليوم..."[2].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك مصادر أخرى ارتكزت عليها الروايات الحيانية، وجاءت هذه المصادر مجهولة أو مبهمة الأصحاب، حيث اكتفى ابن حيان بذكر بعض عناوين مؤلفاتها، وقد بلغ عددها 29 اقتباسا[3]، ومن ذلك نذكر ما جاء في اقتباس ابن حيان، بقوله "وقرأت في كتب أخبار زرياب"[4]، ويرى علي مكي أنه يُحتمل أن يكون هذا الكتاب الذي اقتبس منه ابن حيان هو الكتاب الذي أشار إليه الحميدي مرتين بعنوان "أغاني زرياب"[5]؛ وفي موضع آخر بعدما نقل عن احمد الرازي خبر فتح إستجة، يقول: "وقال غيره..."[6]، وهنا لم يذكر سند الرواية على عادته بل تركه مبهما؛ كما أنه قصد الإبهام لما وضع عنوانا عريضا بـ "خبر الثغر الأعلى" وابتدأه بعبارة "وجدتُ في تاريخ لبعض أهل الثغر"[7].

2.2- الوثائق والسجلات:

وتشمل هذه المصادر تلك الرسائل (الكتب) والسجلات والتوقيعات والوثائق الديوانية الرسمية، وتضمنت أنواعا عديدة نذكر منها: رسائل الفتوح، البيعة، رسائل أميرية، الإسجال، الأمان، الأنباء، كتب ديوانية، وكتب إخوانية، وهي كثيرة أُحصيت في 71 وثيقة[8].

ومما يجب أن نؤكد عليه أن كثيرا من هذا الرسائل والوثائق ترد في جملة ما يرويه ابن حيان عن مصادره التاريخية، وبالتالي تتحول من وثيقة قابلة للتعاطي والتوظيف إلى خبر ضمن مصدر بالتّباع. ونستدل على هذا، فيما يذكره ابن حيان عن خصال ومناقب الأمير عبد الرحمان بن الحكم، فهو ينقل

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 38.

[2]- نفسه، ص 445.

[3]-طارق وراد، المرجع السابق، ص 156-157.

[4]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 309.

[5]- نفسه، حاشية 34ص 534.

[6]-نفسه –القطعة الرابعة–، ص 55.

[7]- نفسه، ص 124.

[8]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 135.

رواية أحمد الرازي فقط، وتحتوي توقيع له إلى بعض من سأله من مواليه توليته عملا لم يكن من أهله، يقول فيه: "من لم يعرف وجه مطلبه كان الحرمان أولى به"[1]؛ وكنموذج على بعض المراسلات، فقد ذكر ابن حيان من كتاب الخليفة الناصر لدين الله في التنديد بمذهب ابن مسرة وأتباعه، ثم سرد نسخة من الكتاب كاملا[2]، ومن الوثائق الإدارية أيضا، ما جاء في المقتبس لما ذكر ابن حيان وقعة الخندق، وبعدما نقل رواية عيسى الرازي، قدم لنا قائمة للمستشهدين من فقهاء قرطبة، حيث يقول: "ووجدت في أسماء من استشهد في وهذه الوقعة، من فقهاء أهل قرطبة، رحمهم الله،..."[3]؛ وهذا الحال لم يمنع من ورود بعض الرسائل التي ضمنها ابن حيان في مقتبسه كان فيها هو المصدر، منها نسخة من كتاب الناصر لدين الله إلى الآفاق بفتح قلعة بُبَشتر وهي طويلة في ست صفحات يقول في آخرها: "وكتب يوم الخميس لخمس خلون من ذي الحجة سنة خمس عشرة وثلاث مائة"[4].

تُعَدّ المكاتبات والمراسلات من المصادر التي اعتمد عليها عدد من مؤرخي عصر الطوائف في تدوين الأخبار وتسجيل الوقائع، ويأتي ابن حيّان في مقدمتهم؛ إذ أولى هذا المصدر عناية خاصة، فكان ينقل من خلاله أخبار مدن الأندلس المختلفة؛ غير أنّ اعتماده لم يكن مباشرا، بل جرى عبر رجال عُرفوا بالثقة والدراية بعلم الخبر، الأمر الذي أضفى على نقوله مصداقية أكبر[5]، وتتجلّى أهمية هذا المنهج بوضوح في كتابه المتين، حيث ضمنه مشاهداته المباشرة إلى جانب ما وصل إليه من تلك المراسلات.

3.2- المنظومات الشعرية:

أظهر ابن حيان نزعته الأدبية في تاريخه بشكل كبير، وذلك لما أورده من منظومات وأبيات شعرية أخذت حيزا وافرا من صفحات مقتبسه، وستظهر هذه النزعة أكثر مع أسلوب نثره وطريقة قصصه، فالتاريخ وان كان معدودا من العلوم غير أنه تحول على يد ابن حيان إلى أدب خالص محض[6]، ونلاحظ بوضوح استشهاده بطائفة من الشعراء وقصائدهم، منهم محمد بن حسين الطبني الذي أبدى إعجابه بقصيدته التي ألقاها أمام الحَكَم في يوم عيد الأضحى من سنة 360هـ/971م، وهو يصف لنا مجلس

[1]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 222.

[2]-نفسه –القطعة الرابعة-، ص 52.

[3]- نفسه، ص 444.

[4]- نفسه، ص ص 226-231.

[5]- أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص 387.

[6]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 104.

مجلسه حيث يقول: "وظلت الخطباء والشعراء خلال ذلك ترتجل القول وتنشد الشعر فتكثر وتستجيد، فكان من أحسن ذلك قول محمد بن حسين الطبني"[1].

وقد كانت اقتباساته للمنظومات الشعرية جزءا من منهجيته التاريخية، في الاستعانة بها لإثراء الكتابة، وتتمة لما أرخه من حوادث[2]، وهذا النمط من التدوين كثر استعماله عند المؤرخين المسلمين؛ فكانت تُسرد الأشعار تعزيزا لصحة الوثيقة، أو تساق عقب المعارك لتخليد النصر أو التماس العذر للهزيمة[3]؛ وقد نقل ابن حيان كثيرا من هذه المنظومات عن مصادره، كعيسى الرازي، وعبادة الشاعر والشبينسي، وأحمد الوراق، وغيرهم، ومن ذلك ما رواه ابن حيان في خبر غريب الشاعر عن الوراق أنه قال: "وانشد معاوية بن هشام الشبينسي لغريب بن عبد الله الشاعر العريض في رثاء أهل قرطبة من شعر له طويل..."[4]؛ وقد اختار منها بعض الأبيات منها[5]: (من البحر الكامل)

يَا أَهْلَ قُرْطُبَةَ الَّذِينَ تَوَاكَلُوا جِدُّ الدِّفَاعِ مِنَ التَّوَاكُلِ أَفْضَلُ

جِدُّ الدِّفَـاعِ لَوْ أَنَّكُمْ دَافَعْتُمُ يَوْمَ الْهَيَـاجِ لَكُمْ أَعَزُّ وَأَجْمَـلُ

ولم يقتصر النقل عن المصادر فقط، بل توجد بعض الاقتباسات الشعرية التي أوردها ابن حيان منه مباشرة، وهي كثيرة مثال ذلك ما ذكره في خبر يحي الغزال في مدحه للحكم، قوله[6]: (من البحر الطويل)

أَيَا حَكَمًا لِلْمُعْضِلَاتِ الْفَوَاقِرِ وَيَا حَكَمًا تَحْتَ الْقَنَا الْمُتَشَاجِرِ

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الخامسة-، ص 60.

[2]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 139.

[3]- محمد مفتاح، **منهاجية ابن حيان في تأريخ الأدب ونقده**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984، ص 22.

[4]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى-، ص 147.

[5]- نفسه.

[6]- نفسه، ص 243.

المبحث الثاني: منهجه في النقل وطبيعة مادته التاريخية:

1- منهجه في النقل والإسناد من موارده:

1.1- الشكل العام لمروياته وأصالتها:

شكّلت الخلفية الثقافية لابن حيان مرتكزا مهما في طريقة نقله وتوثيقه لروايات المقتبس، يظهر فيه متأثرا بمدرسة الحديث، وان لم يكن ممن شغف بعلم الرجال كشيخه ابن الفرضي، ولكن جلّ مروياته التزم فيها بأدق ضوابط المنهج النقلي في الإسناد والرواية، مما جعل من مروياته وثائق تاريخية مميزة[1]؛ يقودنا الحديث عن هذه الجزئية إلى النزاع الذي دار بين الباحثين حول مدى أصالة المادة التاريخية في المقتبس، والى أي حد تصرف ابن حيان في اقتباساته[2].

وقد انبرى بعض الباحثين للإجابة عن هذه الإشكالية من خلال مقابلة النصوص الحيّانية بأصولها المنقولة منها، من هؤلاء الباحثين إحسان عباس الذي توصل إلى أن ابن حَيّان لم يقتصر في منهجه على النقل الحرفي عمّن سبقه من المؤرخين، بل كان واعيا بضرورة تجاوز دور المقتبس إلى دور المحلل والناقد. فقد امتلك من القدرة التحليلية ما مكنه من إعادة صياغة كثير من المرويات السابقة، بما يحقق انسجاما في البنية التاريخية، ويضفي على مادته طابعا متماسكا ومترابطا عبر مستوياتها المختلفة[3]؛ والحقيقة أن هذا الطرح قد يكون صوابا بشكل تام في كتابه المتين الذي كتبه كشاهد لعصره، وبالتالي سيكون من إنشائه وبأسلوبه الخاص؛ بينما في المقتبس فالأمر يختلف، ويبقى رهينا للمادة التاريخية المقتبسة من موارده، مهما كان نوع التصرف، وكما تتبع ذلك طارق وراد الذي نميل إليه، فقد خَلُص إلى ثلاث مستويات هي[4]:

---

[1]- عائشة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 48.

[2]- يذهب علي مكي إلى التصرف الحياني التام في اقتباساته، أما وداد القاضي فترى أن ابن حيان قد ينقل النصوص المطولة، ولكن العناوين لا شك من وضعه هو؛ بينما تذهب عائشة عبد الرحمان إلى نفي التصرف والالتزام بصدق الإيراد، وهي تشيد بهذا المنهج كونه أصيل في علم الحديث وبه استحق لقب مؤرخ الأندلس ومسندها. ينظر: ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 79. وداد القاضي، **الفكر السياسي لأبي مروان ابن حيان**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984، ص 245. عائشة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 60.

[3]-إحسان عباس، **طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984، ص 142.

[4]- طارق وراد، المرجع السابق، ص ص 113-121.

المخالفات: وفيها خالف ابن حيان روايات موارده من غير تشويه للمعنى أو تغيير للحكم، وتنقسم إلى أربعة أوجه: مخالفة اللفظ، مخالفة الصياغة، مخالفة الترتيب، مخالفة تحقيق؛ ومثال ذلك: تبديله لفظ "خلع" بلفظ "قتل".

الزيادات: وتتضمن مجموع الألفاظ الزائدة عن النص، مما يؤدي إلى إيضاح الأخبار ورفع فائدتها، وتشمل ثلاثة أوجه هي: زيادة اللفظ، زيادة العبارة، زيادة خبر؛ ومثال ذلك: زيادة اسم أحد أجداد المترجم له، كترجمة بقي بن مخلد حيث زاد في أجداده يزيد.

الحذوف: وتعبر عن الانتقاء؛ أي ما حذفه ابن حيان من النص الأصلي على سبيل الاختيار، بسبب الاختصار والسرعة. وقد جاءت على ثلاثة أوجه هي: حذوف الاختصار، حذوف الإخلال، حذوف التحقيق؛ ومثال ذلك: حذفه لأشطار الأسماء المشهورة، كقوله "مالك" عوضا عن "مالك ابن أنس".

لقد كان مؤرخنا شديد العناية بتحري الدقة فيما يكتبه ويخرجه للناس، حريصا على كتبه ويدلنا على ذلك ما جاء عند ابن بسام في رسالته إلى ابن عبد الغفور، الذي أعاره سفرا من تاريخه ليفحصه ويتأكد من محتواه؛ لعل فيه تزوير أو ما قد زيد عنه أو كذب عليه، وقد تأخر ابن عبد الغفور في مراجعة هذا الكتاب، فكتب إليه ابن حيان رسالة معبرة[1]؛ وهنا نرى مبلغ حرص ابن حيان على سلامة كتبه من الزيادة والنقصان، والتحريف والتصحيف؛ فكان يعرضها على من كان يثق به من أصدقائه العلماء[2].

2.1- طرق الإسناد في مروياته:

إن سعة الاطلاع التي اتسم بها ابن حيان وعنايته بجمع الكتب التي شكلت مصادره في المقتبس، قد أغنته وصرفته عن الاستكثار من الرواية عن الشيوخ، وهذا ما يفسر خلو المقتبس من الأسانيد، فهو لا ينقل إلا عن الأصول المكتوبة[3]؛ فلقد استقى ابن حيان طريقته في الإسناد من الرواد الأوائل ممن تبنى اتجاه أهل الحديث، فدقق وتحرى واستقصى، ووصف الوقائع بدون مواربة على أنه لم يسند أخباره فاكتفى بالنقل من الكتب أو الرواية عمن شاهد الحدث أو عاصره[4].

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج2، ص 586.

[2]- علي عبد العظيم، المرجع السابق، ص 325.

[3]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 21.

[4]- محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 223.

إن تتبعنا لمرويات المقتبس سنجد خلوها شبه التام من ألفاظ التحمل العالية –إلا ما استثنيناه سابقا من بعض الروايات الشفوية–، وذلك بالسّماع من الرّاوي مثل "حدثني" أو "أخبرني سماعا منه". على الرغم من تتلمذه على شيخه ابن الفرضي الذي لم ينقل عنه سماعا، أو حتى ألفاظ الإجازة، مثل "أنبانا" أو "أنبأني" التي يُحتمل أنه قد أخذ بعض مروياته بهذا النمط؛ بينما نلاحظ أن أغلب الروايات الحيانية جاءت عن طريق الوَجادة، حيث كثرت ألفاظ: "وجدت بخط فلان" أو "قال فلان"، ولتوضيح ذلك نذكر بعض الشواهد من تاريخه:

أ/ ألفاظ التحمل العالي: كنا قد ذكرنا بعض هذه الالفاظ عند الحديث عن مصادر ابن حيان في الروايات الشفوية، ونضيف لها الآن ما تبقى من هذه الروايات التي وردت في القطعة الأولى عند حديثه عن الشاعر الغزال؛ فقد ذكر فيها "حدثني يوسف بن هارون الشاعر عن بعض شيوخه قال..."[1]، وفي الموضع نفسه يواصل منهج إسناده؛ فيقول: "وحدثني قاسم بن محمد قال: حدثني غير واحد من الشيوخ..."[2]؛ وقد ينقل عن بعض المجاهيل من الرواة المعروفين؛ فيقول: "وحدثني بعض رواة أحمد بن خالد، عمن حدثه..."[3]، وفي أخبار ابن مسرة القرطبي قال ابن حيان: "قال لي محمد بن عمر..."[4]. وكل هذه العبارات تدل على عراقة الكتابة الحيّانية ومدى تأثرها بمناهج المتقدمين من المؤرخين.

ب/ ألفاظ التَّحمُل بالوَجادة: وهي كثيرة غلبت على جُلّ مرويات ابن حيان، منها: "ذكر بعض الشيخة"، "ذكر فلان"، "حكى فلان"، "قال فلان"، "قال صاحب الكتاب"، "زعموا"، "قال"، "في كتاب فلان"، "انشد فلان"، "قال غيره"، "قال بعض الرواة"، "ذكر بعض أهل العلم"، "ذكر بعض الرواة"، "قال ابن حيان"، "قرأت بخط فلان"، "أقول"، "قال غيره"، "عن فلان"، "قرأت في كتاب فلان"، "وجدت بخط فلان"، "قال بعضهم"، "وجدت لفلان"، وبعض ألفاظ التضعيف مثل "ذُكر"[5].

ولأن هذه الصيغ التّحَمُلية كثيرة ومتنوعة، سنقف عند بعضها بالشواهد الدالة عليها من المقتبس:

---

[1]–ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 251.

[2]– نفسه، ص 252.

[3]– نفسه.

[4]– نفسه –القطعة الرابعة–، ص 23.

[5]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 302.

الشاهد الأول: لم يذكر فيه ابن حيان سند الرواية، بل اكتفى بالنقل عن المبهم (الشيخة)؛ حيث يقول: "وذكر بعض الشيخة، أن الأمير الحكم بن هشام صدر خلافته، شهد يوما بمقبرة الربض جنازة..."[1].

الشاهد الثاني: يستخدم صيغة التضعيف مسندة للراوي، فيقول: "وحكى الفقيه محمد بن وضاح: وكان على أثارة من علم الحدثان..."[2].

الشاهد الثالث: ينقل عن الراوي، فيذكر اسمه واسم كتابه، مثال ذلك: "وقال صاحب الكتاب الأول، الخزائني المتقدم ذكره في هذا الكتاب..."[3].

الشاهد الرابع: لا يكتفي بذكر اسم الراوي بدون عنوان كتابه، بل يسرد سند روايته، ولكنه يفتتحه بلفظة تضعيف، فيقول: "فذكر عبد الملك بن حبيب، عن محمد بن عيسى الفقيه الأعشى أن الأمير الحكم أمر بهم بعد أيام فصلبوا على الرصيف..."[4].

الشاهد الخامس: وقد يروي عن المبهمين فلا يذكر عنوان كتاب ولا اسم راوٍ؛ مثال ذلك قوله: "وذكر بعض أصحاب الأخبار في هذا القصة، أن محمد بن القاسم المتقرب إلى أميره الحكم بهذه القصة..."[5].

الشاهد السادس: ينقل روايات عن المجاهيل، ورد ذلك عند ترجمته للهيثم بن أصبغ، حيث يقول: "وقال بعض الرواة: أن الهيثم بن اصبغ هذا معدود في حجاب الأمير الحكم بن هشام"[6]، وقال أيضا: "وذكر بعض الرواة، أن موسى بن سماعة صاحب الخيل أكثر على الأمير الحكم في محمد بن بشير..."[7].

الشاهد السابع: وهو من أوضح الاقتباسات الحيانية؛ حيث يورد اسم الراوي وعنوان كتابه كاملا، فيقول مثلا: "وقال القاضي أبو الوليد بن الفرضي في كتابه المؤلف في تسمية الأدباء والشعراء

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 91.

[2]- نفسه، ص 92.

[3]- نفسه، ص 94.

[4]- نفسه، ص 124.

[5]- نفسه، ص 125.

[6]- نفسه، ص 190.

[7]- نفسه، ص 213.

بالأندلس..."[1]، وفي قوله أيضا: "قرأت في كتاب القاضي أبي الوليد ابن الفرضي المؤلف في طبقات أهل الدولة والأدب بالأندلس..."[2].

الشاهد الثامن: يفتتح الحديث بعبارة "أقول"، تعليقا على رواية أو خبر نقله من إحدى موارده. من ذلك قوله: "أقول قد عارض الفقيه أبو محمد علي بن سعيد بن أحمد بن حزم الأندلسي جميع ما ظهر للناس وحمله نقلة أخبارهم من محاسن هذا الخليفة الناصر لدين الله..."[3].

الشاهد التاسع: وربما شكّك في رواية إحدى مصادره، فيأتي النقل بهذه الصيغة؛ حيث يقول: "وزعم أحمد بن محمد الرازي أن فتح حصن طُرُّش..."[4].

الشاهد العاشر: يأتي بالرواية ويذكر في مقدمتها نسبتها إليه، فيقول: "قال أبو مروان وجدت بخط عبادة الشاعر..."[5]، ويقول في موضع آخر ما نصّه: "قال أبو مروان حيان بن خلف بن حيان: قرأت بخط صاعد بن صاعد الطليطلي، قاضي طليطلة..."[6].

لم يكن ابن حيان ناقلا فحسب؛ بل كانت له ترجيحات يلجأ إليها في بعض الروايات لاعتبارات معينة؛ فقد يورد الخبر الواحد بأكثر من رواية، مع تحرجه من الترجيح بينها، إلا إذا ظهر له وجه للترجيح فيذكره[7]، فمن ذلك ما ذكره حول أبو الفتوح نصر الخصي وسيرته مع الأمير عبد الرحمان بن الحكم، حيث يقول: "وكثر القول في السبب الذي أراده، والخوض فيما أتاه، فكان من أوضح ذلك ما ذكره أبو بكر بن القوطية"[8]، وقد يورد للخبر الواحد روايتين مختلفتين في الإسناد[9]، مبديا تمكنه من أدوات الكتابة التاريخية.

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الأولى، ص 191.

[2]- نفسه –القطعة الثانية-، ص 172.

[3]- نفسه–القطعة الرابعة-، ص 37.

[4]- نفسه، ص 172.

[5]- نفسه–القطعة الثالثة-، ص 194.

[6]- نفسه -القطعة الرابعة-، ص 278.

[7]- عائشة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 36.

[8]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 149.

[9]- نفسه–القطعة الأولى-، ص ص 93-96، ص 184-186.

نجد أن ابن حيان قد مارس النقد التاريخي لما ينقله من روايات خبرية، فقد كان يقابل بين الروايات التاريخية مع تحكيم المنطق التاريخي والعقلي في المفاضلة بينها إذا تعددت، ومنها نبذه للأساطير والأحاديث الخرافية مما كان شائعا عند المؤرخين قبله[1].

ولعل أهم ما يثير الانتباه عند تتبع طرق الإسناد هو مواضع بداية النقل وانتهاؤه، وقد استخدم ابن حيان طريقتين لذلك؛ ففي الطريقة الأولى ينقل رواية الخبر بإسناده ثم يقطعه بخبر آخر لراوي آخر وبعد انتهائه يأتي على الخبر السابق فيتمه، ونلاحظ هذا بعدما أورد رواية الخزائني قال: "رجع الخبر إلى الرازي. قال أحمد بن محمد الرازي"[2]، وأيضا يقول: "رجع التاريخ قال أحمد بن محمد الرازي"[3]، والطريقة الثانية؛ وهي من النقاط التي يصعب للباحث أن يميز فيها ملمحا واضحا، لان ابن حيان كثيرا ما يبدأ الخبر بالإسناد لأحد مصادره ثم يفصل الخبر بكلامه هو أو برواية أخرى دون ذكر إسنادها، وهنا يجد القارئ صعوبة في التفرقة بين كلام صاحب الرواية من كلام ابن حيان أو غيره، وهناك شواهد كثيرة على هذا من ذلك، ما نقله عن ابن الحارث حكاية عن زوجة الحكم فبعدما انتهى منها، قال: وقد عزا ابن حبيب هذه الحكاية من تحزن الحكم على قاضيه..."[4]، فلا نعرف هنا هل هذا العزو منسوب إلى ابن حيان أم تتمة لكلام رواية ابن حارث؟

يتضح مما سبق أن ابن حيان في روايات المقتبس لم يتبع طريقة واحدة، بل نوع من طرق الإسناد، وان بعض مصادره كانت من أصول وجادية لم تتسن له فيها رواية، وأن بعضها الآخر لم يبين فيه عن سنده فنحن لا نشك أنه كان يتحملها بسندها سماعا أو إجازة[5]، ومما يعاب على منهج ابن حيان في طريقة الإسناد التي اتبعها كثرة استعماله للفظة "قال" بمناسبة أو بدون مناسبة، مما أفضى إلى اضطراب شديد حتى صار التفريق في مقتبسات المصادر من أعسر ما يكون، ولا يثبت إلا بغلبة الظن[6].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 86.

[2]- نفسه، ص 96.

[3]- نفسه –القطعة الأولى-، ص 179.

[4]- نفسه، ص 202.

[5]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 165.

[6]- نفسه، ص 167.

2- الجوانب التاريخية في المقتبس (طبيعة المادة التاريخية):

صحيح أن المادة التاريخية التي عرضها ابن حيان في مجملها تتأرجح بين التراجم والحوليات، ولكن تفصيل تلك المادة قد شملت عدة مواضيع تاريخية؛ فلا يمكن أن نحصر كتاب المقتبس في زاوية ضيقة، حتى ولو كان اتجاهه العام التاريخ المحلي الذي اختص بدراسة تاريخ الأندلس فقط.

ورغم ذلك، فقد تكلم ابن حيان في جميع الميادين التي تشمل الإنسان والأرض، ونوضح ذلك من خلال ما يلي:

1.2- الجوانب الجغرافية (الطبيعية):

قد لا نجازف لو قلنا إن ابن حيان تناول الجغرافيا الأندلسية؛ للارتباط الوثيق بين التاريخ والجغرافيا، ثم إن التقليد الجاري بين مؤرخي الإسلام في العصور الوسطى هو أن يبدأوا مؤلفاتهم بمقدمات جغرافية طويلة، وهذا ما يؤكده حسين مؤنس بالفعل؛ حيث يعتقد أن ابن حيان نقل في مقدمة كتابه الجزء الجغرافي الذي صدر به احمد الرازي تاريخه[1]؛ أما ما وصلنا من قطع للمقتبس، فالمتتبع لمحتوياتها سيجد نُتفا من الجوانب الجغرافية التي أفادنا فيها ابن حيان، من خلال تعليقاته ووصفه للمواقع وخطط المدن والحصون والقرى والكور[2]، وعلى قلة هذه المادة، فقد قدم لنا أخبار القحط والجفاف[3]، والمجاعة[4]، والظواهر الطبيعية[5] كالزلازل[6]، والأمطار الغزيرة[7]، والرياح[8]، والفيضانات[9]، والكسوف[10]، وموجات الجراد[11]، وغيرها من التقلبات المناخية، ومن ذلك ما حكاه في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، قال: "وفيها

---

[1]- ابن حيان–القطعة الثانية–مقدمة المحقق، ص 49. نفسه –القطعة الأولى–، ص 422.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 476.

[4]- نفسه –القطعة الأولى–، ص 92.

[5]- نفسه –لقطعة الرابعة–، ص 479.

[6]- نفسه –القطعة الخامسة–، ص 67، ص 107، ص 202.

[7]- نفسه –القطعة الخامسة–، ص 73، ص 107، ص 154.

[8]- نفسه، ص 154، ص 209.

[9]- نفسه –القطعة الخامسة–، ص 67، ص 209.

[10]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 447.

[11]- نفسه –القطعة الثانية–، ص 143.

كان القحط الذي عم الأندلس، فهلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة"[1]، وأيضا ما حدث سنة سبع وتسعين ومائتين يقول: "وبها كانت المجاعة الشديدة التي عمت الأندلس... وهذه السنة تعرف بسنة جوع جيّان"[2].

سجلت مقتبسات ابن حيان وصفا دقيقا للأحوال الجوية وتقلباتها، خاصة أيام القحط والجفاف، حيث يقول: "فصدر الناس عن المصلى هذا اليوم، وقد هبت ريح باردة قابلتهم ونشا نوء غليظ وسحاب كثيف، فنزل الثلج من ضحوة هذا النهار إلى عشيته، وارتفع فوق الأرض حتى غطاها وعلا عليها فسواها، ثم نزل المطر مع الثلج من وقت الظهر إلى وقت العشاء، ثم أقلع دون أن يروي الأرض..."[3]؛ كما أورد ابن حيان نصا بديعا يصف فيه تقلبات الأحوال الجوية، وكيف تفاعل معها الناس بالحرث والزراعة، في حوالي 20 سطرا[4] من نثره المتواصل الذي يشعرك وكأنه أتى به على نفس واحدة.

وفي وصف القرى والحصون، يذكر عن بنو موسى بن ذي النون قوله: "... وانتزوا بكورة شنت برية بلدهم، فاقتعدوها [كذا] دار منعة دان لهم أهلها، فحموا السلطان دخولها، وشادوا بها الحصون والمعاقل، وأحدثوا بها القرى والمنازل، عمرت بهم وكثر أهلها، وجمت مرافقها"[5]، ويظهر وصفه الجغرافي للمدن والكور على طريقة مؤلفي المسالك والممالك، فيقول عن أهل بَجَّانة[6] "... فأوسعوا الاختطاط بأرض بجانة صدر خلافة عبد الله حتى اتخذوا بها عشرين حصنا، مثل وادي بجانة والحامة والخابية وبرشانة وعالية وبني طارق وحصن ناشر وغيرها"[7]، وبنفس الطريقة يحدثنا عن بنيان سمورة، حيث يقول: "... فبناها ومدّنها وحصنها، وأسكنها لنصارى، وعمر ما حولها، وكان بناتها من أهل طليطلة، وعلى يدي

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 143.

[2]- نفسه–القطعة الثالثة-، ص 257.

[3]- نفسه، ص 477.

[4]- نفسه –القطعة الخامسة-، ص 145.

[5]- نفسه –القطعة الثالثة-، ص 57.

[6]- بجانة: مدينة قديمة بالأندلس كانت مرصدا للحراسة البحرية ومرفأ تجاريا، وبشرقها على ثلاثة أميال جبل شامخ فيه معادن غريبة وفيه الحمة العجيبة الشأن ليس لها نظير في الأندلس في طيب مائها وعذوبته وصفائه ولدونته ونفعه وعموم بركته، يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي، وكان بمدينة بجانة أحد عشر حماما وطرز حرير ومتاجر رائجة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 79.

[7]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة-، ص 113.

رجل من أعاجمهم"[1]؛ ومن الظواهر الطبيعية الفلكية التي رصدها ابن حيان أنه في سنة 330هـ/941م: "طلع الكوكب الذنبي في الأفق الغربي لقرطبة إزاء العقرب، منحرفا عنها، ..."[2]، وفي حادثة أخرى يقول: "وفي ليلة الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان منها وذلك في الساعة الثالثة منها طلع في السماء من ناحية القبلة كوكب ضخم الجرم شديد الضوء أخذ إلى جهة الجوف، أضاء منه جميع الأفق"[3]، وهذا يعبر عن الوعي الحضاري الكبير الذي وصلت إليه الأندلس في علوم الفلك.

2.2- الأحداث السياسية والدبلوماسية:

تعتبر الجوانب السياسية والدبلوماسية والعسكرية عمدة الأخبار ومرتكزها في الحوليات الحيّانية، فقد رصد ابن حيان الواقع السياسي للأندلس والشمال الاسباني وبلاد المغرب، فأرّخ لأمراء الأندلس وخلفائها، وتعرض بالتفصيل لحياة كل حاكم وسياسته وما تعلق بعصره من حوادث مختلفة، وركز بالأساس على الأحداث السياسية بقرطبة التي كان يعتد بها، لذا أعطاها جلّ اهتمامه[4].

خصص مؤرخنا أكثر من ثلثي القطعة الثالثة من المقتبس لأخبار الثائرين والمنتزين على الإمارة بقرطبة، وعلى رأسهم عمر بن حفصون، ويحمل عليهم بشدة؛ لما كان في قيامهم على الإمارة من تصديع وحدة الأندلس وجماعتها؛ فعقد لهذه الحركات أبوابا في كتابه، مثل ما جاء في: "أسماء المخالفين على الأمير عبد الله الخارجين على الجماعة المضرمين لنار الفتنة (عمر بن حفصون)[5]، وهي في نظره حركات خارجة عن السنة والجماعة في الأندلس فوصفهم بالمروق، والفساد، والشر، والخلاف، والنفاق، والغواية، والفسق[6]؛ وبهذا يكشف ابن حيان عن إنكاره على هؤلاء المتمردين الذين نزعوا إلى الفرقة وصدعوا وحدة الدولة[7]؛ وتتضح ملامح الفكر السياسي عند ابن حيان في رؤيته بأحقية قريش في الإمامة، ثم يجعل خلفاء بني أمية امتدادا طبيعيا لخلافة الراشدين، وبالتالي فالخلافة من حقوقهم[8].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الثالثة-، ص 200.

[2]- نفسه، ص 473.

[3]- نفسه—القطعة الخامسة-، ص 118.

[4]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 82-83.

[5]- ابن حيان، المصدر السابق —القطعة الثالثة-، ص 45.

[6]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 84.

[7]- ابن حيان، المصدر السابق —القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 94.

[8]- وداد القاضي، المرجع السابق، ص 253.

تناول حركات المعارضة السياسية، وكبرى الأحداث السياسية والعسكرية، متخذا ولاءه لبني أمية منطلقا أساسيا لكتاباته[1]، رغم تحفظ علي مكي حول هذه النقطة، حيث يرى أنه من الخطأ أن ننسب إلى نزعته الأموية إشادته وحبه لأمراء الأندلس وخلفائها، فهي لا تزيد عن كونها عاملا ثانويا صغيرا[2]؛ ومن هذه الأخبار ما ينقله عن أخوي الأمير الحكم بن هشام سليمان وعبد الله، أنهما كانا في المغرب وقد قدما الأندلس لما علما بوفاة الأمير هشام طلبا للسلطة[3].

كما أفادنا بأخبار الغزوات لبعض الأمراء والحجاب، أمثال الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد، في غزوته المعروفة بغزوة القلاع[4]، وسرد أخبار بعض الجواسيس الذي يعملون لصالح المعز لدين الله الفاطمي؛ مثال ذلك ما رواه في حولياته أن التاجر الأندلسي محمد بن سليمان، المعروف بابن نقورة، كاتَب صاحب الشرطة بخصوص عبد المالك بن سميت المعروف بخنوص، والذي كان جاسوسا يتجول في سواحل إفريقية ويثير الفتنة بين أهلها أيام المعز الفاطمي، فألقي عليه القبض هو وابنه، واقتيد إلى قرطبة[5]، وفي المقابل يروي لنا تفاصيل الجواسيس الذين يرسلهم خلفاء الأندلس للاطلاع على أحوال العدوة المغربية، ومن ذلك قوله: "... فتوصلوا إلى الخليفة الحَكم عشيّ يوم مقدمهم وسألهم عما أرسلهم من أخبار العدوة واستقصاهم عن جميع ما هنالك فأوسعوه علما وشفوه خبرا، فأحمد سعيهم وسكن إلى صحبة أخبارهم وأثنى عليهم"[6].

وكذلك سجل التحرشات والهجومات الخارجية في منطقة الثغر الأعلى على مدينة برشلونة سنة 185هـ/701م[7]، وسرد أخبار الحروب والقتل ووصفها بكل دقة، مع تقديم أرقام إحصائية عن عدد القتلى، مثل ما ذكر في أحداث سنة 181هـ/697م، وما فعله صاحب طلبيرة، الأمير عمروس، في الثائرين حيث قتل منهم 700 رجل[8]، ولم يفته تسجيل تلك الحرب التي دارت بين المسلمين بقيادة صاحب

---

[1]- أنور زناتي، المرجع السابق، ص 84.

[2]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 93.

[3]- نفسه–القطعة الأولى-، ص 93.

[4]- نفسه، ص 103.

[5]- نفسه –القطعة الخامسة-، ص 87.

[6]- نفسه، ص 118.

[7]- نفسه –القطعة الرابعة-، ص 481 وما بعدها.

[8]- نفسه –القطعة الرابعة-، ص 106.

سرقسطة، محمد بن هشام الوزير، مع الطاغية رذمير ملك الجلالقة، والتي استشهد فيه عدد من القادة المسلمين[1]؛ كما دوّن جهود الأمراء في التعبئة والإعداد للحرب خاصة في مناطق الثغور، وقد وضع لهذه الأخبار عناوين مثل: "إشحان الثغور" و" تحصين قلعة "[2]، ويلاحظ إعجابه الشديد بالأمراء والخلفاء، أمثال الناصر والمستنصر، حيث يجعل الجهاد مطلب أساسي للأمة في مناطق الثغور[3].

وفي جانب العلاقات الدبلوماسية بين العدوتين، ينقل لنا ابن حيان أخبار المراسلات والمكاتبات، ومَقدم بعض الشخصيات السياسية إلى الأندلس، من ذلك ما حكاه عن مجيء محمد بن مدين بن موسى بن أبي العافية المكناسي في وفادة عن أبيه مع طائفة من رجال دولته، ويؤرخ لهذه الحادثة، فيقول: "ووصل هو وعمه إلى السلطان فتلقاهما بقبوله، وبسط لهما تكريمهن وانزلهما بقصر البُنتيل شرقي قرطبة ...وأرسل مع محمد ولده من الصلة والكسوة والكراع والحلية والثياب والفُرش ما له مقدار كبير ..."[4]؛ كما تخبرنا مقتبسات تاريخه عن رسالة مغربية من أبي العينين بن إدريس الحسيني، وإبراهيم أخيه وصلت إلى قرطبة يطلبان من الناصر لدين الله أن يرسل لهما طبيب من أطبائه للعلاج[5].

وفي رواية أخرى يحدثا ابن حيان عن قدوم وفد أهل جزائر بني زغنان (بنو مزغنا) أيام العبيدين، يسألون الناصر الدخول في طاعته ويتبرؤون من دعوة الشيعي، ويطلبون تولية عامل عليهم، فاستجاب لهم الناصر "فجووبوا بالقبول والإسعاف"[6].

ومن أشهر السفارات التي تحدث عنها ابن حيان جاءت في القطعة الخامسة، تحمل عنوان "ورود بون فلي رسول بريل"[7] سنة 360هـ/971م، وكان بصحبة هذا السفير مجموعة من الفرسان، وكان الهدف من هذه السفارة عقد معاهدة سلم وصداقة بين إمارة برشلونة وقرطبة[8]؛ وفي العلاقات الخارجية مع صاحب الإمارات المسيحية، يسوق خبر الطاغية غرسيه بن فرذلند صاحب قشتيلة وإلبة، ونكثه للسلم

[1]- ابن حيان، المصدر السابق، -القطعة الرابعة-، ص 484.

[2]- نفسه –القطعة الرابعة-، ص 455.

[3]- وداد القاضي، المرجع السابق، ص 258.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة-، ص 459-460.

[5]- نفسه، ص 461.

[6]- نفسه –القطعة الرابعة-، ص 460-461.

[7]- نفسه –القطعة الخامسة-، ص 20.

[8]- نفسه -القطعة الخامسة-، حاشية ص 20.

مستغلا فرصة انشغال الخليفة بحروبه في العدوة المغربية[1]. وهناك أخبار عديدة في هذا الباب لا يسعها هذا المقام، مما يستدعي تخصيص دراسة مستقلة لها.

والمتتبع لتاريخ ابن حيان في المقتبس أو المتين يجد أنه كان على معرفة دقيقة بإسبانيا المسيحية، وممالكها وأمرائها وأنسابهم وسنوات حكمهم ووفياتهم وأحوال بلادهم الداخلية؛ بل يقدم أحيانا بعض الأخبار عن تاريخ اسبانيا على عهد الرومان[2]، مثل كلامه عن أوكتافيانوس اكتبيان ثاني قياصرة الروم، ومبانيه في الأندلس، وتاريخ قنطرة قرطبة التي بنيت قبل الفتح العربي بنحو مائتي سنة[3]، ويعتقد علي مكي أنه ينبغي أن نجعل مؤرخنا في طليعة من يرجع إليهم عند الحديث عن تاريخ اسبانيا المسيحية حتى أواخر القرن العاشر الميلادي[4].

3.2- الأحداث الاقتصادية والإدارية:

اهتم مؤرخنا بالجوانب الاقتصادية بشكل لافت، ويظهر ذلك من خلال الأحداث التي ساقها حول التجارة والنقود، والجباية وتدليس العملة، وغيرها؛ كما أفادنا عن المبادلات التجارية بين الأندلس والإمارات المسيحية بجنوب إيطاليا، حيث يذكر ضمن أحداث سنة 330هـ/942م نبأ وصول تجار مدينة مَلْف Amalfi"بضروب من تجاراتهم النفيسة من سبائك الفضة الخالصة والديباج"، برفقة رسول صاحب سردانية الذي جاء يطلب الصلح والألفة[5].

وفي تنظيم شؤون الدولة وتوزيع المهام، يذكر ابن حيان قيام الناصر لدين الله باتخاذ دار السّكة في قرطبة؛ فيقول: "وفيها أمر الناصر لدين الله باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم، فاتخذت هناك على رسمه... فقام الضرب فيها من لدن هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة ... فأضحت دنانيره ودراهمه عيارا محضا"[6]، ولم تلبث حتى ظهر التدليس والغش في السكة، فقام

[1]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الخامسة-، ص 188-189.

[2]- نفسه -القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 80.

[3]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص88.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 80.

[5]- نفسه-القطعة الرابعة-، ص 475.

[6]- نفسه، ص 243.

الناصر لدين الله بنقلها من قرطبة إلى مدينة الزهراء الجديدة في مقر سكنه[1]؛ كما يفيدنا بتوكيل أمر الجباية، والخزانة، ودار الضرب لابنه الأكبر الحَكم؛ فيقول: "... وقلده الإشراف على ذلك كله، والوقوف على وجوهه ومعانيه، وعِلاّته ودواعيه، فأحسن النظر، وبان أمره فيما تقلد منه، واستراح إلى كفايته"[2].

ولحرصه على تتبع أحوال الدولة ونظم حكمها، فقد دوّن مظاهر جباية الضرائب، وما كانت تلاقيه السلطة في امتناع بعض الناس عن دفعها؛ مما تتطلب في كثير من الأحيان تدخل الجيش، أو التهديد بخروجه إليهم[3]، ويتعرض كذلك لأحوال السّكة والطراز في أيام الأمير عبد الرحمان بن الحكم، حين أحدثت بقرطبة وغيرها من بلاد الأندلس الطرز لأنواع الكسوة والوطاء؛ فكان الأمير عبد الرحمان أول من أقام بالأندلس الطُرّز، وتولى له النظر فيها حارث بن بزيغ[4]، وفي عهده ازدادت الجبايات بالأندلس وارتفع مال الخراج مما انعكس على رفاهية المجتمع وكثرت الوظائف التي وزعت بالعدل بين فئات المجتمع[5].

وفي الأخبار الإدارية من عزل الوزراء والعمال، فيذكر مؤرخنا كيف كان الخلفاء يفعلون ذلك بغتة لأسباب متحققة فيهم، فيقول فيما نصه: "فيها عزل الناصر لدين الله فطيس بن أصبغ عن الوزارة ... لسبب أنكره عليهم، صرفهم به جميعا"[6]، ثم قدم لائحة بأسماء الوزراء المخلوعين وما يقابلهم ممن عوضهم في مناصبهم[7].

وفي جانب آخر؛ يحدثنا عن تنظيم المجال العمراني، وتوسعة الأسواق والنظر في تجارة الناس وأنشطتهم، ففي سنة 361هـ/972م، تم نقل دار البرد من غرب قصر قرطبة إلى دار الزوامل بالمصارة[8]، كما يذكر جهود الخليفة في توسيع الطريق الرئيس في سوق قرطبة لأنه كان ضيقا ومزدحما؛ فيقول في

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الرابعة-، ص 244.

[2]- نفسه، ص 469.

[3]- نفسه، ص 486.

[4]- نفسه -القطعة الأولى-، ص 290.

[5]- نفسه، ص 292.

[6]- نفسه -القطعة الرابعة-، ص 470.

[7]- نفسه، ص 471-472.

[8]- نفسه -القطعة الخامسة-، ص 66.

هذا: "... أمر الخليفة المستنصر بالله صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها وهدّ لحوانيت المتحيفة لعرضها، المضيقة لسبيلها..."[1]، ومثل هذه التوسعات شملت أيضا المساجد، وفي ذلك يروي لنا ما قام به الأمير عبد الرحمان من الزيادة في الجامع، فيقول: "وزاد الأمير عبد الرحمان بن الحكم في المسجد الجامع بقرطبة، أول الزائدين فيه من خلفاء بني مروان..."[2].

ولم توقف التعديلات الطارئة على رسم الحدود الفاصلة بين الكور، ولم تكن سلطة الخلافة قد ترسخت بعد في عدد من المناطق الثغرية، مثل: بطليوس، طليطلة، سرقسطة؛ وهي الوضعية التي تم الحسم فيها بإعادة هيكلة البادية، ومسح الأقاليم، ورسم الحدود على مدار العقدين الثالث والرابع من القرن الرابع الهجري[3]، وذكَر أيضا قائمة بالمدن والكور المشكِّلة للتقسيم الإداري للأندلس[4]، وقد قدّم لنا إحصاءً شمل دور قرطبة أيام الفتنة من خلال قوله: "وعدة دور الرعايا والسواد بها، الواجب على أهلها المبيت في السور أيام الفتنة، مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار، حاشا دور الوزراء أكابر الدولة"[5].

ولم يُفوت ابن حيان الفرصة ليخبرنا عن تأثير نزول المطر على الزروع وابتهاج الناس به، وتحسن أوضاعهم المعيشية، حيث يقول: "ثم نزل الغيث من أول يوم الجمعة لعشر خلون منه فاتصل يومئذ ومكن من الاحتراث فشرع الناس في حرث القصيل، وتوقف السعر وكان فارعا مرتقا، واتصل نزول الغيث المروي إلى النصف من محرم، فانطلق الحرث وابتدر العام بكل جهة، واستبشر الناس بالخصب والرحمة..."[6].

4.2- الأحداث الاجتماعية والثقافية:

لقد تنوّعت المجالات الاجتماعية والثقافية التي تناولها ابن حَيّان في مقتبسه، فجاءت انعكاسا صادقا لمظاهر الحياة الأندلسية في أبعادها الاجتماعية والفكرية؛ ويُعَدّ تاريخه الكبير من أدقّ المصادر التي

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الخامسة-، ص 70-71.

[2]- نفسه -القطعة الأولى-، ص 281.

[3]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 99.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الخامسة-، 253-254.

[5]- أنور زناتي، المرجع السابق، ص 100.

[6]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الخامسة-، ص 145.

وصلت إلينا في تصوير الحياة الثقافية والفكرية بالأندلس، إذ قدّم من خلاله مادة غنية تمثّل وثيقة تاريخية بالغة الأهمية، فقد وقف عند عدد من الظواهر الاجتماعية، ورسم لنا ملامح شرائح المجتمع الأندلسي بما اشتملت عليه من أنماط متباينة، كظاهرة الوشاية والذم وما ارتبط بها من مكايد ومؤامرات، فضلا عن إشاراته إلى مظاهر الانحراف وفساد بعض القضاة[1].

حدثنا ابن حيان عن بعض الآفات الاجتماعية السيئة التي عمت بين الناس، وكيف تعاملت معها السلطة السياسية؛ وذلك عندما انتشرت بين فئة من الناس الوقيعة في الأعراض، وسب الخلفاء، وعدُّ مثالبهم في قصائد يجتمعون عليها، فأخذهم الخليفة بالقوة وسجنهم ونفاهم وفرق شملهم، حيث يقول: "...العصبة البُطراء من أهل قرطبة المستخفين بالطاعة الصائلين بذرب الألسنة،... رموا بالاستخفاف والتعطيل والغمص للخليفة والرتوع في أعراض الناس ونشر مثالبهم في أشعار يجتمعون على صونها ويتبارون فيها، فرأى أمير المؤمنين رفع أذاهم وقطع مضرتهم بنفيهم..."[2].

سجّلت روايات المقتبس الأيام الصعبة التي مرت بها قرطبة نتيجة الكوارث الطبيعية، ومن ذلك ما ذكره في أحداث سنة 197هـ/812م؛ حيث يقول: "وفي هذه السنة كانت الشدة التي عمت أرض الأندلس أجمعها، فمات فيها أكثر الخلق، وأجاز بعضهم إلى أرض العدوة..."[3]؛ ويروي طريقة تعامل الحكام والخلفاء مع الكوارث الطبيعية، من خلال مواساة المتضررين وتوزيع الصدقات عليهم[4]، وكذلك في مجاعة عام 303هـ/915م، عندما اشتد غلاء الأسعار وحصل الوباء، فماتت أعداد كبيرة من الناس في قرطبة؛ مما اضطر الناصر لدين الله إلى توزع الصدقات، فيقول ابن حيان: "... وكثرت صدقات الناصر لدين الله في هذه الأزمة على المساكين، وأهل الفاقة وعلى المتعففين عن المسألة وصدقات أهل الحسبة، فنفع الله بهم كثيرا من خلقه"[5].

تكلم مؤرخنا عن فرار العلماء ومحنهم التي تعرضوا لها في ثورة الربض وذكر جماعة منهم[6]، وبالنسبة للبربر، فقد رصد لنا هجراتهم؛ ومنها أنهم قدموا من أرض المغرب في أعداد هائلة فارين من سياسة حسن

[1]- أنور زناتي، ابن حيان القرطبي مؤرخا، ص 100.

[2]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الخامسة–، ص 74.

[3]- نفسه–القطعة الأولى–، ص 135.

[4]- نفسه–القطعة الأولى–، ص 92.

[5]- نفسه–القطعة الرابعة–، ص 109-110.

[6]- نفسه –القطعة الأولى–، ص 156.

بن قنون، داعين إلى الانقلاب عليه ومحاربته، فاستقبلهم الخليفة استقبالا عظيما وشكر لهم طاعتهم له "ووعدهم بالإحسان إليهم والإنعام عليهم، وأقرّهم تحت الجرايات الواسعة إلى أن يفرغ للنظر في شانهم"[1].

كما حدثنا عن بعض الوقائع الهامشية والتفاصيل الدقيقة للمجتمع الأندلسي؛ كاحتراق بعض الديار بجوف المسجد الجامع بقرطبة، مما تسببت في خسائر وأضرار كبيرة[2]، وما حكاه عن فضائل زرياب مما ادخله إلى أهل الأندلس على غرار الغناء والموسيقى، أنه سن لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج إحدى وسائل الزينة والعطور، حيث يقول: "وقد دخل الأندلس وما بها أحد يستعمله، إنما يعتمد ملوكها... على ذَرور الورد والزهر الريحان"[3]، وهذا يدل على التوسع في التفاصيل مع الإدراك الواعي لقيمة هذه الأشياء الصغيرة، فهناك فرق كبير في الكتابة التاريخية بين ما هو صغير وما هو تافه[4].

عالج ابن حيان الحياة الخاصة بالخلفاء والأمراء، ومنهم الناصر لدين الله الذي يحدثنا عن جاريته "مُرجان" أم الحَكم في أخبار النساء، والتي أحبّها الناصر حبا كبيرا حتى قال ابن حيان: "فاتخذها سيدة نسائه وكبرى حظاياه وقيمة قصره، وألقى إليها بمقاليده ووثق بها سره وجهره،... حتى ملكت زمام قيادة، فانسكبت له في جميع مراده"[5]، وما جرى بينها وبين السيدة فاطمة زوجته من أمور الغيرة التي أفضت إلى الدسائس والحيلة[6]، فيقول: "... وأما الحرة القرشية، لم تستقل عثرتها لديه آخر حياتها وأقسم ألا يدخل غليها، وخيرها في المقام عند الإرجاء والاعتزال مستمسكة بعصمته أو تسريحها، فاختارت المقام لديه إلى أن هلكت في حياته تلو مرجان، لا سماء بكت عليها ولا أرض وفازت مرجان بالفضل دونها"[7].

وفي السياق ذاته، سجل مؤرخنا جهود بعض النساء في أعمال الخير؛ من بناء المساجد والتفنن في زخرفتها وأوجه الإنفاق العامة في الصدقات، من ذلك ما رواه عن الرازي أنه في أيام الأمير عبد الرحمان

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الخامسة–، ص 115.

[2]- نفسه –القطعة الخامسة–، ص 104.

[3]- نفسه –القطعة الأولى–، ص 320.

[4]- نفسه –القطعة الثانية– مقدمة المحقق، ص 87.

[5]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 13.

[6]- نفسه، ص 9-13.

[7]- نفسه، ص 13.

قد تنافست الجواري في بناء المساجد الرفيعة بقرطبة؛ مثل مسجد طروب، ومسجد فخر، ومسجد الشفا، ومسجد متعة[1]، وغيرها.

ونقل لنا أخبار أهل قرطبة في الشعائر الدينية، ومن ذلك صلاة الجمعة التي أقامها ابن أبي عيسى بعد تعذر صاحب الصلاة عن أدائها، فكانت أول صلاة صلاها واختصت به جامع قرطبة بعد زيادة جمعت له إلى القضاء..."[2]، وكذلك تفاصيل صلاة الاستسقاء في أيام الجفاف والقحط، فيقول: "...فشرع قاضي الجماعة بقرطبة، صاحب الصلاة بها في الاستسقاء في خطب الجمعة، ..."[3]، ولم تنزل المطر إلا بعد عدة أيام وبعد المرة السادسة من أداء صلاة الاستسقاء[4].

وقد روى لنا بعض المظاهر الاجتماعية وعادات أهل قرطبة في المواسم، منها رؤية هلال رمضان[5]. ويؤكد على وصف هذه المواسم ومنها عيد الفطر خاصة في بلاطات الأمراء والحكام، فيصفها بدقة متناهية ويسرد كل أسماء الحاضرين ومراتبهم ومواضعهم التي يجلسون فيها، مثل ما ورد في أحداث عيد الفطر والأضحى لسنة 360هـ/971م[6]، ويتكرر هذا في أكثر من مرة في حوليات تاريخه.

وأفاد المقتبس ببعض الوفادات العلمية، وأثرها في الحركة العلمية في الأندلس، مثل وفادة الأديب أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي، حيث يقول بعد أن وصف مدى تكريم الناصر وابنه لهذا الأديب: "... وفاض على طلاب العلم منه ما عظم انتفاعهم به جدان وصحح لهم صحائف كانت عندهم بورا ... وكان من أعظم من وفد إلى الأندلس من العلماء"[7].

أما الحياة الثقافية، فقد قام ابن حيان بترجمة لمشاهير الأدباء والشعراء وأعلام الفكر وأورد الكثير من أخبارهم وأشعارهم، وامتلأت صفحات المقتبس من هذه المنظومات التي تعالج مختلف نواحي الحياة الأندلسية، ومن أشهر هؤلاء الشعراء يحي الغزال الذي كان يلقبه بـ "منتهك الأعراض، ومخزي الرجال"[8].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 287-288.

[2]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 476.

[3]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 477.

[4]- نفسه.

[5]- نفسه، ص 485.

[6]- نفسه–القطعة الخامسة–، ص 28 وما بعدها. ص 59.

[7]- نفسه –القطعة الثانية–، ص 480.

[8]- نفسه –القطعة الثانية–، ص 200. ترجم له في القطعة الأولى، ص 243 وما بعدها

كما تناول مجالس الغناء، وخبر زرياب والمطربين ببلد الأندلس[1]، ومن المواد الأدبية التي تنتمي للنثر الفني ووردت في المقتبس الرسائل الإخوانية[2]؛ التي تعددت أغراضها بين الشكر والاستعطاف، والترغيب، والمساواة، والتنجُز[3]، ومن هذه الرسائل نذكر: كتاب عبيد الله بن قرلمان بن بدر الشاعر في التنجز إلى عبد الرحمان بن الحكم، إذ يقول في مطلعها: "صارت حوائجي –أكرمك الله– لها صدور تفرح، وأعجاز تُبرح، وعدت لولاية فزويت عنها، وامر لي بقرية فحبست منها رغبتي..."[4].

كما احتوى المقتبس على تراجم الفقهاء والعلماء الأندلسيين منذ فتح الأندلس وحتى عصره[5]. وقد أفادنا ابن حيان –نقلا عن ابن عبد البر– بانتقال الأندلسيين بالفتوى من مذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي؛ الذي انتشر بقرطبة وعم بلاد الأندلس[6].

5.2– أخبار المغرب والمشرق:

لقد كان علم ابن حيان بتاريخ المغرب لا يقل أهمية عن علمه بالأندلس، ولكنه لم يقصده لذاته؛ بل اقتصر منه على ما لا غنى عنه في تأريخ العلاقات المتصلة المتشابكة بين المنطقتين على امتداد السواحل الإفريقية[7]؛ أما أخبار المشرق فنادرة في المقتبس، إلا ما رصدناه حول حديثه عن علاقة بعض الأندلسيين بالمشرق، ومن ذلك ما رواه عن جماعة من أهل الربض فرّو إلى سواحل المغرب، ومنهم من اتجه نحو الإسكندرية وكان عددهم 15 ألفا[8]، وكذلك أفادنا بما وقع لبلد الله الحرام لما اجتاحه القرامطة وما أحدثوه من فساد[9].

في حين أن ما نقله ابن بسام والمقري فيه إشارات كثيرة حول حديثه عن المشرق، حيث عقد مقارنات بين أحداث المنطقتين، منها على سبيل المثال ما عقده بين تلقيب الحَكَم المستنصر مولاه غالبا

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص ص 307-335.
[2]– مصطفى الشكعة، المغرب والأندلس، ص 357.
[3]– طارق وراد، المرجع السابق، ص 186.
[4]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 296.
[5]– نفسه، ص 219، ص 223 وما بعدها.
[6]– نفسه، ص 199.
[7]– نفسه –القطعة الثانية– مقدمة المحقق، ص 89..
[8]– نفسه –القطعة الثانية–، ص 153.
[9]– نفسه –القطعة الرابعة–، ص 310.

بلقب "ذي السيفين"؛ امتثالا لما فعله الأمير أبو احمد الموفق بإسحاق بن كنداج الخزري عامله على الجزيرة، وأيضا عندما تحدث عن عبد الرحمان الداخل وأبي جعفر المنصور العباسي، وأيضا بين المعتضد ابن عباد ملك إشبيلية وأحمد المعتضد بن أبي احمد بن المتوكل العباسي[1].

أخذت أخبار العدوة المغربية جزءا لا بأس به من تاريخه في القطعة الخامسة، ولقد تنوعت المادة التاريخية الحيانية في هذا الصدد؛ فشملت الخطابات، والتوجيهات، والتعيينات، حيث يذكر التازي أن ابن حيان أمدنا بأزيد من مائة وخمسين وثيقة تمتد عبر السنين الطوال التي شهدتها دولة بني أمية وعاشتها الإمارات المغربية... كان جل الوثائق على مستوى القمة، وفيها الكثير مما كان يتبادل بين العمال والوزراء فيما بينهم[2].

فمما يحدثنا به مؤرخنا في أحوال المغرب، مقتل زيري بن مناد الصنهاجي[3]، ثم حركة حسن بن قنون الحسني الانفصالية وتآمره مع صاحب إفريقية الشيعي[4]، وحجم النفقات العسكرية والعطايا التي كان يرسلها الخليفة إلى جيوشه بالعدوة، فيقول ابن حيان: "وفي يوم السبت لأربع بقين منه خرج صاحب المخزول ناجيت بن محمد إلى العسكر بالعدوة بأحمال جمة من الأموال للنفقات والأعطية"[5]. كما أورد رواية للعدوة المغربية لم يذكر سندها، حيث يقول: "وفي رجب منها ورد على الناصر لدين الله من العدوة كتاب علي ابن حميد المكناسي قائد الشيعي صاحب إفريقية وثقته، خاطبا لولايته، متبرئا إلى الله تعالى من الشيعي..."[6].

ويفيدنا في تاريخ المغرب، خاصة عهد الزيرين، وما جرى فيه من انقلابات وصراعات سياسية، وفرار بعض العمال إلى الأندلس وتقربهم من الخليفة المستنصر بعد انقلابهم عن المذهب الشيعي؛ أمثال جعفر بن علي المعروف بـ ابن الأندلسي صاحب المسيلة، ويروي هذه الأخبار عن محمد الوراق وابن

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية– مقدمة المحقق، ص 89.

[2]- عبد الهادي التازي، **العلاقات المغربية الأندلسية من خلال المقتبس لابن حيان**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984، ص 418-419.

[3]- ابن حيان، المصدر السابق – القطعة الخامسة–، ص 26 وما بعدها.

[4]- نفسه، ص 79.

[5]- نفسه، ص 139.

[6]- نفسه–القطعة الرابعة–، ص 459.

الجزار[1]، ويصف لنا ابن حيان قدوم هؤلاء، ومنهم جعفر بن علي وأخيه يحيى، في موكب كبير أعده لهم الخليفة خصيصا لاستقبالهم حتى وصولهم إلى قصر الزهراء[2].

لقد أعد فصلا خاصا بـ بني إدريس، وظل يتهم بني محمد ابن إدريس بالتعصب للشيعة؛ حيث إن هؤلاء يدّعون الإمامة؛ كما كان لاهتمامه بأخبار فاس وعدوتها الغربية التابعة لبني أمية، وعدوتها الشرقية التابعة للفاطميين أن مكّن الباحثين من اكتشاف نصوص جديدة؛ وقد قام محمود إسماعيل –استنادا إلى هذه الحقائق– بمعالجة السياسة الداخلية والخارجية لدولة الأدارسة[3].

لقد كتب مؤرخنا وبصيغ متعددة عن أهل العدوة المغربية وما شيدوه في بلادهم من دول وإمارات كانت على صلة بالأندلس قبل الصراع مع الفاطميين وبعده؛ وسجل في حولياته تطورات هذه العلاقة، وما كان الأمويون ثم العامريون يخططونه للاحتفاظ بما اكتسبوه من نفوذ بين زعماء البربر وقادتهم وقبائلهم[4].

ويتضح مما سبق؛ أن ابن حيان قد أرّخ للعدوتين المغرب والأندلس تأريخا شاملا، مؤسسا على الاهتمام بالأخبار بالدرجة الأولى[5].

المبحث الثالث: اتجاهات الكتابة التاريخية وأسلوب ابن حيان:

1– اتجاهاته في الكتابة التاريخية:

لقد استفاد ابن حيان من كل المناهج التي عرفتها الإسطوغرافيا الإسلامية، حتى يصبح تاريخه الكبير أوعب ما كتب عن بلده حتى عصره[6]، لهذا جاءت المقتبسات الحيانية مترابطة النسيج المتنوع من تاريخ الحوليات، وتاريخ التراجم، وتاريخ الموضوعات؛ وقد أجّمل علي مكي وصف اتجاهات الكتابة التاريخية عند مؤرخنا بقوله: "... ففيه النظرة الشاملة إلى كل أمير، وفيه التاريخ الداخلي الذي لا يقتصر

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 32-33.

[2]– نفسه، ص 45.

[3]– أنور زناتي، المرجع السابق، ص 86-87.

[4]– عبد القادر زمامة، **ابن حيان وأهل العدوة**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984، ص 437.

[5]– محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 208.

[6]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية–، ص 69.

على كبريات الأحداث...، وفيه التأريخ الثقافي والفكري، وفيه سرد الأحداث بترتيب السنين، وفيه التراجم المفصلة لرجالات الدولة،... فضلا على أن فيه فصولا تعتبر معاجم لتراجم العلماء من كل صنف"[1]، وقد عبّر ابن حيان عن تحكمه الكبير بهذه المناهج التاريخية، فكان يوظفها بمهارة عالية حسب ما تقتضيه طبيعة الأحداث وسردية الوقائع.

1.1- منهجه في كتابة التاريخ الحولي:

يعتمد هذا النمط من التدوين التاريخي على منهجية ترتيب الأحداث وفق التسلسل الزمني السنوي، حيث يفتتح المؤرخ كل قسم بذكر وقائع سنة محددة، ثم ينتقل إلى ما يليها من سنوات. غير أنّ هذا الأسلوب يؤدي في كثير من الأحيان إلى تجزئة الحوادث التاريخية الممتدة على أكثر من سنة، إذ يضطر المؤرخ إلى قطع سياقها ليدرج في أثناء السرد أخبارا عن وقائع أخرى متزامنة معها، ثم يستأنف الحديث عن الحادثة الأولى في موضع لاحق مخصَّص لأحداث السنة التالية[2]، ولا شك أن عيب هذه الطريقة يتأكد كلما حاول الباحث اخذ صورة عامة عن الحدث المتتابع؛ حيث يجد الموضوع ممزق بين تلك السنوات[3].

لقد اعتمد ابن حيان على هذه الطريقة بدرجة كبيرة في مقتبسه؛ ورصدناه يرتب الأحداث حسب الأيام والشهور والسنين، ويبدو أن الكم الهائل من الوقائع والأحداث لم تتح له فرصة الانعتاق من اعتماد التأريخ الحولي[4]، غير أنه قد تحرر من هذا المنهج في بعض المواضع؛ فإذا رأى أنه سوف يقطع وحدة الأحداث، فإنه يستطرد حتى يستكمل الموضوع الذي شرع في معالجته بصرف النظر عن التقسيم الزمني[5]؛ فعلى سبيل المثال، في أحداث 181هـ/797م ذكر خبر "تولية الأمير الحكم لعمروس بن يوسف على طليطلة إبان خروجهم على طاعة الحكم"، ولا يكتفي بهذا الخبر، بل يستطرد في حديثه ويشرح

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية–، ص 71.

[2]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص 152.

[3]- بشار قويدر، المرجع السابق، ص 29.

[4]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص 209.

[5]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية– مقدمة المحقق، ص 70.

تفاصيل تولي عمروس وعلاقته بأهلها، وكيف نجح في إعمال الحيلة للإيقاع بهم، حتى يصل إلى أحداث سنة 190هـ/805م، ويتحدث عن وقعة الحفرة[1].

يبتدئ ابن حيان أخبار الحوادث –على سبيل المثال– بقوله: "الابتداء بنسق التاريخ على سني دولة الأمير عبد الرحمان..."، ثم يأتي بالسنوات فيقول: "سنة سبع ومائتين"[2]، وبعدها يسوق أخبار هذه السنة مفصلة ومرتبة، ويستخدم عند كل خبر عبارة: "وفيها كانت" أو "وفيها كان"[3]، وفي حالة ذكر الحدث أكثر من مرة، ينبه ابن حيان القارئ لذلك بقوله: "وقد تقدم ذكر ذلك في بابه فغنينا عن إعادته"[4]، وقوله: "وقد تقدم ذكر ذلك فيما قد تقدم ذكره"[5].

وحرصا منه على تسلسل الأحداث وربطها ببعض، فقد كان كثيرا ما ينبه القارئ إلى ذلك، فيأتي بعبارات مثل: "رجع الحديث"[6]، و"رجع الخبر"[7]، وفي بعض الأحيان ينوع عبارات التأريخ الحولي؛ فلا يذكر السنة أو الشهر أو اليوم بل يتركه مبهما، فيقول: "وفي هذا التاريخ"[8]، وقد تميز بالدقة في التأريخ للوقائع؛ فكان لا يكتفي بذكر تاريخ الحدث بل يذكر حتى توقيته، فيقوله: "وفي عشي يوم الأحد"[9].

وقد كان مؤرخنا حريصا على الدقة في التأريخ للوقائع، وظهر ذلك في تحديد التواريخ بالأيام في كثير من الأحيان؛ حيث يوفر على القارئ الجهد فيثبت ما يقابل التقويم الهجري من التقويم الميلادي، ومثال ذلك قوله في التأريخ لمصير ثورة الربض: "وكان يوم هذه الوقيعة الشنعاء بهم يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، سنة اثنتين ومائتين لسبعة أيام باقية من شهر آذار الشمسي الكائن فيها"[10]، وقد يستهل به الخبر فيرويه أولا ثم يعقبه بالتاريخ الهجري؛ في مثل قوله: "توقف الغيث آخر

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 108.

[2]– نفسه، ص 407.

[3]– نفسه، ص 409.

[4]– نفسه، ص 115.

[5]– نفسه، ص 116.

[6]– نفسه –القطعة الخامسة–، ص 38.

[7]– نفسه –القطعة الأولى–، ص 96. نفسه –القطعة الثالثة–، ص 195.

[8]– نفسه –القطعة الخامسة–، ص 72.

[9]– نفسه، ص 76.

[10]– نفسه –القطعة الأولى–، ص 150.

شهر دُجنبر الشمسي بقرطبة وأعمالها... من أول يوم الجمعة لليلتين خلتا من ربيع الآخر منها، وكان يوم سبعة من شهر ينَّيَر الشمسي"[1].

2.1- منهجه في كتابة تاريخ التراجم:

تفاوتت التراجم التي قدمها ابن حيان طولا وقصرا؛ لهذا كان إذا عرض لشخصية سبق أن تحدث عنها بالتفصيل، فإنه يكتفي فيها بإشارة عابرة مقتضبة اعتمادا على ما سبق ذكره، وإذا لم يكن قد فعل فإن التراجم تكون في غاية الإسهاب والاستقصاء[2]، والذي يلاحظ على المقتبس أن ابن حيان اتبع طريقة فريدة ربما لم يُسبق إليها قبل[3]؛ حيث رتب تاريخه على مواضيع الحوليات والتراجم؛ فيستهل بذكر أحوال الأمير وسيره، ثم يفتتح باب الحوليات على تتابع السنين، ثم يعود إلى تتمة أحداث التراجم والسير، وهكذا في انتقال سلس بالقارئ حتى لا يشعره بالملل أو انقطاع النسق الموضوعي لتاريخه.

لم يقتصر مؤرخنا على تراجم الأمراء فقط، بل شمل كل ما في عصرهم من أحداث، ومنها تراجم العلماء والقضاة والشعراء ورجال الدولة، ويلاحظ أن تراجم القضاة والشعراء أخذت الحصة الكبيرة في تاريخه، وقد تعرض لتراجمه بالتفصيل؛ فتحدث عن تاريخ الميلاد، والكنى، والنسب، وأهم الإنجازات، متبعا في ذلك طريقة المؤرخين وكُتّاب التراجم، وجاء على هذا النسق لأنه كان يقتبس من موارده الأصلية.

لم يتبع ابن حيان منهج ترتيب وتنظيم التراجم على حروف المعجم كما درج على ذلك بعض المؤرخين، وإنما كان المنطلق الأساس هو التأريخ للأمراء؛ ثم جاءت تراجم غيرهم عرضا في جملة أحداث عصر ذلك الأمير، وقد تأتي داخل الحوليات؛ مثال ذلك في حولية سنة 235هـ/849م، حيث تعرض لترجمة محمد بن سعيد بن رستم الوزير الحاجب، أو داخل الوفيات[4]؛ ومن ذلك ما ذكره في وفيات أعلام الناس في دولة الإمام الخليفة الحكم بن هشام[5].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة-، ص 476-477.

[2]- نفسه–القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 71.

[3]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 93.

[4]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، ص 218.

[5]- نفسه–القطعة الأولى-، ص 222.

أما صياغة التراجم وعناصرها الأساسية؛ فقد شملت: الاسم، والنسب، والكنية، وتاريخ الميلاد ومكانه، والوفاة؛ ولم يوفق ابن حيان أحيانا في إتباع هذه العناصر جميعها، حيث تحكمت فيه المادة التاريخية المتوفرة، فكان كثيرا ما يلخص الترجمة في أسطر قليلة، ويقتصر على بعض وقائع المترجَم له، ومثال ذلك؛ ما رواه في ترجمة عيسى بن دينار بن واقد الغافقي[1]، حيث جاءت في حجم لم يتجاوز أربعة أسطر.

في حين ترجم لبعض الأعلام –خاصة الشعراء والقضاة– بشكل مطول؛ مثل ترجمة ابن بشير القاضي[2] التي وصل حجمها إلى ثماني عشرة صفحة؛ وقد تحكمت عوامل عديدة في طريقة انتقاء ابن حيان لهذه التراجم؛ فكان يختارها باعتبار مدى تأثيرها وقربها من السلطة ودواليب الحكم، أو لمكانتها العلمية والاجتماعية؛ كما نلاحظ أنه كان يعتني بالإطار الجغرافي والسياسي وحتى الاجتماعي للمترجم لهم[3].

يجدر التنويه إلى أنّ مؤلّفي كتب التراجم لم يلتزموا منهجا موحّدا في معالجة تراجم الأعلام؛ إذ قد تطول بعض التراجم أو تقصر، وتزداد تفصيلا أو تقلّ بحسب عوامل متعدّدة؛ فمنها ما يعود إلى شخصية المترجِم نفسه، ومنها ما يتصل بالمترجَم له، فقد يدفع الإعجاب بالشخصية إلى الإطناب في عرض أخبارها، كما أنّ وفرة المادة العلمية من معارف ومعلومات وحقائق تسهم بدورها في توسيع نطاق القول وإغناء الترجمة، وتظلّ هذه العناصر جميعها مرتبطة بقدرة المؤلف وكفاءته العلمية وأدواته المنهجية[4].

أبان مؤرخنا على منهج واضح ودقيق في التقميش لتراجمه، فقد كان يجمع المقتبسات من المصادر المتوفرة لديه لكل صاحب ترجمة، ولا يكتفي باقتباس واحد خاصة إذا كان المترجم له صاحب وزن سياسي أو ثقافي وفكري، وقد وصل به الحال إلى إيراد عدد كبير من الرواة في ترجمته للقاضي ابن بشير، نذكر منهم: ابن القوطية، ابن الحارث، ابن حبيب، احمد بن خالد، محمد بن وضاح، خالد بن سعد، ابن عبد البر، محمد بن عمر بن لبابة[5].

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية–، ص 213.

[2]– نفسه–القطعة الأولى–، ص 201 وما بعدها.

[3]– محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 226.

[4]– محمد عبد الغني حسن (لجنة من أدباء الأقطار العربية)، **التراجم والسير**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1955، ص 80.

[5]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص ص 201-219.

وكان ابن حيان يبدي بآرائه ويسجل أحكامه على من يترجم لهم سلبا وإيجابا، وذلك حسب ما تقتضيه طبيعة المترجم له وسيرته وخبر التاريخ فيه، ولا يروي كل ما تعلق بالمترجم له إذ في كثير من الأحيان يقتصر على المفيد الذي يراه يخدم منهجه، ومن ذلك ما حكاه في ترجمته للمنجم مروان بن غزوان، وعند نهايتها يقول: "وأشعار مروان في هذا الحبس كثيرة لا طائل في إكثارها، ولم أجد خبرا عن عاقبة أمر زمنه أقصه، ولا وقعت على تاريخ وفاته فأثبته، على أن عواقب هؤلاء الخرّاصين على الأغلب مع من خدموه من الملوك إلى خُسر"[1]، وهذا التعليق من ابن حيان دليل على متانة الفكر التاريخي الحياني، وأنه بعيد عن التاريخ القصصي، فنراه ينتقد ما يستدعي الانتقاد، ويبرر للقارئ ما يجب تبريره.

يتضح أن الكتابة التراجمية لابن حيان قد استأثرت بالقسط الأوفر من المقتبس، إذ شملت على 155 ترجمة وسيرة، اعتمد فيها على أكثر من 205 اقتباس، وغطت 5153 سطرا، ما يعادل 19.64% من مجموع المادة التاريخية للكتاب[2].

3.1- منهجه في كتابة التاريخ الموضوعي:

كنّا قد تناولنا فيما سبق الجوانب التاريخية التي عالجها ابن حيّان، وتبيّن لنا أنّها شملت موضوعات متنوّعة تمسّ مختلف أوجه الحياة بالأندلس، من سياسة وعسكر، وعلاقات خارجية ودبلوماسية، فضلا عن الاقتصاد والثقافة والمجتمع والدين والفكر.

وقد ارتبط منهجه في التأليف بعصور الأمراء الذين كتب عنهم؛ إذ اتّخذ من كل عصر أساسا للتقسيم، فكان يفتتح عرضه ببيان الملابسات المحيطة بتولية الأمير، وقد ارتكز منهجه في طريقة الموضوعات على عدة نقاط، نأخذها في مثال من القطعة الثالثة من تاريخه:

أولا؛ يفتتح ابن حيان تاريخ كل أمير بعنوان بارز، يتبعه بمدخل تمهيدي للأحداث التي سيرويها، مثل: "ذكر خلافة الأمير عبد الله بن محمد، السابع من خلفاء المروانيين بالأندلس بعد أخيه المنذر بن محمد"[3].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى-، ص 402.

[2]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 105.

[3]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة-، ص 33.

ثانيا؛ يذكر ظروف مبايعة الأمير بعد وفاة أخيه المنذر في عنوان طويل بارز، يتضمن كل ما سيورده في تاريخه مثل: "خبر البيعة للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بعد مهلك أخيه المنذر بن محمد أجماع المستمسكين بالجماعة عليه من بين أهل بيته دون بيعة متقدمة ولا وصية متبعة وازدياد المضادين لهم من أهل الخلاف والشرود عنه والنصب له، ووصف جمل من محاسنه وأدبه عما أراد من قصد سيرته صدعت... وإقراضهم له، وما اتصل بذلك وقاربه"[1].

ثالثا؛ يأتي على خبر رجال الدولة ومناصبهم من وزراء، وقواد، وقضاة، وفقهاء، وغيرهم، ويسرد أسمائهم في قائمة طويلة، فيقول: "أسماء من استعان بهم الأمير عبد الله على رفيع أعماله"[2].

رابعا؛ يفرد للفقهاء بابا خاصا بهم ويذكر قائمة بأسمائهم، فيقول: "تسمية الفقهاء بقرطبة الذين لحقوا أيام الأمير عبد الله"[3].

خامسا؛ يعرض علينا أسماء المعارضين للأمير والذين ثاروا ضده وخرجوا عن طاعته، ثم يترجم لهم ويروي تفاصيل حركاتهم على شكل مختصرات، ويقسمهم إلى قسمين: الأول: هم الذين شكلوا تهديدا حقيقيا للأمير؛ فيقول: "أسماء المخالفين على الأمير عبد الله الخارجين على الجماعة، المضرمين لنار الفتنة"[4]، والثاني: كانت معارضتهم أقل حدة من السابق، ويجعلهم في مختصرات أقل، وقد وضع لهم عنوانا؛ فيقول: "ومن أصاغر الثوار المنحطين عن منازل هؤلاء المتقدمين"[5].

سادسا؛ يعود إلى سيرة الأمير ويقدم لنا أخبارا عن فضائله من خلال مدحه وتقريظه، ويجعل هذا في عنوان، فيقول: "ذكر الثناء على الأمير عبد الله بكرم خلاله وتقريظه"[6].

سابعا؛ يعبر ابن حيان عن كتابته المنهجة، فيفرد لانتقادات الأمير بابا خاصا به، مباشرة بعد أخبار فضائله، ويجعله في عنوان بارز: "باب الذم"[7].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة–، ص 34.

[2]- نفسه، ص 38.

[3]- نفسه، ص 44.

[4]- نفسه، ص 45.

[5]- نفسه، ص 64.

[6]- نفسه، ص 80.

[7]- نفسه، ص 91.

ثامنا؛ يترجم لطبقة الشعراء في عصر الأمير أيضا في مختصرات مع مقتطفات من أشعارهم، ويأتي عنوان الباب بـ "ذكر الشعراء"[1].

2- أسلوب الكتابة التاريخية عند ابن حيان:

1.2- ملامح عامة لأسلوبه:

امتلك ابن حيان أسلوبا سلسا معبّرا، رصين العبارة، سهل الألفاظ، بعيدا عن التزويق اللفظي والزخرفة السطحية، فكان صاحب أدب رفيع[2]، وقد امتلك ناصية اللغة على نحو لا نكاد نجده عند مؤرخ قبله أو بعده، مستثمرا ثروة معجمية واسعة، مستخدما إياها في سهولة وانسياب، مع قدرة على الربط بين المعاني وملكة قصصية تجعل منه كاتبا روائيا لو شاء[3]، "وكان سيال الأسلوب...، صافيا ناصعا...، لا يتعثر في الاطناب والقعقعة اللفظية...، ولا يهبط إلى الركاكة..."[4]، وبهذا يكون ابن حيان خير من يمثل النثر الأندلسي لاعتماده على نفسه في صياغة العبارة وبنائها على الحدة والعنف[5].

2.2- التحرر من التكلّف والصنعة:

تميّز ابن حيان بابتعاده عن السجع المتكلّف والمحسنات البديعية اللفظية، فلم يكن في أسلوبه تصنّع، بل لكل لفظ عنده قيمته، وقد كان يسترسل أحيانا في سهولة ممتنعة من غير أن يتخلى عن بلاغة الصياغة ونصاعة الأسلوب وجلال المعنى[6]، ومرة يلتزم الصنعة التزاما شبه كامل، وأخرى يتخلى عنها كليا، وثالثة يمزج بين الأسلوب المرسل والمصنوع، محتفظا دائما بقلم الأديب وفكر الأريب[7].

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة-، ص 92.

[2]- عبد الرحمان علي الحجي، **أندلسيات**، دار الرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1969، ص 102.

[3]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية-، مقدمة المحقق، ص 105.

[4]- بالنثيا، المرجع السابق، ص211.

[5]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي –عصر سيادة قرطبة-، ص 333.

[6]- مصطفى الشكعة، المغرب والأندلس، ص 361

[7]- نفسه، ص 369.

كما أنه كان يفضل الطبع في النثر والشعر ويكره الصنعة والتكلف، ويميل إلى الإيجاز وتكثيف المعنى الغزير في ألفاظ قليلة، دون الالتجاء إلى أساليب الجدال والحجاج[1].

3.2- النزعة الأدبية والخيال الفني:

على الرغم من كونه مؤرخا، فقد تأثر بأساليب الشعراء وأغراضهم، حتى اعتبر الهجاء فنا من فنون القول وغرضا من أغراض الكتابة[2]، وكتب في الهجاء فكان قلمه يقطر سُمّا قاتلا، غير أنه لم يجعله ديدنه، بل استخدمه في حق الحكام الظالمين والوزراء الجهلة والأمراء المستبدين[3]؛ أي أنه كان صريحا ومكشوف الرأي بطريق مباشر أو غير مباشر، ولذلك قلّما سلم من لسانه، وتلك الصراحة هي إحدى سمات الصدق الذي التزمه في تاريخه دون محاباة أو خوف[4].

ومن النصوص الدالة على هذا الاتجاه، حديثه عن مثالب الأمير عبد الله في قوله: "وأثبتوا شدة بخله بأبين من ذلك من مشهور قبضه لكفه على القريب والبعيد...وأخباره في هذا البخل كثيرة"[5]؛ كما وظّف التشبيه والاستعارة والكناية في غير حذلقة، ونجح في مزج الوصف الواقعي بالخيال الفني ليمنح الأحداث حياة وظلالًا، فكان أسلوبه التاريخي مشبعًا بالنثر الأدبي[6].

4.2-التمثيل والتصوير البياني:

كثر في كتابته التمثيل والصور الشعرية، مثل وصفه لقنطرة قرطبة بقلادة جيدها المزدهية، فيقول: "... والنظر في قنطرة قرطبة التي هي أم قرطبة المرضعة ومفضى سبلها المتشعبة وجماع معايشها المختلفة وقلادة جيدها المزدهية وعُليا مبانيها المعجزة"[7]؛ كما لجأ إلى التكثيف بتتابع المتعاطفات ليعمّق الإحساس بالمواقف[8]، مثل قوله: "وافتنوا في تقريظه وتوسعوا في ذكر عدالة سيرته وسماحة كفه وشجاعة قلبه وجزالة

---

[1]- محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 234.

[2]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 304.

[3]- مصطفى الشكعة، المغرب والأندلس، ص 361.

[4]-عبد السلام الهراس، مأساة الأندلس، ص 444-445.

[5]-ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة-، ص 89.

[6]- نفسه–القطعة الثانية- مقدمة المحقق، ص 105-107.

[7]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الخامسة-، ص 65.

[8]- إحسان عباس، طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية، ص 113.

رأيه وثقوب فهمه ونفوذ عزمه وبصر..."[1]، وارتاح كذلك إلى تصوير الجوانب السلبية في الأفراد والجماعات، وإبراز آثار الجهل والزيف والذنوب والعيوب[2]؛ وقد جنح إلى التمويه بالمبالغات على سبيل المجاز في مثل قوله: "في عساكر كعدد الحصى"[3].

5.2- البعد الديني والأخلاقي:

كان أسلوبه ينبع من موقفه وهو يمسك بقلم المؤرخ؛ فإذا تحدّث عن المدافعين عن الجماعة ارتفع أسلوبه، وإذا تناول خصومها لجأ إلى تعبيرات الذم الأخلاقي؛ مثل :الملحد، الفاسق، اللعين، الخائن، رأس المجرمين، ومن ذلك حديثه عن فتنة محمد بن مسرة القرطبي، حيث يقول فيه: "كان مذهب الظنين المرتاب المرائي بالعادة المنضوي على دخل السريرة"[4]، وفي مهلك عمر بن حفصون يقول: "فيها أهلك الله الخبيث عمر بن حفصون، جرثومة النفاق وإمام الضلالة وكهف الخلاف وموقد الفتنة وملجأ أهل المعصية..."[5]؛ بينما يظهر دفاعه عن الوحدة المذهبية للأندلس في قوله: "... بإنكاره لما ابتدعه المبتدعون وشذ فيه الخارجون عن رأي الجماعة المنتمون إلى صحبة محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي وانتحلوه في الديانة فاختدعوا العوام ..."[6].

وكثيرا ما استأنس بالتعبير القرآني، مثل قوله: "واعتدت قاعًا صفصفًا كأن لم تغن بالأمس"[7]، وفي قوله: "... تخترقه جارية غير مقطوعة ولا ممنوعة"[8]، واستعمل عبارات تحيل إلى الفعل الإلهي وأثره في مسار التاريخ؛ مثل: "ومطر بها الناس يومين وبرق وهول، وذلك وسط زمان القيظ، بقدرة الله عز وجهه"[9]، وأيضا مثل قوله: "...ضج منه أهل العسكر إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال، حتى كشفه الله

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 40.

[2]- إحسان عباس، طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية، ص 115.

[3]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 190.

[4]- نفسه، ص 20.

[5]- نفسه، ص138.

[6]- نفسه، ص 25.

[7]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 232

[8]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 338-339.

[9]- نفسه –القطعة الثالثة–، ص 212.

عنهم بقدرته"[1]، وفي قوله: "... وكفى الله شرهم"[2]، وفي قوله: "والبقاء السرمد للواحد الصمد، عز وجهه"[3]، والأمثلة كثيرة.

6.2- التنويع الأسلوبي والثروة اللغوية:

حرص ابن حيان على تنويع أساليبه وطرائق تعبيره، مستفيدا من ثروته اللغوية الواسعة واطلاعه العميق على أسرار العربية، فتنقّل بين طول الجمل وقصرها بحسب مقتضى المعنى، ففي رسائل الحمد والثناء والتهنئة كان يميل إلى الجمل الطويلة، بينما في الهجاء آثر القصر والإيجاز[4]؛ ولعل هذا يكون أكثر وضوحا في كتابه المتين.

وقد اتكأ في كتابته على مخزونه الثقافي من الشعر، وهذا الاهتمام بديهي نتيجة تتلمذه على يد صاعد البغدادي، وابن أبي الحباب حامل علم أبي علي القالي[5]، لهذا امتلأت صفحات المقتبس بالأبيات الشعرية، واستعمل عبارات غريبة أو غير مألوفة أحيانا مثل: الموتان[6]، مباطنة[7]، الطعنان[8]؛ كما أكثر من الأوزان الاشتقاقية النادرة، وخاصة صيغة "استفعل"، مما يشير إلى قدرة لغوية فذّة وحرص على التفرد في الصياغة[9]، ومن هذه الصيغ: الاستغلاق[10]، واستنزل[11]، انقمع[12]، انتسف[13]، وغيرها من العبارات.

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة-، ص 216.

[2]- نفسه –القطعة الرابعة-، ص 202.

[3]- نفسه –القطعة الأولى-، ص 371.

[4]- حازم عبد الله خضر، **أبو مروان ابن حيان أديبا وكاتبا**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984، ص 212-213.

[5]- أنور زناتي، المرجع السابق، ص 175.

[6]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة-، ص 109.

[7]- نفسه، ص 23.

[8]- نفسه–القطعة الثالثة-، ص 89.

[9]- إحسان عباس، طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية، ص117.

[10]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة-، ص 172.

[11]- نفسه، ص 173.

[12] - نفسه –القطعة الأولى-، ص 298.

[13] - نفسه –القطعة الرابعة-، ص 101.

7.2- تأثير البيئة الأندلسية:

إن أسلوب ابن حيان يعكس سمات المجتمع الأندلسي ونفسيات أهله الذين آثروا السهولة في العيش والتفكير، مع ذوق سام، وأدب رفيع، وملكة عقلية تؤهلهم للتصرّف المتوازن والحكمة الواضحة[1]؛ وقد ظل ابن حيان في أسلوبه مستقلا عن التقليد، متميّزا في صناعة العبارة، جامعا بين التاريخ والأدب؛ فلا يشعر القارئ معه بملل أو ضجر، ولا يحس فيه بجفاف الأساليب التاريخية التي وُجدت عند عدد من المؤرخين[2].

8.2- الاستطراد:

يقول السيوطي: "الاستطراد أن يكون في شيء من الفُنون ثمَّ سنح له فن آخر يُنَاسِبه، فيورده في ذكره"[3]، وقد تجسد هذا المعنى في تاريخ ابن حيان بشكل واضح، إذ كان كثيرا ما يستطرد في أخبار بقصد أو بدون قصد، ثم يورد عبارة توحي برجوعه إلى الخبر الأول لإتمامه، في مثل قوله: "رجع الحديث إلى كلام الرازي بقصة جعفر الأندلسي"[4]، وقد أخذت الاستطرادات الحيانية ألونا عديدة، فشملت الأخبار بغرض التسلية، والتراجم، والآداب، والفقه[5]، ومن ذلك قصة الأسد التي توسع ابن حيان في إيرادها، وكان مقصده منها عد مثالب الناصر حينما جعل من تربية الأسود طريقة لإرهاب الناس[6].

يمكن القول إن النصوص التاريخية التي دوّنها ابن حَيّان احتوت على تصوير دقيق وحيوي لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية، مما يعكس عمق معايشته لبيئته وانخراطه في قضايا عصره، ويُستدل من ذلك على أن أبا مروان لم يكن مجرد مؤرخ ناقل للأحداث، بل كان أديبا مؤثرا في محيطه، يعبّر عن مشكلات

---

[1] – حازم عبد الله خضر، المرجع السابق، ص 210.

[2] – نفسه، ص 194.

[3]– السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 97.

[4]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الخامسة–، ص 38.

[5]– طارق وراد، المرجع السابق، ص 130-131.

[6]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 39.

المجتمع ومصاعبه، ويصور أحواله السياسية والفكرية والثقافية، ومن ثمّ يمكن اعتباره شاهدا معاصرا ومؤرخا للمجتمع الأندلسي في واحدة من أكثر فتراته خطورة وأهمية[1].

المبحث الرابع: النقد التاريخي عند ابن حيان:

يعتبر النقد التاريخي صمام أمان ومعيارا أساسا للتمييز بين الروايات التاريخية؛ فهو يعبّر عن قدرة المؤرخ على التفاعل الإيجابي مع الأخبار والحوادث التاريخية؛ يقول المعلمي اليماني: "على أن حاجة التاريخ إلى معرفة أحوال ناقلي الوقائع التاريخية أشد من حاجة الحديث إلى ذلك؛ فإن الكذب والتساهل في التاريخ أكثر، بل إن معرفة أحوال الرجال هي من أهم أنواع التاريخ، والعلوم الدينية والتاريخية أولى العلوم بالحفظ؛ لأنه إذا ضاع منها شيء لم يمكن تداركه بعد ختم النبوة، وأما العلوم الأخرى فليست كذلك؛ لأنها نتيجة العقول والتجارب، فإذا ضاع منها شيء يمكن استنتاجه ثانيا، وهكذا..."[2].

لقد أدرك ابن حيان أهمية هذا الباب في تاريخه الكبير، فكان ناقدا متقدا؛ وقد أفرد علي مكي عنوانا خاصا في مقدمة المقتبس بعنوان: "ابن حيان ناقدا"، بيّن فيه الأسلوب النقدي عند ابن حيان، الذي لم يقتصر على الترجمة للأعلام أو الاختيار من قولهم، وإنما تبع ذلك بالحكم لهم أو عليهم، معطيا كل ذي حقّ حقه[3]، وبالرجوع إلى ما وصلنا من آثار مؤرخنا، نجده قد طبق المنهج النقدي بشكل واضح مما لا يدع مجالا للشك، وان كان قد قلّ ذلك في المقتبس؛ بحكم طبيعة المادة التاريخية التي بني عليها من اقتباسات السابقين.

معلوم أن ابن حيان لم يكن على نصيب وافر من علوم الحديث ولا الجرح والتعديل، لكن تكوينه العلمي وثقافة عصره التي تميزت بالتناقضات والصراعات السياسية؛ فرضت عليه اللجوء إلى أسلوب نقدي تميز بالشدة في كثير من الأحيان؛ ورغم ما وصلنا من آرائه النقدية ليس بكثير، فإن ما بين أيدينا إذا تؤمل غاية التأمل، ووضع في السياق الثقافي والحضاري الأندلسي العام، وربط بشخصية المؤلف ووزن بينه وبين الآثار النقدية المعاصرة؛ فإنه يقدم خطوطا رئيسية للاتجاه النقدي الخاص والعام[4].

---

[1]- حازم عبد الله خضر، المرجع السابق ص 219.

[2]- عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، **علم الرجال وأهميته**، تح: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1996، ص 91.

[3]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية–، ص 109.

[4]- محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 231-232.

سار ابن حيان على نهج المؤرخين المسلمين الأوائل؛ حيث اتسم منهجه بشيء من التخفف من النقد الصارم للأسانيد، دون أن يعني ذلك قبول الروايات المكذوبة أو المشكوك في عدالتها؛ فقد ميّز بين الصحيح وغيره مع قدر من المرونة التي تقتضيها طبيعة الكتابة التاريخية، ومع ذلك ظل ملتزما بالعزو إلى المصادر الأصلية؛ محققا بذلك توازنا بين مقتضيات السرد التاريخي ومعايير التثبت النقدي، وعلى وجه العموم يمكن تمييز ملامح الكتابة النقدية لدى ابن حيان في مجالين رئيسيين هما: **نقد السند،** ويشمل الحكم على الرواة الذين نقل عنهم مقتبساته؛ **ونقد المتن،** ويتضمن الحكم على الأفراد والجماعات وما ارتبط بهم من حوادث وأخبار.

1- نقد الإسناد (الرّواة):

ويكون ذلك بتتبع رجال الرواية بالجرح أو التعديل، وقد رصدنا بعض الشواهد الدالة على ذلك في المقتبس، نذكر منها:

النموذج الأول؛ قال أبو مروان حيان بن خلف بن حيان: "قرأت بخط صاعد بن صاعد القرطبي، قاضي طليطلة، وكان من العلم بمكان..."[1]، فقوله و"كان من العلم بمكان" يوحي بأن الراوي ثقة، وإن لم يصرح بذلك مباشرة.

النموذج الثاني؛ أخبرني يحي بن محمد بن نعمان العطار، عن أبيه وكان ثقة، أنه حضر صلب فرتون..."[2]، وهنا يذكر ابن حيان صراحة بأن أحد الرواة كان ثقة.

النموذج الثالث؛ في حديثه عن عدد بنات الأمير عبد الرحمان ينقل رواية الرّازي في أن عددهم ثلاث وأربعون، ثم يضيف قائلا: "وزاد في عددهن معاوية بن هشام الشبينسي نسابة أهل البيت بنتين..."[3]، ونلاحظ هنا كيف رجح ابن حيان -بالتلميح- رواية الشبينسي على رواية الرازي؛ بقوله في عبارة "نسابة أهل البيت"، مما يعني أن له مزية تفوّق بها على الرازي تدفع ابن حيان إلى قبول روايته أو ترجيحها.

[1]- ابن حيان، المصدر السابق -القطعة الرابعة-، ص 278.

[2]- نفسه -القطعة الرابعة-، ص 445.

[3]- نفسه -القطعة الثانية-، ص 164.

النموذج الرابع: وهو من توثيقاته لإحدى رواياته التاريخية، حيث يقول: "وقرأت في كتاب الفضل بن الفضل المذحجي، نسابة أهل الجزيرة"[1]، ونسابة أهل الجزيرة عبارة تشعر بحكم أطلقه ابن حيان يحمل صفة الصدق أو التثبت.

النموذج الخامس؛ ما حكاه في مهلك نصر الخصي خليفة الأمير عبد الرحمان بن الحكم، قوله: "وكثر القول في السبب الذي أراده، والخوض فيما أتاه، فكان من أوضح ذلك ما ذكره أبو بكر بن القوطية"[2]، ويظهر ترجيح ابن حيان لرواية ابن القوطية؛ حيث اعتبره أكثر ثقة، وروايته أقرب للصحة، لا سيما بعدما صرح بقوله: "وله –أي نصر– بذلك أخبار في الناس تُصدق دلائل تحققه، سما بها – زعموا– في باطنه إلى غاية كرهها الله، إخترمه دونها حمامه، فقضى ذميما مستراحا منه"[3].

النموذج السادس؛ يروي لنا إحدى رواياته بالسماع، فيقول: "ما سمعته من المشيخة الدانية بفنتهم من تلك الدولة من فظيع سطوات الناصر... ما حملوه عن خواص من أكابر خدمه الخصيان ساكني داره ومشاهدي غيبه..."[4]؛ يوثق روايته بالنقل عن المشيخة التي سمعت من خواص الخصيان، ويظهر ثقته فيهم في قوله: "ساكني داره ومشاهدي غيبه".

النموذج السابع؛ وتظهر فيه عبارات التجريح في قوله: "وزعم أحمد بن محمد الرازي أن فتح حصن طُرش..."[5]، وهنا يضعّف ابن حيان رواية الرازي بلفظة "زعم"؛ وإن كان قد أخذ جل روايات المقتبس عنه، لكنه يمارس النقد حتى مع غياب الدليل الذي يثبت عكس هذه الراوية.

النموذج الثامن؛ في حكاية عن الشاعر الغزال، يقول ابن حيان: "وكان الغزال من المعمرين: زعموا أربعا وتسعين سنة..."[6]، وهي أيضا من الروايات عن المجاهيل بصيغة التضعيف "زعموا".

النموذج التاسع؛ أورد خبر المجاعة التي أصابت أهل الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمان نقلا عن الشبينسي، ثم عقّب على الرواية بتعليق يكشف عن موقفه النقدي منها، فقال: "ومضى ذكر هذا الخبر

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 234.

[2]– نفسه، ص 149.

[3]– نفسه.

[4]– نفسه –القطعة الرابعة–، ص 38.

[5]– نفسه –القطعة الرابعة–، ص 172.

[6]– نفسه –القطعة الأولى–، ص 244.

على اختلاف الرواة في تاريخ عامه واسم الإمام المستسقى"[1]، فابن حيان هنا يظهر أنه قد وصلته روايات كثيرة عن حادثة المجاعة، ولكنه فضّل رواية الشبينسي، واكتفى بالتعليق عليها.

النموذج العاشر؛ يبدي إعجابه براوي الخبر فيما ينقله عنه من وقائع؛ مما يوحي برفعة مكانته وقوة ضبطه، فنجده –مثلا– يقول في الأديب بكر بن عيسى الكناني، وقد روى عنه حادثة كان حاضرا فيها، حيث وصفه بقوله: "وقد كان بكر حاضر الجواب، شديد العارضة، على إهماله لنفسه وانهماكه في بطالته"[2].

يتضح مما سبق؛ أن ابن حيان قد استخدم النقد التاريخي على مستوى الإسناد، وان لم يكن كما يفعله المحدثون في علم الرجال، ولكنه أثبت مقدرته العالية على التحكم في هذا الفن العزيز، وأن ما جعله يخفف منه هي طبيعة المادة التي يتعامل معها وموضوعاتها الذي تصب في الخبر التاريخي.

2– نقد المتن (الأفراد والأخبار):

حاول ابن حيان النظر في الحوادث التاريخية وأخبار الأفراد بنظرة عميقة، وعدم تمريرها هكذا بدون رأي أو حكم حسب ما تقتضيه ضرورة المصلحة، فلم يقتصر اهتمامه على سرد الوقائع وإيراد الأخبار فحسب، بل كان إلى جانب ذلك يُبدي رأيه بصراحة، ويتفاعل مع الخبر، ويعلّق على الحوادث، ويسعى إلى تفسير الظواهر ويبحث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء[3]؛ كما نلحظ أنه كثيرا ما يُفصّل في عرض بعض الحوادث إلى درجة قد يراها البعض غير ضرورية، غير أنّ هذا الأسلوب يكشف عن رغبته في تقديم صورة متكاملة للحدث التاريخي، تُبرز أسبابه ونتائجه، وإن لم يُصرّح بذلك صراحة[4].

وقد عبّر مؤرخنا عن هذه النظرة التي تتجاوز السرديات التاريخية في قوله: "فركبت سنن من تقدمني فيما جمعته من أخبار ملوك هذه الفتنة البربرية، ونظمته وكشفت عنه وأوعيت فيه ذكر دولهم المضطربة، وسياساتهم المنفرة، وأسباب كبار الأمراء المنتزين في البلاد عليهم، وسبب انتقاض دولهم، حال فحال بأيديهم، ومشهور سيرتهم وأخبارهم، وما جرى في مددهم وأعصارهم، من الحروب والطوائل، والوقائع

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية–، ص 235.

[2]– نفسه –القطعة الأولى–، ص 236.

[3]–بالنثيا، المرجع السابق، ص 211.

[4]– عبد السلام الهراس، المرجع السابق، ص 444.

والملاحم؛ إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان، ووفاة العلماء والأشراف، حسب ما انتهت إليه معرفتي، ونالته طاقتي"[1].

وكان قد تبنى هذا التوجه في علم التاريخ فيمن جاء بعده، فهذا ابن خلدون يقول: "فإن فنّ التاريخ... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق"[2]، وبهذا عالج ابن حيان تاريخه فبرز منهجه النقدي، وظهر رأيه في الحوادث والأخبار قبل أن يولد ابن خلدون بقرون؛ وهذا الأخير الذي أكد في "مقدمته" أيضا على عرض الأخبار والواقعات على قانون المطابقة، والاستحالة، والإمكان[3].

ومما يجب الإشارة إليه؛ أن نقد المتن لا يقتصر على التمحيص والتحقيق في الرواية، بل يتعداه إلى الإثراءات والردود والتعقيبات والتذييلات وكل ما يتعلق برأي المؤرخ في مضمون الخبر المروي والمنقول[4]. وكانت قد خضعت عملية نقد المتون إلى قواعد وضوابط هامة، هي: العقل، والنقل، والتأويل، والحس، والمشاهدة، وسنن الكون والمجتمع، والمتواتر من التاريخ، وأصول العادة، وقواعد السياسة، وطبائع العمران والاجتماع الإنساني[5]، وقد صرح مؤرخنا بمنهجه النقدي وغاياته من الكتابة التاريخية بشكل واضح في غير المقتبس؛ كما ورد عند ابن بسام بقوله: "وبعد فإني امرؤ يسرت لطلب هذا الخبر واقتفاء هذا الأثر، أحرس شارده وأقيد نافره، وأبيت بأبوابه وأنصب لطلابه...، أقص أنباءه، واضرب أمثاله، وأحصي وقائعه، واحترز مواعظه"[6].

وسنستعرض بعض النماذج من الشواهد –على سبيل المثال لا الحصر– التي تبين ممارسة ابن حيان لمنهج النقد التاريخي والأدبي في كتابه المقتبس.

---

[1]– ابن بسام، المصدر السابق، ج2، ص 578.

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 6.

[3] – نفسه، ص 49.

[4]– خنوف شعيب، **النقد التاريخي عند علماء الغرب الإسلامي خلال القرنين 5–6هـ/11–12م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: خالد كبير علال، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2018/2017، ص 164.

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، 13. جلال الدين السيوطي، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، د.ط، د.ت، ج1، ص 325. خالد كبير علال، **الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6–7هـ/12–13م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2003، منشورة، ص 400.

[6]– ابن بسام، المصدر السابق، ج2، ص 576.

النموذج الأول؛ تعليلاته لبعض الأحداث على أسس اقتصادية وطبيعية، مثال ذلك ما ذكره في ثورة أهل الربض: "... ويعينهم على ارتكاب ذلك كل وقت وارتكاسهم فيه كل حين، ما هم عليه من حصانة جسرهم، ومنعة معقلهم وما أوتوه من كثرة أطعمتهم وسعة ربوعهم وامتداد نفارهم..."[1]، وهنا يعلل ابن حيان سبب ثورة أهل طليطلة، وأنه لما توفرت لهم عوامل الثورة من حصانة الموقع وظروف المعيشة؛ دفعتهم إلى التمرد على الأمير عديد المرات.

ونفس الأمر في حركة عبد الملك بن أبي الجواد، حيث يقول: "... وله حظ من المنعة تشييدا وعدة"[2]، ولم يتوقف عند هذا، بل قدم تفسيرات أخرى لمثل هذه الثورات حينما قال: "... وكان سببها إنكارهم عليه توظيفه عليهم عشور الأطعمات، التي ألزمهم إياها وظيفا مؤدى للسنين من غير خرص غلة ولا على حدود شرعية، فغلظ شأنه عليهم جدا، إلى أشياء نقموها عليه في ذاته من بطالته وراحاته، فثاروا به من أجل ذلك الثورة الكبرى"[3]، وهكذا نراه يجعل من فرض الضرائب وكثرة المغارم سببا مباشرا لنقمة الناس على الحاكم.

النموذج الثاني؛ تعقيبه على بعض الأحداث على أنها سنن كونية وحتمية، وكلها من مراد الله ومشيئته، فمثلا في حديثه عن أهل قرطبة لما عزموا التمرد على الأمير الحكم، بعدما انتشرت بينهم مسببات الفتنة، يقول: "...، وحقت عليهم بذلك عقوبة البغي، بقضاء سابق من ذي العزة"[4].

النموذج الثالث؛ فسّر حدوث الثورات الاجتماعية وحركات العصيان بسوء معاملة عمّال الأمراء لرعيتهم، من ذلك ما رواه في أحداث سنة 232هـ/846م، في خروج موسى بن موسى القسوي عن طاعة الأمير عبد الرحمان، بسبب تحامل عبد الله بن حليب عامل الثغر الأعلى عليه، بعدما أخذ من بعض أمواله، مما أدى إلى غضبه وثورته عليه[5]، وفي خبر آخر، يحدثنا مؤرخنا عن تصرف الأمير الحكم بن هشام عندما قبض على عشرة من رؤساء سفهاء أهل قرطبة وأعلام أحداثهم المسارعين إلى الشر؛ فقتلهم

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 108.

[2]- نفسه –القطعة الثالثة–، ص 54.

[3]- نفسه –القطعة الأولى–، ص 161-162.

[4]- نفسه، ص 147.

[5]- نفسه –القطعة الثانية–، ص 143.

وصلبهم، مما أدى إلى ثورة أهل الربض، فعطلوا الأسواق وحملوا السلاح ثائرين على الأمير[1]، وهنا تظهر براعته في ربط النتائج بالأسباب.

النموذج الرابع؛ تفسيره لما فعله الأمراء من سياسة العزل التي طالت بعض كبار الموظفين في الدولة؛ بسبب ما أحدثوه من ضرر في مناصبهم، نتيجة تنكبهم أو قلة كفاءتهم في أداء مهامهم، فيقول في عزل والي قرطبة يحي بن يونس القبري: " إذ كانت فيه حدة زائدة ومحاربة لذوي الحرم"[2]، وكذلك عزل الناصر أسلم بن عبد العزيز قضاء الجماعة بسبب ضعفه عن العمل[3]؛ وقد يحجم مؤرخنا عن ذكر السبب ويبقيه مجهولا، كما ذكر في عزل فُطيس بن اصبغ وجماعة كثيرة معه، فيقول عنهم: "عزل الناصر لدين الله جميع الوزراء عن الوزارة بغتة، لسبب أنكره عليهم، صرفهم به جميعا"[4]؛ وفي المقابل، يعلل سبب اختيار الأمير لبعض عماله، مثل اختيار الأمير عبد الرحمان لعيسى بن شُهيد حاجبا له، وذلك لأنه "كان من أعيان رجال الموالي في الدولة، وهم متوافرون، ومن أشهرهم بالحلم والوقار والحصافة والعلم والمعرفة والحزم والجزالة"[5].

النموذج الخامس؛ تعقيباته على أحداث أليمة بأوصاف المبالغة التي تدل على شدة أثرها في الواقع، أو تعبر عن وقعها على نفسه؛ من ذلك ما حكاه عن حادثة أليمة وقعت في قرطبة أدت إلى اشتعال فتنة كبيرة، يقول في آخر ما حدث به: "وجرت عليهم خلالها محن لا تضبطها الصفة"[6]، ويقول عنها في موضع آخر: "فكان الخطب في ذلك جليلا"[7]؛ وبعدما خصص لها مساحة كبيرة من مصنفه قال في آخرها: "والأخبار عن هذه الوقعة الشنعاء بأهل قرطبة أوسع من أن تحصى، فهي التي ضربت أوتاد ملك بني مروان بالأندلس، فاستقرت على الثرى"[8]؛ بينما إذا كانت الوقائع طويلة ومتشعبة فإنه يذكر ما يوحي باختصاره لها، بقوله: "فجرت لهم بها خطوب طويلة"[9]، ويقول بعد انتهاءه من أخبار

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى–، ص 170.
[2]- نفسه –القطعة الرابعة–، ص 314.
[3]- نفسه، ص 208.
[4]- نفسه، ص 470.
[5]- نفسه –القطعة الثانية–، ص 166.
[6]- نفسه –القطعة الأولى–، ص 150.
[7]- نفسه –القطعة الأولى–، ص 151.
[8]- نفسه، ص 173.
[9]- نفسه، ص 153.

زرياب: "وأخباره في معاني صناعته وحكمة تدبيرها أوسع مما اجتلبناه، فاكتفينا بهذه اللمعة منها"[1]. وكذلك في ترجماته للأعلام في مثل قوله: "له في ذلك أخبار فاشية، ونوادر سائرة"[2].

النموذج السادس؛ استخدم أسلوب الهجاء بكثرة في نقده الأدبي لخواص الشعراء، حيث يقول في خبر الغزال: "وكان الغزال بذيئا منتهكا للأعراض"[3]، وهذا لا ينفي أن يجعل لبعض مقتبساته –خاصة في المنظومات الشعرية– تذييلات وتعقيبات، كأن يقول: "ومحاسن شعر عباس كثيرة"[4]، وقوله: "وهي طويلة قليلة النادر"[5]، أو في قوله: "وخرج إلى مديح فأطال"[6]، أو في قوله: "وهي طويلة بعيدة جدا، وإحسانه فيه سائر مشهور"[7]، وفي حديثه عن أبو قصي يعقوب أبن الأمير عبد الرحمان، فإنه نقل رواية الشبينسي في ترجمته ليعقوب التي ذكر فيها أنه كان مطبوع الشعر، وهنا علق ابن حيان على هذه الرواية بقوله: "وصفه بالشعر، ثم لم ينشد له منه ما يصدُق وصفَه، بل أنشد ثلاثة أبيات من قصيدة... ليست بطائل"[8].

ونرى هذا أيضا أثناء حديثه عن إحدى غزوات الخليفة الناصر، حيث يقول: "وقد ذكرت الشعراء فخامة بروز الناصر لدين الله إلى هذه الغزاة وفصوله نحوها، وما ظهر من جلالة فخامة أعلامه، وتكاثف أجناده، وشنعة زينته، وبهجة موكبه لها ونوهت بذكر علم العُقاب الحديث عهدها... بأشعار كثيرة اختصرتها لطولها، وإذ لا طائل في إثباتها"[9]، وهكذا من العبارات التي توحي بأحكام حيّانية على المنظومات الشعرية أو تُشعر باختصارات رآها ضرورية؛ ويرى علي مكي أن ابن حيان كان حريصا على اختيار المنظوم والمنثور، مدققا فيهما؛ فلا يورد النصوص الأدبية جزافا، بل ينقل كل ما له قيمه فنية[10].

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الأولى، ص 325.

[2]– نفسه، ص 337.

3– نفسه –القطعة الثانية–، ص 201.

[4]– نفسه –القطعة الأولى–، ص 237.

[5]– نفسه، ص 282.

[6]– نفسه –القطعة الثانية–، ص 230.

[7]– نفسه –القطعة الثالثة–، ص 97.

[8]– نفسه –القطعة الثانية–، ص 164.

[9]– نفسه –القطعة الرابعة–، ص 334.

[10]– نفسه–القطعة الثانية–، ص 111.

النموذج السابع؛ عند حديثه عن الأمراء، فإنه لا يكتفي بذكر مناقبهم كما فعل مؤرخو البلاط الذين أخذ عنهم في المقتبس؛ بل يضيف إلى ذلك من عنده بابا في الذم؛ فعند ذكره للأمير الأموي عبد الله بن محمد، يتحدث ابن حيان عن هوان الدماء عليه، حتى من ولديه وإخوته، كما يشير إلى شدة بخله[1]، ونفس الأمر مع الخليفة الناصر لدين الله، الذي أطال في ذكر معايبه، ونقل بعض روايات ابن حزم في "نقط العروس"، حيث يقول: "... إلى مناكير كانت له باطنة الله أعلم بها"[2]، وانتقاده الشديد للحكم الربضي في قوله: "ومن المجاهرين بالمعاصي، السفاكين للدماء لدينا، الحكم بن هشام صاحب الربض؛ فقد كان مع جبروته يخصي من اشتهر بالجمال من أبناء رعيته، ليدخلهم إلى قصره ويصيرهم من خدمه"[3].

النموذج الثامن؛ انتقاده الشديد واللاذع للجماعات والحركات السياسية أو الدينية التي خرجت عن الدولة الأموية بالأندلس، فقد أطلق عليهم تسميات مثل: إمام المردة، الفاسق، اللعين، الهَمَل، المفارقون للجماعة، وغيرها من الأوصاف التي تعبر عن رفض ابن حيان لها وتمسكه الشديد بفكرة وحدة الدولة التي كان يعبّر عنها دائما بقوله: "دولة الجماعة"[4]، ونجده يظهر سروره بزوال خطر هذه الجماعات، مثلا في قوله: "وبعده ضاء صبح النصر، ودنا ميقات الفتح، فمنحه الله كرة دولة الجماعة وألزمه طائر السعد نحلة، فانقادت له الأمور مذعنة"[5]، وقد أبدى ابن حيان إعجابه بشخصية بعض الثائرين رغم اختلافه معهم في مبدأ الولاء للدولة، فلم يحمله ذلك على اجتناب العدل وذكر محاسنهم؛ ومن ذلك ما حكاه عن محمد ببن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني حيث يقول: "وكان ابن أضحى هذا مع رجوليته أديبا بينا يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل والمقاوم، فيحسن القول ويطيب الثناء، وله أخبار معروفة"[6].

ويدخل في هذا هجومه الشديد على العبيديين في المغرب، ويصفهم بأوصاف لاذعة، وقد خصص لهم صفحات عديدة في القطعتين الرابعة والخامسة؛ ومن ذلك ما ذكره في حق أبي عبيد الله الشيعي

[1]- أمين توفيق الطيبي، المرجع السابق، ص 59. ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثالثة–، ص 39.

[2]- ابن حيان، المصدر السابق –لقطعة الرابعة–، ص 37-39.

[3]- نفسه–القطعة الأولى–، ص 233.

[4]- نفسه –القطعة الثالثة–، ص 78.

[5]- نفسه، ص 79.

[6]- نفسه –القطعة الثالثة–، ص 77.

حيث يقول: "... دولة عبيد الله الشيعي، الناجم بإفريقية، الشهير الدغوة [كذا]، الغالي الدعوة، ... فهوى إلى دعوته الضالة أكثر هؤلاء الأمراء الأدارسة، نصرا للعصبية وإغماضا على الدنية، وايعادا في الأذية، وانحرافا عن هوادة بني أمية، للأحقاد القديمة"[1].

النموذج التاسع؛ يعول ابن حيان على التفسير الإثني أو العرقي في بعض الوقائع؛ فعندما وجه النقد للبربر اعتبرهم سببا في الفتنة، ويتضح هذا في نصوص المتين بشكل كبير جدا[2]، كما لم يخفي لمزه للبربر، ويظهر في حديثه عن مدينة تاهرت حيث يصفها بأنها: "كهف الفاسقين"[3]، وأيضا في حديثه عن مدينة طنجة حيث يصفها بـ"دولة الضلالة"[4]؛ وان كان قد أقرّ للبربر الفضل في خدمة البلاط الأموي، وذلك عندما استقدمهم الناصر لدين الله، حيث يقول: "واجتذب من أجله كثيرا من فرسان البرابر وحماة رجالهم إلى حضرته، استعان بهم في حروبه، وتمكن من ارتياد عتاق الخيل بوادي البربر واستنتاجهم الفاضل لبراذين الأندلس، فمتنت بذلك أسباب ملكه، وجل مقداره، وبعد صيته، وهابته ملوك الأمم حوله"[5]؛ وقد بادله بعض الخارجين عن سلطة العبيديين من كبار القوم في المغرب الذين تقربوا إلى الأمويين وأعلنوا ولائهم هذه العلاقة، وقد وصل الأمر ببعضهم أن قال: "فإنك يا أمير المؤمنين، مولى كل بربري على الأرض..."[6].

كشفت الشواهد السابقة عن امتلاك مؤرخنا قدرا عاليا من الوعي التاريخي وإدراكا عميقا لمقتضيات الكتابة التاريخية، وهو ما تجلّى بوضوح في ممارساته النقدية، سواء على مستوى نقد المتن أو على مستوى نقد الإسناد.

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 262.

[2]- أنور زناتي، المرجع السابق، ص 190.

[3]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الرابعة–، ص 260.

[4]- نفسه، ص 262.

[5]- نفسه، ص 257.

[6]- نفسه، ص 266.

ختاما لهذا الفصل؛ يتبيّن أن ابن حيان يقف في طليعة مؤرّخي عصره، إذ امتلك عدّة المؤرّخ الحقيقي ومقوّماته، وكتب تاريخه بقدر كبير من الصدق والمنهجية، معتمدا أسلوبا محكما يتسم بالترتيب والتنظيم ولا يخضع للارتجال.

وقد أسهمت نشأته الأدبية، ومكانته الاجتماعية، ووظيفته المرموقة داخل أجهزة السلطة، في تمكينه من الاطلاع الواسع على المصادر وتقريب الأحداث منه، وهو ما انعكس بوضوح في دقّة رواياته وسعة مادته التاريخية؛ ومن ثَمّ لم يكن وصفه بشيخ المؤرخين ورائدهم مجازفة، بل جاء تعبيرا عن مكانته المستحقة في مسار التأريخ بالأندلس.

الفصل الخامس: منهج الوارجلاني في الكتابة التاريخية من خلال السيرة في ضوء المقارنة مع منهج ابن حيان القرطبي

المبحث الأول: النسق الفني للسيرة ومصادره

المبحث الثاني: منهجه في النقل وطبيعة مادته التاريخية

المبحث الثالث: أنماط الكتابة التاريخية وأسلوب الوارجلاني

المبحث الرابع: النقد التاريخي عند الوارجلاني

المبحث الخامس: أوجه الشبه والاختلاف بين الكتابة التاريخية لابن حيان القرطبي وأبي زكرياء الوارجلاني

تمهيـد:

إنّ الكشف عن طبيعة المنهج التاريخي لدى كلّ من ابن حيّان القرطبي وأبي زكرياء الوارجلاني لا يتحقّق إلا عبر دراسة تحليلية معمّقة لمؤلفيهما؛ فمن خلال فحص طرائق العرض، وترتيب الوقائع، وأساليب التناول والتعليل، يمكن الوقوف على الركائز المنهجية التي اعتمدها كلّ واحد منهما في كتابة التاريخ، ويتيح لنا هذا التحليل المقارن إمكانية تحديد مواطن الالتقاء والافتراق بين المؤرِخَين، بالنظر إلى خلفيتيهما المذهبية والجغرافية، ومدى انعكاس هذه الخلفيات على مسارات التدوين التاريخي لديهما؛ الأمر الذي يمهّد لفهم خصوصية التجربة التاريخية في الأندلس والمغرب الإسلامي الإباضي خلال الفترة المدروسة.

ومن هنا، يأتي هذا الفصل بمقاربة منهجية لبحث منهج الوارجلاني من خلال كتابه السيرة وأخبار الأئمة، ثم اجراء المقارنة الموضوعية بين هذين العَلمين.

المبحث الأول: النسق الفني للسيرة ومصادره:

1- هيكلة الكتاب وتفريعاته (دراسة شكلية):

يتضمن كتاب السير لأبي زكرياء 344 صفحة في متنه، بدون احتساب مقدمة المحقق والفهارس التي أنجزها بدقة، فكانت تتمة مميزة للعمل، وينقسم الكتاب إلى جزأين:

الجزء الأول: ويحتوي على 288 صفحة، وهو الأكبر حجما، يبتدئه المؤلف بتوطئة ثم يبوبه على شكل فصول، حيث جاء هذا الجزء بـ 35 فصلا، متقاربة الحجم ومنسقة التنظيم، ويبدأ هذا الجزء بفصل يتحدث فيه عن تفاصيل وملابسات قدوم المذهب الاباضي إلى بلاد المغرب، تحت عنوان "ذكر سبب وقوع مذهب الإباضية ببلاد المغرب"، وينتهي بحديثه عن أخبار الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي.

الجزء الثاني: ويحتوي على 104 صفحة، وهو أقل حجما، يستهله المؤلف بتوطئة ثم جاء تبويبه على شكل فصول بلغ عددها 14 فصلا، منسقة التنظيم، ويبدأ هذا الجزء بأخبار أبي محمد بن مانوج اللمائي، وينتهي بفصل يتكلم فيه عن قصة جوغراف، وما انتهى إليه من أخبارها.

المقدمة: احتوت على مجموع 17 صفحة، تحدث فيها المحقق عن كل ما يتعلق بكتاب الوارجلاني من نسخه وترجماته، ثم وضع ترجمة له مع التعريف بكتابه ومنهجه في التحقيق؛ وقد اعترف الباحث بقلة باعه في المذهب الاباضي وعدم تمكنه من تاريخه، الأمر الذي دفعه للبحث فيه والتنقيب عن مخطوطاته.

الفهارس: نظرا لأهمية الفهارس ولدورها في تسهيل القراءة والبحث داخل متن الكتاب، فقد وضع المحقق 10 فهارس مرتبة كالتالي: قائمة المصادر والمراجع، كشف التواريخ، كشف المسائل، كشف الأمثال، كشف الآيات القرآنية، كشف الأحاديث، كشف الأعلام، كشف أسماء الأماكن، كشف أسماء القبائل، كشف أسماء الفرق، وقد استهلكت حوالي 56 صفحة من مجموع الكتاب، ويتضح أن الكتاب من الحجم الكبير، وذلك طبيعي بالنظر إلى ما احتواه من مادة تاريخية غطت فترات زمنية طويلة، وبالتالي حملت وقائع متنوعة وكثيرة.

2- مصادر كتاب السيرة:

يغلب الطابع الشفوي على المرويات التي أوردها الوارجلاني في تاريخه، إذ لم يعتمد على المصادر الأخرى، ككتب التاريخ والوثائق المصدرية، إلا في نطاق محدود، ويُلاحظ أنّ الأحداث التي تناولها تعود إلى فترات زمنية بعيدة عن عصره، الأمر الذي كان يستدعي اللجوء إلى المصادر المكتوبة، ومن المعلوم أنّ الرواية الشفوية تكون عادة معاصرة للمؤرخ أو قريبة من زمانه، بما يسمح له بالشهادة المباشرة على مجريات عصره، ويبدو أنّ غلبة المرويات الشفوية لدى أبي زكرياء تُعزى إلى غياب المصادر المدونة أو فقدانها في زمنه، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار ما تعرضت له المدونات الإباضية من إتلاف وحرق على يد العبيديين في تاهرت، وعلى الرغم من ذلك، فقد سعى أبو زكرياء إلى تنويع موارده التاريخية، وهو ما يمكن التعرف عليه من خلال ما يلي:

1.2- المصادر الشفهية:

شكلت الروايات الشفوية للوارجلاني ما نسبته 89 %[1] من مجموع ما رواه عن مصادره؛ وقد أشار إلى ذلك في مقدمتة عندما حدد موارده التي استقى منها تاريخه بقوله:"... ما انتهى إلينا من سير أوائلنا وأسلافنا، من أدركنا منهم، وما بلغنا عمن لم ندركه، ..."[2]، وهذه الإشارة واضحة الدلالة على أنه اعتمد على الروايات الشفوية؛ سواء ما تلقاه من شيوخه بالسماع مباشرة، أو ما وصله عنهم عن طريق غيرهم بالسند، أو ربما بالوجادة، أو غيرهما من طرق التحمل التي عرفها علماء الحديث ولم يبينها الوارجلاني في تاريخه، وقد أحصيتُ عدد الشيوخ الذين نقل عنهم، والبالغ عددهم 63 فردا. (ينظر الملحق رقم 02)

يتضح لنا من هذا الاحصاء، أن الوارجلاني كان على حظ كبير من المعرفة التاريخية، وذلك من خلال تنويع مصادره، حيث لم يعتمد على مورد واحد؛ كما يتبين أنه أكثر من رواياته في الأخبار والسير

[1]- تم استخراج النسبة من خلال مجموع المصادر التي اعتمد عليها الوارجلاني، وعددها 67 مصدرا، وأحصينا منها 60 مصدرا شفويا.

[2]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 281.

عن شيخه أبي الربيع سليمان بن يخلف، وهو ما جعل البعض يعتبر تاريخ الوارجلاني وكأنه تاريخ أبي الربيع[1].

إضافة إلى ما كنا قد ترجمنا له في شيوخه سابقا، سنأتي على ترجمة لأهم المصادر التي اعتمدها (نقل عنها أكثر من 4 روايات)، وهم:

أ- يعقوب بن أبي القاسم بن يونس ابن وزجين الويليلي: من أعلام بني ويليل أخذ العلم عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، ويعتبر من الرواة البارزين الذين جمع عنهم أبو زكرياء، كما روى الدرجيني عنه أيضا[2].

ب- سليمان بن موسى بن عمر: يكنى بأبي الربيع؛ معلوماتنا قليلة جدا عنه؛ وذكره أبو زكرياء في ترجمته لشيخ وارجلان الشهير أبو صالح تبركت الياجراني، يبدو أنه عاش على الأرجح في القرن الخامس، والأرجح أنه هو نفسه سليمان بن موسى الياجراني البربري[3].

جـ- محبوب بن أبي عبد الله السدراتي: كنيته أبو سفيان؛ يقول عنه الشماخي: "كان شيخا مذكورا أخذ العلم وأُخذ عنه ورُوي عنه"[4]؛ تتلمذ على يد واضع نظام العزابة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي، وأبي عمران موسى بن زكرياء، نقلت عنه آراء فقهية، وروى عنه أبو زكرياء في سيره[5].

د- ماكسن بن الخير: كنيته أبو محمد؛ عالم مشهور، أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر، وأبي سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني، وأبي محمد عبد الله بن مانوج، ساهم بدور بارز في صد الهجومات على أهل أريغ، وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، كان كثير الأسفار في الحواضر الإسلامية مشرقا ومغربا، ولم يترك مؤلفات غير أن فقهاء الإباضية نقلوا كثيرا من أقواله وفتاويه، توفي سنة 491هـ/1097م[6].

قال عنه الدرجيني: "ومنهم الشيخان أبو محمد ماكسن بن الخير وأبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسيانيان -رحمهما الله- كانا ممن تنسب إليهما أنواع من الفضائل، وترفع إليهما عند وقوعها المسائل

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 16.

[2]- بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 471.

[3]- ليفيتسكي، المؤرخون، ص 64.

[4]- الشماخي، المصدر السابق، ص 495.

[5]- إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 347. ليفيتسكي، المؤرخون، ص 96. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 355.

[6]- الوسياني، المصدر السابق -مقدمة المحقق-، ص 128-129. ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 52. إبراهيم أعزام، المرجع السابق، ص 315-316. بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 352.

وترجى بدعائهما عند الله الوسائل، ويستشفى برأيهما متى نزلت الخطوب النوازل، وتيممهم للبركة القنابل والقبائل، وممن يفصل الخطة لما أعيت كل فاصل، فليس منها إلا عائل"[1].

2.2- كتب ووثائق تاريخية:

كان مما اعتمد عليه الوارجلاني أيضا من مصادر، تلك الكتب والمكاتبات التي أشار إليها في أثناء حديثه عن أخبار وتراجم الإباضية، والتي تتمثل فيما يلي:

أ- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: كنيته أبو محمد؛ الإمام المفسر، والفقيه المدافع عن العقيدة الإسلامية، العلامة الكبير ذو الفنون، الكاتب، صاحب التصانيف، أصله من مرو العظمى (الشاهجان) وولد بالكوفة[2]، نزل بغداد وصنف وجمع، يقول عنه الذهبي: "والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين عنده فنون جمة، وعلوم مهمة"[3]، توفي سنة 276هـ/889م[4]، من مؤلفاته: كتاب أعلام النبوة[5]، غريب القرآن، غريب الحديث، كتاب المعارف، كتاب مشكل القرآن، كتاب مشكل الحديث، وغيرها كثير.

ذكره الوارجلاني في الفصل الثالث "ذكر فضائل الفرس من العجم" أثناء حديثه عن فضل الفرس، فيقول: "ونظرنا في كتاب أعلام النبي صلى الله عليه وسلم لابن قتيبة"[6].

ب-عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ: كنيته أبو عثمان؛ العلامة المتبحر، ذو الفنون، صحاب التصانيف، روى عن أبي يسف القاضي، وثمامة بن أشرس، كان من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، يقول عنه الذهبي: "كان ماجنا قليل الدين، له نوادر... كفانا الجاحظ المؤونة، فما روى من الحديث إلا النزر اليسير، ولا هو بمتهم في الحديث، بلى في النفس من حكاياته ولهجته، فربما جازف، وتلطخه بغير بدعة أمر واضح، ولكنه أخباري علامة، صاحب فنون وأدب باهر، وذكاء بيّن، عفا الله عنه"[7]، توفي سنة 255هـ/869م من مؤلفاته: الرد على أصحاب الإلهام، والرد على المشبهة، والرد على النصارى،

---

[1]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 429.

[2]- ابن النديم، المصدر السابق، ص 105.

[3]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 297.

[4]- نفسه.

[5]- ابن قتيبة، **أعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم**، تح: محمد بن دليم بن سعد القحطاني، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2020.

[6]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 44.

[7]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص 527.

فضائل الترك، الرد على اليهود[1]، وذكر الوارجلاني كتابه الذي يحمل عنوان "الوعظ والزهد"، ولكننا لم نعثر على مؤلف للجاحظ بهذا العنوان، إلا ما جاء في الجزء الثالث من كتاب البيان والتبيين "كتاب الزهد"[2]؛ وقد نقل الوارجلاني عنه وعن ابن قتيبة رواية مفادها: "أن إيوان كسرى اهتز وسقط منه أربع عشرة شُرافة ليلة ولد بها النبي صلى الله عليه وسلم ..."[3].

جـ- مجموع الحديث: يبدو أن مؤرخنا قد نقل حديثا من كتاب مجهول، وذلك في قوله: "وذُكر في الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لله كنزا ليس من ذهب ولا فضة ولكن من ظهور أبناء فارس"[4]؛ وقد علق المحقق بأنه يقصد بالكتاب "مجموع الحديث"، والحديث تخريجه بهذا اللفظ غريب؛ إذ لم نقف له على أثر لا في المدونات الإباضية ولا في السنية، غير أنه ورد بمعان مقاربة وألفاظ مغايرة؛ ومن ذلك ما أخرجه السيوطي عن علي -رضي الله عنه- قال: ويحا للطالقان، فإن لله تعالى فيها كنوزا ليست من ذهب ولا من فضة، ولكن بها رجال عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي آخر الزمان[5].

د- أبو عبيد البكري: أورد الوارجلاني رواية للبكري حول موضوع فضائل البربر[6]، وقد تتبعنا هذه الرواية ولم نجدها فيما وصلَنا من مؤلفات أبو عبيد المسالك والممالك أو المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.

هـ- الرسائل والمكاتبات:

تنوعت المصادر التاريخية التي اعتمد عليها مؤرخنا، فلم تقتصر على المؤلفات التاريخية فحسب، بل شملت كذلك الرسائل والمكاتبات رغم محدودية عددها؛ فقد حرص الوارجلاني على نقل هذه الرسائل بنصها الكامل، الأمر الذي أتاح لنا الوقوف على 4 رسائل، أولاها: جواب كتبه إباضية مكة بعد اجتماعهم وتشاورهم، وكان من بينهم أبو عمر عمرو الربيع بن حبيب، وأبو غسان محمد بن العمري الغساني، وكان هذا ردا على الرسائل التي أرسلها ابن فندين إلى المشرق يعترض فيها على تولية الإمام

---

[1]-البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت 463هـ/1072م)، **تاريخ بغداد**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج14، ص 124. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص 413-415.

[2]- الجاحظ، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت. ج3، ص 85 وما بعدها.

[3]-أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 44.

[4]- نفسه، ص 49-50.

[5]- السيوطي، **الجامع الكبير**، تح: مختار إبراهيم وعبد الحميد محمد ندا وحسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ج17، ص 767.

[6]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 55-56.

عبد الوهاب[1]، والرسالة الثانية؛ فهي من الإمام عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بحيّز طرابلس يحثهم فيها على التوبة والالتزام بالشرع، ونبذ الافتراق بعد وفاة وزيره وعامله على طرابلس السمح بن عبد الأعلى[2]. أما الرسالة الثالثة؛ فهي لأبي القاسم يونس بن أبي زكرياء كتبها إلى أبي ميدول، وهي من الحجم الصغير لم تتجاوز 4 أسطر[3]، بينما الرسالة الرابعة والأخيرة؛ فقد جاءت قصيرة جدا، وهي لامرأة من نساء القيروان كتبتها إلى الإمام أبي الخطاب تشكو إليه ظلم ورفجومة؛ ويروي لنا مشاهد من ردود فعل الإمام، ومدى تأثره بتلك الرسالة التي أبكته، وحملته على الاستعداد للحرب[4].

3.2- الآيات القرآنية والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين:

سجلت سير الوارجلاني آيات قرآنية في مواضع قليلة، وذكر للأحاديث وآثار الصحابة والتابعين، أغلبها يرويها مشافهة من حفظه بدون سند ولا مصدر محدد، وهذا النوع من المصادر يُعبر بوضوح عن المرجعية الدينية لدى مؤرخنا، وعن ثقافته الشرعية في تحليله وتدوينه للتاريخ الإباضي.

نلاحظ استخدامه للآيات القرآنية في مواضع محددة، منها: حينما ذكر فضائل الفرس من العجم، أورد حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم، يتحدث عن سلمان الفارسي، فذكر هذه الآية[5]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[6].

كما استشهد بالآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[7]، وذلك عندما تحدث عن أخلاق المسلمين والنهي عن سوء الظن[8]، وأيضا ذكر الآية[9]:

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 93-94.

[2]- نفسه، ص 120-121.

[3]- نفسه، ص 325.

[4]- نفسه، ص 65-66.

[5]- نفسه، ص 49.

[6]- سورة المائدة، الآية 54.

[7]- سورة الحجرات، الآية 12

[8]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 301.

[9]- نفسه، ص 348.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] وهو يناقش إحدى المسائل الفقهية، وفي استشهاد آخر يتحدث في موضوع الساعة أورد الآية[2]: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[3]، ومثل هذه الآيات التي وردت بكثير في كتاب السيرة.

وفي السياق ذاته نجده قد استند أيضا إلى بعض التفاسير القرآنية التي لم يذكر اسمها ولا مؤلفها، وذلك لما فسّر قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4]، حيث قال: "وذكر بعض المفسرين...، فقال بعضهم: هم بنو حنيفة، وقال بعضهم: الفرس"[5].

أما الأحاديث النبوية فقد جاءت بعدد معتبر، حيث وضع لها المحقق فهرسا وأحصاها في ستة عشر حديثا نبويا، وقد رواها الوارجلاني من محفوظاته على ما يبدو، نذكر منها: رواية زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا وقصها على أصحابه، فقال: رأيت غنما سوداء خالطها غنم بيضاء فأولتها أن العجم يدخلون الإسلام وسيشاركونكم في نسائكم وأموالكم، فتعجبوا من ذلك وقالوا: العجم يا رسول الله، فقال: أي والذي نفسي بيده لو أن الدين متعلق بالثريا لتناولته رجال من العجم وأسعدهم به فارس[6]، وحديث: "إذا غابت الثريا فلا يدخل الزرع إلا ثلاثة: ساقية أو واقية أو ناقية" الذي أورده الوارجلاني رواية عن أبي خزر أثناء حواره مع أبي تميم[7]، وأيضا في معرض تناوله لسيرة أبي نوح، ذكر أنه قال حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في رده على أحد النُكّار، حيث قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جُبلت هذه القلوب على حب من أحسن وبغض من أساء إليها"[8]، وأخيرا حديث "لا

---

[1]-سورة الأحزاب، الآية 56.

[2]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 384.

[3]- سورة القمر، الآية 46.

[4]- سورة الفتح، الآية 16.

[5]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 51.

[6]- نفسه، ص 51-51.

[7]- نفسه، ص 216.

[8]- نفسه، ص 231.

يكوننّ أحدكم إمعّة: أنا مع فلان إن آمن آمنت وان كفر كفرت"[1]. والأمثلة كثيرة في هذه النصوص الشرعية.

أما الآثار المروية عن الصحابة والتابعين، فقد استشهد بها في حكايته عن أخبار فضائل الفرس والبربر، ففي الصحابة، ذكر أثرا طويلا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، رواه ابن دأب الليثي[2]، وأورد أثرين آخرين عن عائشة رضي الله عنها، ففي الأول؛ أنه ذات يوم دخل رجل من البربر وهي جالسة ومعها نفر من المهاجرين والأنصار، فقامت عائشة عن وسادتها فطرحتها للبربري دونهم، فانسل القوم غضابا... ثم ذكرت –رضي الله عنها– حديثا مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم[3]، وأما الأثر الثاني؛ فقد أبصرت صبيا له ذؤابتان ذا جمال وهيأة، فقالت: من أي قبيل هذا من السباء؟ قالوا: من البربر. قالت عائشة: البربر يقودون الضيف ويضربون السيف ويلجمون الملوك لجام الخيل اللجم"[4].

وأيضا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حين قدم عليه قوم من البربر من لواتة أرسلهم إليه عمرو بن العاص، وذكره مطولا[5]، ونفس الأمر بالنسبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد بلغه –أي الوارجلاني– عن رجل من ذرية أبي بكر أنه قال: "قال علي بن أبي طالب: يا أهل مكة، يا أهل المدينة، أوصيكم بالله وبالبربر خيرا، فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعد اذ تضيعونه ..."[6]؛ بينما آثار التابعين من العلماء، فقد سجلت الروايات السيرية رواية واحدة عن الحسن البصري –رحمه الله– يقول فيها: "المؤمن في الدنيا غريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها للناس"[7].

[1]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 383.

[2]– نفسه، ص 50.

[3]– نفسه، ص 52.

[4]– نفسه ص 56.

[5]– نفسه، ص 53.

[6]– نفسه، ص 55.

[7]– نفسه، ص 382.

المبحث الثاني: منهجه في النقل وطبيعة مادته التاريخية:

1- منهجه في النقل والإسناد من مصادره:

1.1- الشكل العام لمروياته وأصالتها:

إنّ مسألة إثبات أصالة الروايات التي أوردها الوارجلاني تظلّ إشكالية قائمة؛ لسببين رئيسين: أولهما: غياب أغلب المصادر التي استند إليها في نقل رواياته، وحتى تلك التي نعرف أسماء رواتها، فإننا نجهل مؤلفاتهم، ويؤكد ليفيتسكي هذا الرأي؛ حيث يرى أن أبا زكرياء نادرا ما يذكر مصادره، ومع ذلك فقد اعتمد في كتابة تاريخ الأئمة بتاهرت في النصف الأول من القرن 3هـ/9م على مؤلف مجهول[1]، وغالب الظن يكون قد اقتبس عن كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير[2]؛ بينما نقل رواياته عن سير أعلام الفترة ما بين القرنين 4-5هـ/10-11م على الأرجح عن خاله أبي حمزة إسحاق بن إبراهيم، وأبي الربيع سليمان ين يخلف[3]؛ وثانيهما: هيمنة الطابع الشفوي على مجمل مادته التاريخية، والتي سيبرز فيها -بلا شك- أسلوبه الخاص، وهذه العوامل مجتمعة تجعل من العسير الجزم بمدى تدخله في النصوص التي رواها أو استشهد بها.

لكنه بإمكاننا التثبت في هذا من خلال البحث العميق؛ والرجوع إلى مؤلفات بعض شيوخه -إن توفرت- الذين تتلمذ عليهم أو صرّح بالنقل عنهم، أمثال: خاله إسحاق، وأبي الربيع سليمان بن يخلف، أو مصادره المحتملة ككتاب ابن الصغير أو غيرهما، والتحقق من مستوى تدخلات الوارجلاني في اقتباساته عن هذه الموارد التاريخية إن ثبت ذلك، وهذا العنصر لوحده يحتاج إلى دراسة مستقلة لا يتسع لها المجال في هذا البحث.

أما أسانيد رواياته فقد جاءت على نوعين مختلفين؛ أسانيد متصلة، وهي قليلة جدا، مثل الرواية التي يقول فيها: "وحدّث أبو الربيع سليمان بن يخلف عن أبي عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنها، عن الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل، رضي الله عنه، أنه إذا سئل عن المشهور..."[4]، وروايات أخرى أسانيدها منقطعة مثل؛ قوله: "حدّث أبو الربيع سليمان بن يخلف عمن حدثه أن عبد الرحمان بن رستم

---

[1]- ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 84.

[2]- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 99.

[3]-ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 84.

[4]-أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 241.

لحقه بسوف أجج ستون شيخا من مشائخ الإباضية"[1]، ومثل هذا أيضا في قوله: "وكان أبو الربيع يروي عن أبي محمد ويسلان عن أبيه أبي صالح..."[2].

2.1-طرق الإسناد في مروياته:

لم تختلف كثيرا طبيعة الكتابة التاريخية لدى مؤرخنا عن مناهج التدوين في عصره، والتي تميزت بطغيان نزعة العلوم الشرعية وانسحابها على الفكر التاريخي؛ حيث أثرت على كتاباته فجاءت بطريقة الإسناد وفقا لما درج عليه علماء الحديث، فاستخدم في رواياته صيغا للتحمل تختلف ألفاظ أدائها ودرجاتها تبعا لمدى قربه أو بعده عن الشيوخ الذين روى عنهم، ويمكننا توضيح ذلك فيما يلي:

عبارات التحمل العالي: تفيد السماع مباشرة من شيوخه، وهذا يكون قد حصل له مع شيخه أبي الربيع الذي تتلمذ على يديه، ومنه تشكلت المادة التاريخية في كتابه، فجاءت عبارات مثل: "أخبرني"، "حدثني"، "ذكر لي"، "حدثنا"؛ وقد أحصينا له خمس روايات بهذا النمط يمكننا أن نستشهد بها، وهي:

الرواية الأولى؛ قوله: "أخبرني غير واحد من أصحابنا أن عبد الوهاب رضي الله عنه لما ولي أمور المسلمين..."[3]، وأيضا قوله: "أخبرني من أثق به أن الشيخ قال: حين طلعنا إليه تلك المرّة لنوادعه..."[4].

الرواية الثانية: قوله: "أخبرني يعقوب بن أبي القاسم أن عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه، وجه إليه ذات مرة، فقال للرسول: هو في جنانه، فإن هذه أيام نوبته..."[5].

الرواية الثالثة: قوله: "حدثنا بعضهم أن الحجاني لما وصلت رسل سيده بالكتب متواترة"[6]، وهذا الإسناد للمجهولين لم يذكر رواته الذين نقل عنهم، على غير عادته في قوله "أصحابنا".

الراوية الرابعة: أخبرنا أبو الربيع سليمان بن يخلف -رضي الله عنه- أن أبا صالح الياجراني كان رجلا مجتهدا في العبادة؛ ذا شهرة في الخير..."[7].

الرواية الخامسة: ذكر لي محمد بن عطية المزاتي أنه قرأ كتابا على الشيخ أبي عمران، وكان الشيخ به رمد..."[1].

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 76.

[2]- نفسه، ص 336.

[3]- نفسه، ص 92.

[4]- نفسه، ص 372.

[5]- نفسه، ص 308.

[6]- نفسه، ص 162.

[7]- نفسه، ص 310.

عبارات التحمل بالوجادة: حملت هذه الألفاظ دلائل تفيدنا بإمكانية نقله من بعض الكتب، أو ربما أخبره به آخرون؛ خاصة ما تعلق بالحوادث التاريخية في زمن الرستميين، ويُلاحظ أنه أكثر في تاريخه من لفظتي: "بلغنا" و"حدّث"، إضافة إلى الألفاظ الأخرى مثل: "ونظرنا في كتاب"، "ذكر"، "ذكر غير واحد"، "روي"، "قال"، "يقال"، "حدّث غير واحد"، "ذُكر عن"، "حكى"، "روى"، "حُكي"، "وقيل عن"، ولتوضيح ملامح طرق إسناده في هذا الباب، نورد بعض النماذج فيما يلي:

النموذج الأول؛ يصرح بنقله مباشرة عن أحد مصادره، ويستخدم عبارات تدل ربما على تصرفه في الاقتباس، من ذلك قوله: "ونظرنا في كتاب أعلام النبي صلى الله عليه وسلم لابن قتيبة"[2]، لكنه يعدل عن ذلك في نقله عن الجاحظ، فيقول: "وذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ"[3].

النموذج الثاني؛ يذكر أثرا عن عائشة –رضي الله عنها– دون إشارة إلى المصدر، فيقول: "وبلغنا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها"[4]. وقد أشرنا إلى هذا الأثر سابقا.

النموذج الثالث؛ يحيل الإسناد إلى غيره من المجاهيل، فيقول: "وذكر بعض أصحابنا أنه لما قدم أبو الخطاب مع أصحابه من أرض المشرق إلى طرابلس..."[5]، أو في قوله: "حدّث غير واحد من أصحابنا أن أبا الخطاب لما سمع بإقبال ابن الأشعث إليه..."[6]، وأيضا في قوله: "ذكر عامّة أصحابنا أن عامل عبد الوهاب رضي الله عنه..."[7]، وعبارة "أصحابنا" يقصد بها الإباضية، وهي من الألقاب التي تناقلتها المدونات الإباضية قديما، ومثل ذلك أيضا: أهل الحق، أهل الاستقامة، أهل الدعوة، والمسلمون[8]، وهذا الإسناد يُشعر بأنه سمع الخبر عند غير واحد، أو يوحي بنوع من الاتفاق على حيثيات الرواية.

---

[1]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 345.

[2]– نفسه، ص 44.

[3]– نفسه.

[4]– نفسه، ص 52.

[5]– نفسه، ص 61.

[6]– نفسه، ص 74.

[7]– نفسه، ص 124.

[8]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، هامش 2 ص 228.

النموذج الرابع؛ يسند الخبر إليه بصيغة التضعيف في رواية له عن حادثة بعيدة زمنيا عن عصره، فيقول: "وبلغنا أن عبد الرحمان بن رستم رضي الله عنه قال عبد الرحمان بن حبيب قبل ذلك..."[1]، وهذا يُحتمل أنه قرأه في كتاب معين أو من إجازاته عن شيوخه.

النموذج الخامس؛ قد يورد الخبر بصيغة التضعيف، وبدون إسناد في مثل قوله: "وحُكي أن أبا زكرياء فصيل بن مسور شيع رجلا..."[2]، وأيضا في قوله: "وذكر عن مشائخ طرابلس..."[3]، ومثله أيضا في قوله: "وقيل عن رجل أنه قال..."[4].

النموذج السادس؛ يصرح مباشرة بنقله للرواية من كتاب مجهول، خالية من الإسناد في قوله: "وذُكر في كتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

النموذج السابع؛ يروي مباشرة عن شيخه بصيغة الاحتمال أو الانقطاع، وهو إسناد غير متصل، في مثل قوله: "أبو الربيع قال"[6]، وقد أكثر من هذا النوع الاسنادي في الجزء الثاني من سيره.

النموذج الثامن؛ يورده الرواية مبهما وبسلسلة منقطعة السند، فيقول: "وذُكر لنا أنه من الجبل سار إلى الحج...."[7]، وقد يعود للسند، فيؤكد على هذا الإبهام مرة أخرى، فيقول: "كما ذُكر لي"[8].

كل هذه النماذج السابقة، تدلنا على أن طرق الإسناد في نقل مرويات الوارجلاني برزت بشكل واضح، حيث كان على حظ وافر من مناهج المؤرخين المحدّثين، وهو ما يشير إلى عراقة منهج التدوين التاريخي عند الوارجلاني.

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 75.

[2]- نفسه، ص 374.

[3]- نفسه، ص 341.

[4]- نفسه، ص 346.

[5]- نفسه. سورة المائدة، الآية 105.

[6]- نفسه، ص 343، ص 345.

[7]- نفسه، ص 305.

[8]- نفسه.

2- الجوانب التاريخية في السيرة (طبيعة المادة التاريخية):

إن تتبع طبيعة المادة التاريخية الواردة في تاريخ السير يُلاحظ أنها تتميز بكونها موجَّهة في الأساس لخدمة المذهب والطائفة الإباضية؛ الأمر الذي جعل مضمونها يقتصر على موضوعات ذات صلة مباشرة بهذا الإطار الديني والفكري المحدود؛ فقد انصبت معظم النصوص والروايات على أخبار الرستميين وتراجم المشايخ، دون التوسع في تناول الجوانب العامة للتاريخ الاقتصادي أو الاجتماعي.

أما ما ورد من إشارات إلى بعض الحوادث الجانبية، فقد جاء في الغالب عرضا أو بهدف الإضفاء الأسطوري والتهويل أكثر من كونه توثيقا للأحداث، ومع ذلك يمكن تمييز بعض الملامح والعناصر التاريخية في هذا المؤلَّف، وتتمثل فيما يلي:

1.2- المواضيع الثقافية والدينية والفكرية:

أفادنا الوارجلاني بأخبار دخول المذهب الاباضي إلى بلاد المغرب، والدعاة الذين كان لهم الفضل في ذلك، فذكر جهود سلمة بن سعد وعكرمة مولى ابن عباس، حيث كان الأول يدعوا إلى الإباضية، بينما الثاني يدعوا إلى مذهب الصفرية، وينقل رواية عن سلمة تظهر حماسه الشديد في قيام أمر الإباضية وغلبتهم على المغرب، فيقول: "قال: سمعت سلمة يقول: وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب يوما واحدا من غُدوة إلى الليل فما أبالي ضربة عنقي"[1]، ويواصل مؤرخ الإباضية تسجيلاته، فيذكر لنا أسماء حملة العلم الخمسة[2].

وفي موضوع آخر جاءت التراجم في صفحات عديدة، وشملت الأئمة الرستميين وبعض مشائخ الإباضية؛ فنجده يروي تفاصيل أخبار الإمام عبد الرحمان بن رستم بن برهام بن كسرى الملك الفارسي، ويرى الوارجلاني أن أباه كان على علم مسبق بأن ذريته سيكون لهم شأن في المغرب[3]، وتفاصيل أخرى حول نشأته في القيروان، ثم رحلته إلى البصرة للتعلم والتتلمذ على يدي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي؛ فيقول في ذلك: "ونشأ عبد الرحمان بن رستم، فلما بلغ مبلغ الرجال وقرأ وأفصح، نظر إليه رجل من أهل الدعوة فقال له: يا فتى، إن كنت طالبا ما أراك تطلبه فاقصد إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، تجد عنده ما رجوت، فسار عبد الرحمان بن رستم إلى أبي عبيدة، فالتقى مع النفر الذين

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 42.

[2]- نفسه، ص 57.

[3]- نفسه، ص 58.

ذكرنا، فصافحهم وأخبره أنهم من أهل المغرب، أنهم أرادوا تعلم العلم؛ فأجابهم إلى ذلك ومكثوا عنده سنين عدّة"[1].

وكذلك الحال بالنسبة لأبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، الذي يذكر بأن له ديوان وكتب قد أدركها بعض مما هم في عصر الوارجلاني، وقد كان له مبلغا كبيرا في العلوم، وكان رجلا من أهل الدعوة، وتفاصيل أخرى عن حياته[2].

أفادنا الوارجلاني ببعض صور الحياة الفكرية، من خلال المناظرات والسجالات العلمية التي كانت تحدث بين بعض المشايخ حول مسائل فقهية وعقدية، ومن ذلك ما رواه في الافتراق الرابع للإباضية، حكاية عن أبا سلمان يعقوب بن أفلح، وما جرى له مع أهل وارجلان، وشيخهم أبا صالح جنون بن يمريان، حول مسائل عدة، منها: تنجيس الفرث، تحريم الجنين بعدما ذبحت أمه، عرق المجنب، عرق الحائض، دم العروق، إلى غير ذلك من المسائل[3].

كما هو الحال في مناظرة أبي نوح بين يدي أبي تميم التي أفرد لها فصلا خاصا[4]، ومن ذلك أيضا ما ذكره من انتشار المذهب النكاري في إفريقية، وجهود أبي الربيع بن زرقون في رد أهلها إلى مذهب الوهبية[5]، ويمكن أن نضيف إلى هذا تلك المشاحنات الفكرية التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى؛ من ذلك ما ذكره من أن رجلين اختصما على مصحف تفسير هود بن محكم الهواري، حتى بلغ تشاجرهما قبيلتهما وكادت الثورة تقوم بينهم[6]. وأحداث كثيرة تبين معالم الحركة المذهبية في بلاد المغرب.

كما تضمنت السير الوارجلانية روايات عن تاريخ الحركات المذهبية التي انشقت عن الإباضية؛ ومنها –على سبيل المثال– الفرقة السكاكية التي أوردها فيما يسميه بالافتراق الخامس، حيث أشار إلى معتقداتها السبع، والوقائع التي رافقتها، وما جرى من مناظرات مع بعض المشايخ[7].

---

[1]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 59.

[2]– نفسه، ص 183.

[3]– نفسه، ص 182.

[4]– نفسه، ص 212.

[5]– نفسه، ص 184.

[6]– نفسه، ص 359.

[7]– نفسه، ص 193.

لم يغب عن ذكر الوارجلاني ما حدث في تاهرت من جراء دخول الفاطميين لها، فقد روى أن أبو عبد الله الحجاني وجد فيها صومعة مملوءة كتبا، فاستخرجها وأخذ منها كل ما يصلح للملك والحساب، ثم أضرب النار في بقيتها[1].

أما المنظومات الشعرية وأخبار الشعراء، فقد كانت قليلة جدا، ومثال ذلك ما تعلق بفضائل الفرس، فقد أخبر بأن عبد المسيح بن عمرو بن خيان أحد رسل الملك بن النعمان بن المنذر، أنشد يرتجز ويقول[2]: (من البحر الكامل)

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ الْيَمَنْ أَمْ فَانٍ أَلَمَّ بِهِ شَأْوُ الْعِنَنْ

يَا فَاضِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ

وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجَنْ أَبْيَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ

تَجُوبُ فِي الْأَرْضِ عَلَنْدَاتٍ شَزَنْ تَرْفَعُنِي وَجْنٌ وَتَهْوَى بِي وَجْنُ

صورت لنا سير الوارجلاني الواقع العام للإباضية ومدى التزام الناس بمذهبهم، حيث يروي في حولياته عن رحلته مع شيخه أبي الربيع سنة 462هـ/1070م، فيما قاله: "وانصرفنا إلى تمولست فأخذ يحدثنا أخبار الأولين وأحاديثهم وسيرهم ومناقبهم، وما حل بالناس من ذهاب الخير وانقراض العلم، حتى قال: انقطعت آثارنا من المغرب"[3]، وفي موضع آخر ينقل عن أبي يعقوب يوسف بن الشيخ أبي عبد الله انه انتقل إلى وارجلان في آخر عمره وبها توفي، وكان يقول: "لم يعجبني ما رأيت من أهل هذا الزمان وليس على هذه السير أدركنا أوائلنا..."[4].

2.2- المواضيع السياسية:

أخذت الجوانب السياسية وارتداداتها الحظ الأوفر من تاريخ أبي زكرياء؛ وشملت تاريخ الإباضية في المغرب، بداية بتأسيس دولة الرستميين وما تبعها من أحداثها إلى سقوطها، حيث أفادنا بأخبار الأئمة الرستميين، أمثال: عبد الرحمان بن رستم، وأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح، وأبي حاتم وولايته، وعبد

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 163.

[5]- نفسه، ص47.

[3]- نفسه، ص 368.

[4]- نفسه، ص 376.

الوهاب، وأفلح، وغيرهم؛ فجاءت رواياته في الأئمة مازجة بين التراجم والموضوعات، إضافة إلى بعض المحطات الحاسمة في تاريخ الإباضية؛ مثل واقعة مغدامس، ومقتل أبي حاتم وأصحابه، ووقعة مانو، وما آلت إليه أحوال المذهب من افتراقات فصل فيها واحدا واحدا.

كما أرّخ لأخبار العبيديين ودخولهم لأرض المغرب، ثم رجوع المعز إلى مصر، وما تبع ذلك من حوادث لها علاقة بالإباضية؛ كما تتبع مسار أبو عبد الله الشيعي الذي أطلق عليه لقب الحجّاني، وغيرها من الأحداث التي رافقت صعود نجم عبيد الله المهدي، وما كان للإباضية من تدهور حالهم ومواقفهم من خلال الثورات، خاصة ثورة أبي يزيد النكاري؛ فمما قال فيه: "ثم إن عدو الله سار يريد القاسم بالقيروان؛ فكل قرية أو مدينة يمر بها في طريقه حاربها وسبى ذريتها وغنم أموالها كفعل نافع بن الأزرق وغيره من الخوارج"[1].

3.2-المواضيع الاجتماعية والاقتصادية:

أفادنا أبو زكرياء عن عادات أهل المغرب، ووصف نشاطاتهم الزراعية؛ حيث يقول: "وكانت عامة أرض "ريصو" عامرة بأشجار صغيرة كما غرست، وكانت عاداتهم أن من أراد أن يغرسها أرضا يحفها بأغصان يجعل لها أمكنة، فيغرزها في تلك الأمكنة ويوصل ما بينها بالحبال والخيوط؛ لئلا يفسدها الوحش"[2].

كما له إشارات قليلة حول الضرائب المفروضة، فقد أخبرنا بأن ابا يزيد النكاري لما بلغ بعسكره نواحي مدينة قابس نزل بجانبها وقومها بكسر درهم وأمر أصحابه بالنهب والأكل والفساد، ومضى على هذا الحال زمانا، ثم لما أراد الانصراف أعاد تقدير الضرائب فزاد فيها قيمتها[3]؛ كما أفادتنا السير بالسياسة المالية لبعض العمال الفاطميين، وأن فرض الضرائب كان يتم في بعض المناطق بالتشاور مع أهلها، ففي رواية للوارجلاني يقول فيها: "وبلغنا أن عامل المسودة جعل في بني يهراسن من الخَراج شيئا معلوما، فقال أبو زكريا فصيل بن أبي مسور: أنهم لا يقدرون على ذلك. فقال له العامل: كم تقدرون؟

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 172.

[2]- نفسه، ص 148.

[3]- نفسه، ص 173.

قال له أبو زكرياء: أقل من ذلك ..."[1]، إضافة إلى هذا فقد كان أبو حاتم بن لبيد –والي طرابلس– يرسل الصدقات للإمام عبد الرحمان بن رستم، قبل أن يتولى عبد الرحمان الأمور وولاية الظهور[2].

وقد كان للمشائخ الإباضية دور في هذه الأزمات التي تمر بالمجتمع؛ من خلال تثبيت الناس وحثهم على بذل الصدقات؛ فقد روى الوارجلاني عن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور أنه كان يقول: "إذا قحطت الأرض تُنال الجنة بقبضة من طعام، وإذا قحط الإسلام تنال الجنة بكلمة حق، وقحط الإسلام أشد من قحط الطعام"[3].

تابعت روايات السير الأحوال الاجتماعية، ورصدت بعض الآفات السلبية لحاضرة وارجلان، حيث جاء فيها أنه بعد وفاة شيخها صالح جنون بن يمريان، مكث فيها أبو نوح زمنا ورأى تغير أحوال أهلها، فقال: "إني رأيت فيكم ثلاث خصال كلها غير مرضية، أما الأولى: فنكاح السر فيكم ظاهر...، والثانية: أن أحدكم يطلق عبيده ولا يعبأ بهم ولا يأمرهم بطلب معاشهم فينطلقون في أموال الناس...، والثالثة: أنكم أظهرتم بينكم التفرق، فطائفة منكم تقول: مسجدنا ومسجدكم..."[4].

ومن قبيل هذا، صورت لنا السير بعضا من نشاطات جهاز العزابة، خاصة ما تعلق بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط المجتمع؛ ومن ذلك ما رواه الوارجلاني عن شيخه أبي الربيع أنه قال: "سرنا ذات مرة إلى إفريقية بجماعة العزابة وفينا سعيد بن إبراهيم، قال: فخرجنا على حي يُعمل فيه المنكر بالمعازف والمناهي، فقام سعيد الى معزف امرأة فكسره وخرقه، فإذا هي بنت عامل صنهاجة، فلما رأى العبيد والصبيان ذلك قاموا في العزابة يصيحون عليهم"[5].

سجلت الروايات الوارجلانية بعضا من أخبار النساء وما جرى لهن مع القادة والسياسيين؛ ومثال ذلك ما رواه عن بعض أصحابه: أن دوسرا بنت يوسف بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب لما قتل أبوها، خرجت متوجهة مع أخ لها إلى أبو عبد الله الحجاني، وأخبرته بقصة الغدر بأبيها، وكيف واعدته أن تزوجه نفسها فيما لو أخذ بثأرها، ولما نفذ الحجاني ما اتفقا عليه خلفت الوعد وهربت منه[6]، وأيضا ما تضمن أخبارهن في العبادة، ومنهن امرأة تسمى "الغاية"، وهي زوجة أبي القاسم يزيد بن مخلد؛ فقد

[1]– أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 243.

[2]– نفسه، ص 78.

[3]– نفسه، ص 244.

[4]– نفسه، ص 234.

[5]– نفسه، ص 358.

[6]– نفسه، ص 163.

ذكر أنها سمعت أن من قرأ القرآن قراءة السر في الصلاة ولم يحرك به شفتيه أنه يعيد صلاته، فلما كانت من الليل أقبلت على الصلاة فاحتاطت لصلاة سنة في ليلة واحدة[1].

كما حدثنا عن دور العلماء في الحياة الاجتماعية، خاصة في قضايا إخماد الفتن واجتماع الناس حول كلمتهم؛ فقد نقل رواية تفيد أن أهل سجلماسة اختلفوا في مسألة حتى كادوا يقتتلون حولها، فبعثوا رسولين إلى أبي الربيع سليمان بن زرقون يستفتونه فيها، فأفتى لهما بوجه الحق فيها؛ "فاصطلحوا بعدما كادوا أن يقتتلوا"[2]، وقد سجلت السير أيضا صورا عن تلك الفتن الطائفية والتعصب بين المذاهب، خاصة بين النكارية والوهبية، وآثار ذلك على الحياة الاجتماعية، ومنها ما يرويه الوارجلاني من أن رجلا من أهل الدعوة ناظر رجلا من النكار من مدينة توزر، فقال أحدهما لصاحبه: يا حمار، وقال له الآخر: يا ثور؛ فكان هذا سببا في اشتعال حرب بين الطائفتين، وكان بينهم قتال شديد[3].

كما أفاد الوارجلاني بدور المشايخ في الحياة الاجتماعية من خلال مساعدتهم للناس، خاصة في فترات المرض والأزمات؛ ومثال ذلك ما ذكره من أن امرأة سألت أحد المشايخ عن شيء من الزيت تدهن به رأسها وقد ضربها الشعث، فأتى بطنجرة ليجعل لها الزيت، فأعطاها وهو يقول: يا الله، ليس بيننا وبينك نسب تعطينا دون غيرنا، ولكن برحمتك يا أرحم الراحمين[4]. والشواهد في هذا كثيرة نقلتها صفحات السيرة، وهي تؤرخ لمناقب الأشياخ.

سجلت السير الوارجلانية أخبار المغرب في أيام القحط والجوع؛ فقد حكى الوارجلاني عن أهل الجبل أنه مرت بهم شدة من القحط، وقد تمكن بالناس الجوع والهزل[5]؛ وفي السياق نفسه يقدم بعض المؤشرات الاقتصادية تتعلق بأسعار المواد الغذائية في هذه الأزمات؛ حيث يذكر أن الأسعار في جربة كانت أقل من جبل نفوسة[6]، وهناك رواية أخرى تؤكد هذا التباين في حواضر المغرب؛ فقد جاء عند الوارجلاني أن الشيخ أبا زكرياء فصيل بن أبي مسور أرسله أبوه إلى نفزاوة ليبتاع له التمر من بسكرة في سنة ذات جدب وقحط، يقول الوارجلاني: "... فلما وصلها اجتمع بأهلها من بني يزمرتين ومن بها من

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 195.

[2]- نفسه، ص 184.

[3]- نفسه، ص 228.

[4]- نفسه، ص 246.

[5]- نفسه، ص 189.

[6]- نفسه، ص 190.

أهل الدعوة. فعبوا للشيخ جمالا وأوفروها تمرا"[1]، وهنا تؤكد الرواية على صور العلاقات التجارية التي كانت بين هذه الحواضر، ولو في مظهرها الفردي؛ كما أكدت رواية أخرى عن طبيعة المواد التي كانت رائجة بكثرة، وتنتقل بين المدن والأرياف كالتمر؛ فقد رُوى عن محمد بن نود أن عمران بن زيري بعث مع رجل من بني ياجرين حملَ تمرٍ الى أهل البوادي ليبيعه فيهم، وفيها تراب..."[2].

أخبر الوارجلاني عن بعض عادات المجتمع، وهي من الحيل التي كانت رائجة، وخاصة بين اليهود؛ فقد روى خبرا مفاده أن أبا تميم كان عنده يهودي يعظمه ويعرف قدره، وكان مما جرى بينهما أنه ذات مرة اقترح عليه أن يأخذ نخالة الشعير وينقعها في الماء إلى الصباح، ثم يشرب من مائها ويغسل به وجهه؛ حتى يصفر ويظهر أمام الآخرين بأنه مريض[3].

4.2- المواضيع الجغرافية والطبيعية:

ذكر بعض المدن والقرى والمواقع، وأشار إلى تعريفها على طريقة كتب المسالك والممالك، من ذلك حديثه عن موضع يسمى صلاماليك، يقول فيه: "وهو موضع معروف على اليوم"[4]، ويظهر ذلك أيضا في وصفه لقبيلة فطناسة، حيث يقول: "أدركت في فطناسة اثني عشر مسجدا كلها عامرة بالأذان والجوامع والمجالس"[5].

سجلت السيرة الوارجلانية بعض الأخبار الخاصة بالقصور والحصون التي لعبت دورا في الحروب بالمغرب، ومنها القصر المعروف بمنطقة مانو؛ حيث يقول: "ثم إنهم خرجوا وتوجهوا نحو الفاسق فقتلوه بالموضع المعروف "مانو" وهو قصر من قصور الأولين..."[6].

وفي سياق يشبه هذا، فقد أوردت أخبارا عن بعض الأعمال العمرانية التي لها علاقة بالحصون؛ حيث يخبرنا الوارجلاني عن جهود القائد إبراهيم بن أحمد من بني الأغلب في أثناء حديثه عن وقعة مانو، فيقول: "وهو الذي بنى لأهل المغرب قصورا على ساحل البحر من سبتة إلى الإسكندرية؛ وكان سبب ذلك أن أهل الإسكندرية كانوا في المنارة التي عملها ذو القرنين لهم في زمانه..."[7].

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 242.

[2]- نفسه، ص 215.

[3]- نفسه، ص 214.

[4]- نفسه، ص 328.

[5]- نفسه، ص 329.

[6]- نفسه، ص 152.

[7]- نفسه، ص 156.

تناول الوارجلاني بعضا من أخبار الكوارث الطبيعية، وقد جاءت عرضا في أثناء حديثه عن كرامات المشائخ، فقد نقل رواية عن شيخه أبي الربيع انه نزل الجراد على ضيعة الشيخ بتين يسلي، فدعا أبا الربيع وقال: اذهب إلى الضيعة فأقرأ هذه الآية ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[1]، ثم طلب العون من إخوانه الجن، فانكشف الجراد وانقشع من حينه[2]، ومثل هذه الوقائع يمكن توثيقها في الجوانب الاجتماعية أيضا، لكونها تتعلق بدور كرامة الشيوخ في أيام الأزمات والكوارث الطبيعية، وهي من العادات الشائعة وقتئذ في بلاد المغرب الإسلامي.

أوردت السير نصوصا اشتملت على ذم مدينة وارجلان والتشنيع بأهلها؛ من ذلك ما ذكره عن أبي يعقوب يوسف بن محمد أنه شاور أبا عبد الله محمد بن بكر في النهوض إلى زيارة وارجلان، فقال له: "يا يوسف إن ذكر وارجلان مضرة فكيف دخوله"[3]؛ بل وصل الحال إلى تشبيهها بأرض الشيطان؛ فقد نقل رواية عن شيخه أبي الربيع مفادها أن رجلا قدم إلى وراجلان في زمان ظهر فيه الجوامع والأذان والخير والصلاح، فقال في نفسه متعجبا: كيف نجت هذه من الشيطان ووسواسه، قال: فمكث فيهم وخالطهم وعرف سرائرهم، فقال في نفسه: هذا موطن الشيطان الذي استوطن فيه وأطلق العمال في البلدان[4]؛ وكذا ما جاء في الراوية المشتبهة التي ينقلها عن نفسه، بينما ينقلها الدرجيني عن أخيه أبو يحي زكرياء[5].

ومن الغرائب ما أورده الوارجلاني في قصة جوغراف؛ إذ سرد حولها جملة من الروايات التي تبدو أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة، وفيها يقول: وجوغراف فيما ذكر موضع في حمر الرمال ذو مياه كثيرة...[6]، وفي موضع آخر يقول: "وذكر أن أبا جدرون قال: لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع بنو يجرين بأسرهم بتين باماطوس، وفي موضع آخر يقال له إقليم وارجلان، وينقل عن أبي الربيع بن موسى أنه قال: ما أرى جوغراف الذي يذكره المسلمون إلا أريغ نفسه لما انفجر فيه من المياه"[7].

---

[1]- سورة الرعد، الآية 10.

[2]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 325.

[3]- نفسه، ص 336.

[4]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 337.

[5]- نفسه، ص 337. الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 272.

[6]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 377.

[7]- نفسه، ص 378.

وأما عن سبب ذهاب الناس إليها فهو متعلق بظهور الكوارث الطبيعية؛ حيث يقول: "... واعلم أيدك الله، أنما يضطر الناس إلى الخروج إلى جوغراف لكثرة الزلازل والنوازل والبلابل وشدة الأمور؛ فيهربون بدينهم وأنفسهم..."[1].

الواقع أن مؤلَّف أبي زكرياء يجمع بين خصائص كتب السير ذات الطابع المناقبي وكتب الفتاوى، وهو ما يمنحه أهمية بالغة في دراسة المجتمع وأحوال الحياة اليومية؛ فالمادة الخبرية التي يوردها لا تقتصر على مجالس العلم وما يتصل بها من حلقات المشايخ، ولا على ميادين السياسة والحرب فحسب، بل تمتد أيضا إلى الأسواق والطرقات، فتسجل أنشطتهم في التجارة والزراعة، وترافقهم في الإقامة والسفر. كما تعكس هذه الروايات طبيعة علاقتهم بسائر الناس، الذين كانوا يعتمدون عليهم في تدبير شؤون حياتهم اليومية[2].

5.2- مسائل ونوازل فقهية:

ما ميز سير الوارجلاني أنها حوت عددا كبيرا من المسائل الفقهية، والنوازل، والفتاوى التي يمكن توظيفها واستقرائها؛ من أجل الحصول على مادة تاريخية تخص مظاهر الحياة وشؤونها في بلاد المغرب، أو تبين تاريخ الإباضية خاصة، وقد أحصى المحقق ما مجموعه 70 مسألة، رتبها في ملاحق الكتاب.

وعالجت تلك النوازل مجالات عدة؛ حيث اشتملت على مسألة تنجيس الفرث وتحريمه، وتحريم الجنين بعدما ذبحت أمه، وعرق المجنب والحائض، وصوم يوم الشك والزكاة للقرابة، ومسائل الرخص وإبطال السنة وصلاة الجماعة، وطهارة الرجل بالمسح، ومسائل الدين وعتق رقبة في كفارة، والمريض الذي نسي ما حفظ من القران، ومسألة من لم ينصت إلى قراءة الإمام في الصلاة، واخذ الأجر لتعليم القران، وصيام أيام البيض، ورجل زوج ابنته لرجل من المخالفين وغيرها من المسائل[3].

وقد أورد هذه المسائل عن جمع من الشيوخ، ومنهم شيخه أبو الربيع؛ حيث نقل رواية له مفادها أن رجلا من لمطة تاب وأبصر الإسلام ورجع إلى أهل الدعوة في زمان الشيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 381.

[2]- سعد زغلول عبد المجيد، **هامش على مصادر تاريخ الإباضية في المغرب –دراسة لكتاب السير–**، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية، تونس، 1979، ج1، ص 63.

[3]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 406-408.

مسور، يسأل عن نوازله وما فعله في حال جهله: هل يصيب المشرك إذا وحّد وتاب، وهو قبل يصّور الله في قلبه ويوحده ويقر بالجملة؟ فأبى الشيخ أبو زكرياء أن يرخص له في ذلك، وذكر أنه أفتى له بعض العزابة بأنه يصيب مثلما يصيب المشرك[1]؛ كما ذكر عن يحي بن يوسف المديوني رواية مفادها أن ابن يونس بن مرصوكسن قدم ذات مرة من إفريقية، فسأل الشيخ أبي ربيع عن مسائل نزلت عليه في إفريقية، من ذلك: من قال: ملأت فمي في الله، ومن قال: ليس ثم إلا الله يطلع وينزل، ومن قال: صار الله خبزا. فأفتى له ألا يعجل بالبراءة في مثل هذه المعاني التي يحتملها اللفظ[2].

كما تناول الوارجلاني مسائل الخلاف الفقهي بين الإباضية، وعقد فصلا لهذا سماه: "ذكر ما اختلف فيه من المسائل أبو القاسم يزيد بن مخلد أبو خزر يغلى بن داود"، فكان مما اختلفا فيه مسألة الأبوين أيهما أعظم، قال أبو خزر: الأب أعظم حقا لأنه عليه مؤونة، وقال أبو القاسم: الأم أعظم حقا[3]. ومسائل كثيرة ذكرها بالتفصيل.

المبحث الثالث: أشكال الكتابة التاريخية وأسلوب الوارجلاني:

1- اتجاهات الكتابة التاريخية عند الوارجلاني:

يظهر من خلال دراسة كتاب السيرة أنه يجمع بين ثلاثة أنماط كبرى من الكتابة التاريخية، تمثلت في: الموضوعات، والتراجم (السير)، والحوليات، ولأن المادة التاريخية متنوعة نوعا ما، فقد دفعت الوارجلاني إلى هذا التنويع في اتجاهات التدوين في تاريخه.

1.1- منهج أبي زكرياء في كتابة الموضوعات:

يجد المتأمل في السير الوارجلانية تداخلا واضحا بين منهج السير والموضوعات أو الأحداث؛ وهذا يدل على أن الوارجلاني نسج العلاقة بينهما بطريقة جيدة، بحيث تساعد القارئ على ربط الأحداث وتحافظ على تسلسلها التاريخي، ويمكن استقراء مميزات هذا المنهج في النقاط التالية:

أ- الترتيب الزمني للأحداث:

رتّب الأحداث ترتيبا زمنيا، حيث استهل تاريخه بأسباب دخول المذهب الاباضي إلى بلاد المغرب، ثم تدرج في قيام الدولة الرستمية إلى نهايتها ثم سقوطها.

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 335.

[2]- نفسه، ص 346.

[3]- نفسه، ص 340.

ب- استخدام المقدمات والتوطئات التوضيحية:

وضع مقدمات وتوطئات مناسبة لبعض الفصول، وذلك عند افتتاحه لها، ويريد بها التعريف بما سيأتي من الأحداث في الفصل؛ من ذلك ما ذكره في سبب افتراق الإباضية فإنه قدم لهذا الفصل بتوطئة في ستة أسطر وضح فيها هدفه ومضمون فصله، حيث يقول: "... وسنذكر مذهبهم إن شاء الله والرد عليهم فيما خالفوا فيه أهل الحق، ثم بعد ذلك نذكر افتراق الإباضية واحدا واحدا، ونزيد على كل فرقة منهم ما خالفت فيه أهل الحق، ونفرد لذلك كتابا نجمع فيه مقالاتهم إن شاء الله"[1].

ونفس الطريقة نجدها في مستهل الجزء الثاني، لكنه تعامل معه وكأنه جزء مستقل عن الجزء الأول، فجاءت مقدمته طويلة بعض الشيء[2].

ج- الاستطراد وقطع التسلسل التاريخي:

تحمله بعض الاستطرادات على اختراق التسلسل التاريخي وقطع وحدة الخبر، والحديث عن وقائع أخرى ثم يعود إلى الخبر الذي ابتدأه؛ وهنا ينبه القارئ بعبارة "رجع الحديث"، كما فعل في فصل ذكر حملة العلم الخمسة؛ فقد ابتدأه بعبارة: "رجع الحديث إلى ذكر النفر الخمسة الحملة للعلم"[3]، وكان قبله يحدثنا أسباب وقوع مذهب الإباضية ببلاد المغرب، ثم قطعه بأخبار فضائل الفرس والبربر، ليعود مرة أخرى إلى وقائع المذهب الاباضي مستخدما هذا التنبيه.

د- الإغفال المتكرر للأسانيد:

كثيرا ما يخفي السند الذي روى عنه الخبر ويسترسل في سرد الأحداث مباشرة، ويستخدم ألفاظا لا تشير إلى الإسناد عند مستهل سرده للوقائع؛ ومثال ذلك: "ثم إن"[4]، وهي عبارة لطالما استخدمها بكثرة في راويته للأحداث.

هـ- تعدد الروايات دون ترجيح:

عمد الوارجلاني إلى تعدد الروايات، حيث يذكر أكثر من رواية لحادثة واحدة، في أسلوب يدل على تمكنه من سرد الأحداث وتنويع مصادره، ففي حديثه عن تلك المرأة التي طلبت النجدة من الإمام أبي الخطاب، فقد أورد لهذه الواقعة ثلاث روايات متتابعة، حيث جاء في الرواية الأولى: "أن امرأة من

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 91.

[2]- نفسه، ص 281-282.

[3]- نفسه، ص 57.

[4]- نفسه، ص 87، ص 88، ص 92-95.

نساء القيروان كتبت بطاقة إلى الإمام تشكو إليه جور ورفجومة"[1]، أما الرواية الثانية، فيقول: "أن ورفجومة أخرجت امرأة من القيروان وهي تصيح أغيثوني معاشر المسلمين..."[2]؛ بينما الرواية الثالثة، فيقول فيها: "أن امرأة من أهل القيروان ظلمتها ورفجومة وصاحت من القيروان: يا أبا الخطاب أغثني..."[3]، ونفس المنهج نلحظه في حادثة أخرى، يقول فيها: "وذكر بعض أصحابنا أن عددهم خمسون ألفا، وقال بعضهم بل سبعون ألفا"[4]، وأيضا نجده في روايات أخرى[5].

فلا نجده يرجح رواية على أخرى، بل يكتفي بالنقل فقط، وهذا مما يعاب عليه منهج الوارجلاني إذا أضفنا إلى ذلك غياب مصادره؛ مما يحرمنا من المقارنة بين هذه الروايات والترجيح بينها أو الحكم عليها.

و- تنظيم الوقائع وترتيبها:

أبدى الوارجلاني اهتماما ملحوظا في ترتيب الأحداث والموازنة بينها من حيث التقديم والتأخير؛ فكان ينبه القارئ إلى هذا من خلال استخدام عبارات مثل: "ليس هنا موضعه"[6]، أو كقوله: "وسنذكر كيف كان ذلك إذا صرنا إلى موضعه"[7]، وأيضا في قوله: "وسنذكر قولهم والرد عليهم في كتاب افتراق الإباضية"[8].

وقد يوضح هذا مخاطبا القارئ في بداية الفصل عند افتتاحه للحديث عن واقعة معينة، مثل ما ذكره في فصل ثورة أبي يزيد النكاري، حيث يقول: "... وسنذكره لك إن شاء الله في أحاديث ابن زرقون وإنما قصدنا في هذا الموضع خروجه على القاسم بن عبيد الله وإلى ما انتهت به المقادير"[9].

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 65.

[2]- نفسه، ص 66.

[3]- نفسه.

[4]- نفسه، ص 71.

[5]- نفسه، ص 131.

[6]- نفسه، ص 46.

[7]- نفسه، ص 160.

[8]- نفسه، ص 123.

[9]- نفسه، ص 168.

حـ- الميل إلى المبالغة والأسطورة:

وكان مما شحن به تاريخه أخبار الكرامات والأساطير؛ من ذلك ما جاء في روايته عن العباس بن أيوب بن العباس، وكان معاصرا للأمام أفلح بن عبد الوهاب في حديثه عن بعض المعارك حيث قال: "أنه ضرب رجلا بسيفه فطار رأسه، فقال العباس للرأس حين طار: إلى النار، فقال الرأس مجيبا: وبئس القرار، وكان الرجل ممن عرف بالنسك والعبادة قبل ذلك"[1].

هذه الرواية وغيرها جعلت من تاريخ الوارجلاني مادة مفعمة بالعواطف المذهبية التي قد تصرف المؤرخ عن الحقيقة التاريخية، والملاحظ أن هذا المنهج شمل أيضا التراجم.

2.1- منهج أبي زكرياء في التراجم:

إن التاريخ عند الوارجلاني هو تاريخ الأئمة وسيرهم؛ ولأن الدولة الرستمية دولة مذهبية، فإنه لا تكاد تجد فرقا جوهريا أو منطقة فاصلة بين تراجم الأئمة والمشائخ والأخبار والوقائع الأخرى التي رافقت تأسيس دولتهم، وهذا ما يجعلنا نميل إلى التأكيد على المصطلح الأشمل وهو السير بدلا من التراجم؛ فالسير تتناول حياة الشخصية وأعمالها وأخلاقها ومواقفها، وتشمل مجالا أوسع تُعنى بسرد الوقائع والأحداث المحيطة بها، مع أخذ مراعاة التطور الذي حصل لهذا المصطلح، حيث أصبح يشمل السيرة النبوية، والتاريخ، والرسائل العقدية والفقهية بإسقاط الأحداث التاريخية عليها، وكذلك التراجم[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن المغاربة أولَوا عناية كبيرة للسير أكثر من المشارقة؛ ويعود ذلك إلى سقوط الدولة الإباضية في البلاد المغاربية وعدم استمرارها، بينما استمرت في المشرق عند العمانيين؛ كما كان للصراعات المذهبية التي شهدتها المنطقة دور في التعلق بنمط السير الإباضية؛ بهدف تخليد ذكر الأئمة وإبراز مآثرهم[3].

وبالرغم من ذلك، فإننا نحاول استقراء منهج الوارجلاني في تعامله مع كتابة سير تراجم شخصياته، وقد أمكننا إبراز معالم هذا المنهج في العناصر التالية:

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 134.

[2]- أحمد بن سعود السيابي، **السير الإباضية بين المشارقة والمغاربة**، الندوة الدولية العلمية حول كتب السير الإباضية، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، الخوض، سلطنة عمان، 2015، ج2، ص 119.

[3]- نفسه، ص 119.

أ- عدد التراجم:

استحوذت السير الوارجلانية على الحصة الكبيرة من الكتاب؛ حيث ترجم مؤرخنا لأكثر من 26 شخصية أغلبها من الإباضية، متوزعة على فصول الكتاب، وقد استطاع من خلالها تتبع أخبار المذهب وتغطية كل الفترات التاريخية التي قصدها من تاريخه.

ب-طول وقصر التراجم:

تتّسم التراجم في تاريخ الوارجلاني بتباين واضح من حيث الكمّ والمضمون؛ إذ لم ترد جميعها على نسق واحد في حجم مادتها التاريخية أو في عمق معالجتها؛ فقد حظيت بعض الشخصيات بنصيب وافر من التفصيل والاهتمام، كما هو الحال في تراجم أئمة الدولة الرستمية مثل: عبد الرحمن بن رستم، وأبي الخطاب عبد الأعلى، فضلاً عن بعض العلماء والمشايخ المشهورين بالعلم والصلاح؛ كأبي محمد بن مانوج اللمائي، وأبي محمد ويسلان بن يعقوب الدمجي وغيرهما. وفي المقابل، اقتصر الوارجلاني في تراجم أخرى على أسطر معدودة وأخبار موجزة، جمعها في فصل مستقل أسماه "أخبار ملتقطة"، ويبدو من منهجه هذا أنه كان يراعي عند اختياره وتفصيله الاعتبارات العلمية والسياسية؛ فيقدّم الشخصيات بحسب ما تقتضيه أولويات السرد التاريخي وأهميتها في سياق الأحداث.

جـ-الترتيب والتنظيم:

لم تأتي التراجم على حروف المعجم مثلا، وإنما انطلق في تنظيمها بناء على رتبتهم في هرم الدولة أو مكانتهم العلمية، وفي الغالب يفرض عليه المعيار الزمني ذلك، فنجده يحدثنا عن تراجم الأئمة الرستميين في الجزء الأول، بينما يأتي على سير المشائخ من الطبقة السابعة إلى العاشرة في الجزء الثاني، ولكنه قد يجنح عن هذا في بعض الأحيان، فنجده -مثلا- يذكر ترجمة علم من الأعلام ثم يقطعها بأخبار وسير لآخرين ثم يعود إلى ترجمة الأول، ويخصص لذلك عنوانا بارزا، مثال ذلك ما ذكره في ترجمة الشيخ أبي بعبد الله محمد بن بكر وقعوده في الحلقة، حيث تناوله في نهاية الجزء الأول[1]، بعد ذلك قطع ترجمته بعدد من التراجم لمشائخ آخرين ثم رجع إليه بفصل عنونه بـ "ذكر بقية من جمل أخبار أبي عبد الله محمد بن بكر"[2].

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 252.

[2]- نفسه، ص 320.

وهذا المنهج وان كان يُخل بالتنظيم الكرونولوجي للشخصيات المترجم لها، غير أنه قد يوحي بأن الوارجلاني كان حريصا على تحديث معطياته على قدر اطلاعه من المصادر؛ فكلما تظهر له فرصة إلا ويورد النصوص التي يراها تلائم المترجم لهم.

د- صياغة الترجمة ومحتوياتها:

لم تهتم التراجم الوارجلانية كثيرا بتفاصيل المترجم لهم فيما عدا الاسم، ثم يأتي على أخباره وكراماته، وقليلا ما يتعرض للكنية، أو النسب، أو مكان الميلاد، أو الوفاة، أو تواريخ مهمة في حياة المشائخ، وهذا ما يميز السير الإباضية عموما، ومع التأكيد على مسألة أهمية التواريخ في الكتابة التاريخية، فإننا نرى غياب شبه تام للتواريخ الهجرية أو الميلادية إلا في القليل النادر؛ وقد اكتفى بالتلميح إلى الفترة الزمنية بعبارات مثل: "ذات سنة"[1]، و"ذات مرة"[2]، و"ذات ليلة"[3]، و"تلك المرة"[4]، وغيرها.

ولهذا نجد المحقق قد أحصى لمؤرخنا مجموع التواريخ التي ذكرت، وجعل لها فهرسا خاصا في نهاية الكتاب؛ وكان مجموع ما أحصاه 19 تاريخا، وهو رقم منخفض جدا بالنظر إلى سعة كتاب أبي زكرياء وطول الفترة التي تغطيها الأحداث.

هـ- تنويع مصادر الترجمة:

نظرا للعناية الكبيرة التي أولاها الوارجلاني لسير الإباضية وتراجم أعلامهم، فقد ظهر حرصه الكبير على تنويع الموارد التي اقتبس أو روى عنها أخبار تلك التراجم؛ فجاءت بعض السير مُسندة بعدد كبير من الرواة، ومن ذلك ما حكاه في أخبار أبي محمد بن مانج اللمائي[5]؛ فقد أخذ سيرته من ستة رواة من موارده، وبحجم 21 رواية غير مكررة لأخباره.

غير أن هناك بعض التراجم التي لم تأخذ كل هذا القدر من التنويع، منها ما رواه في أخبار أبو محمد ويسلان بن يعقوب الدجمي المزاتي[6]؛ فقد نقل كل رواياته عن شيخه أبي الربيع.

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 357.

[2]- نفسه، ص 358.

[3]- نفسه، ص 363.

[4]- نفسه، ص 372.

[5]- نفسه، ص ص 283- 292.

[6]- نفسه، ص 293.

3.1- منهج أبي زكرياء في الحوليات والمذكرات الخاصة:

إن هذا النمط الاسطوغرافي لم يكن من اهتمامات الوارجلاني، ولم يعتمد عليه بدرجة كبيرة؛ حيث وظفه في نهاية تاريخه بطريقة غريبة بعض الشيء، وذلك عندما انتقل فجأة بدون توطئة ولا مقدمة من أخبار التراجم وسير المشائخ إلى فصل جديد لا يضع له عنوانا إلا عبارة "فصل آخر"، ويستهله بأسلوب الحوليات، فيقول: "في سنة تسع وأربعين وأربعمائة من التاريخ (449هـ)، سار جماعة من طرابلس إلى وارجلان ونواحيه بجماعة كبيرة..."[1]، وهذا الانتقال المفاجئ يشعر القارئ وكأن هناك بترا لجزء من الكتاب جعله يختل في وحدته الموضوعية، وليس هذا فقط بل مازج الوارجلاني بين الحوليات والمذكرات الذاتية؛ حيث استرسل في رواياته عن مشاهداته خلال الفترة الممتدة ما بين (460هـ - 471هـ).

وقد خلت هذه الحوليات تماما من غير أخبار وسير الإباضية؛ فقد تكلم عن أحداث عاصرها من سنة 449هـ/1057م في روايتين مستقلتين[2]، ثم يعود إلى موارده الشفوية كعادته، فينقل عن شيخه وغيره أخبارا متفرقة بعدها يرجع إلى الحوليات فيروي أحداث سنة 460هـ/1068م، وهي من قبيل مشاهداته، حيث يقول: "وفي سنة ستين وأربعمائة من التاريخ (460هـ/1068م)، سرنا من وارجلان إلى طرابلس. ودخل علينا أحد وستون في تمولست..."[3]، ويواصل مشاهداته حيث يذكر: "وفي سنة اثنين وستين (462هـ/1070م)، توفي داود بن يوسف رحمه الله..."[4]، وتعتبر هاته الرواية الوحيدة التي أوردها، وهي من أساليب التدوين بالوفيات.

كذلك يحدثنا عن مشاهداته في سنة 471هـ/1079م، فيقول: "وفي سنة إحدى وسبعين رجعنا من عند الشيخ أبي الربيع، فشيعنا إلى المصلى الذي يهبط منه إلى عيون تونين..."[5].

يتضح لنا من خلال ما سبق، أنه على الرغم من تواضع الكتابة التاريخية عند مؤرخنا، إلا أنه أظهر مرونة معتبرة في الانتقال عبر مناهج التدوين والتحكم في أساليبها؛ حينما مازج بين كل تلك الطرائق.

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 347.

[2]- نفسه، ص 347.

[3]- نفسه، ص 367.

[4]- نفسه، ص 367.

[5]- نفسه، ص 371.

2- أسلوب الكتابة التاريخية عند الوارجلاني:

رغم الانتقادات التي وجهت للوارجلاني في أسلوب كتابه، ومنها ما ذكره البرّادي في الجواهر: "فنظروا في كتاب الشيخ أبي زكريا يحي بن أبي بكر، فوجدوه مخلا ببعض التفصيل، قاصرا دون أمد التحصيل، مع أن لسان البربرية أورد ألفاظه موارد التكليف، وقلة تحفظه على قوانين العربية أدخل ببعض معانيه مجاهل التعسف"[1]؛ إلا أن المتأمل في كتاب مؤرخنا قد لا يكاد يجد كل هذه المثالب؛ فقد جاءت أخبار أبي زكرياء في عمومها متسلسلة متناسقة، وبعبارات واضحة وبسيطة، وأسلوب متماسك ولغة واضحة ومرنة، يفهم القارئ مضمونها[2].

ويمكن أن نوضح معالم هذا الأسلوب الأدبي في العناصر التالية:

- تنوع المفردات والألفاظ مع تكرار بعضها، وقد جاءت عربية فصيحة، ولكن تخللتها بعض العبارات من العامية مثل: "تسموني أمير يا مشومات"[3]، "على الخبز يصلح يا عمي"[4]، "لجابته دراهمنا"[5]، "وكان الشيخ يشتّي في أريغ ويربّع في البوادي"[6]، "فدفع لهم طابق شاة"[7]، أو عبارات غريبة مثل "الأضياف"[8]، و"الورعاء"[9]، و"بعياط ومياط"[10].
- تركيب بناء الجمل والفقرات فيه إحكام وإتقان، بعيد عن التعقيد والغموض، وهو الأسلوب الخبري المناسب للكتابة التاريخية، على الرغم من نوعية الحقول الدلالية التي تضمنت المناقب والكرامات وتراجم الشيوخ.
- أما المستوى البلاغي للوارجلاني فقد جاء بعيدا عن الصور البيانية وخاليا تقريبا من المحسنات البديعية؛ وهذا يعطي مؤشر على أن الكتاب كان موجها للعامة قبل الخاصة، فلا وجود للخيال ومعالم التصوير الفني، ولم تسجل السير الوارجلانية إلا ما ندر، مثل ما ذكره في إحدى المعارك في

---

[1]- البرادي، الجواهر، ص 10.

[2]- محمد شكيران، الكتابة التاريخية في بلاد المغرب، ص 13. صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية، ص 78.

[3]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 148.

[4]- نفسه، ص 183.

[5]- نفسه، ص 210.

[6]- نفسه، ص 255.

[7]- نفسه، ص 256.

[8]- نفسه، ص 307.

[9]- نفسه، ص 346.

[10]- نفسه، ص 358.

قوله: "فصارت تنهدم الرجال من الصفين كالحيطان"[1]، حيث شبه المقاتل بالحائط، وفي رواية أخرى لإمرة معافرية تتحسر على وفاة أبي الخطاب، تقول: "... بطون كالأحرجة وعمائم كالأبرقة ونعال... وأحكام معوجة"[2].

- ظهرت تعابيره النفسية بشكل جلي لما استخدم عبارات توحي بإنكاره الشديد على الجماعات والمخالفين لمذهبه؛ حيث جاء توظيفه لألفاظ مثل: "لعنه الله"[3]، و"عدو الله"[4]، و"الفاسق"[5]، و"الخبيث"[6]، وبعض التشبيهات غير اللائقة، من ذلك ما رواه في وقعة مانو، حيث نقل رواية فيها تشبيه بعض الناس بالحيوانات حينما قال: "فنظر إلى شخص كهيئة السلوقي... ثم جاز على المسودة وهو يقول: انبحوا يا كلاب النار"[7].
- البعد الديني والأخلاقي، من خلال استشهاده بالآيات القرآنية في مثل قوله: "وجعل أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون"[8]، وقوله: قال الله عز وجلّ: قل متاع الدنيا قليل"[9]، وبعض العبارات التي توحي بالفعل الإلهي من ذلك قوله: "وإلى ما انتهت به المقادير"[10]، وغيرها من الأمثلة التي تدل صراحة على النزعة الدينية لمؤرخنا.
- المبالغة والتهويل في تقديم الإحصائيات، وهي من السمات التي ألِفها المؤرخون في بعض المصادر؛ ومن ذلك ما ذكره عن الثقات بخصوص واقعة مانو: أن عدد القتلى من إباضية نفوسة بلغ اثني عشر ألفا، منهم أربعة آلاف من نفوسة، وفيهم أربعمائة عالم فقيه[11]، وأيضا في عدد ما خربه صاحب الحمار، فيذكر أنه خرّب ثلاثين ألف قرية لم تعمر إلى يومنا هذا[12]، وفي روايات

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 152.

[2]- نفسه، ص 188.

[3]- نفسه، ص 199.

[4]- نفسه، ص 156. ص 173. ص 174.

[5]- نفسه، ص 152. ص 156.

[6]- نفسه، ص 124.

[7]- نفسه، ص 155.

[8]- نفسه، ص 163.

[9]- نفسه، ص 185.

[10]- نفسه، ص 168.

[11]- نفسه، ص 153.

[12]- نفسه، ص 173.

أخرى لا يذكر الأرقام لكن يعبر عن كثرة العدد بعبارات المبالغة الشديدة، من ذلك في قوله: "... وأما الرجال فلا يُعدون"[1].

- إشباع أبي زكرياء الكتاب بعبارات التمجيد والعظمة، وهذا المنحى يذهب البعض إلى تفسيره في أنه يعود للحس الأمازيغي الأعجمي لدى الإباضية الذي يميل إلى تمجيد الأشخاص[2]، ومن أمثلة ذلك في حديثه عن أبي القاسم البغطوري وعبد الله بن الخير بعد نكبة مانو، حيث يقول: "وهما اللذان يفتيان لأهل الجبل نوازلهم من تلك الواقعة، ولولاهما لعطلت على يوم القيامة"[3]. وأيضا عندما تناول مسائل التي اختلف فيهما أو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلى بن داود قال: "... رحمة الله عليهما، وقدّس أرواحهما، ونضّر وجوههما، وبرّد ضريحهما، آمين"[4].
- الاستطراد الممل أحيانا؛ وقد ذكر محقق الكتاب أنه لولا خشية فوات فائدة بعض الاستطرادات، والخوف من الخروج عن قواعد التحقيق وشروطه، لكان قد تصرّف في المتن وأنزل بعض الروايات إلى الهامش[5]، وكنا قد أشرنا إلى هذا سابقا.
- إيراده للأمثال الشعبية التي امتلأت بها صفحات تاريخه؛ وقد وضع المحقق كشّافا لهذه الأمثال في آخر الكتاب بعدما أحصاها، حيث بلغ عددها 18 مثلا شعبيا، نذكر منها: "لا يستتر الجمل بالغنم"[6]، و"من يعطي ماله على القراض يعثر به مرض البرسام"[7]، و"من حكم على نفسه كما يحكم على غيره فقد عمل"[8]، وغيرها كثير؛ كما تضمنت صفحات تاريخه بعضا من الألغاز الفقهية، رواها في حولياته لسنة 449هـ/1057م؛ ومن ذلك: "ثمانية أوجه لا تقوم إلا بالدليل، وأدلتها منها اثنان والآن على واحد، وواحد منها دال على اثنين وواحد دال على واحد"[9].

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 199. ص 203.

[2]- أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، ص 119.

[3]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 154.

[4]- نفسه، ص 340.

[5]- نفسه، ص 16.

[6]- نفسه، ص179.

[7]- نفسه، ص189.

[8]- نفسه، ص329.

[9]- نفسه، ص 347.

تميز بالنزاهة والبعد عن الحزازات التاريخية؛ وما يدل على ذلك ما رواه بسخاء من تفاصيل حول ما لقيه أبو نوح في بلاط القيروان من الرعاية والكرم والتقدير لعلمه[1]؛ كما رصدنا شاهدا آخر في رواية لرجل نكاري كان له دين على رجل من الوهبية، فاختصما إلى أبي صالح الذي حكم لصالح النكاري، فقال أبو محمد ولدُه: "لو كان أبي يبدل فتياه لبدلها لهذا الرجل، ولكنه لا يختلف جوابه في قريب ولا بعيد"[2]، ويُفهم من هذا أنه لم يحمله خلافه المذهبي معه للحكم ضده.

المبحث الرابع: النقد التاريخي في السيرة:

1- نقد الإسناد (الرواة):

جاءت رواياتُ أبي زكرياء في أغلبها شفوية تفتقر إلى مصادر مكتوبة واضحة، غير أنه في كثير من المواضع دوّن أسماءَ الرواة الذين أخذ عنهم، وهو ما يُمكّن الباحث من تتبّع مدى ممارسته لمنهج الجرح والتعديل في تقييمهم. ويمكن توضيح ذلك من خلال الشواهد الآتية:

الشاهد الأول؛ يصرح مباشرة بالنقل عن الثقة بدون ذكر اسمه، حيث يقول: "وبلغنا عن الثقات من أهل دعوتنا"[3].

الشاهد الثاني؛ قد ينقل عن بعض المجاهيل لكنه يعطي إشارة يشعر فيها أنهم معاصرون للحدث وأهل ثقة، في مثل قوله: "ولقد أخبرنا بعض أصحابنا، ممن كان في عصرنا هذا"[4].

الشاهد الثالث؛ يحصي عدد الرواة المجهولين في إشارة إلى تواتر الرواية وصحتها، فيقول: "وبلغنا عن ثلاث من المشائخ تكلموا فيه"[5].

الشاهد الرابع؛ يورد الراوية من أحد الطرق، ثم يضيف لها طريقا آخر مع بعض التغييرات في المتن، فقد ذكر رواية عن شيخه أبي الربيع، ثم قال: "ذكر هذا الحديث إبراهيم بن يوسف وزاد فيه عن محمد بن الشيخ عبد الله"[6].

يتبيّن من خلال الشواهد السابقة أنّ الوارجلاني انتهج أسلوبَ نقد الإسناد في تعامله مع الروايات، وهو بذلك لم يحد عن المنهج الذي اعتمده المؤرخون القدامى في تمحيص الأخبار وتوثيقها.

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، تح: إسماعيل العربي، ص 20.

[2]- المصدر السابق، تح: ع أيوب، ص 353.

[3]- نفسه، ص 152.

[4]- نفسه، ص 182.

[5]- نفسه، ص 241.

[6]- نفسه، ص 289.

2- نقد المتن (الأفراد والأخبار):

لقد برز هذا النمط من النقد التاريخي بوضوح في كتاب الوارجلاني؛ إذ يمكن إحصاء عددٍ كبير من الشواهد التي تظهر ممارسته لنقد المتن وإطلاق أحكامه على الروايات، ويتجلّى ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

الشاهد الأول؛ استدلاله على صحة مذهبه واعتقاد أهل دعوته الإباضية؛ حيث أورد عدة أحاديث في فضائل البربر، ثم علق بعد ذلك بقوله: " فلما كان هذا الحديث في عصابة من أهل المغرب عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجونا أن يكونوا أهل دعوتنا وأنهم يستوجبوا فضل هذا الحديث"[1].

الشاهد الثاني؛ يتعايش مع الأحداث التي ينقل أخبارها، ويعلق على الوقائع؛ حيث يسعى للربط بين الماضي وحاضره، فيقول: "فبنوا بعد ذلك -في ذلك الموضع- مصلى، وهو معروف إلى يومنا هذا"[2]، وفي نفس الراوية يسجل كلمات الشكر والمديح لبعض القادة والشخصيات، من ذلك قوله: "وأحسن السيرة فيهم، أحسن الله إليه"[3]، وفي موضع آخر يعقد مقارنة بين ما ذكره شيخه وبين أحوال عصره وما آل إليه تدين الناس، حيث يقول: "وهذا ما قاله في زمانه فكيف نحن اليوم؟ ولم يعلم أحد من أولئك الذين ذكروا في الحياة، بل ماتوا بأجمعهم. نسأل الله العصمة"[4].

الشاهد الثالث؛ يُظهر الوارجلاني تعقيبات وإضافات على رواياته لزيادة التأكيد عليها وإيضاح ما قد يُبهم؛ من ذلك ما ذكره في حديثه عن مؤسس النفاثية وعقائد مذهبه، حيث أضاف: "وذكر المشائخ أنه لو لم يُفت إلا هذه المسألة لكفر بها وحدها[5]، وقد لا يخفي عدم قدرته على الوصول إلى المعلومة ليتأكد منها؛ فبعدما يورد الرواية يعلق قائلا: والله اعلم أي ذلك كان"[6].

الشاهد الرابع؛ يتتبع روايات شيخه أبي الربيع بالشرح والتوضيح، خاصة ما تعلق بمناقبه وحسن سيرته، ومن ذلك إيراده رواية له يقول فيها: "ما استسلفت قط دينارا غير دينار واحد وقد رددته

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 55.

[2]- نفسه، ص 134. ص 187.

[3]- نفسه، ص 134.

[4]- نفسه، ص 368.

[5]- نفسه، ص 138.

[6]- نفسه، ص 144.ص 149.

بعينه"[1]، بعد هذا يبدي مؤرخنا إعجابا بشيخه وتقوية لرأيه؛ فيقول: "وهذا من كثرة القناعة لما أعطاه الله لا لكثرة العرض والمال، ومع هذا قيل في ضيافته ليست كضيافة الناس"[2]، وبنفس الطريقة نجده عند الحديث عن سير المشائخ الآخرين، مثل أبي محمد بن مانوج اللمائي؛ فبعد سرد مناقبه يقول: "وهذا مما يدلك على حسن نيته وأن باطنه كظاهره"[3].

الشاهد الخامس؛ يسجل الوارجلاني تدخلاته من خلال آرائه وأقواله وبعض أحكامه الفقهية، خاصة في الجزء الثاني الذي تعلق بتراجم سير المشائخ؛ ففي إحدى الروايات يقول: "ولمثل هذا ينبغي ألا يتقدم الرجل في الكلام في أخيه المسلم، ولا يظن به ظن السوء متى وجد إلى ذلك سبيلا"[4]، وهنا تظهر شخصيته الدعوية بوضوح من خلال هاته النصائح التي غلف بها كتابه التاريخي.

الشاهد السادس؛ أظهر انتقاداته اللاذعة على الطوائف الأخرى، ومن بينها الشيعة والنكارية، ووصفهم بألقاب شديدة؛ وهذا في الواقع مما اتسمت به نظرة المؤرخين الإباضية ورؤيتهم بالضيق والانحياز؛ لأن التاريخ اقتصر عندهم على مذهبهم فقط، فكانت كتاباتهم متعصبة ضد الغير، ومتحاملة على المذاهب الأخرى[5].

الشاهد السادس؛ تواصل شخصية الوارجلاني "الداعية" في البروز إلى آخر فقرة في الكتاب؛ إذ لا يفوت الفرصة ويظهر ابتهاله إلى الله وتعوذه من مضلات الفتن وتقلبات الدهر، فيقول: "نعوذ بالله من تهوين المسلمين، ومن ذم ما تأتيه، ومن تحسين القول وتقبيح الفعل، ونسأله أن يصرف عنا ما لا خير لنا... وأن يقينا عذاب النّار"[6].

يمكننا القول بأن النقد المتني في كتاب الوارجلاني كان واضحا، فقد حاول إبرازه من خلال تحليلاته للأحداث، وتعقيباته المتواصلة على بعض الوقائع، وهو ما يكشف روح جديدة في منهج مؤرخنا تنم عن عمق الفكر التاريخي لديه من جهة، وبعد نظره في فهم التاريخ من جهة أخرى، فالتاريخ عنده ليس مجرد نقل أو سرد للوقائع الماضية.

---

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 285.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه، ص 286.

[4]- نفسه، ص 301.

[5]- محمد شكيران، نشأة التدوين التاريخي، ص 24.

[6]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق، ص 384.

ختاما لهذا المبحث، يتضح بجلاء أن الفكر التاريخي في بلاد المغرب الأوسط، ولا سيما في حاضرتها الجنوبية وارجلان، تجلّى بوضوح في كتابات أبي زكرياء من خلال تناوله لسير الإباضية، ورغم أن مقاربته التاريخية جاءت محكومة بإطار مذهبي ضيّق، ينسجم مع هدفه المعلن في تأليف الكتاب لخدمة سير الإباضية، إلا أن عمله أتاح لنا فهما لبعض معالم الفكر التاريخي في جوانب متعددة.

لقد تركت النشأة الدينية لمشايخ الإباضية، وفي مقدمتهم الوارجلاني، أثرا واضحا في نتاجهم العلمي، فغلبت على مؤلفاتهم روح العلم الشرعي، إذ نجد كتاب أبي زكرياء زاخرا بنصوص القرآن الكريم والحديث النبوي وآثار الصحابة والتابعين؛ كما برزت فيه نزعةٌ عرقية تتجلى في انحيازه للبربر والفرس وإيراده فضائله، واهتم المؤلف اهتماما خاصا بتوثيق سير المشايخ والعلماء، متبعا في ذلك مناهج متعددة في العرض والتأريخ، فتارة يسلك أسلوب التراجم الفردية، وتارة يعتمد طريقة الحوليات في سرد الأحداث وتسلسلها الزمن؛ كما لم يغفل عن طريقة المحدثين في مروياته حيث جاءت بإسناد متنوع.

المبحث الخامس– أوجه الشبه والاختلاف بين الكتابة التاريخية لابن حيان القرطبي وأبي زكرياء الوارجلاني:

بعد تناولنا بالتحليل لأبرز ملامح الفكر التاريخي عند كلّ من ابن حيان الأندلسي والوارجلاني، بات من الضروري الانتقال إلى مرحلة المقارنة بينهما؛ قصد استجلاء أوجه التشابه والاختلاف في تصورهما للكتابة التاريخية، وفي طرائقهما في معالجة الحدث وتحليله.

تأتي هذه المقارنة في إطار استكمال عناصر الدراسة واستيفاء مقوماتها العلمية والمنهجية؛ بما يسمح بتكوين رؤية أكثر شمولا حول طبيعة المنهج التاريخي في الغرب الإسلامي خلال العصور الوسيطة، وإذ ننتقل من الوصف والتحليل إلى المقارنة، نسعى إلى الكشف عن الأسس الفكرية والمنهجية التي وجّهت كلا المؤرِخَين، والبحث في مدى تمايز تجربتهما في كتابة التاريخ من حيث الموضوعات والمعالجة والمقاصد.

وعليه، فإن التساؤل الذي ينهض عليه هذا المبحث يمكن صياغته على النحو الآتي: إلى أي مدى يتمايز منهج الكتابة التاريخية بين ابن حيان والوارجلاني؟

من خلال التحليل المقارن للمنهج التاريخي عند كلٍّ من ابن حيان والوارجلاني، أمكننا التوصل إلى تقديم بطاقة تقنية مقارنة بين المؤرخين وفق معايير محددة (يُنظر الملحق رقم 03)، وكذلك مجموعة من النقاط التي تُبرز مظاهر التشابه والاختلاف، وقد بلغ عدد هذه النقاط عشرين (20) وجها، متفرعة عن خمسة (05) معايير (مباحث) عامة تمثل في مجموعها خلاصة الرؤية المنهجية لكل مؤرخ، وتكشف عن طبيعة الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي بمختلف أبعادها الفكرية والمذهبية والسياسية. ويمكن استعراض هذه الأوجه في الجدول الآتي[1]:

[1] – الجدول من إنجاز الباحث.

المعايير/ المقارنة	أوجه الشبه	أوجه الاختلاف
الإطار العام للمؤرِخَين	✓ المناخ السياسي العام المحيط بالكتابة التاريخية ✓ الخلفية العلمية والفكرية ✓ دوافع وغايات الكتابة التاريخية.	✓ المستوى الثقافي العام للمنطقتين. ✓ الكتابة خارج المجال الجغرافي.
المنهج التاريخي	✓ النقد التاريخي والأدبي (انتقاء الأخبار وتمحيصها). ✓ نمط العرض التاريخي (الحوليات، التراجم، الموضوعات). ✓ تسلسل الأحداث وترابطها.	✓ طبيعة المصادر والتصرف في المنقول. ✓ الغزارة وكثافة السردية التاريخية.
البنية الفكرية والمضمون	✓ تأثير المذهبية على الكتابة التاريخية. ✓ الموقف من الخصوم والمخالفين. ✓ المفاهيم المركزية في الكتابة التاريخية.	لا توجد
الجوانب الأسلوبية والفنية	✓ النسق الفني للكتاب ✓ المنهج الإحصائي والمبالغات.	✓ الشكل العام للكتاب. ✓ اللغة والأسلوب. ✓ توظيف النصوص الشرعية (القرآن والسنة). ✓ استخدام الأمثال والأشعار والتوسع في الأساطير.
القيمة العلمية والتاريخية	✓ الحفاظ على الذاكرة التاريخية للمنطقة	لا توجد

أولا: الإطار العام للمؤرِخَين:

1- أوجه الشبه:

1.1- المناخ السياسي العام المحيط بالكتابة التاريخية:

ونقصد بذلك تحديد موقع كل مؤرخ في سياقه الزمني والجغرافي، ويقتضي استحضار الظروف السياسية التي طبعت الغرب الإسلامي في عصره؛ فقد تشكل الوعي التاريخي لكل من ابن حيان الأندلسي والوارجلاني في بيئات مضطربة سياسيا، اتسمت بتعدد الكيانات وتنازع القوى، فابن حيان نشأ في مرحلة ملوك الطوائف، حين كانت الأندلس مقسمة إلى دويلات وإمارات متنافسة تتنازع النفوذ وتعيش صراعات داخلية متواصلة، وقد كتب تاريخه في ظل دولة الجهوريين، غير أن اهتمامه التأريخي ظل متجها نحو تمجيد الخلافة الأموية في الأندلس واستحضار مجدها الزائل.

أما الوارجلاني، فقد عاش في مدينة وارجلان متنقلا بين حواضر المغرب، في زمن تميز هو الآخر بانقسام المجال المغاربي إلى قوى سياسية متناحرة، تمثلت في الزيريين والحماديين في الوسط، والمرابطين في أقصى الغرب، وقد ألّف تاريخه في خضم هذا المناخ السياسي المضطرب، مركزا على توثيق تاريخ الأئمة داخل الإطار العقدي الإباضي الذي انتمى إليه.

2.1-الخلفية العلمية والفكرية:

إن النشأة العلمية والتكوين المعرفي لدى مؤرخي وعلماء الغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى اتسمت بقدر كبير من التشابه، سواء من حيث مراحل التحصيل أو من حيث طبيعة المعارف المتلقاة. فقد كان التدرج في التعليم يتم وفق نسق منهجي يبدأ بحفظ القرآن الكريم ودراسة مبادئ الشريعة واللغة، ثم التعمق في مختلف العلوم على أيدي المشايخ أو داخل المؤسسات التعليمية السائدة آنذاك؛ وفي هذا الإطار، نشأ ابن حيان الأندلسي في بيت علم وأدب، وتلقّى علومه الأولى على يد والده وفي محيط أسرته، قبل أن يتوسع في طلب العلم على كبار المشايخ، فيتبحّر في فنون متعددة، غير أن اهتمامه انصبّ أساسا على الأدب والتاريخ، وهو ما تشهد به مؤلفاته التي تبرز تمكنه من هذين الميدانين.

أما الوارجلاني، فلم يختلف عنه في المسار العام للتكوين، غير أنّ سمة الترحال والتنقل التي طبعت حياته العلمية أكسبته تجربة أوسع وثقافة أعمق، مما أسهم في صقل ملكته الفكرية والعلمية، وقد جمع بين صفتي الفقيه والمؤرخ، كما يُبرز ذلك مؤلفه السير الذي يعكس منهجه في التأريخ ضمن الإطار الإباضي الفكري والعقدي.

3.1- دوافع وغايات الكتابة التاريخية:

يبادر المؤرخ في بداية مؤلفه إلى التعبير عن غاياته من التدوين، ويبين الدوافع التي كانت وراء اختياره لطبيعة الكتابة التاريخية التي يعرضها للقراء، وهنا يمكن أن نفهم المرامي التي كان يريدها المؤرخ والأهداف التي يسعى للوصول إليها؛ فابن حيان الأندلسي أوضح غاياته عندما أشار إلى منهجه في الرواية ومدى حرصه على تدقيق الأخبار وتمحيصها، وأنه كان يكتب مقتبسه للعبرة والفائدة، ويمكن أن نلحظ ذلك عندما ذكر غايته من الكتابة عن الفتنة البربرية في قوله: "فركبت سنن من تقدمني فيما جمعته من أخبار ملوك هذه الفتنة البربرية، ونظمته وكشفت عنه وأوعيت فيه ذكر دولهم المضطربة، وسياساتهم المنفرة، وأسباب كبار الأمراء المنتزين في البلاد عليهم، وسبب انتقاض دولهم، حال فحال بأيديهم، ومشهور سيرتهم وأخبارهم، وما جرى في مددهم وأعصارهم، من الحروب والطوائل، والوقائع والملاحم؛ إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان، ووفاة العلماء والأشراف، حسب ما انتهت إليه معرفتي، ونالته طاقتي"[1]؛ بينما أبو زكرياء فقد عبر صراحة عن غاياته الكبرى من السير والتي جاءت خدمة للمذهب الاباضي حصرا، ويظهر أن ابن حيان كان أوسع وأشمل في غاياته التاريخية، وهو ما سنراه في العناصر اللاحقة.

2- أوجه الاختلاف:

1.2- المستوى الثقافي العام للمنطقتين:

لقد تأثرت الحياة الفكرية في الغرب الإسلامي بجملة من العوامل السياسية التي كان لها بالغ الأثر في مسارها وتطورها، إذ انعكست الصراعات السياسية المتعاقبة على الأفراد والأفكار معا، فأفضت في كثير من الأحيان إلى هجرة العلماء وتشتت مراكز العلم، وما ترتب على ذلك من ضياع جانب معتبر من التراث الثقافي للمنطقة؛ كما أسهمت التحولات الاجتماعية الناجمة عن قدوم الهجرات الهلالية في إعادة تشكيل البنية الفكرية والثقافية للمغرب الإسلامي.

وبناءً على ذلك، تباينت الأوضاع الفكرية بين العدوتين، فبينما شهدت الأندلس أوج ازدهارها الثقافي والعلمي في ظل التنافس بين ملوك الطوائف الذين حرص كلٌّ منهم على استقطاب الأدباء والعلماء والشعراء إلى بلاطه تعزيزا لمكانته السياسية والاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى تنشيط حركة التأليف وتكاثر دور العلم والمكتبات؛ وكانت بلاد المغرب الإسلامي تعاني ركودا نسبيا في النشاط الثقافي خلال الفترة نفسها، ورغم ما عرفته وارجلان من استقلال عن السلطة الحمادية، وما بذله الإباضية من

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج2، ص 578.

جهودٍ لإحياء الحياة الفكرية في الصحراء، إلا أن غياب معظم تراثهم حال دون تكوين صورة واضحة عن مدى نشاط تلك الحركة الفكرية وطبيعة تفاعلها مع بقية أقاليم المغرب الأوسط.

2.2- الكتابة خارج المجال الجغرافي:

لم يكن مؤرِخينا على درجة واحدة من الانفتاح في تناولهم للموضوعات التاريخية خارج نطاقهم الجغرافي؛ إذ تفاوتت مقارباتهما في النظر إلى "الآخر" وتوثيق الأحداث التي تقع خارج مجالهم الإقليمي المباشر؛ فقد تميز القرطبي بسعة الأفق وشمولية النظرة في معالجته للوقائع التاريخية، إذ لم يحصر اهتمامه في حدود الأندلس، بل تجاوزها إلى تناول شؤون بلاد المغرب الإسلامي، ولا سيما في جوانبها السياسية، مع تركيز ملحوظ على الجزء الغربي منها، أي منطقة نفوذ الأمويين بالمغرب الأقصى.

في المقابل، ظل الوارجلاني متمسكا بالإطار المحلي الضيق، فلم يتجاوز في كتاباته حدود المغرب الأوسط، بل اقتصر اهتمامه على تاريخ الدولة الرستمية ومجتمعها الداخلي، دون أن يقدم إشارات كافية إلى طبيعة العلاقات السياسية أو الثقافية التي ربطت الرستميين بجيرانهم في الأقاليم المجاورة، وهو ما يعكس اختلاف المنهج والمجال المعرفي بين المدرستين الأندلسية والإباضية في الكتابة التاريخية.

ثانيا: المنهج التاريخي:

1- أوجه الشبه:

1.1- النقد التاريخي والأدبي (انتقاء الأخبار وتمحيصها):

تجسدت الممارسة الفكرية في الغرب الإسلامي، من خلال النقد التاريخي بنوعيه المتني والإسنادي، بصورة واضحة في مؤلفي المقتبس والسيرة، حيث تمكن كلٌّ من القرطبي والوارجلاني من إبراز نزوعهما الحديثي في توثيق المرويات التاريخية ونقلها، ويُظهر تحليل منهجهما أن كليهما اعتمد أسلوبا يقوم على التثبت والتحقيق في الأخبار، بما يعكس تأثرهما بالمناهج الحديثية في نقد الرواية وتمحيصها.

ومع ذلك، يمكن رصد قدر من التباين الطفيف بين المؤرخين في درجة توظيف أداة النقد، إذ يبدو أن أحدهما -ابن حيان- كان أكثر تشددا في تطبيق معايير النقد مقارنة بالآخر، غير أن هذا الاختلاف يظل محدود الأثر، خاصة في ظل تمايز طبيعة المصادر التي استقى منها كلٌّ منهما مادته التاريخي.

2.1- نمط العرض التاريخي:

أظهرت الدراسة وجود قدر كبير من التشابه بين ابن حَيّان والوارجلاني في مجالات الكتابة التاريخية، إذ حرص كلٌّ منهما على تنويع أساليب التدوين وتعدد أنماط العرض، فاشتملت مؤلفاتهما على التراجم والطبقات والحوليات والموضوعات المتخصصة، ويعكس هذا التنوع سعي المؤرخين إلى تحقيق

رؤية شمولية في تناول الأحداث والظواهر، بما يتيح تغطية مختلف الجوانب الحياتية للمجتمعات والأفراد في فضاء الغرب الإسلامي.

كما يدل هذا المنحى المنهجي على مدى تمكُّن مؤرِخينا من أدوات الكتابة التاريخية، وقدرتهم على الانتقال السلس بين الأشكال المختلفة للسرد التاريخي، بما يجمع بين الدقة التوثيقية والوعي بالمقاصد المعرفية للتأريخ.

3.1- تسلسل الأحداث وترابطها:

اتّسم منهج كلّ من القرطبي وأبي زكرياء بقدر عال من الحرص على تسلسل الأحداث وترابطها، وهو ما تجلّى بوضوح في أنماط التدوين التي اعتمداها في مؤلفاتهما؛ فقد سعى كلاهما إلى بناء سرد تاريخي يحافظ على الترتيب الزمني أو الموضوعاتي للأحداث، بما يتيح للقارئ تتبّع التطورات التاريخية ضمن نسق متماسك ومتدرج.

ومع ذلك، يُلاحظ أنّ هذا النسق المنهجي لم يخلُ من بعض الفجوات السردية، خاصة عندما توسّع المؤرخان في الاستطرادات التي كانت تخرج أحيانا عن الخطّ الرئيسي للأحداث، الأمر الذي أدّى في بعض المواضع إلى اضطراب طفيف في انتظام التسلسل التاريخي الذي التزما به في الأصل.

2- أوجه الاختلاف:

1.2- طبيعة المصادر والتصرف في المنقول:

اختلفت منهجية جمع المادة العلمية لدى كلّ من ابن حَيّان والوارجلاني، حيث اتسمت مصادرهما بتنوّع ملحوظ من حيث طبيعتها وأسلوب توظيفها؛ فقد اعتمد ابن حَيّان، في مؤلفه المقتبس، على طيف واسع من الكتب التاريخية والوثائق المكتوبة، بينما شكّلت الروايات الشفوية نسبة محدودة ضمن مادته التاريخية.

وعلى النقيض من ذلك، استند الوارجلاني في كتاب السير بدرجة كبيرة إلى الروايات الشفوية التي مثّلت المصدر الأساس لعمله، مقتصرا في توثيقها غالبا على ذكر أسماء الشيوخ الذين سمع منهم أو روى عنهم، دون تفصيل لمضامين تلك المرويات أو مقارنتها بالمصادر المكتوبة.

ويُعد هذا الاختلاف في طبيعة المصادر مؤثرا مباشرا في درجة الإحاطة النقدية بمدى التصرف الذي مارسه المؤرخان في نقلهما للروايات، إذ يمكن تتبّع مصادر ابن حَيّان ومقارنة نصوصه بما ورد في أصولها، بما يسمح بتقدير حجم تدخّله في إعادة الصياغة أو الاختصار، في حين يبقى هذا الجانب غامضا إلى حدّ كبير لدى الوارجلاني بسبب غياب التوثيق الدقيق لمصادره الشفوية.

2.2- الغزارة وكثافة السردية التاريخية:

تفوق ابن حَيّان على نظيره الوارجلاني من حيث الثراء السردي واتساع المادة التاريخية التي ضمّنها في مؤلفه المقتبس، إذ تميّز أسلوبه بقدر من الإسهاب الذي بلغ أحيانا حدَّ الترف السردي، من خلال إيراده لأكثر من رواية حول الحادثة الواحدة، وهو ما يعكس تمكّنه من أدواته المعرفية وسعة اطلاعه على مختلف المصادر التي كانت متاحة له، ويعني هذا أن ابن حيان ينحو في تراجمه منحى توسّعيا؛ إذ يحرص على الإحاطة بمختلف جوانب الشخصية المترجَم لها، فيورد تفاصيل حياتها من الميلاد إلى الوفاة، مقرونة بالتواريخ الهجرية وأحيانا الميلادية، ويُضمّن ذلك معطيات تاريخية دقيقة.

أمّا الوارجلاني، فاقتصر في تراجمه على الجوانب المناقبية والشمائل الإباضية، دون توسّع في التفاصيل الحياتية أو الإشارات الزمنية، وهو ما يعكس اختلافا بيّنا في الوظيفة والمقصد من الترجمة عند كلّ منهما؛ فعلى الرغم من أهمية الأخبار والوقائع التي أوردها في سياق تأريخه للدولة الرستمية، فإن مادته التاريخية جاءت أقل حجما وأضيق نطاقا مقارنة بما قدّمه ابن حَيّان، الأمر الذي يعكس اختلافا في المنهج والغرض التأليفي بين المؤرخين، أكثر مما يعكس تفاوتا في القيمة العلمية لمؤلفيهما.

ثالثا: البنية الفكرية والمضمون:

1- أوجه الشبه:

1.1- تأثير المذهبية على الكتابة التاريخية:

لقد تجلت النزعة المذهبية بوضوح في كتابات كلٍّ من ابن حيان والوارجلاني، إذ يصعب على المؤرخ -مهما بلغت موضوعيته- أن يتجرد تماما من خلفيته الأيديولوجية عند تدوين الأحداث التاريخية، فحتى وإن لم يكن المؤرخ موجَّها أو مدفوعا من قبل السلطة السياسية، يبقى تأثير الانتماء المذهبي والسياسي حاضرا في منهجه ورؤيته للتاريخ.

وقد مثّل ابن حيان نموذجا لذلك، إذ انحاز بوضوح إلى المشروع السني المالكي الأموي في الأندلس، مدافعا عنه بشدة، ومستخدِما أوصافا حادّة في انتقاد خصومه ومعارضيه، وعلى ذلك أيضا، اتجه الوارجلاني إلى تأصيل كتابته التاريخية ضمن الإطار العقدي الإباضي الوهبي، مجسّدا من خلال ذلك رؤية مذهبه ومواقفه الفكرية في عرضه للأحداث والوقائع.

2.1- المواقف من الخصوم والمخالفين:

لقد كان للخلفية المذهبية لدى كلّ من ابن حيان والوارجلاني أثرٌ بالغ في تشكيل مواقفهما من خصومهما، سواء على مستوى الدول أو الأفراد، إذ انعكست انتماءاتهما العقدية على منهجهما في كتابة التاريخ وتعاطيهما مع الأحداث؛ وقد وُجّه الجانب الأكبر من هذه الخصومة نحو الدولة الفاطمية، حيث انطلق المؤرخان من قاعدة فكرية مشتركة في نقدها، فحمّلا كتاباتهما فصولا مطوّلة تناولت تاريخ الفاطميين والصراعات التي دارت بينهم وبين الأمويين في الأندلس أو الرستميين في المغرب الأوسط.

فابن حيان القرطبي لم يدّخر جهدا في الطعن في الدولة الفاطمية ومهاجمتها كلما سنحت له الفرصة، بينما سلك الوارجلاني المسار ذاته، ولا سيما بالنظر إلى الدور الحاسم الذي لعبته الدولة الفاطمية في إسقاط الدولة الرستمية والقضاء على كيانها السياسي، وهو ما ترتب عليه تشتّت الإباضية وانتقالهم من مرحلة الظهور إلى مرحلة الكتمان.

وفي المقابل، اتفق المؤرخان في موقفهما من الخصوم الداخليين للدولة، سواء كانوا حركات فكرية أو تيارات سياسية مناوئة لمذهب الجماعة أو البلاط الحاكم؛ فقد شدد ابن حيان على نقد حركات الزندقة، مستعرضا على وجه الخصوص حركة ابن مسرّة القرطبي، في حين وجّه الوارجلاني سهام نقده إلى ثورة أبي يزيد النكّاري، معتبرا إياها خروجا عن الجماعة وتهديدا لوحدة المذهب الإباضي واستقراره.

3.1- المفاهيم المركزية في الكتابة التاريخية:

لقد شكّلت بعض المفاهيم التاريخية الواردة في المقتبس والسير، مثل مفاهيم الأمة والخلافة والعدل والفتنة، الأسس النظرية التي انطلقت منها الكتابة التاريخية لدى كلّ من ابن حيان والوارجلاني، وتُعد هذه المفاهيم من المرتكزات الفكرية الجوهرية التي قامت عليها الكتابة التاريخية في العصور الوسطى الإسلامية، إذ كانت تمثل الإطار المرجعي الذي يستند إليه المؤرخ في تفسير الأحداث وتقييم المواقف.

وقد أولى ابن حيان والوارجلاني مفهوم الخلافة مكانة محورية في تصورهما للتاريخ، باعتبارها رمزا لوحدة الأمة الإسلامية وضمانة لاستمرار النظام السياسي والديني فيها، غير أن المقاربة التي قدّمها كلٌّ منهما لهذا المفهوم اتسمت بقدر من التمايز المذهبي؛ فابن حيان، بوصفه سنيّا مالكيّا، نظر إلى الخلافة الأموية والأندلسية باعتبارها الامتداد الشرعي للخلافة الإسلامية، في حين اتخذ الوارجلاني موقفا مغايرا، إذ نظر إليها من زاوية مذهبه الإباضي، فخصّ ولاءه للدولة الرستمية التي رآها التعبير الأصدق عن الخلافة العادلة وفق المنظور الإباضي.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المبحث يكاد يخلو من عناصر الاختلاف بين مؤرِخينا، فكل الأوجه التي ذكرناها هي متقاربة ومتشابهة إلى درجة كبيرة.

رابعا: الجوانب الفنية والأسلوبية:

1- أوجه الشبه:

1.1- النسق الفني للكتاب:

لا يُلاحظ اختلافٌ كبير بين كتابي المقتبس والسير في منهجية تبويب الفصول وصياغة العناوين، إذ اعتمد كلٌّ من ابن حيان والوارجلاني تنظيم مادته التاريخية وفق المجالات التقليدية للكتابة التاريخية آنذاك، من تراجم للأعلام، وحوليات للأحداث، وموضوعات تتناول قضايا محددة؛ وقد جاء ترتيب هذه الفصول والعناوين منسجما مع طبيعة المادة التاريخية التي تناولها كل مؤرخ، دون خروج جوهري عن النمط السائد في التأليف التاريخي الوسيط.

ومع ذلك، تبرز لدى كلّ منهما بعض الخصوصيات الأسلوبية، لا سيما في استخدام المصطلحات التي يفتتحان بها الفصول والعناوين، والتي تعكس خلفيتهما المنهجية، فضلا عن تميّز كلّ منهما في اختيار الألفاظ الدالة على رؤيته الخاصة للتاريخ وطرائق عرضه للأحداث.

أما عنوانا الكتابين فقد اتسما بالاختصار والدلالة المباشرة دون إطالة أو تفصيل، إذ اشتهر ابن حيان بكتابه المقتبس، واشتهر الوارجلاني بكتابه السيرة، وقد جاءت هذه العناوين معبرة عن مضمون العملين ووجهتهما؛ فابن حيان أشار في عنوانه إلى فعل الاقتباس بما يحمله من معنى الجمع والانتقاء من الأخبار والمعارف، كما أضاف إلى العنوان تحديدا للمجال الجغرافي وهو الأندلس، ليؤكد انتماء كتابه إلى التاريخ الأندلسي الشامل.

أما الوارجلاني، فقد اختار عنوان السيرة الذي يحيل إلى سير الأئمة والعلماء الإباضيين، مما يعكس الطابع المذهبي والروحي للكتاب، إذ ربط عنوانه مباشرة بالإمامة الإباضية وسير رجالاتها، في انسجام تام مع مقاصده في حفظ التراث الفكري والديني للإباضية وتخليد رموزها عبر السرد التاريخي.

2.1- المنهج الإحصائي والمبالغات:

من أبرز السمات المنهجية التي ميّزت الكتابة التاريخية لدى كلّ من ابن حيان والوارجلاني توظيفهما للمنهج الرقمي والإحصاء العددي في عرض الأحداث التاريخية، ولا سيما في سياق الحروب وما صاحبها من معارك وخسائر بشرية، أو عند وصف الجوائح والكوارث الطبيعية التي كانت تفتك

بالمجتمعات، فقد حرص كلا المؤرخين على إيراد الأرقام والإحصاءات بوصفها وسيلة لإضفاء طابع من الدقة والمصداقية على رواياتهما التاريخية.

غير أن هذا المنحى الكمي لم يخلُ من نزعة مبالغة في بعض المواضع، إذ لجأ المؤرخان أحيانًا إلى تضخيم الأعداد أو تهويل الأحداث، تبعا للغرض المقصود من السرد، سواء كان ذلك لتأكيد فداحة المصيبة وتعظيم أثرها في النفوس، أو لاستمالة القارئ وإثارة إعجابه بما يعكسه الحدث من بطولة أو كارثة؛ وهكذا، يمكن القول إن المنهج الاحصائي عندهما لم يكن محايدا تماما، بل تداخل فيه الطابع التوثيقي مع البعد الخطابي والتأثيري في بناء الرواية التاريخية.

2- أوجه الاختلاف:

1.2- الشكل العام للكتاب:

يُلاحظ اختلافٌ واضح بين الكتابين من حيث الحجم وبنية المادة التاريخية، إذ ألّف ابن حيان القرطبي عملا تاريخيا ضخما في مؤلفه المقتبس، الذي امتاز باتساعه وتنوّع موضوعاته، حتى فيما وصلنا منه فقط، وهو ما يعكس طموحه الموسوعي في تدوين تاريخ الأندلس برؤية شاملة ومتكاملة.

أما الوارجلاني، فقد قدّم في السير عملا أكثر تواضعا من حيث الحجم، على الرغم من اتساع الإطار الزمني الذي تناوله، إذ اقتصر على عرض أبرز المحطات والأعلام في التاريخ الإباضي، دون الإسهاب الذي ميّز منهج ابن حيان؛ ويُظهر هذا الفارق أن كلّا منهما قد اختار منهجا للتأليف يتناسب مع غاياته وموضوع كتابه؛ فبينما سعى ابن حيان إلى بناء سرد تاريخي شامل، ركّز الوارجلاني على توثيق التجربة المذهبية ضمن حدودها الفكرية والروحية.

2.2- اللغة والأسلوب:

لقد مثّلت الخلفية الأدبية لدى المؤرخين معيارا أساسيا في تحديد أسلوب الكتابة التاريخية ولغتها عند كلّ من ابن حيان والوارجلاني، إذ انعكست التكوينات اللغوية والأدبية لكل واحد منهما على طريقته في العرض والتعبير.

فابن حيان، الذي نشأ أديبا وتضلّع في علوم اللغة دراسة وتأليفا، تميّز بأسلوب لغوي رفيع يجمع بين الدقة والثراء، وقد أفاد من معارفه الواسعة في اللغة واطلاعه العميق على فنونها، فجاءت كتابته نثرية سهلة تمتاز بالاسترسال والعفوية دون إخلال ببلاغة الصياغة وجمال التركيب، وكان كثيرا ما يبتعد عن الصياغة المتكلفة القائمة على السجع والمحسنات اللفظية، ويميل إلى الأسلوب السهل الممتنع الذي يجمع

بين صفاء العبارة وجزالة المعنى، مستعملا أدوات البيان من تشبيه واستعارة وكناية دون إفراط أو تكلّف أو ادعاء معرفة.

أما الوارجلاني، فقد اتسم أسلوبه بالبساطة والوضوح، بعيدا عن الزخرف اللفظي والتراكيب المتصنّعة، فجاءت عباراته مباشرة، تعبّر عن الفكرة بوضوح وسلاسة، وقد طغى على لغته الطابع المحلي في كثير من المواضع، إذ أدرج فيها عددا من الألفاظ والتعابير الدارجة في منطقته، مما أضفى على أسلوبه طابعا واقعيا يعكس البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ فيها.

3.2- توظيف النصوص الشرعية من الكتاب والسنة:

تستمر الخلفية الدينية والفكرية للمؤرخ في التأثير على أسلوبه ومنهجه في الكتابة التاريخية، وإن كان هذا التأثير يختلف من مؤرخ إلى آخر في الدرجة والمظهر؛ ففي حالة ابن حيان، يبدو هذا الحضور أقل وضوحا مقارنة بأبي زكرياء، إذ نادرا ما أورد نصوصا شرعية صريحة في مؤلفه، مكتفيا أحيانا بالاستئناس ببعضها لتدعيم فكرته أو تأكيد موقفه، ويُعزى هذا المنحى إلى طبيعة كتابه "المقتبس" الذي وضعه ليكون عملا تاريخيا صرفا، غايته تدوين الأحداث وتحليلها أكثر من تقديمها في إطار وعظي أو ديني.

أما الوارجلاني، فقد تجلى البعد الديني في كتابه "السير" بوضوح أكبر، إذ زخَر نصّه بمقتطفات متعددة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، فضلا عن آثار الصحابة والتابعين، موظِّفا إياها في سياق تأكيد المواقف الأخلاقية والعقدية التي تبنّاها، وهذا التوجه ينسجم مع طبيعة موضوعات الكتاب وغاياته المعلنة، والمتمثلة في خدمة سير مشايخ الإباضية وتوثيق مسيرتهم الفكرية والروحية، مما جعل الإسناد إلى النصوص الشرعية جزءا أصيلا من منهجه في الكتابة وأسلوبه في الاستدلال.

4.2- استخدام الأمثال والأشعار والتوسع في الأساطير:

تميّز كلٌّ من ابن حيان القرطبي والوارجلاني في منهجهما من حيث حجم وشكل توظيف الأشعار والأمثال والأساطير في كتاباتهما التاريخية، إذ اتخذ كلٌّ منهما مسارا مختلفا في التعامل مع هذه العناصر الأدبية داخل النص التاريخي.

فابن حيان توسّع إلى حدّ كبير في إيراد أخبار الشعراء، فأفرد لهم صفحات مطوّلة بل خصّهم بفصول مستقلّة ضمن المقتبس، تناول فيها تراجمهم وأشعارهم، مستشهدا بعدد وافر من القصائد والمقطوعات الشعرية التي جعل منها وسيلة لإثراء السرد وإضفاء بعدٍ ثقافي وأدبي على عمله التاريخي؛ وفي المقابل، يكاد يخلو كتابه من الأمثال الشعبية أو الأساطير التي كانت شائعة في مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه، مما يعكس ميله إلى الكتابة التاريخية الرصينة البعيدة عن الخرافة والمأثور الشفهي غير الموثّق.

أما الوارجلاني، فعلى الرغم من تقليله من حجم المادة الشعرية في السير، وإيراده للأشعار والمنظومات في حدود ما يخدم غايته التعليمية والدعوية، إلا أنه أغرق كتابه بالأمثال والأساطير التي وظّفها توظيفا رمزيا وأخلاقيا، مستعينا بها لتقريب المعاني وتوضيح المواقف وتدعيم الاتجاه الوعظي في كتابه؛ وبهذا يتجلّى التباين بين المؤرخين في طبيعة الأدوات الأدبية التي استثمراها لخدمة السرد التاريخي، بين نزعة علمية توثيقية عند ابن حيان، وأخرى رمزية تربوية عند الوارجلاني.

خامسا: القيمة العلمية والتاريخية:

1- أوجه الشبه:

1- الحفاظ على الذاكرة التاريخية للمنطقة:

يشترك كلٌّ من ابن حيان القرطبي وأبي زكرياء الوارجلاني في كون كتابيهما يمثلان إسهاما بارزا في خدمة الموروث الثقافي والتاريخي لمنطقة الغرب الإسلامي، إذ تقاسما مهمة صون الذاكرة الجماعية وتوثيق التجربة الحضارية لمجتمعات هذا الفضاء الجغرافي المتنوع.

فابن حيان يُعدّ شيخ مؤرخي الأندلس وأبرز من أرّخ لها، إذ وضع مشروعا موسوعيا ضخما في مؤلفه المقتبس، قدّم من خلاله سردا شاملا لتاريخ الأندلس السياسي والاجتماعي والثقافي، على الرغم من ضياع أجزاء كثيرة منه، وقد أرّخ لحقب متعددة بعمقٍ منهجي ورؤية تحليلية جعلت من عمله مرجعا لا غنى عنه في دراسة تاريخ الأندلس.

وفي المقابل، يُعدّ الوارجلاني رائد الكتابة التاريخية الإباضية وأقدم مؤرخ إباضي عرفه المغرب الأوسط، وقد تميّز عمله السيرة بكونه من النصوص التاريخية الإباضية القليلة التي وصلتنا كاملة، مما أكسبه قيمة توثيقية فريدة؛ كما أسهم في حفظ الذاكرة الفكرية والعقدية للمجتمع الإباضي، وأرسى من خلاله تقاليد التأريخ المحلي التي استند إليها من جاء بعده من المؤرخين.

أما من حيث **أوجه الاختلاف** ضمن هذا المعيار، فلا يكاد يُلحظ بينها ما يُحدث تباينا جوهريا، إذ إنّ عمل كلّ من ابن حيان والوارجلاني يندرج في النهاية ضمن الإنتاج الإنساني والثقافي المشترك الذي يجمع بينهما، على الرغم من اختلاف السياقات الجغرافية والمذهبية لكلّ منهما؛ فكتابات المؤرخَين تعبّر، في جوهرها عن رؤية حضارية موحدة تهدف إلى حفظ الذاكرة التاريخية وصون الهوية الفكرية للغرب الإسلامي، بما يجعل من أعمالهما جهدا معرفيا متكاملا يتجاوز حدود الانتماءات الضيقة إلى أفق الثقافة الإنسانية الجامعة.

في ختام هذا الفصل يتضح لنا أنه على الرغم من هذا التباين المنهجي بين مؤرِخينا، فإنّ جهودهما تكشف عن وحدة في المقصد التاريخي، قوامها الحفاظ على الذاكرة الجماعية ونقل الخبر وفق ضوابط نقدية فرضتها طبيعة المرحلة، وقد أسهمت أعمالهما -على اختلاف مشاربها- في ترسيخ تقليد إسطوغرافي متميّز في الغرب الإسلامي، وجعلت منه مجالا خصبا لدراسة تطور المنهج التاريخي وتعدد تجلياته.

الخاتمـــة

الخاتمــة:

أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج، يمكن عرضها على النحو الآتي:

أولا: تبيّن أن الأندلس في القرن الخامس الهجري شهدت انقساما سياسيا حادّا انعكس على مختلف جوانب الحياة، غير أنّ ذلك لم يحُل دون ازدهار الحركة الفكرية والعلمية، بفعل التنافس بين أمراء الطوائف على استقطاب العلماء والأدباء، ولم تكن أوضاع المغرب الإسلامي أكثر استقرارا؛ إذ اتسمت هي الأخرى بحدة التجاذب بين القوى القبلية والصنهاجية، خصوصا بعد تراجع النفوذ الفاطمي عن المنطقة.

ثانيا: حافظت الأندلس على وحدة مذهبية واضحة بترسيخ المذهب المالكي، مستندة إلى سلطة سياسية قوية وهيبة علمية متجذّرة، ورغم ذلك برزت حركات فكرية وفلسفية واجهتها الدولة بالجدل والعقاب معا؛ وفي المقابل شكّل المغرب الأوسط مجالا واسعا جغرافيا لكنه أقلّ تماسكا مذهبيا، فقد انتصر الحمّاديون للمالكية بعد مسار طويل، بينما ظلّ الجنوب –وخاصة واحة وارجلان– على المذهب الإباضي.

ثالثا: كشفت الدراسة عن ازدهار ملحوظ للحياة الثقافية في الأندلس والمغرب الأوسط، تجلّى في كثافة الإنتاج العلمي ونشاط حركة الرحلة، ولا سيما نحو المشرق، مما أسهم في تبادل المعارف وامتداد الصلات الثقافية بعيدا عن تأثير الصراعات السياسية المباشرة.

رابعا: مرّ التدوين التاريخي الإسلامي بمراحل متعدّدة تطورت فيها مناهجه وأساليبه، فبعد أن ارتبطت بداياته بعلوم الشريعة، شهد القرن الرابع الهجري انفتاحا أوسع على موضوعات جديدة وأساليب أكثر تنوعًا، الأمر الذي أتاح للمؤرخين في الغرب الإسلامي أن يشاركوا في هذا التطور بمؤلفات متقدمة ومقاربات ذات طابع تحليلي.

خامسا: تضافرت عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية في الغرب الإسلامي؛ لتُنتج حركة نشطة في التأليف التاريخي، أسهمت في نشوء مدرسة أندلسية وأخرى مغاربية متقاربتين في خصائصهما، مع استمرار التأثر بالإسطوغرافيا المشرقية في مختلف المراحل.

سادسا: تبلورت مسيرة الكتابة التاريخية في المنطقة عبر ثلاث مراحل كبرى، برز خلالها مؤرخون كبار وصلت أعمالهم إلى آفاق واسعة، وقد تنوّعت أنماط التأليف بين المغازي والسير، والتاريخ المحلي والعالمي، والطبقات والتراجم، والمذكّرات الشخصية، والجغرافيا والرحلات، مما يعكس ثراء الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي.

سابعا: تعكس الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب الإسلامي ثراءً فكريا استثنائيا، جسّد حرص هذه الحواضر على تدوين هويتها وحفظ تراثها، ورغم التطور الخاص لكل منطقة، إلا أن عناصر التداخل غلبت على التمايز؛ حيث تشاركت المدرستان في اعتماد السير والتراجم والتاريخ المحلي كركائز أساسية، مع استناد وثيق إلى الرواية الشفهية والوثائق الرسمية، مما خلق فضاءً تأريخيا موحدا في أهدافه ومنطلقاته الثقافية والسياسية.

ثامنا: برزت ملامح التفرّد في الكتابة التاريخية لتمنح كل منطقة بصمتها الخاصة؛ فقد ارتقت الأندلس بمناهج التدوين عبر ظهور أسر علمية متخصصة صاغت تاريخا حضاريا بأساليب متنوعة، بينما تفرّد المغرب الإسلامي بدمج الوصف الجغرافي بالسرد التاريخي، مستفيدا من حركة الرحلات العلمية كرافدٍ أساسي، ومنفتحا على تفاصيل الحياة اليومية؛ إن هذا المزيج بين الوحدة والتمايز هو ما جعل من المدرسة التاريخية في الجناح الغربي للعالم الإسلامي نموذجا فريدا في النضج المنهجي والاستقصاء المعرفي.

تاسعا: لا يظهر اختلاف جوهري بين الإسطوغرافيا المغربية والأندلسية من حيث المنهج أو الموضوعات، غير أنّ الاضطرابات السياسية والصراعات المذهبية أدّت –على الرغم من دورها أحيانا في إحياء حركة التأليف– إلى ضياع جزء كبير من التراث التاريخي، بينما وصلت الكتابة التاريخية الأندلسية إلى مرحلة من النضج سبقت نظيرتها في المغرب بفترة طويلة.

عاشرا: مثّل ابن حيان القرطبي رائد المدرسة التاريخية بالأندلس، بما قدّمه من بناء منهجي رصين ومادة غزيرة في تاريخه الكبير، وقد سمح له موقعه الاجتماعي وبقاؤه في قرطبة برصد دقيق لأحداث عصره ولجوانب الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية، واتسم منهجه بالتنوع بين الحوليات والتراجم والموضوعات، مع أسلوب أدبي رفيع، إضافة إلى ممارسة واعية للنقد التاريخي بنوعيه الإسنادي والمتني.

الحادي عشر: يُعدّ أبو زكرياء الوارجلاني أبرز مؤرخي المغرب الأوسط وأقدم المؤرخين الإباضيين، وقد غدا مصدرا أساسا للكتابة التاريخية عند الإباضية؛ انعكس تكوينه الفقهي في كثافة النصوص الشرعية التي استشهد بها، غير أنّ موضوعات كتابته بقيت محدودة في الإطار الإباضي وحده؛ مما حال دون تقديم صورة تاريخية وجغرافية شاملة للمنطقة رغم أهميته كشاهد على عصره، وامتاز أسلوبه بالبساطة والوضوح، مع حضور واضح لمنهج الجرح والتعديل.

الثاني عشرة: يتّضح من المقارنة المنهجية أن ابن حيان كان أوسع أفقا وأغزر إنتاجا، وأكثر تنوعا في أنماط الكتابة التاريخية من الوارجلاني الذي ضاقت موضوعاته بحدود المجال الإباضي، وقد شكّل "المقتبس" نموذجا إسطوغرافيا شاملا، بخلاف "السيرة" الذي جاء موجَّها لموضوع محدد.

الثالث عشر: يتبيّن أنّ ابن حيان والوارجلاني قدّما نموذجين متمايزين في ممارسة الكتابة التاريخية داخل فضاء الغرب الإسلامي، رغم تقاربهما الزمني واختلاف أطرهما المذهبية والجغرافية؛ فقد اعتمد كل منهما منهجا خاصا في ترتيب الوقائع وبناء السردية التاريخية، سواء من حيث طبيعة المادة التي جمعاها، أو أسلوب المعالجة، أو الرؤية المضمرة للحدث التاريخي، وإذا كان ابن حيان يميل إلى الجمع الواسع للأخبار وربطها بالسياقات السياسية والحضارية للأندلس، فإن الوارجلاني قد خصّ مادته التاريخية بعمق مذهبي وفكري ينسجم مع البيئة الإباضية التي نشأ فيها، مع عناية أوضح بالسير والطبقات.

آفاق البحث المستقبلية:

تكشف هذه الدراسة عن جملة من المسارات البحثية التي تستدعي مزيدا من العناية، أهمها:

1- توسيع نطاق الدراسات المقارنة في التاريخ الوسيط، سواء بين مؤرخي المغرب الأدنى والأقصى أو بين المشرق والمغرب في الفترات نفسها أو غيرها.

2- ضرورة التنقيب الجاد عن التراث الإباضي المفقود، لاستكمال الصورة التاريخية للمنطقة وملء الثغرات التي ما تزال قائمة في السردية المغاربية.

الملاحـق

الملاحـق:

الملحق رقم 01:

جدول يبين مصادر ابن حيان التي نقل عنها روايات قليلة[1]

المصدر	الجزء	العدد	في التراجم	في الحوليات
ابن مسعود	4	7	1	6
ابن عبد ربه	1	3	3	×
	3	2	2	×
	المجموع	5	5	×
القيني	1	3	3	×
	4	2	1	1
	المجموع	5	4	1
عريب	4	5	1	4
ابن النظام	1	1	12	×
	3	2	3	×
	المجموع	3	1	×
سكن	3	2	1	1
صاعد الطليطلي	3	1	1	×
	4	1	×	1
الزبيدي	3	1	1	×

[1]- طارق وراد، المرجع السابق، ص 262-263.

ابن الأشقر	3	2	×	2
ابن الجزار	5	2	×	2
الخزائني	1	2	1	1
الوراق	5	1	×	1
المذحجي	1	1	1	×
ابن الناصر	1	1	1	×
ابن حبيب	1	4	2	2

الملحق رقم 02:

جدول يبين مصادر الوارجلاني في كتابه السيرة[1]

الرقم	المصدر	العدد
01	أبو الربيع سليمان بن يخلف	60
02	يعقوب بن أبي القاسم	7
03	أبو الربيع سليمان بن موسى بن عمران (عمر)	6
04	محبوب بن أبي عبد الله السدراتي	5
05	محمد بن نوح	4
06	ماكسن بن الخير	4
07	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر	3
08	أبو يعقوب يوسف بن نفاث	3
09	أبو يحي زكرياء بن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسرور اليهراسني	3
10	أبو نوح سعيد بن زنغيل	3
11	يونس بن أجاج	3
12	سليمان بن موسى بن زنغيل	3
13	إسماعيل بن أبي زكرياء	2
14	يوسف بن موسى الدرجيني	2
15	محمد بن عطية المزاتي	2
16	يحي بن يوسف المديوني	2
17	أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الدمري	2
18	علي بن أبي يحي	1
19	أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي	1
20	أبو عبد الله محمد بن أحمد	1

[1]- تم إحصاء أسماء الشيوخ من خلال كتاب السير للوارجلاني مع الاستئناس بما أحصاه الباحث صالح الزرويل في دراسته.

21	إبراهيم بن إبراهيم	1
22	رحيل الغوانية	1
23	أبو يعقوب الستيتي (علي بن يعقوب)	1
24	أبو وانودين	1
25	أبو إسحاق إبراهيم بن مصكودس الدجيمي	1
26	يونس بن أبي الحسن	1
27	محمد بن نود	1
28	محمد بن مانوج	1
29	ميمون حمودي بن زورستن الوسياني	1
30	سعيد بن عمار الزواغي	1
31	أبو صالح اليراسني	1
32	فلفل بن يحيى	1
33	أبو يعقوب يوسف بن محمد التناوتي	1
34	أبو يعقوب يوسف بن أبي عبد الله محمد بن بكر	1
35	سليمان بن عبد الله بن شكر الفطناسي المزاتي	1
36	علي بن منصور اليراسني	1
37	محمد بن خيران اليراسني	1
38	نوح بن تاني الزلفيني	1
39	عبد السلام بن عمران اليكشني	1
40	أبو صالح التركيت	1
41	أبو زكرياء يحي بن جعفر	1
42	عيسى بن يرسوكسن	1
43	ويسلان بن أبي صالح	1
44	أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور	1
45	أبو مسور يشجا بن يوجين اليهراسني	1

46	أبو معروف سعيد بن أبي يونس	1
47	يعقوب بن يونس الياجراني	1
48	علي بن أبي علي الياجراني	1
49	أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم	1
50	حسن بن ورمجوج النفوسي	1
51	أبو الربيع مصالة بن يحيى	1
52	أبو محمد جمال المدوني المزاتي	1
53	أبو الربيع سليمان بن ماطوس الشروسي	1
54	عمروس بن عبد الله الزواغي (عمار الزواغي)	1
55	أبو محمد عبد الله بن زورزتن المدوني	1
56	سليمان بن داود بن يوسف	1
57	يعقوب بن أبي يعقوب	1
58	أبو يعقوب وأبو يوسف (ابنا منيب إسماعيل بن درار الغدامسي)	1
59	أبو متلي بياضة بن سودرا	1
60	أبو بكر بن يحيى الزواغي النُميلي	1

الملحق رقم 03:

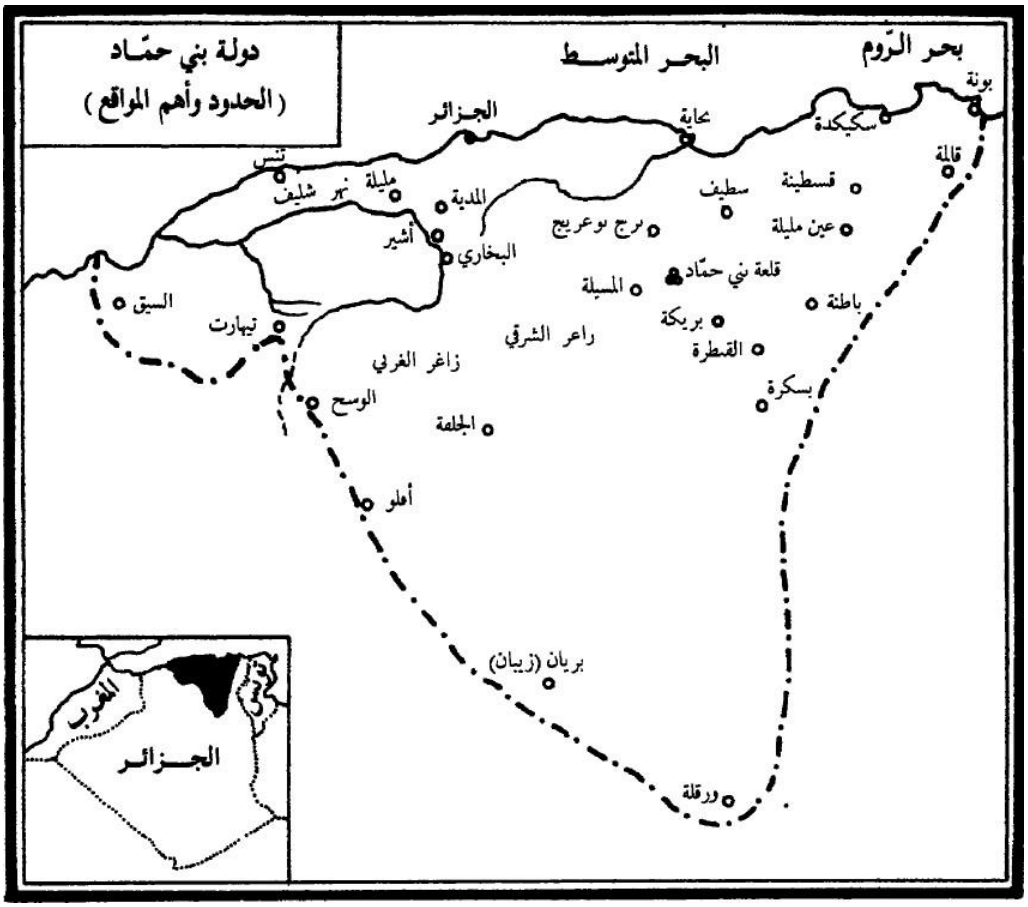
بطاقة تقنية مقارنة بين المؤرخين وفق معايير محددة[1]

المعايير	ابن حيان القرطبي	أبو زكرياء الوارجلاني
المولد والوفاة	377-469هـ/987-1076م	...-بعد 474هـ/...-1081م
المدينة والنشأة	قرطبة (الأندلس)	وارجلان (تماواط)
الحياة الشخصية	**ولده:** ويُدعى عمر	**خاله:** أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل **أخوه:** أبو يحي زكرياء بن أبي بكر
المذهب/العقيدة	سني مالكي	إباضي
الرحلات	لم يغادر قرطبة	وادي ريغ، طرابلس، تمولست (جنوب شرق تونس)
الخلفية الفكرية	الأدب واللغة، السياسة والادارة	دينية شرعية
عدد الشيوخ	5 وآخرون	5 وآخرون
عدد التلاميذ	9 وآخرون	9 وآخرون
عدد المؤلفات	**4 مؤكدة هي:** المقتبس، المتين، أخبار الدولة العامرية، البطشة الكبرى. **غير المؤكدة:** تاريخ فقهاء قرطبة، انتخاب من أخبار القضاة، الجمع بن كتابي القبشي وابن عفيف، الانتخاب الجامع لمآثر بني الخطاب...	**1 مؤكد وموجود:** كتاب السيرة وأخبار الأئمة. **المفقودة:** أجوبة وفتاوى في علم الكلام، رسائل في الفقه والمسائل.
الوظيفة	إملاء الذكر في ديوان السلطان (كتابة التاريخ)	مُزارع ومربي للمواشي
المواقف السياسية	تبني الرواية الرسمية في قرطبة، والولاء للخلافة الأموية.	تاريخ الأئمة، والدفاع عن الشرعية الإباضية.
المثالب والانتقادات	سياسي متذبذب	التعصب للقوميات، وكثرة الأساطير.
طبيعة الكتابة التاريخية وغايتها	**غنية ومتنوعة:** الحوليات، التراجم والسير، الموضوعات.	**ضيقة:** التركيز على السير وتراجم الأئمة.

[1]- الجدول من إنجاز الباحث بالاعتماد على مصادر ومراجع الدراسة.

الملحق رقم 04:

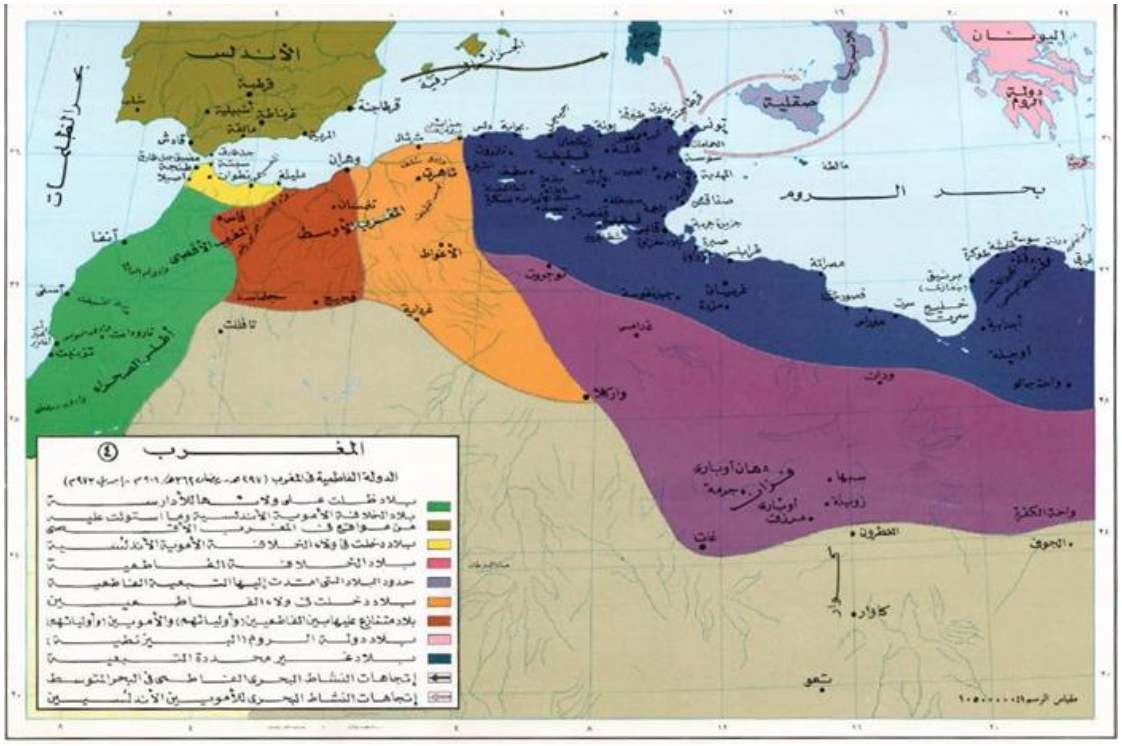
حدود الدولة الحمادية[1]



[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 97.

الملحق رقم 05:

بلاد المغرب في ظل الدولة الفاطمية[1]



[1]- حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، مصر، 1976، ص 162.

الملحق رقم 06:

الأندلس في عصرها الذهبي (عهد الخلافة والعامريين)[1]



[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 172.

الملحق رقم 07:

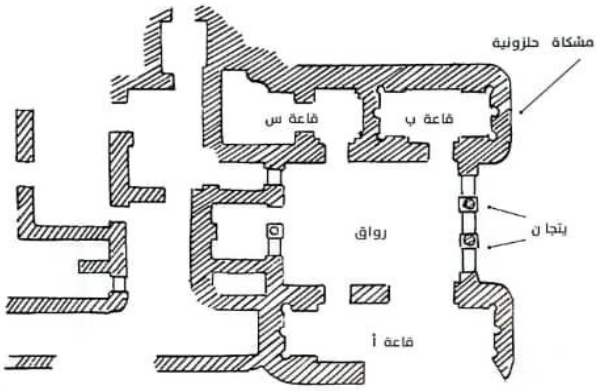
الأندلس في عهد الطوائف[1]



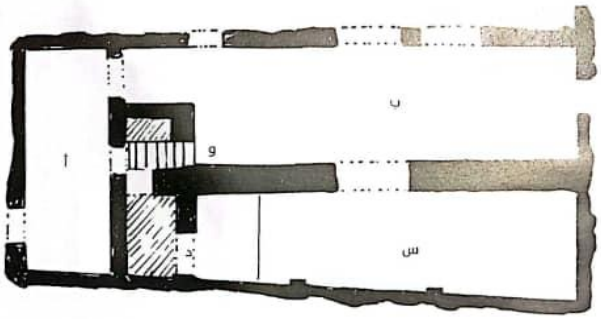
[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 173.

الملحق رقم 08:

تصاميم لبقايا من مدينة سدراتة المندثرة[1]



تصميم جزء من القصر ذو الأربعة و الثلاثين حجرة (عن فوشي)



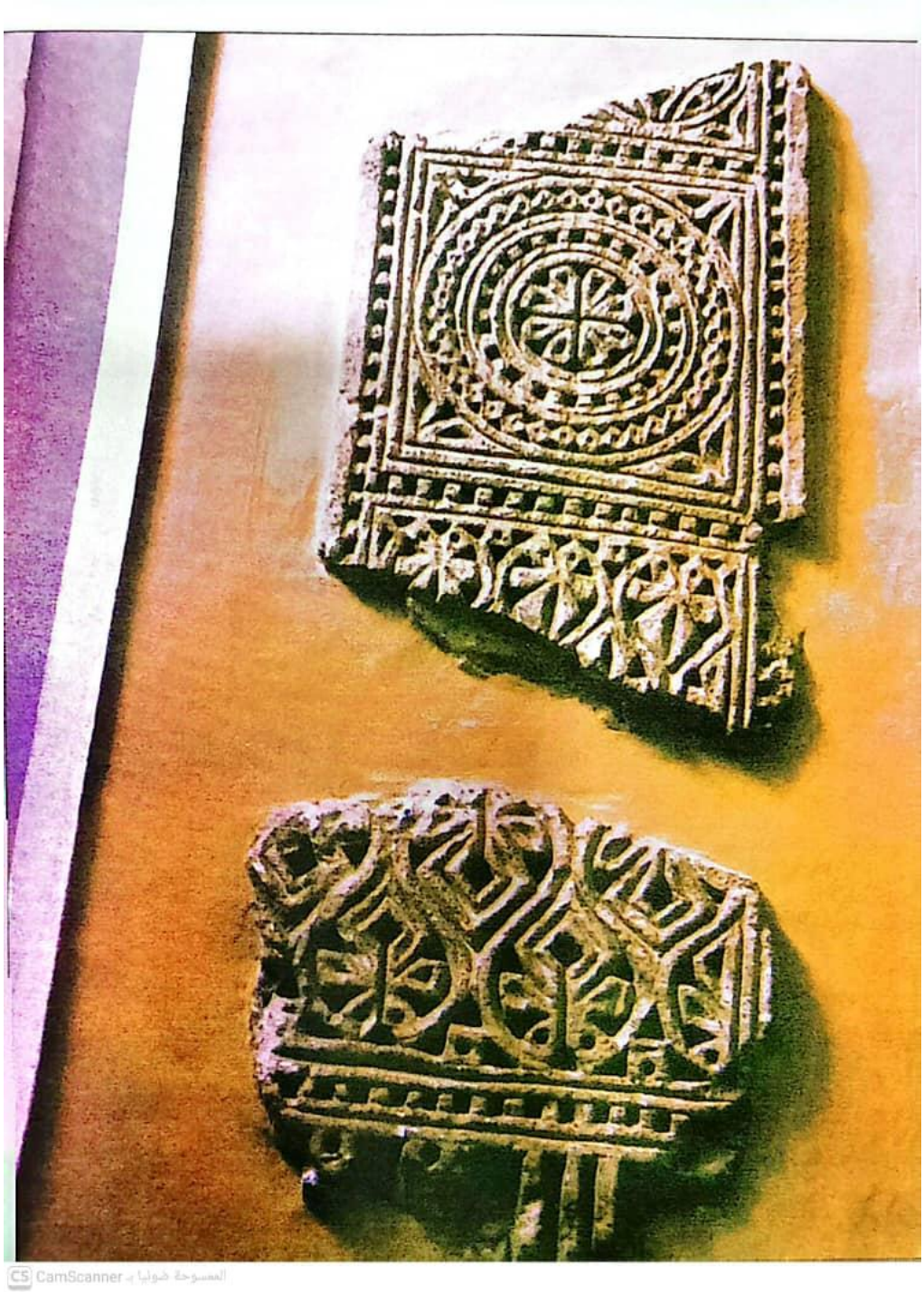
تصميم دار إكتشفها (طاري)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[1]- رشيد بورويبة، مدن مندثرة، ص 63.

الملحق رقم 09:

قطعة من الجص المنقوش بمدينة سدراتة[1]


الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 64.

الملحق رقم 10:

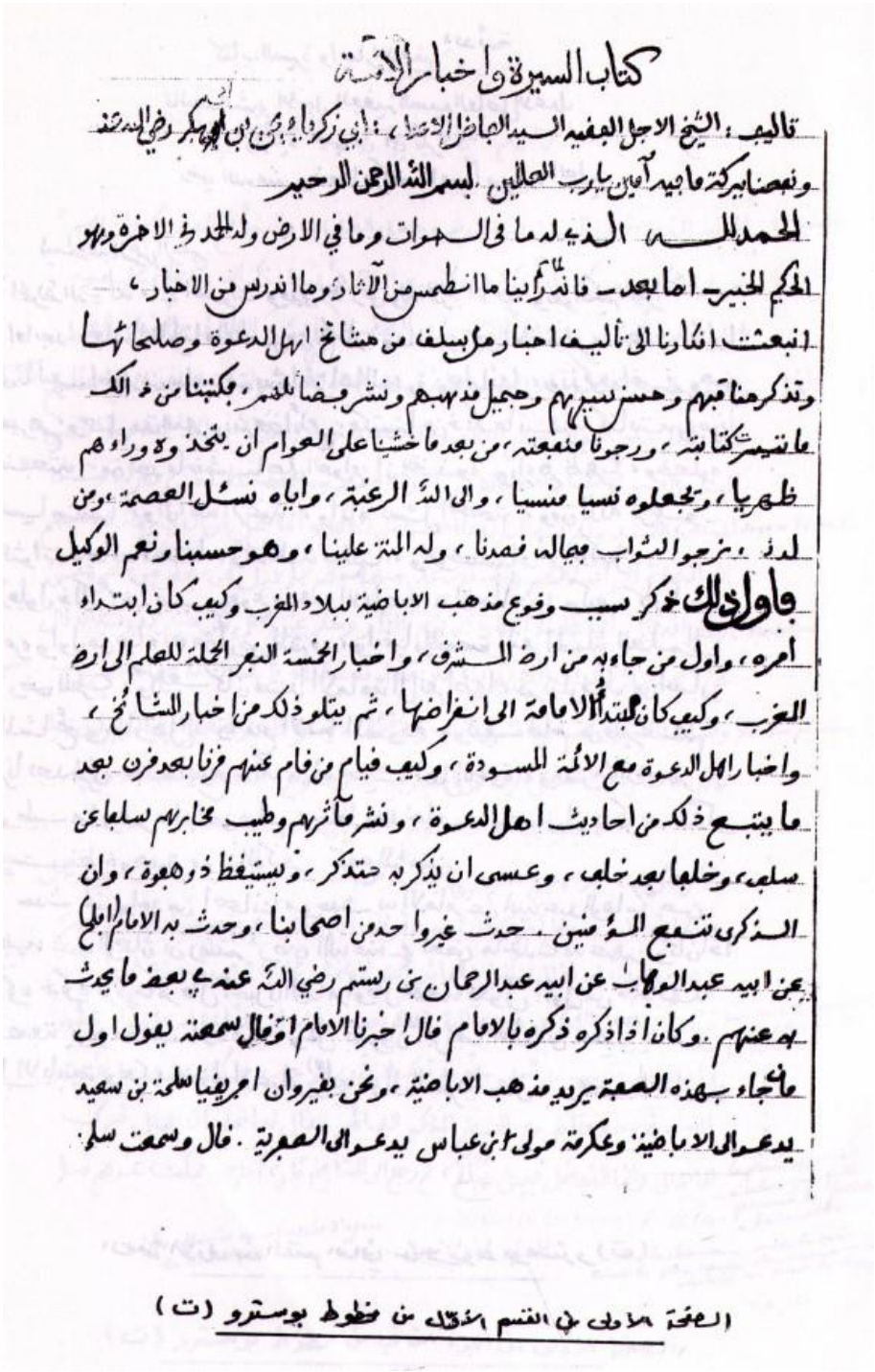
نموذج لإحدى مخطوطات كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي[1]


ذكر خلافة الأمير محمد
بن عبد الرحمن الخامس
خبر البيعة للأمير محمد وجوزه
مزيد اخوته بالخلافة
فاخبار من خلف فالأحمر محمد الرازي

[1]- ابن حيان، المصدر السابق –القطعة الثانية- (مقدمة المحقق)، ص 141.

الملحق رقم 11:

نموذج لإحدى مخطوطات كتاب السيرة للوارجلاني[1]



كتاب السيرة واخبار الائمة

تاليف: الشيخ الاجل الفقيه السيد الحافظ الاخباري ابي زكرياء يحي بن ابي بكر رضي الله عنه

ونفعنا بركته وامين يارب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو

الحكيم الخبير اما بعد - فانا رأينا ما انطمس من الآثار وما اندرس من الاخبار،

انبعثت انشارنا الى تاليف اخبار من سلف من مشائخ اهل الدعوة وصلحائها

وتذكر مناقبهم وحسن سيرهم وجميل مذهبهم ونشر فضائلهم، فكتبنا من ذلك

ما تيسر كتابته، ورجونا منفعته، من بعد ما خشينا على العوام ان يتخذوه وراءهم

ظهريا، ويجعلوه نسيا منسيا، والى الله الرغبة، واياه نسئل العصمة، ومن

لدنه نرجو الثواب بمنه فضلا، وله المنة علينا، وهو حسبنا ونعم الوكيل

فاول ذلك ذكر نسب وقوع مذهب الاباضية ببلاد المغرب وكيف كان ابتداء

امره، واول من جاءه من ارض المشرق، واخبار الخمسة النفر الحملة للعلم الى ارض

المغرب، وكيف كان مبتدأ الامامة الى انقراضها، ثم يتلو ذلك من اخبار المشائخ،

واخبار اهل الدعوة مع الائمة المسودة، وكيف قيام من قام منهم فرنا بعد قرن بعد

ما يتبع ذلك من احاديث اهل الدعوة، ونشر مآثرهم وطيب مخابرهم سلفا عن

سلف، وخلفا بعد خلف، وعسى ان يذكر به متذكر، ويستيقظ ذو هجوة، وان

الذكرى تنفع المؤمنين. حدث غير واحد من اصحابنا، وحدث به الامام ابو الخ

بن ابيه عبد الوهاب عن ابيه عبد الرحمان بن رستم رضي الله عنه ببعض ما يحدث

به عنهم. وكان اذا ذكره ذكره بالامام قال اخبرنا الامام او قال سمعته يقول اول

ما جاء بهذه الصفة يريد مذهب الاباضية، ونحن بقيروان امير يومئذ علمة بن سعيد

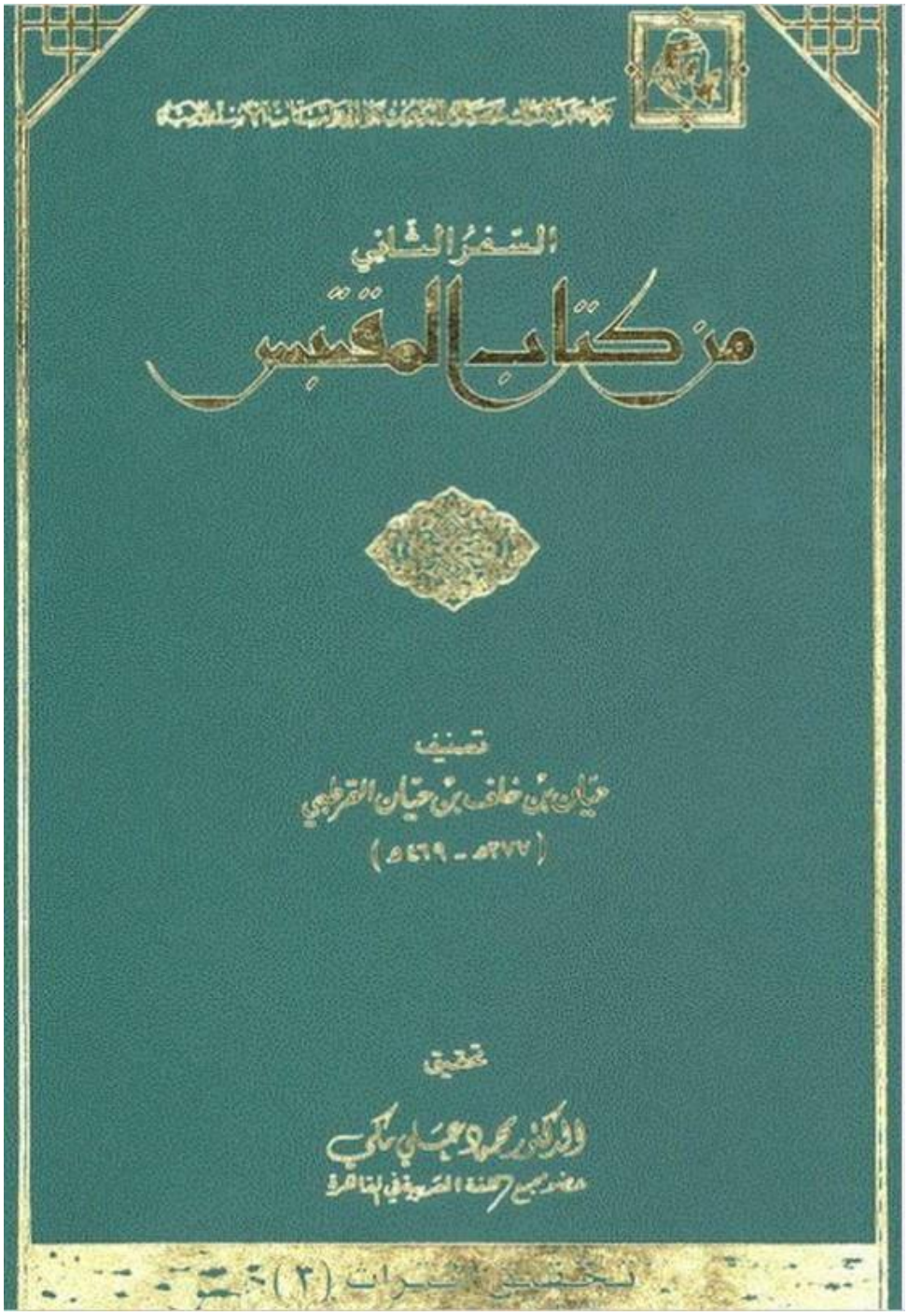
يدعو الى الاباضية وعكرمة مولى ابن عباس يدعو الى الصفرية. قال وسمعت سلم

الصفحة الاولى من القسم الشمالي من مخطوط بوستره (ت)

[1]- أبو زكرياء الوارجلاني، المصدر السابق –مقدمة المحقق–، ص 25.

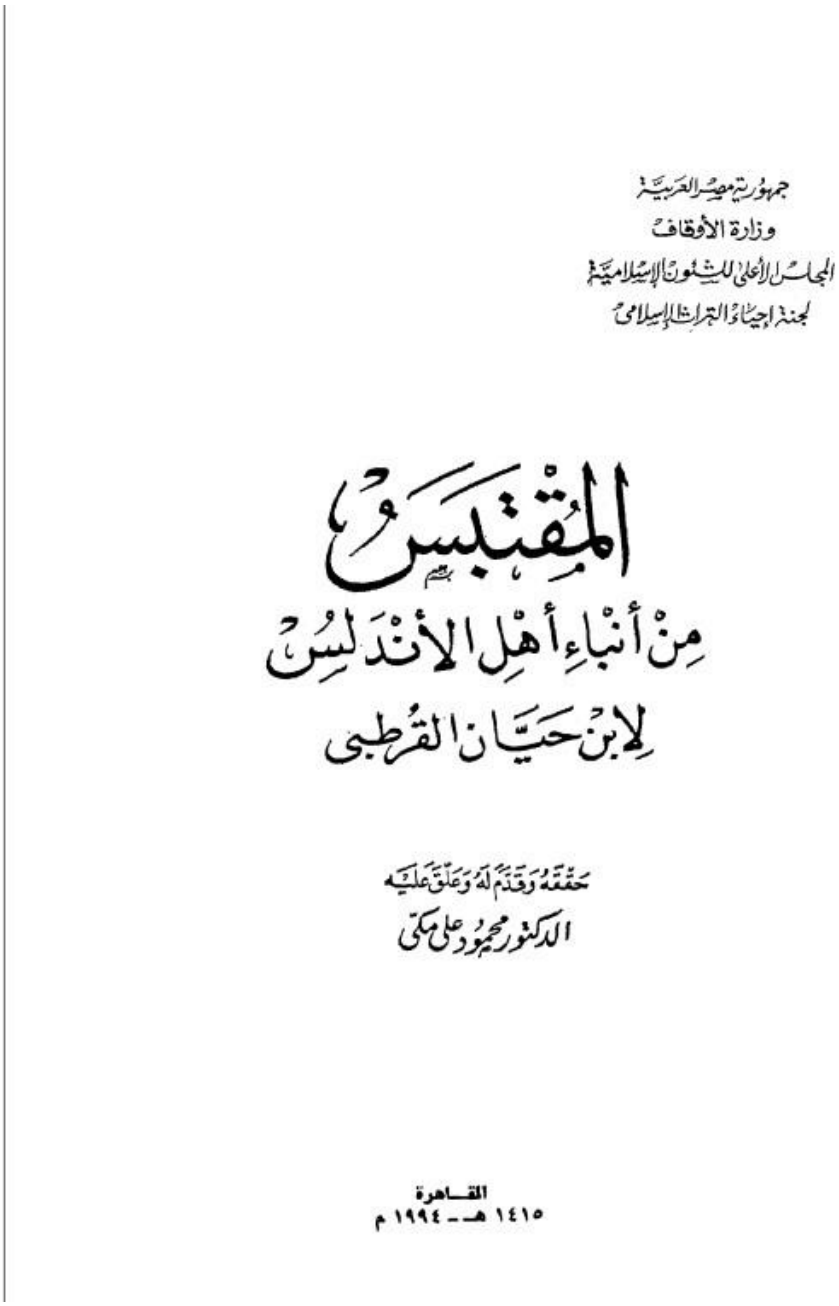
الملحق رقم 12:

القطعة الأولى من كتاب المقتبس لابن حيان



الملحق رقم 13:

القطعة الثانية من كتاب المقتبس لابن حيان


جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

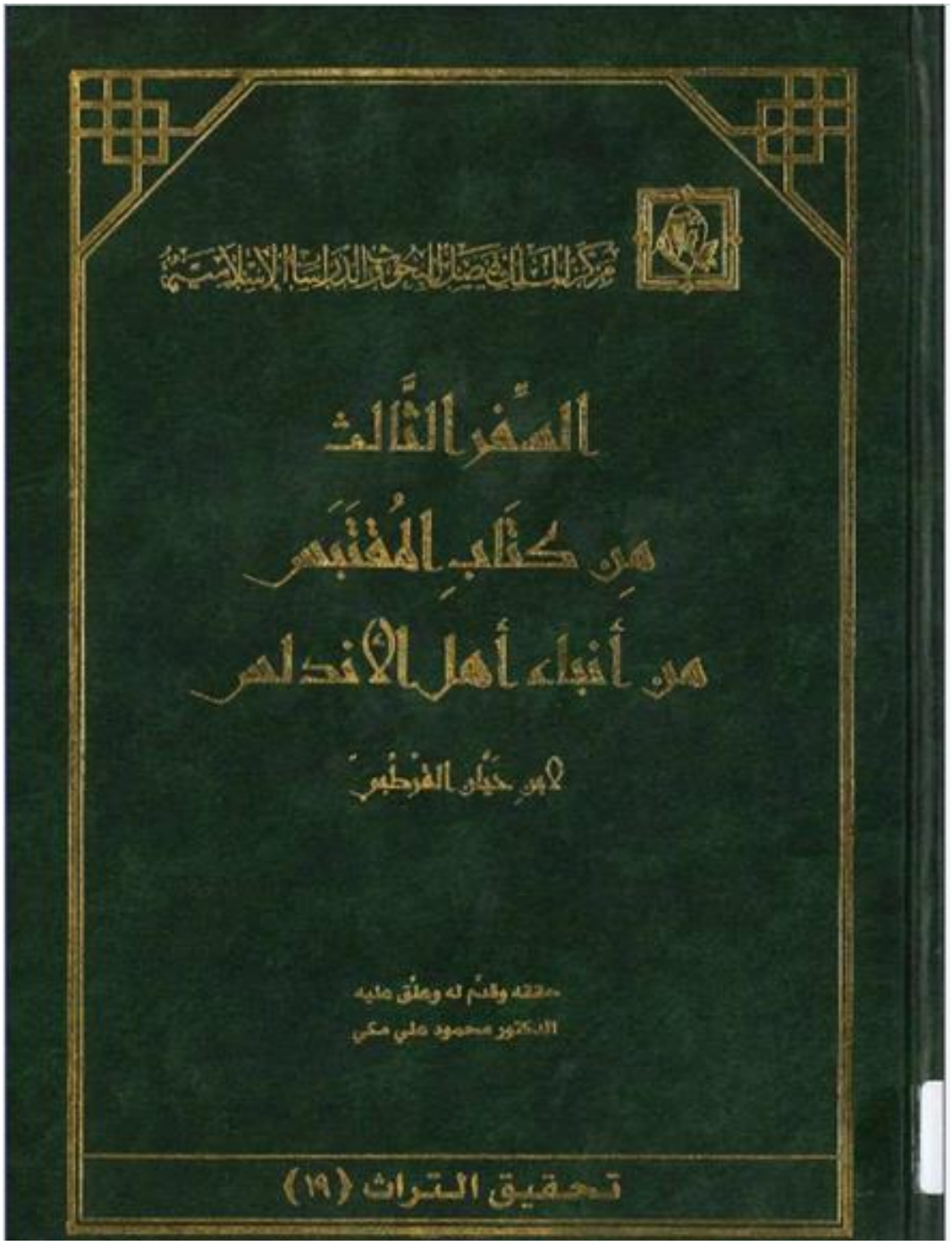
المُقْتَبَس
مِنْ أنْبَاءِ أهْلِ الأنْدَلُس
لِابْنِ حَيَّان القُرْطُبي

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
الدكتور محمود علي مكي

القاهرة
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الملحق رقم 14:

القطعة الثالثة من كتاب المقتبس لابن حيان



الملحق رقم 15:

القطعة الرابعة من كتاب المقتبس لابن حيان

المقتبس

لابن حيّان القرطبيّ

(الجـزء الخامس)

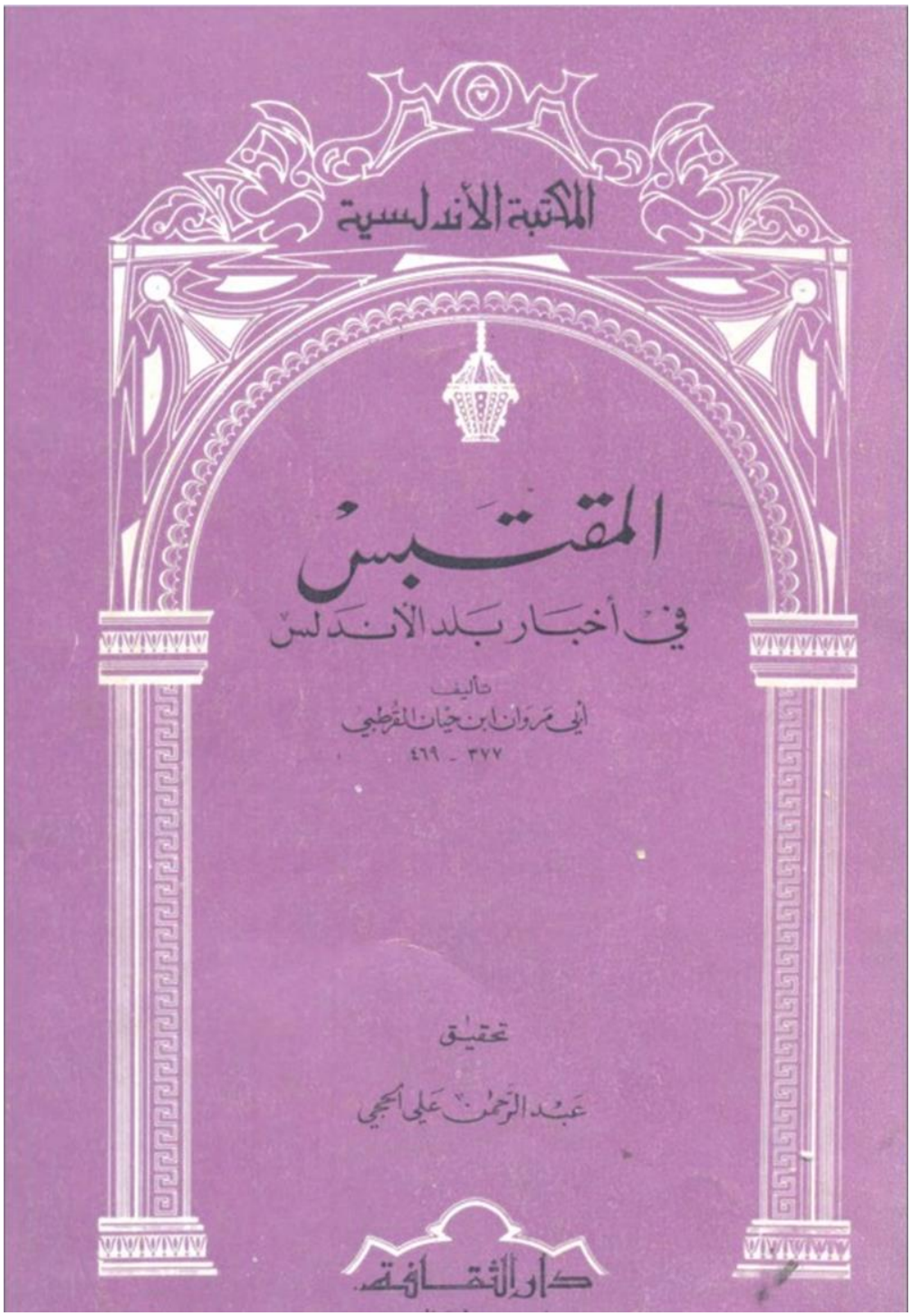
اعتنى بنشره ب . شـالميتا

بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع
ف . كورينطي و م . صبح وغيرهما

المعهد الاسباني العربي للثقافة
كليـــة الآداب بالربـــاط
مدريـد ـ ١٩٧٩

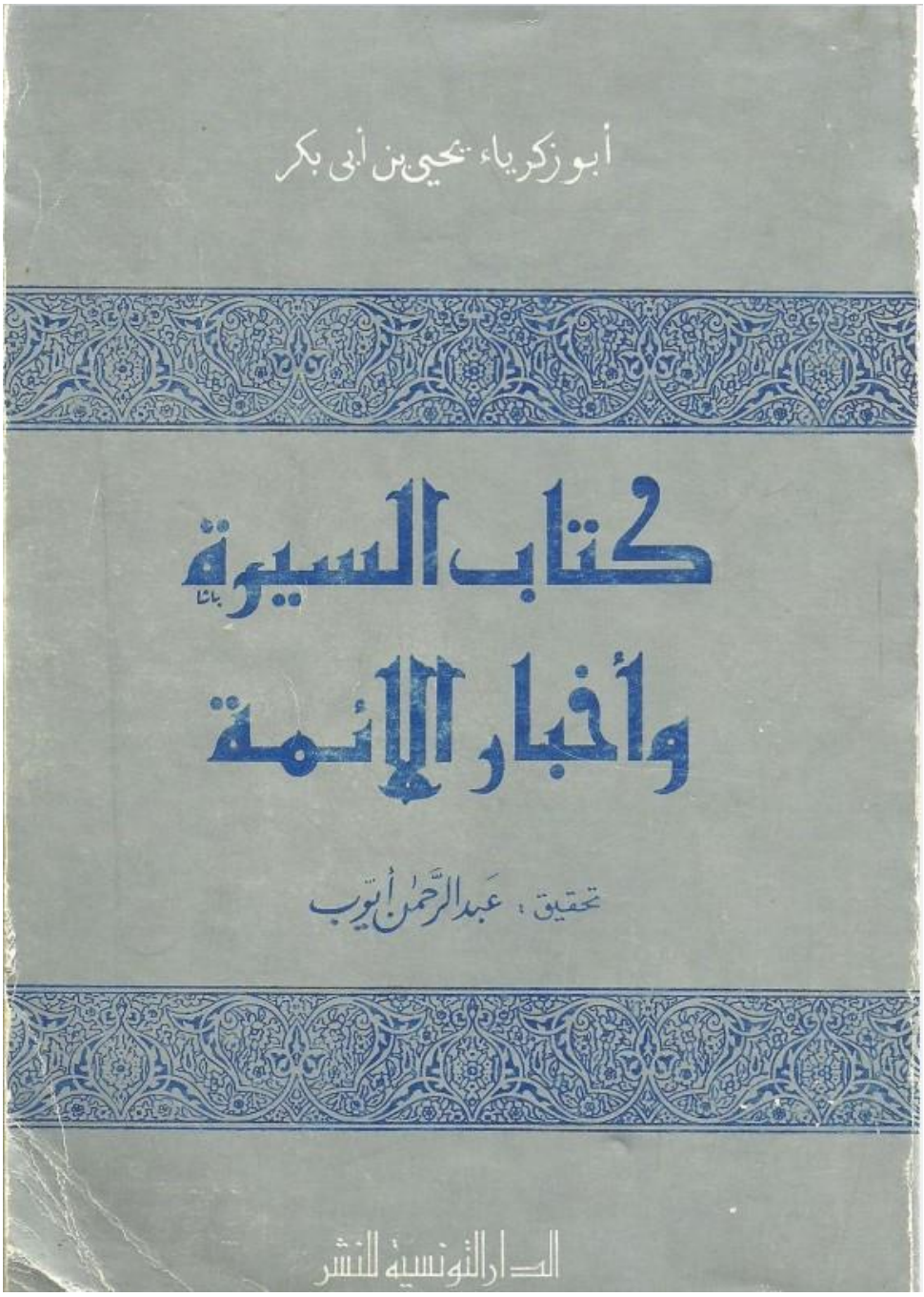
الملحق رقم 16:

القطعة الخامسة من كتاب المقتبس لابن حيان



الملحق رقم 17:

كتاب السير وأخبار الأئمة للوارجلاني



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

أولا– القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيا– المصادر:

1) ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، د.ط، 1995، ج1.
2) ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت658هـ/1260م)، **الحلة السيراء**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985.
3) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1997،1، ج7.
4) ابن الأثير: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، (ت637هـ/1239م)، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1955.
5) الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 321هـ/933م) **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1987.
6) الأسفراييني: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت 429هـ/1037م)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبنان، 1977.
7) الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى (ت 324هـ/935م)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط3، 1980.
8) الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت346هـ/957م)، **المسالك والممالك**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت.

9) ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس (ت668هـ/1269م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

10) الباروني: سليمان بن الشيخ عبد الله، **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، د.ط، د.ت

11) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت256هـ/870م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، ج3.

12) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ/870م)، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ب ط، ب ت، ج2. ج7.

13) البرّادي أبو القاسم (ت810هـ/1407م)، **الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات**.

14) البرّادي، **رسالة في ما سمعت به أو وقفت عليه من تواليف أصحابنا**، محبوب لنشر الرقمي، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2022.

15) البربهاري: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (ت329 هـ/914م)، **كتاب شرح السنة**، تح: د. محمد سعيد سالم القحطاني دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط1، 1987.

16) ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ/1147م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ق4، ج1.

17) ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1138م)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، ط2، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، 1955.

18) البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت 463هـ/1072م)، **تاريخ بغداد**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج14.

19) البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ/1094م)، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج2.

20) البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.

21) البيذق: أبو بكر الصنهاجي، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط، الرباط، المغرب، 1971.

22) الجاحظ، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت. ج3.

23) ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان (ت372هـ/982م)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

24) ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1449م)، **لسان الميزان**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002، ج5.

25) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت852هـ/1448م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1959، ج1.

26) ابن حزم وابن سعيد والشقندي، **فضائل الأندلس وأهلها**، تح صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد،، ط1، 1968.

27) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ/1063م)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ج2.

28) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2.

29) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت.

30) ابن حزم، **جوامع السيرة**، تح: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط1، 1900.

31) ابن حزم، **حجة الوداع**، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1998.

32) ابن حزم، **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها**، تح: إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ج2.

33) ابن حزم، **طوق الحمامة في الألفَة والألاف**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

34) الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت 380هـ/990م)، **المسالك والممالك**، جمع وتع: تيسير خلف

35) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ/1229م) **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، تح: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج1993،4.

36) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، ط2، بيروت، 1995، ج1.

37) الحميدي: أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي (ت 488هـ/1096م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، القاهرة، مصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966.

38) الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت 900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1980.

39) ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ/855م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج2.

40) حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ/855م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج30.

41) ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1938، ج1.

42) ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت469هـ/1076م)، **السفر الثاني من كتاب المقتبس –القطعة الأولى–**، تح: محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط1، 2003.

43) ابن حيان القرطبي، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس –القطعة الخامسة–**، تح: عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، 1965.

44) ابن حيان القرطبي، **المقتبس لابن حيان القرطبي–القطعة الرابعة–**، تح: شالميتا وف. كورينطي وم. صبح وغيرهما، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979.

45) ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس–القطعة الثانية–**، تح: محمود علي مكي، القاهرة، 1994.

46) ابن حيان القرطبي، **كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس –القطعة الثالثة–**، تح: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1990.

47) ابن خاقان: أبو نصر الفتح الإشبيلي، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح: محمد علي شوابكة، ط1، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983.

48) ابن خرداذبه: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو280هـ/893م)، **المسالك والممالك**، دار صادر أفست ليدن، بيروت، لبنان، د.ط، 1889.

49) الخشني: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني القرطبي (ت361هـ/971م)، **طبقات علماء إفريقية**، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، د.ط، د.ت

50) الخشني: محمد بن الحارث الخشني (ت361هـ/971م)، **أخبار الفقهاء والمحدثين**. –سبق ذكره–. الخشني، **قضاة قرطبة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989.

51) ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت776هـ/1374م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2.

52) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت808هـ/ 1405م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان،1988، ج4.

53) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت681هـ/1283م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط4، بيروت، لبنان، 1900، ج1.

54) ابن خير: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (ت 575هـ/1179م)، **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، تح: محمد فؤاد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ج1.

55) الداعي إدريس عماد الدين (ت872هـ/141467م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب – القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار–**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

56) الداودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي(ت 945هـ/1538م)، **طبقات المفسرين للداودي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1.

57) الدباغ: عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي، أبو زيد (ت 699 هـ/1299م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: عبد لمجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج3.

58) ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن الحسن ذي النسبين (ت633هـ/1235م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، سوريا، د.ط، د.ت.

59) الدرجيني: أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ/1271م)، **طبقات المشائخ بالمغرب**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ج 2، د.ت.

60) ابن الدلائي: أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت478هـ/1086م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، تح: عبد العزيز الاهواني.

61) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء**، تح: مج من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان،1985، ج11.

62) الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت بعد 666هـ/1268م)، **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط5، 1999.

63) الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت420هـ/1029م)، **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: عبد الله علي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط.

64) الزبيدي: أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت379هـ/989م)، **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، د.ت. المقريزي، المقفى الكبير، ج7.

65) الزركلي: خير الدين الدمشقي (1310هـ/1892م)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ج2.

66) ابن السّاعي: علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (ت674هـ/1275م)، **الدر الثمين في أسماء المصنفين**، تح: أحمد شوقي بنبن ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2009.

67) ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت230هـ/785م)، **الطبقات الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج5.

68) سعيد أبو الحسن على بن موسى المغربي (ت 685هـ/1286م)، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1970. بن

69) السلمي: عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت238هـ/852م)، **كتاب التاريخ**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2008.

70) ابن سهل: أبو الاصبغ عيسى بن عبد الله الأندلسي (ت486هـ/1093م)، **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس** (مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى)، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، مصر، ط1، 1981.

71) ابن سهل: أبو الاصبغ عيسى بن عبد الله الأندلسي، **ديوان الأحكام الكبرى**، تح: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007.

72) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، د.ط، د.ت، ج1.

73) السيوطي، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

74) السيوطي، **الجامع الكبير**، تح: مختار إبراهيم وعبد الحميد محمد ندا وحسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ج17.

75) الشماخي: أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928هـ / 1522م)، **كتاب السير**، تح: احمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1992، ج2.

76) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت 548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، ب ط، ب ت، ج1.

77) الشيخ أبو حفص عمروس بن فتح النفوسي (ت283هـ/896م)، **أصول الدينونة الصافية**، تح: حاج أحمد بن حَمُّو كرُّوم وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ط1، 1999.

78) الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 476هـ/1083م)، **طبقات الفقهاء**، تح: إحسان عباس دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ط1، 1970.

79) صاعد: أبو القاسم بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت462هـ/1069م)، **طبقات الأمم**، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1912.

80) ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

81) الصفدي: الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي الصَّفَدِي (ت بعد 717 هـ/1317م)، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2003.

82) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 2000، ج20.

83) صفي الدين: عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت 739هـ/1338م)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، دار جيل، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ج3.

84) الصنهاجي: أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر (ت628هـ/1232م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، مصر، د.ت.

85) الضبي: أبو جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1203م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، القاهرة، مصر، دار الكاتب العربي،1967.

86) الطالبي: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت 560هـ/1164م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1، بيروت، لبنان، ج2.

87) ابن طباطبا: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت 322هـ/934م)، **منتقلة الطالبية**، تح: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، انتشارات المكتبة الحيدريّة (مطبعة الأمير)، ط1، 1968.

88) عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ/1071م)، **القصد والأمم في التعريف بأصول انساب العرب والعجم**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1931.

89) ابن عبد البر: أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي (ت463هـ/1071م)، **الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى**، تح: عبد الله مرحول السوالمة، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض، السعودية، ط1، ص 1985.

90) ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 2019، ج1.

91) ابن عبد البر، **الإنباه على قبائل الرواة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

92) ابن عبد البر، **الدرر في اختصار المغازي والسير**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1982.

93) ابن عبد البر، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ويليه الإنباه على قبائل الرواة**، مكتبة القدسي، القاهرة، 1931.

94) عبد الجبار بن أحمد قاضي القضاة (415هـ/1024م)، **شرح الأصول الخمسة**، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

95) عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت 562هـ/1167م)، **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني وغيره، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1962.

96) ابن عذاري: أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (**ت بعد712هـ/1312م**)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س.كولان وإ.ليقي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1983.

97) أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت333هـ/945م)، **طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

98) أبو العرب، **كتاب المحن**، تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2006.

99) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد (ت 732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2006.

100) ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت 799هـ/1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ج2.

101) ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (ت403هـ/1013م)، **تاريخ علماء الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989.

102) أبو الفلاح: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، (ت1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمد الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج1.

103) القاضي النعمان (ت363هـ/973م)، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986.

104) القاضي النعمان، **كتاب المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي وإبراهيم شتوح ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

105) القاضي عياض: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، د.ت، ج1.

106) ابن قتيبة، **أعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم**، تح: محمد بن دليم بن سعد القحطاني، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2020.

107) القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري (ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1.

108) القمي: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي (ت299هـ/911م)، **كتاب المقالات والفرق**، مركز النشر العلمي والثقافي، طهران، ط2، 1982.

109) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989.

110) القيرواني: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد (ت386هـ/996م)، **كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ**، تح: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1973.

111) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ/1372م) **تفسير القرآن العظيم**، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط1، 1998ج2.

112) اللالكائي: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت 418هـ/1027م)، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط8، 2003.

113) المالكي: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (حي بعد 453هـ/1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرمن أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

114) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ/898م)، **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997، ج3.

115) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ/1329م)، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.

116) مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، كلية الآداب، 1958.

117) مجهول، **الاستبصار**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.

118) مجهول، **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2007.

119) المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703 هـ/1303م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012.

120) المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين(ت647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2006.

121) ابن مزاحم أبو الفضل نصر بن سيار المنقري (ت 212هـ/827م)، **وقعة صفين**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1990.

122) المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت 346 هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، إيران، 1988.

123) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ/875م)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1.

124) المقري: شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م)، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1968، ج1.

125) المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت 845هـ/1441م)، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامي)، ط1، القاهرة، مصر، ج1.

126) المقريزي: تقي الدين (ت845 هـ/ 1440م)، **المقفى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ج7.

127) ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت438 هـ/1047م)، **الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، -المكتبة الشاملة-.

128) النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت 733هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، مصر،2002، ج24.

129) الوارجلاني: أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تح: عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.

130) الوارجلاني: أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.

131) الوارجلاني: أبو يعقوب يوسف إبراهيم ، **الدليل والبرهان**، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط2، 2006.

132) ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين (ت840هـ/1436م) **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1994،3.

133) الوسياني: أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان (ت6هـ/12م)، **سيّر الوسياني**، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 2009.

ثالثا- المراجع العربية والمعربة:

134) إبراهيم إسحاق إبراهيم، **هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، السعودية، 1996.

135) أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت

136) الأحمر إسماعيل، **بيوتات فاس الكبرا**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972. بن

137) ادونيس، **الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب**، دار الساقي، بيروت، ط8، 2002، ج4.

138) الأستاذ هرنشو، **علم التاريخ**، تر: عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1937.

139) إسماعيل محمود، **إشكالية المنهج في دراسة التراث**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.

140) إسماعيل محمود، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985.

141) إسماعيل محمود، **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي –طور الازدهار الفكر التاريخي–**، سينا للنشر، مصر،ط1، 2000.

142) الأهواني عبد العزيز، **كتب برامج العلماء في الأندلس**، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، مطبعة مصر، مج1، 1955.

143) بابا حمو أعزام إبراهيم بن صالح، **غصن البان في تاريخ وارجلان**، تح: إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن بومعقل محمد، العالمية، غرداية، الجزائر، ط1، 2013

144) البابانى إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1.

145) بالنثيا انجل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت.

146) بحاز إبراهيم بن بكير وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ج2.

147) بكير بحاز إبراهيم، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، ط2، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1993.

148) بلبولة مصطفى، **الكتابة التاريخية العربية من النقل إلى النقد**، من كتاب: التاريخ والديانة رؤية منهجية لخدمة التاريخ، تقديم: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي، تلمسان، الجزائر، 2020.

149) بني ياسين يوسف أحمد يوسف، **علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002.

150) بهجت منجد مصطفى، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1988.

151) بوباية عبد القادر، **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري**، دار الكتب العلمية، ط1. بيروت، لبنان، 2011.

152) بوباية عبد القادر، **المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، 2011.

153) بوروبة رشيد، **مدن مندثرة (تاهرت، سدراتة، أشير، وقلعة بني حماد)**، وزارة الثقافة، الجزائر، ط2، 2013.

154) بورويبة رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

155) بوعصبانة عمر لقمان بن حمو سليمان، **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان**، مديرية الثقافة، ورقلة، الجزائر.

156) بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، دار الهدى، الجزائر، 2021

157) بويكا. ك، **المصادر التاريخية العربية في الأندلس**، تر: نايف أبو كرم، ط1، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1999

158) بيضون إبراهيم، **الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار النهضة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1986

159) التازي عبد الهادي، **العلاقات المغربية الأندلسية من خلال المقتبس لابن حيان**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984.

160) التليسي بشير رمضان، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

161) التهامي إبراهيم، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة –دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح إلى نهاية القرن الخامس–**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

162) الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة –دراسات ومناقشات–**، مركز دراسات الوحدة العربية، د.ط، بيروت، لبنان، 1991.

163) الجعبيري فرحات بن علي، **التجربة السياسية عند الإباضية**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 2015.

164) جعيط هشام، **تأسيس الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2004.

165) جمال الدين عبد الله محمد، **من نصوص كتاب المتين للمؤرخ القرطبي الكبير أبي مروان بن حيان**، د.ط، مدريد، 1977.

166) جهلان عدون بن الناصر، **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش 1236– 1332هـ/ 1818– 1914م**، جمعية التراث، القرارة (غرداية)، الجزائر، 1990.

167) الجوذري: أبو علي منصور العزيزي، **سيرة الأستاذ جوذر**، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت

168) جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية –تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م–**، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983

169) جيدل عمار، مدخل **إلى دراسة الفرق الإسلامية**، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر.

170) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت، لبنان، 1965، ج1

171) الحجي عبد الرحمان علي، **أندلسيات**، دار الرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1969.

172) حركات إبراهيم، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ج1.

173) الحريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي –حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس–**، دار القلم للنشر التوزيع، الكويت، ط3، 1987.

174) حسن محمد عبد الغني (لجنة من أدباء الأقطار العربية)، **التراجم والسير**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1955.

175) حسين احمد إلياس، **الإباضية في المغرب العربي**، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1996.

176) حسين حسني محمود، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1983.

177) الحشماوي الطيف إبراهيم، **التدوين التاريخي (من1هـ إلى 400هـ)**، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2016.

178) الحشماوي رشيد الطيف إبراهيم، **التدوين التاريخي (من سنة1هـ إلى 400هـ)**، دار صفحات، دمشق، ط1، 2016.

179) بن حمدة عبد المجيد، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، مطبعة دار العرب، تونس ط1، 1986.

180) حميد أحمد بن محمد، **كتابة الحديث بين النهي والإذن**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، د.ت.

181) حميداتو مصطفى والعيادي خدومة، **فن التراجم عند الأندلسيين دراسة في النشأة والمنهج**، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع22، مج13، 2016.

182) خليفات عوض محمد، **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط4، 2015.

183) خليفة حاجي: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني حاجي خليفة (ت1067هـ/1656م)، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، 2010، ج3.

184) خليفة حاجي: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني حاجي خليفة (ت1067هـ/1656م)، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1 ج2، د.ت.

185) دبوز محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ط2، ليبيا، 2010، ج1.

186) دبوز محمد علي، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، مطبعة التعاونية، ط1، 1965، ج1.

187) الدوري عبد العزيز، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، د.ط، 2002.

188) دوزي رينهرت، **المسلمون في الأندلس (اسبانية الإسلامية)**، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2.

189) دياب حامد الشافعي، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998.

190) ذنون طه عبد الواحد، **تراث وشخصيات من الأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

191) ذنون طه عبد الواحد، ناطق صالح مصلوب، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2000

192) ذنون طه عبد الواحد، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

193) ذو النون طه عبد الواحد، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2004.

194) روجي إدريس الهادي، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12**، تع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ج2.

195) ريبيرا خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلس**، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

196) زقاوي محمد، **إباضية المغرب الإسلامي بعد سقوط دولة الرستميين –بين التحدي السياسي والعطاء الحضاري–**، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، 2023.

197) زناتي أنور محمود، **ابن حيان القرطبي مؤرخا (377–988هـ/469–1076م)**، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2011.

198) زناتي أنور محمود، **مصادر تاريخ المغرب والأندلس (المصادر، المراجع، الدوريات)**، دار سحر للنشر، ط1، 2008.

199) أبو زهرة محمد، **مالك حياته وعصره وآراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

200) أبو زيد بكر بن عبد الله، **طبقات النسابين**، دار الرشد، الرياض، ط1987،1.

201) سالم السيد عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1999.

202) سامعي إسماعيل، **قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2012.

203) سعد قاسم علي، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط1، 2002، ج2.

204) سعيدوني ناصر الدين، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

205) السلاوي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت 1315هـ/1897م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ج2.

206) سليم محمد رزق، **الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث**، دار الكتاب العربي، مصر، 1957.

207) السملالي العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1998، ج4.

208) سهيل طقوش محمد، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، ط3، بيروت، لبنان، 2010.

209) السيد أيمن فؤاد، **الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط2، 2016.

210) الشرقاوي عوض، **التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2011.

211) الشكعة مصطفى، **أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984.

212) الشكعة مصطفى، **المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1987.

213) الشكعة مصطفى، **مناهج التأليف عند العلماء العرب–قسم الأدب–**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1991.

214) صبري مصطفى، **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ج4.

215) طالبي محمد، **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1995.

216) الطيبي أمين توفيق، **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، الدار العربي للكتاب، تونس، د.ط، ج2.

217) العبادي أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان

218) عباس إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 1997،

219) عباس إحسان، **طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984.

220) عبد الكريم الوافي محمد، **منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط3، 2008.

221) بن عبود أمحمد، **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، مطبعة النور، المغرب، 1987.

222) العروي عبد الله، **العرب والفكر التاريخي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط5، 2006.

223) عزيز العظمة، **الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية –مقدمة في أصول صناعة التأريخ العربي–**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1995.

224) العسلي بسام، **سلسلة جهاد شعب الجزائر**، دار النفائس، ط3، بيروت، لبنان، 1986، ج2.

225) علال خالد كبير، **مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه**، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2003.

226) عمارة علاوة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2017.

227) العمد هاني صبحي، **كتب البرامج والفهارس الأندلسية**، المركز التقني للخدمات المطبعية، الأردن، ط1، 1993.

228) بن عميرة محمد، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

229) عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، مصر، 1997، ج1، ص 525.

230) العودة سلمان بن فهد، **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**، دار طيبة، ط3، 1991.

231) عويس عبد الحليم، **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1988.

232) عويس عبد الحليم، **أوراق ذابلة من حضارتنا –دراسة لسقوط لثلاثين دولة إسلامية–**، مؤسسة عبد الحكيم لعرابة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر.

233) عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، مصر، 1991.

234) غوتييه أ.ف، **ماضي شمال إفريقيا**، تر: هاشم الحسني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010.

235) غوميز مارغريتا لوبيز، **المستعربون: نَقَلَة الحضارة الإسلامية في الأندلس**، من كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ج1.

236) فروخ عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج4.

237) فيلالي عبد العزيز، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2014

238) القلهاتي: أبو عبد الله محمد بن سعيد الازدي، **الكشف والبيان**، تح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطة عمان، ب.ط، 1980.

239) قوجة المنصف، **تاريخ الإباضية الديني والسياسي (من القرن الأول إلى القرن سادس الهجري)**، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2014.

240) قويدر بشار، **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه**، دار الوعي، الجزائر، ط1، 1993.

241) كاسترس أم أتش، **بيبليوغرافيا الإباضية**، تر: موحمد ؤمادي وخديجة كرير، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2012، ج1.

242) كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ج1.

243) كنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، طنجة، المغرب، 1960، ج1.

244) كوبرلي بيير، **مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها**، تر: عمار الجلاصي، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.ط، د.ت، ليبيا، ص 130.

245) لقبال موسى، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

246) ليفيتسكي تادايوش، **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، تر: ماهر جرار وريما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 2007.

247) ليفيتسكي، **دراسات شمال إفريقية –جمع وترجمة لبحوث ذات أبعاد تاريخية واجتماعية ولغوية–**، تر: أحمد بومزقو، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، ط1، 2008.

248) مجموعة من الباحثين، **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط2، 2011، ج2.

249) مجهول، **كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة**، تح: الحاج سليمان بن إبراهيم بازيز الوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2009.

250) محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ج1 ج2.

251) محمود احمد بكير، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1990.

252) محمود حسن أحمد، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

253) مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ج2.

254) المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر.

255) مرسي محمد منير، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب، د.ط، 2005.

256) مزهودي مسعود، **الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب**، جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1996.

257) مزهودي مسعود، **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب(21-442هـ/642-1053م)**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2003.

258) مصطفى شاكر، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1.

259) المعلمي اليماني عبد الرحمن بن يحيى، **المقدمات وما إليها**، دار عالم الفوائد لنشر والتوزيع، السعودية، د.ط، د.ت.

260) المعلمي اليماني عبد الرحمن بن يحيى، **علم الرجال وأهميته**، تح: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1996.

261) معمر علي يحيى، **الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث**، المطبعة العربية، ط4، غرداية، الجزائر، 2018، ص 267.

262) معمر علي يحيى، **الإباضية في موكب التاريخ**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط3، 2008.

263) المغراوي محمد، **تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي**، فصل من كتاب التاريخ والفقه، تنسيق محمد حجي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002.

264) مكي محمود علي، **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 2004.

265) المنوني محمد، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، 1983، ج1.

266) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط4، 1999، مج1.

267) مؤنس حسين، **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، مكتبة مدبولي، ط2، 1986.

268) مؤنس حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، 2004.

269) الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2.

270) ناصر عمر، **فن السير عند الإباضية**، ص 3. المكتبة الشاملة الإباضية

271) نصار حسين، **نشأة التدوين التاريخي عند العرب**، منشورات اقرأ، ط2، بيروت، لبنان، 1980.

272) هلال جودة وصبح محمد محمود، **قرطبة في التاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

273) الهنتاني نجم الدين، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري– الحادي عشر الميلادي**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004.

274) هيرناندیس میغیل کروز، **الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية**، من كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ج2.

275) هيصام موسى، **موقع المحمدية (المسيلة) بالمغرب الأوسط ودورها الحضاري خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين**، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب (دراسات في آثار الوطن العربي).

276) هيكل احمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، 1958.

277) وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، **المذاهب الفقهية الأربعة**، الكويت، ط1، 2015.

278) الوراكلي حسن، **ياقوتة الأندلس دراسات في التراث الأندلسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ب.ط، 1994.

279) الوزان حسن، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983.

ب- المراجع الأجنبية:

280) Amara Allaoua, **La Qal'a des Banï Hammad : l'histoire d'un déclin** dans Archéologie islamique, 11, (2001).

281) Amara Allaoua, La **structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (XIe-XVe siècle), Les Annales Islamologiques,** 2008.

282) Amara Allaoua,**Entre le massif de l'Aurès et les oasis: apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIIIe-XIVe siècle)**, Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée.

283) Amoura Amar, **Breve Histoire D'Algerie**, Tra : A.Maaradji, Editions Raihana du livre,Kouba, Alger, 2004

284) Le Tourneau R, **La chronique d'Abou Zakariyya al Wargalani**, Revue Africaine t .CV (1960) ,99-176. Et 322-386, et t.CVI(1961)

285) Martínez Antuña Melchor, **Ibn Hayyan de Córdoba y su historia de la España musulmana**, en cuadernos de historia de Espana, vol .1946, buenos aires

286) Martinez-Gros Gabriel, **L'idéologie omeyyade, La construction de la légitimité du Califat de Cordoue (Xe-XIesiècles)**, Bibliothèque de la Casa de Velázquez no 8.1992.

287) Masqueray Emile, **Chronique D'ABOU ZAKARIA** : traduction ; imp. de l'association ouvrière Alger, 1878.

288) Motylinski**, les livres de la secte abadhite**, imprimerie de l'association ouvrière,p. fontana et clé, alger, 1885.

289) Virgilio Martínez Enamorado**, Ibn Hayyan, el abanderado de l'historia de Al-Ándalus**, Journal : Jábega Peña Martín, Salvador, Issue : 97, 2008.

جـ- الرسائل والأطروحات الجامعية

290) بوباية هاجر، **أخبار الدولة العامرية لابن حيان القرطبي –جمع ودراسة وتحقيق–**، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، تاريخ المغرب الإسلامي، تواتية بوداية، جامعة أحمد بن بلة (وهران)، الجزائر، 2020.

291) بوقاعدة البشير، **خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م –547هـ/1152م**، رسالة ماجستير، إشراف: مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة–بوزريعة–، الجزائر، 2012-2013.

292) حاج عيسى إلياس، **الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي** 398-547هـ/1007-1152م، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد العزيز لعرج، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2018.

293) الزرويل صالح، **مؤرخو الإباضية ببلاد المغرب في القرنين (5-6هـ/11-12م) الوارجلاني والبغطوري –دراسة مقارنة–**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: إبراهيم بحاز، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، 2014-2015.

294) ساحلي آسيا، **إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير، إشراف علاوة عمارة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008.

295) شعيب خنوف، **النقد التاريخي عند علماء الغرب الإسلامي خلال القرنين 5-6هـ/11-12م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: خالد كبير علال، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2018/2017.

296) العبيدي إيمان محمود حمادي، **التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري**، أطروحة دكتوراه، إشراف: كريم عجيل حسين، كلية الآداب –قسم التاريخ–، جامعة الانبار، العراق، 2011.

297) علال خالد كبير، **الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6-7هـ/12-13م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2003، منشورة.

298) ملاخ عبد الجليل، **الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري (138-479هـ/756-1086م)**، رسالة دكتوراه، إشراف: إبراهيم بحاز، جامعة الجزائر 2، 2018.

299) وراد طارق، **أبو مروان بن حيان ومنهجه التاريخي من خلال كتابه المقتبس**، رسالة ماجستير، إشراف: بوباية عبد القادر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2006/2005.

د- المقالات العلمية

300) بوبيدي حسين، **بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي (قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهي)**، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع23، س2018.

301) بوتشيش إبراهيم القادري، **دور علماء المغرب والأندلس في تدعيم المذهب المالكي**، مجلة الأحمدية، عدد20، سنة 2000.

302) بوراس بن عيسى، **كتاب سير أبي زكرياء وإشكالية الجزء الثاني**، مجلة الحياة ع25، المطبعة العربية، الغرارة، غرداية، الجزائر.

303) بوسعد الطيب، **المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث خلال القرون الهجرية الأولى**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، ع6، 2009.

304) بوشريط أحمد، **ابن الجزار القيرواني وإسهاماته العلمية**، مجلو عصور الجديدة، ع23 (عدد خاص)، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2016.

305) بوعصبانة عمر سليمان، **تراثنا والمستشرقون**، مجلة الحياة، القرارة، الجزائر، العدد 08، 2004، ص 180.

306) بوعقادة عبد القادر، **التحول المذهبي في العهد الصنهاجي "الحمادي الزيري" وأثره على بلاد المغرب الأوسط**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، المارات العربية المتحدة، دبي، ع74، س2011.

307) حجي علي عبد الرحمان، **ابن حيان القرطبي مؤلفاته ومنهجيته**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984.

308) خضر حازم عبد الله، **أبو مروان ابن حيان أديبا وكاتبا**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984.

309) ربوح عبد القادر، **الكتابة التاريخية في الأندلس ما بين القرن 4-5هـ/10-11م (مجالاتها، أصنافها، نماذجها)**، مجلة الباحث، مج11، ع02، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2019.

310) ربوح عبد القادر، **مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ما بين القرن 3-4هـ/9-10م**، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، ع8، 2018.

311) رحمون الحسين العربي، **أدباء الأندلس إسهاماتهم وتأثيرهم في الحركة الأدبية العربية (خلال القرنين: السابع والثامن الهجريين)**، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ق4.

312) الزرويل صالح وبحاز إبراهيم، **ملامح من الكتابة التاريخية الإباضية ببلاد المغرب ما بين القرنين (3-10هـ/9-16م)**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، ماي 2022.

313) زمامة عبد القادر، **ابن حيان وأهل العدوة**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984.

314) زيادة محمد مصطفى، **سيرة الأستاذ جوذر (تصنيف أبي علي الجوذري)**، المجلة التاريخية المصرية، ع05، س1956.

315) سبتي منير جهاد محمد، **من اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري –الأنساب نموذجا–**، مجلة الآداب، كلية المأمون، جامعة، العراق، ع132، 2020.

316) سعيدي زكرياء وملاخ عبد الجليل، **حركة ابن مسرة القرطبي من خلال كتاب المقتبس لابن حيان الأندلسي** 3-4هـ/9-10م، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، المجلد 6، العدد02، 2022.

317) السيابي أحمد بن سعود، **السير الإباضية بين المشارقة والمغاربة**، الندوة الدولية العلمية حول كتب السير الإباضية، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، الخوض، سلطنة عمان، 2015.

318) الشمخي رحيم هادي، **قرطبة ومدرستها الفكرية**، مجلة الموقف الأدبي، ع606، 2021.

319) الطرابلسي حنان، **سيرة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري من خلال كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني**، الندوة العالمية حول كتب السير الإباضية، مركز الدراسات العمانية، الخوض، سلطنة عمان، ج2، 2014.

320) عبد الرحمان عائشة، **أبو مروان ابن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984.

321) عبد العظيم علي، **شيخ المؤرخين أبو مروان ابن حيان**، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع29، 1984.

322) عبد المجيد سعد زغلول، **هامش على مصادر تاريخ الإباضية في المغرب –دراسة لكتاب السير–**، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية، تونس، 1979، ج1.

323) الغلبزوري توفيق بن أحمد، **المدرسة المالكية بالأندلس بين التقليد والإتباع**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مج20، ع63، 2005.

324) مسعودي نور الدين، **القبائل الهلالية ضمن المشاريع السياسية للدولة الحمادية (405-547هـ/1014-1152م)**، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 02، العدد 05، مارس 2020.

325) بن معاذ منجي، **السير الإباضية عند المستشرقين**، الندوة العالمية حول كتب السير الإباضية، مركز الدراسات العمانية، الخوض، سلطنة عمان، ج2، 2014.

326) مفتاح محمد، **منهاجية ابن حيان في تأريخ الأدب ونقده**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984.

327) الهراس عبد السلام، **مأساة الأندلس في رأي ابن حيّان**، مجلة المناهل، ع29، س1984.

328) وداد القاضي، **الفكر السياسي لأبي مروان ابن حيان**، مجلة المناهل، ع29، الرباط، المغرب، 1984.

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام:

-أ-

إبراهيم بن أبي إبراهيم مطكوداسن بن يخلف بن مالك الدجمي المزاتي الغرماني 185

إبراهيم بن أبي العباس بن خلف التميمي 144

إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي 146

إبراهيم بن سليمان الشامي 206

ابن أبي الرقاع 130

ابن أبي زيد القيرواني 62، 143

ابن إسحاق 103، 120

ابن أعثم الكوفي 105

ابن الأثير 35، 40، 41، 80، 190، 318

ابن التبان 110

ابن الجوزي 130

ابن الخطيب 23، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 39، 40، 41، 62، 177، 178، 318

ابن الخير الاشبيلي 121، 169

ابن الربيب التيهرتي 114

ابن الصغير المالكي 106

ابن الفرضي 12، 14، 64، 68، 73، 90، 91، 121، 124، 125، 133، 134، 144، 146، 165، 207، 210، 212، 215، 217، 219، 319

ابن القاسم 62

ابن القوطية 111، 133، 134، 209، 210، 212، 239، 248، 319

ابن الكلبي 105

ابن بسام 12، 21، 27، 28، 32، 33، 34، 39، 71، 96، 164، 170، 172، 174، 175، 178، 191، 210، 217، 233، 250، 251، 292، 319

ابن بشكوال 74، 75، 121، 122، 125، 126، 129، 131، 134، 139، 161، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 171، 208، 209، 210، 319

ابن جُلجُل 125

ابن حزم 12، 65، 67، 68، 69، 74، 75، 84، 96، 101، 122، 125، 126، 127، 131، 133، 134، 136، 137، 140، 152، 162، 165، 192، 210، 211، 254، 319، 320، 335

ابن حوقل 14، 35، 137، 179، 320

ابن حيان 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12، 13، 17، 20، 21، 24، 25، 30، 33، 68، 82، 93، 95، 96، 115، 117، 131، 139، 150، 152، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 191، 192، 193، 194، 195، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 220، 221، 222، 223، 224، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 253، 254، 289، 291، 292، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 304، 315، 320، 321، 331، 332، 340، 344، 345، 346، 362

ابن خرداذبة 137

ابن خلدون 21، 25، 36، 37، 39، 40، 41، 43، 44، 45، 49، 72، 79، 82، 87، 90، 92، 99، 117، 146، 155، 172، 173، 250، 251، 321

ابن خيرون 110

ابن سعد 60، 121

ابن سعيد 43، 96، 121، 175، 177، 178

ابن سلام اللواتي 106

ابن شنذير الراوية الطليطلي 129

ابن شهاب الزهري 103

ابن عبد البر 65، 96، 100، 122، 127، 137، 209، 211، 233، 239، 321، 322

ابن عبد الحكم 104

ابن عبد ربه 122، 212، 307

ابن عذاري 21، 23، 24، 26، 27، 29، 30، 32، 33، 35، 36، 37، 38، 39، 113، 114، 116، 147، 208، 322

ابن قتادة: 103

ابن قتيبة 104، 105، 259، 322

ابن كثير 57، 130، 322

ابن مسرة 69، 170، 194، 214، 218، 296، 334

ابن مسكويه 130، 132

ابن هارون البغدادي 71

ابن هشام 120

أبو إسحاق الجبنياني 114

أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني 114
أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمان الكرماني 72
أبو الربع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي 114
أبو العباس العذري 117
أبو العرب 61، 62، 106، 110، 144، 146، 147، 149، 150، 154، 323
أبو الفضل يوسف بن مسرور 106
أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد ابن رشيق 144
أبو الوليد بن الفرضي 115، 219
أبو الوليد حيون بن خطاب بن محمد 129
أبو الوليد يونس بن عبد الله ابن الصفار 129
أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض 116، 131، 139
أبو بكر الحسن القُبشي 209
أبو بكر عبادة الشاعر ابن ماء السماء 210
أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم 139
أبو بكر عتيق بن خلف التجيبي القيرواني 144
أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي 125، 327
أبو بكر محمد بن سعدون القيرواني 148
أبو بكر محمد بن عيسى بن مُزَين 134
أبو بلال مرداس بن أدية التميمي 53
أبو ثعلبة الخشني 83
أبو جعفر أحمد بن محمد الأموي 129
أبو جعفر القصري أحمد بن محمد التميمي 142
أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم 180، 310
أبو سليمان أيوب 187
أبو صالح جنون بن يرمان 48
أبو طالب بن احمد بن عيسى 107، 146
أبو عبد الرحمان مطرف بن عيسى الغساني 134
أبو عبد الله محمد بن احمد 109، 171، 309
أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي 114
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن برزال 51
أبو عبد الله محمد بن يحي بن أحمد بن محمد التميمي 126
أبو عثمان سعيد بن عبس بن الأصفر 148
أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي 232
أبو علي الحسين بن عبد الرحمن بن عبيد البصري 147
أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحي المعافري 126
أبو عمر احمد بن يوسف 139

أبو عمر بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن لب بن يحيى 129

أبو عمر عمرو الربيع بن حبيب 260

أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري 117

أبو محمد بن مانج اللمائي 281

أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي بن زكرياء الشقراطيسي التوزري 143

أبو محمد ويسلان بن أبي بكر 109

أبو نوح 48، 184، 271، 285، 308

أبو يحيى إسماعيل بن يحيى 186

أبو يحيى زكرياء بن أبي بكر 49، 180

أبو يعقوب بن أبي إسحاق 109

أبو يوسف يعقوب بن عبد الوهاب 44

أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي 180، 256

أبي الوليد الباجي 122، 168

أبي حنيفة 62

أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور 184، 271، 275

أبي عبد الله الشيعي 44، 109

أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجدامي 113

أبي محمد بن مانوج اللمائي 198، 256

إحسان عباس 21، 22، 30، 33، 35، 56، 60، 68، 75، 85، 96، 122، 127، 134، 140، 141، 177، 216، 242، 243، 245، 319، 320، 321، 323، 326، 330، 331

أحمد بن خالد بن الجباب 122

احمد بن رشيق الأندلسي 126

احمد بن عبد الله الكوفي 149

أحمد بن عمر بن أنس العذري 117، 121، 318

أحمد بن محمد الرازي 111، 220، 221، 249

أحمد بن معاوية 71

أدونيس 80، 332

أسامة بن منقذ الكناني الشيْرزي 140

إسحاق بن إبراهيم بن أبي طاهر إسماعيل اليزماتي المزاتي 182

إسحاق بن سلمة 134

أسد بن الفرات 61، 62

الاصطخري 26، 137، 325

الأعشى 79، 219، 329

الأوزاعي 63، 208، 233

أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد 109

-ب-

باديس بن منصور 35

البرادي 187، 188، 189، 196، 282، 323، 325

البرزالي 51، 130

البكري 14، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 43، 117، 121، 140، 151، 167، 325، 330

البلاذري 102، 105

بلكين بن زيري 35

بن أبي الصلت 113

بن الجزار 109، 144، 148، 150

بن جهور 32، 165، 178

بن سهل 64، 71، 88، 323، 328

بن شُهَيد 111

البيروني 132

-ت-

تبغورين بن عيسى الملشوطي 186

تميم بن المعز 40

تميم بن حمدان بن تميم السرتي 147

-ث-

الثوري 61، 88

-ج-

الجاحظ 68، 259، 265، 325

جعفر الصادق 70

جعفر المصحفي 22

الجوذري 97، 109، 331، 345

-ح-

الحاجب ابن مغيث 208

حاجي خليفة 35، 131، 148، 191، 192، 212، 333

حذيفة 66، 83

الحسن البصري 67، 263

حسين بن عاصم 115، 134

الحكم الثاني 84، 85، 93، 207

الحكم المستنصر 21، 64، 85، 92، 137، 170، 195، 233

الحكم بن هشام الربضي 193

الحميدي 21، 32، 65، 71، 73، 74، 116، 121، 122، 126، 127، 128، 133، 134، 136، 139، 151، 162، 163، 164، 171، 213، 326

حيدرة بن محمد بن إبراهيم الكتامي 109

-خ-

الخشني 65، 73، 100، 110، 124، 125، 144، 146، 149، 150، 209، 326

خليل الغفلة 68

-د-

داود بن علي 72

الدرجيني 15، 48، 49، 50، 53، 54، 56، 86، 89، 179، 180، 183، 184، 185، 186، 187، 189، 197، 258، 274، 309، 326

الدينوري 90، 104

-ر-

ربيعة الرأي 59

الرحمان بن رستم 26، 86، 89، 264، 266، 268، 270

الرقيق القيرواني 113، 148، 327

-ز-

الزركلي 22، 45، 54، 65، 70، 71، 75، 85، 143، 145، 146، 147، 172، 210، 327

زكرياء بن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليراسني 184

الزهري 121

زياد بن الأصفر 53

زياد بن عبد الرحمن 63، 64

زيري بن مناد الصنهاجي 35، 234

-س-

سعيد بن الحداد 150

سعيد بن عمار الزواغي 186، 309

السلاّوي 56

سلمة بن سعد 56، 267

سليمان الفراء ابن أبي عصفور القيرواني 149

سليمان أيوب بن إسماعيل 185، 186

سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني 184

سليمان بن محمد بن إسحاق 186

سليمان بن موسى بن عمر 258

سليمان بن يخلف الوسلاتي القابسي المزاتي النفطي 183

سليمان بن يخلف 114، 180، 183، 184، 185، 200، 256، 257، 264، 265، 308

-ش-

الشافعي 59، 76، 83، 87، 88، 90، 91، 319، 333

شرحبيل بن سعد 103

الشماخي 45، 48، 49، 53، 54، 56، 89، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 189، 197، 258، 324

شنجول 28، 29، 30

الشهرستاني 52، 53، 59، 67، 69، 327

-ص-

صاعد الطليطلي 116، 131، 220، 307

صالح بن إبراهيم بن يوسف الزمريني المزاتي التجممي 184

صعصعة بن سلام الشامي 208

-ط-

الطبري 58، 102، 104، 107، 111، 130، 131، 149، 173، 192، 329

-ع-

عائشة بنت معاذ بن أبي علي 186

عائشة 161، 176، 186، 191، 205، 216، 220، 262، 265، 344

عبد الرحمان الأوسط 193

عبد الرحمان الداخل. 161

عبد الرحمان الناصر 26، 28، 29، 32، 69، 92، 111، 194، 195

عبد الرحمان بن الحكم 203، 204، 211، 213، 220، 228، 233، 248

عبد الرحمان بن المنصور 29

عبد الرحمان بن زياد 106

عبد الرحمان بن محمد بن معمر 134

عبد الرحمان بن معاوية 63، 132، 161، 206، 208

عبد الرحمن الجبرتي130

عبد الرحمن بن الحكم 151، 209، 211

عبد الصمد بن محمد بن عمر 115

عبد الكريم بن عبد الواحد 35، 210، 225، 318

عبد الله بن إباض 54

عبد الله بن أبي حسان اليحصبي 147

عبد الله بن الصفار 53

عبد الله بن بلقين 116، 140

عبد الله بن حليب 252

عبد الله بن سبأ 69، 335

عبد الله بن عبيد الله الأزدي 111

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم 124

عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال73

عبد الله بن محمد 62، 71، 73، 96، 113، 124، 125، 145، 165، 168، 194، 204، 240، 254، 319، 321، 322، 329

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري 259

عبد الملك المظفر 27، 28

عبد الملك 21، 27، 28، 32، 33، 34، 54، 63، 64، 68، 73، 74، 84، 85، 107، 121، 124، 130، 131، 142، 148، 149، 163، 164، 211، 219، 251، 319، 328، 330

عبد المؤمن بن علي 41

عبد الواحد المراكشي 25، 26، 41، 91، 139، 177، 328

عبد الوهاب 40، 44، 71، 86، 146، 260، 264، 266، 271، 278، 323، 325، 330

عبيد الله المهدي 34، 45، 270

عثمان بن خليفة السوفي المارغني 185

عثمان بن ربيعة الأندلسي 112

عثمان بن ربيعة 112، 124

عثمان بن عفان 69

عريب بن سعد 111، 131

عكرمة بن عبد مولى بن عباس 56

علي بن أبي طالب 52، 69، 70، 263

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم 68، 74، 116، 319

علي بن زياد 61، 62

علي بن فضال المجاشعي القيرواني 150

عماد الدين إدريس القرشي 109

عمر ابن الخطاب 262

عمر بن حفصون 71، 204، 207، 224، 244

عمر بن عبد العزيز 83، 133

عيسى بن أبي المهاجر 147

عيسى بن أحمد الرازي 125

عيسى بن دينار الغافقي 210

عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي دينار 106

-غ-

الغازي 64

-ف-

فرج بن سلام 68، 124

فُطيس بن اصبغ 252

-ق-

قاسم ابن أصبغ 136

قاسم بن أصبغ 89، 93، 163، 206

قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي 121

قاسم بن محمد 208، 218

القاضي النعمان 100، 109، 148، 154، 329

القاضي عياض 15، 61، 62، 63، 64، 65، 71، 75، 117، 122، 124، 126، 133، 142، 144، 146، 147، 148، 149، 164، 165، 329

القلقشندي 79، 329

-م-

ماكسن 181، 183، 258، 308

مالك ابن أنس 59، 217

المالكي 9، 13، 14، 15، 37، 59، 61، 62، 63، 64، 65، 73، 76، 88، 97، 100، 106، 107، 113، 142، 143، 144، 145، 147، 148، 149، 150، 157، 233، 296، 303، 318، 326، 329، 341، 343

المأمون يحي بن ذي النون 34، 86

محبوب بن أبي عبد الله السدراتي 258، 308

محمد أبو الوليد 33

محمد بن أبي عامر 21، 164

محمد بن حسين الطبني 214

محمد بن خيرون المعافري 146

محمد بن زيادة الله الأغلب 106

محمد بن زيادة الله بن الأغلب 147

محمد بن سحنون 59، 106، 142، 144، 149

محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي 113

محمد بن عبد الله البرقي 142

محمد بن عطية المزاتي 265، 309

محمد بن عمر بن لبابة 239

محمد بن فرج القرطبي 121

محمد بن مسرة 68، 243

محمد بن موسى الرازي 107، 133

محمد بن موسى بن هاشم الاقشتين 124

محمد بن نوح 51، 308

محمد بن هشام بن عبد الجبار 29، 30

محمد بن هشام بن عبد العزيز المرواني 112

محمد بن وضاح 89، 218، 239

محمد بن يوسف الوراق 111، 139

محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق القيرواني 146، 150

محمد ويسلان 109، 183، 198، 264، 280، 281

محمود إسماعيل 12، 45، 100، 105، 106، 107، 110، 111، 112، 115، 116، 117، 127، 131، 132، 134، 135، 141، 149، 153، 155، 235، 236، 339، 340

مزين 181، 183، 258

المستنصر بالله 194، 228

مسرور بن محمد بن سعيد بن شراحبيل المعافري 209

مطرف بن عيسى بن لبيب بن محمد بن مطرف الغساني 136

معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير 107

معاوية بن هشام الشبينسي 208، 215، 248

معاوية بن هشام بن محمد بن هشام 136

المعتد هشام الثالث 32

المعتضد بن عباد 51، 86

المعتمد بن عباد 174، 178

المعز بن زيري بن عطية المغراوي 28

المعز لدين الله الفاطمي 34، 35، 225

المقريزي 35، 39، 124، 125، 126، 130، 325، 327، 330

مناد بن محمد 51

منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمان البلوطي 73

المنصور بن بلكين 48

موسى بن عقبة 121

موسى بن موسى القسوي 252

–ن–

الناصر أسلم بن عبد العزيز 252

الناصر بن علناس 39

نوح بن أبي تزيري الدمري 51

نوح سعيد بن زنغيل 264، 308

–هـ–

هشام الكلبي 135

هشام المؤيد 21، 22، 27، 29، 30، 164، 178

هشام بن الحكم المؤيد 195

هشام بن عبد الرحمن 63، 208

–و–

الوارجلاني 2، 3، 4، 6، 7، 10، 11، 17، 26، 44، 45، 55، 56، 98، 100، 114، 145، 159، 160، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186،

187، 188، 190، 191، 195، 196،
197، 198، 199، 200، 201، 202،
203، 256، 257، 258، 259، 260،
261، 262، 263، 264، 266، 267،
268، 269، 271، 272,273، 274، 275،
276، 277، 278، 279، 280، 281،
282، 283، 284، 286، 287، 288،
289، 291، 292، 293، 295، 296،
297، 298، 299، 300، 301، 304،
308، 316، 324، 338، 343، 344، 362

واصل بن عطاء 66

الواقدي 103، 121، 142

الوسياني 15، 179، 180، 182، 183، 184،
185، 186، 187، 189، 196، 197،
200، 258، 266، 309، 323

وكيع بن الجراح 71

-ي-

يحي الليثي 59، 65، 121، 210

يحي بن إبراهيم بن سليمان بن زرقون بن ويجمان 186

يحي بن الخير بن أبي الخير الجناوي 183

يحي بن عبد العزيز 41

يحي بن عمر 106

يحي بن يحي 64، 65

يحي بن يونس القبري 252

يحيى بن حكم الغزال 151

يحيى بن معمر الألهاني 209

يعقوب بن أبي القاسم بن يونس ابن وزجين الويليلي 258

يعقوب بن أفلح 45، 48، 49، 268

اليعقوبي 26، 38، 105

فهرس البلدان والأماكن

فهرس البلدان والأماكن:

-أ-

آجلو 181, 186

إجنّاون 183

أستجة 24, 51, 213

الإسكندرية 22, 36, 40, 80, 233, 273, 324, 335

إشبيلية 31, 34, 51, 178, 233

أشير 35, 37, 38, 45, 128, 334

إفريقية 13, 36, 38, 39, 61, 72, 100, 104, 106, 109, 110, 111, 113, 131, 139, 144, 147, 148, 149, 150, 151, 154, 165, 180, 225, 234, 260, 268, 271, 276, 323, 325, 326, 327, 338, 341

إلبة 226

الأندلس 2, 3, 4, 5, 20, 25, 27, 28, 29, 30, 31, 47, 50, 51

إيطاليا 227

-ب-

بجانة 223

بجاية 37, 39, 40, 41, 42, 46, 113, 114, 370

برشانة 223

برشلونة 225, 22625 ,

بسكرة 44, 272

البصرة 54, 56, 66, 88, 259, 268

بطليوس 229

بقصطيلية 184

بلاد سوف 185

بلنسية 22, 31, 85

البُنتيل 226

بني طارق 223

-ت-

تاهرت 26, 45, 180, 190, 198, 334

تلمسان 35, 81, 148, 340

تماوط 182

تمولست 181, 200, 269, 282

تناوت 186

تنس 41

توزر 272

توغين 183

تونس 14, 42, 44, 46, 59, 61, 64, 85, 98, 109, 114, 125, 144, 145, 148, 150, 181, 186, 193, 197, 275, 291, 318, 323, 324, 329, 330, 332, 335, 336, 340, 341, 344

تونين 282

تيطرى 37

تين وال 181, 183

-ج-

جبل بامنديل 186

جبل نفوسة 45, 183, 190, 272, 340

جربة 109, 183, 184, 196, 272

الجريد 37, 43

الجريد 37, 38, 43, 181, 184

جزائر بني زغنان 226

الجزيرة الخضراء 21

الجزيرة 12, 20, 21, 25, 26, 31, 63, 65, 68, 70, 72, 94, 116, 118, 128, 172, 233, 248, 319, 341

جليقية 22, 70

جوغراف 256, 274, 275

جيجل 41

-ح-

الحامة 223

الحجاز 36

حروراء 52

الخابية 223

-خ-

خراسان 38, 72

-ر-

الرصافة 164

رقلة 44, 337

ريصو 270

ريغ 43, 50, 109, 180, 181, 182, 184

-ز-

الزاب 38, 43, 44, 45

-س-

سجلماسة 26, 35, 38, 47, 272

سدراته 44, 45, 47

سردانية 227

سرقسطة 31, 229

سلجماسة 26

سمورة 223

-ش-

الشام 36

شرشال 41

-ص-

صقلية 61, 164

صلاماليك 273

-ط-

طبنة 38

طرابلس 45, 149, 179, 181, 260, 266, 270, 281, 282, 333

طلبيرة 225

طليطلة 30, 34, 173, 220, 223, 229, 236, 247, 251

-ع-

عالية 25, 66, 74, 155, 160, 223, 235

العراق 67, 71, 78, 103, 116, 122, 135, 164, 340, 342, 345

-غ-

الغرب الإسلامي 2, 3, 4, 5, 6, 7, 9, 10, 11, 12, 14, 15, 16, 20, 36, 37, 38, 44, 47, 56, 62, 72, 73, 77, 78, 82, 85, 86, 89, 99, 100, 101, 102, 104, 105, 106, 110, 119, 120, 124, 125, 128, 144, 145, 146, 148, 149, 151, 157, 158, 160, 173, 250, 259, 289, 291, 292, 293, 294, 300, 301, 303, 304, 318, 323, 325, 326, 327, 329, 330, 331, 333, 334, 339, 341, 343, 370, 371, 374

-ف-

فارس 101, 260, 262

فجويج 47

-ق-

قابس 47, 270

قرطبة 21, 24, 27, 31, 32, 33, 34, 65, 67, 68, 74, 84, 85, 91, 92, 94, 100, 110, 111, 124, 125, 133, 135, 162, 163, 167, 173, 178, 208, 209, 211, 212, 214, 215, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 242, 243, 251, 252, 304, 320, 326, 333, 344

قرمونة 31, 50, 51, 66

قشتالة 25, 27

قشتيلة 226

قطالونيا 25

قلعة بُبَشتر 214

القلعة 36

القيروان 35, 37, 61

-ك-

كورة شنت 223

الكوفة 52

-ل-

ليون 25

ليون 25

-م-

مالقة 31

مانو 270, 273, 284

المدينة 36, 37, 40, 44

مراكش 41

المسيلة 36, 37, 38, 68, 234, 334, 341

مصر 9, 20, 21, 22, 25, 26, 28, 34, 36, 39, 40, 45, 48, 64, 67, 68, 70, 71, 73, 75, 80, 82, 100, 104, 105, 108, 121, 122, 127, 128, 132, 137, 151, 165, 239, 245, 260, 270, 311, 319, 320, 322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 330, 332, 333, 334, 335, 336, 338, 339, 340

مغدامس 270

المغرب الأدنى 26, 39, 105, 110, 141, 305

المغرب الإسلامي 2, 14, 17, 22, 23, 44, 52, 53, 56, 97, 98, 105, 108, 119, 141, 142, 151, 154, 156, 274, 293, 303, 332, 339, 341, 343, 344

المغرب الأقصى 26, 41, 42, 107, 335

المغرب الأوسط 3, 9, 13, 14, 15, 19, 20, 23, 26, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 41, 42, 43, 44, 46, 47, 50, 51, 52, 60, 61, 62, 66, 75, 86, 88, 106, 108, 114, 160, 183, 288, 293, 296, 300, 303, 304, 336, 340, 342, 345

المغرب 9, 11, 13, 14, 15, 16, 17, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 30, 32, 35, 37, 38, 39, 41, 42, 44, 45, 46, 47, 48, 50, 52, 56, 57, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 67, 68, 70, 74, 75, 78, 85, 86, 88, 89, 97, 98, 100, 102, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 113, 114, 115, 116, 119, 122, 127, 129, 137, 141, 142, 146, 147, 148, 150, 151, 154, 155, 156, 157, 158, 160, 161, 166, 170, 173, 174, 175, 177, 180, 183, 186, 190, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 215, 216, 224, 225, 230, 232, 233, 234, 235, 242, 244, 255, 256, 260, 263, 267, 268, 269, 270, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 282, 287, 288, 291, 293, 296, 300, 303, 304, 305, 311, 321, 322, 325, 328, 329, 331, 332, 334, 335, 336, 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 346, 370, 371

مكة 88, 260, 263

مَلْف 227

ملويّة 37

مورور 50, 51, 66

ميزاب 44, 50, 160

–ن–

الناصرية 40

نبرة 25

–هـ–

الهند 22, 101, 328

–و–

وارجلان 3, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 89

ورقلة 43

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة: 2

الفصل التمهيدي: الأوضاع السياسية والمذهبية للأندلس والمغرب الأوسط خلال القرنين 4-5هـ/10-11م 20

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الأندلس والمغرب الأوسط 21

أولا- الأوضاع السياسية في الأندلس: 21

1- الدولة العامرية (368- 399هـ/978-1008م): 22

2- الفتنة الأندلسية وسقوط الخلافة (399-422هـ/1008-1031م): 31

3- ملوك الطوائف (مملكة آل جهور) 422-462هـ/1031-1070م: 33

ثانيا- الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط: 36

1- دولة بني حماد الصنهاجية (398-547هـ/1007-1152م) 37

2- انتشار المد الهلالي والانتقال إلى بجاية: 40

ثالثا- الوجود الاباضي في وارجلان والأندلس: 44

1- تعريف منطقة وارجلان: 44

2- انتقال الإباضية إلى وارجلان: 46

3- الإباضية في الأندلس: 52

1.3- دولة بني دمر في مورور (403-458هـ/1013-1066م): 52

2.3- دولة بني برزال في قرمونة (404-459هـ/1013-1067م): 52

أولا-المذاهب العقدية والفقهية في بلاد المغرب الأوسط: 53

1-المذاهب العقدية: 53

1.1- المحكّمة الأولى:..... 53
2.1- أهل السنة: 58
2- المذاهب الفقهية:..... 61
1.2- المذهب المالكي:..... 61
ثانيا- المذاهب العقدية والفقهية في الأندلس: 64
1- المذاهب العقدية:..... 64
1.1- أهل السنة (المالكية): 64
2.1- المذاهب غير السنية: 67
2- المذاهب الفقهية:..... 74
1.2- المذهب الظاهري: 74
الفصل الأول: نشأة الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي وتطورها خلال القرون 79
(2-5هـ/8-11م) 79
المبحث الأول: الكتابة التاريخية دلالات المصطلح وأبعاده.....80
الكتابة لغة: 81
الكتابة اصطلاحًا: 81
المبحث الثاني- عوامل ازدهار الكتابة التاريخية في بلاد الغرب الإسلامي: 84
المبحث الثالث- محطات الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب:.....105
1- الإسطوغرافيا المشرقية (قاطرة الريادة): 105
2- إسطوغرافيا الغرب الإسلامي (تبعية النهج وتميز الطرح):.....108
1.2- المرحلة الأولى: إرهاصات التدوين التاريخي (2-3هـ/8-9م): 108

2.2- المرحلة الثانية: التاريخ الموجه والأدب (3-4هـ/9-10م): 110

3.2- المرحلة الثالثة: المعرفة التاريخية بين التوظيف والوحدة الجامعة (4-5هـ/10-11م):116

الفصل الثاني: اتجاهات الكتابة التاريخية في الأندلس والمغرب وأهم روادها 122

المبحث الأول- أنماط التدوين التاريخي في الأندلس وأهم أعلامه: 123

أولا- السير والمغازي: 123

ثانيا- التراجم والطبقات: 125

ثالثا- التاريخ العالمي (التاريخ العام، الجامع، الحوليات): 133

رابعا- التواريخ المحلية أو الإقليمية: 135

خامسا- الأنساب: 138

سادسا- البلدان والرحلات (المسالك والممالك): 141

المبحث الثاني: أنماط التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي وأهم أعلامه: 144

أولا- السيرة والمغازي: 145

ثانيا- التراجم والطبقات: 147

ثالثا- الأنساب: 149

سادسا- المسالك والممالك: 154

المبحث الثالث: المميزات العامة للمدرسة التاريخية في الغرب الإسلامي: 154

أولا- مميزات الكتابة التاريخية في الأندلس: 155

ثانيا- سمات التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي: 158

الفصل الثالث: حياة وتراث أبي مروان حيان القرطبي وأبي زكرياء يحى الوارجلاني 163

المبحث الأول: ترجمة لابن حيان القرطبي وأهم آثاره: 165

أولا- نسبه: 165
ثانيا- مولده ونشأته: 166
ثالثا- شيوخه وثقافته: 168
رابعا- تلاميذه: 171
خامسا- وظائفه: 174
سادسا- وفاتـه: 175
سابعا- مكانته وآراء العلماء والباحثين فيه: 176
ثامنا- آثاره: 179
المبحث الثاني- ترجمة أبي زكرياء يحي الوارجلاني وأهم آثاره: 184
أولا- اسمه ونسبه: 184
ثانيا- مولده ونشأته: 184
ثالثا- رحلاته العلمية: 186
رابعا- مهنته ومصادر كسبه: 187
خامسا- شيوخه: 187
سادسا- تلاميذه: 189
سابعا- وفاته: 192
ثامنا- آثاره: 193
تاسعا- مكانته وآراء المؤرخين والباحثين فيه: 194
المبحث الثالث: التعريف بكتابي المقتبس لابن حيان والسيرة للوارجلاني: 196

أولا- التعريف بكتاب المقتبس لابن حيان: 196
1-قيمة الكتاب وموضوعه:..... 197
2- قطع الكتاب وتحقيقاته: 198
ثانيا- التعريف بكتاب السيرة لأبي زكرياء الوارجلاني:..... 201
1- مضمون الكتاب وقيمته العلمية:..... 201
2- نسخ الكتاب وترجماته: 204
الفصل الرابع: منهج الكتابة التاريخية عند ابن حيان من خلال المقتبس..... 207
المبحث الأول: النسق الفني للمقتبس ومصادره: 208
1- هيكلة الكتاب وتفريعاته (الأبواب والأجزاء): 208
2- مصادر المقتبس: 210
المبحث الثاني: منهجه في النقل وطبيعة مادته التاريخية: 221
1- منهجه في النقل والإسناد من موارده: 221
2- الجوانب التاريخية في المقتبس (طبيعة المادة التاريخية): 227
المبحث الثالث: اتجاهات الكتابة التاريخية وأسلوب ابن حيان: 240
1- اتجاهاته في الكتابة التاريخية: 240
2- أسلوب الكتابة التاريخية عند ابن حيان:..... 247
المبحث الرابع: النقد التاريخي عند ابن حيان:..... 252
1- نقد الإسناد (الرّواة): 253
2- نقد المتن (الأفراد والأخبار): 255

الفصل الخامس: منهج الوارجلاني في الكتابة التاريخية من خلال السيرة في ضوء المقارنة مع منهج ابن حيان القرطبي 263

المبحث الأول: النسق الفني للسيرة ومصادره: 264

1- هيكلة الكتاب وتفريعاته (دراسة شكلية): 264

2- مصادر كتاب السيرة: 265

المبحث الثاني: منهجه في النقل وطبيعة مادته التاريخية: 272

1- منهجه في النقل والإسناد من مصادره: 272

2- الجوانب التاريخية في السيرة (طبيعة المادة التاريخية): 276

المبحث الثالث: أشكال الكتابة التاريخية وأسلوب الوارجلاني: 285

1- اتجاهات الكتابة التاريخية عند الوارجلاني: 285

2- أسلوب الكتابة التاريخية عند الوارجلاني: 292

المبحث الرابع: النقد التاريخي في السيرة: 295

1- نقد الإسناد (الرواة): 295

2- نقد المتن (الأفراد والأخبار): 296

المبحث الخامس- أوجه الشبه والاختلاف بين الكتابة التاريخية لابن حيان القرطبي وأبي زكرياء الوارجلاني: 299

أولا: الإطار العام للمؤرِخَين: 301

ثانيا: المنهج التاريخي: 303

ثالثا: البنية الفكرية والمضمون: 305

رابعا: الجوانب الفنية والأسلوبية: 307

خامسا: القيمة العلمية والتاريخية: 310

الخاتمـة: 313

الملاحـق: 317

المصادر والمراجع: 338

فهرس الأعلام: 368

فهرس البلدان والأماكن: 380

فهرس الموضوعات 386

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء مناهج الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي، وتتبع تطوّر أساليبها واتجاهاتها، مع الكشف عن العوامل المختلفة التي أسهمت في تطورها؛ فقد كان لاهتمام الأمراء والخلفاء بحركة التدوين أثر واضح في بروز مؤرخين أسهموا في بلورة الفكر التاريخي بالأندلس والمغرب الإسلامي؛ كما ابتعدت الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي تدريجيا عن تبعيتها للمشرق، لتشهد منذ القرن الثالث الهجري بدايات استقلال منهجي وموضوعي نوعا ما. وتعتمد الدراسة على مقارنة منهجية بين نموذجين بارزين: ابن حيان القرطبي ممثّل المدرسة الأندلسية، وأبي زكرياء الوارجلاني ممثّل المدرسة الإباضية. وقد جرى تحليل منهجهما في ترتيب الأحداث، واختيار المصادر، وصياغة الرواية التاريخية، مع إبراز أثر الخلفيات الأيديولوجية والجغرافية في تشكيل رؤيتهما.

وأظهرت النتائج أنّ عناصر التشابه بين المدرستين أكثر حضورا من عناصر الاختلاف؛ غير أنّ ابن حيان تميّز بسعة مادته التاريخية وتنوّع مصادره، في حين بقي الوارجلاني حبيس الإطار المذهبي الإباضي، وهو ما ضيّق من أفق روايته مقارنة باتساع الرواية عند ابن حيان.

الكلمات المفتاحية: الكتابة التاريخية، الغرب الإسلامي، ابن حيان، الوارجلاني، الإباضية.

Abstract:

This study aims to investigate the approaches of historical writing in the Islamic West and to trace the development of its methods and trends, while identifying the various factors that contributed to this development. The interest shown by princes and caliphs in the movement of historical documentation played a clear role in the emergence of historians who contributed to shaping historical thought in Al-Andalus and the Islamic Maghreb. Over time, historical writing in the Islamic West gradually moved away from its dependence on the Eastern Islamic world, and from the third Hijri century onward it began to exhibit a degree of methodological and thematic independence.

The study adopts a comparative methodological approach between two prominent figures: Ibn Ḥayyān al-Qurṭubī, representing the Andalusian school, and Abū Zakariyyā al-Wārjilānī, representing the Ibāḍī school. Their methodologies are analyzed in terms of event organization, source selection, and the construction of historical narrative, with particular attention to the influence of ideological and geographical backgrounds on shaping their perspectives.

The findings indicate that similarities between the two schools are more prominent than elements of difference. However, Ibn Ḥayyān is distinguished by the breadth of his historical material and the diversity of his sources, whereas al-Wārjilānī remained confined within the Ibāḍī doctrinal framework, which limited the scope of his narrative in comparison with the broader and more comprehensive narrative presented by Ibn Ḥayyān.

Keywords: Historical Writing; Islamic West; Ibn Ḥayyān; al-Wārjilānī; Ibāḍism.